بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الإسلامية

كلية أصول الدين

قسم: الدراسات العليا

الإصلاح الاجتماعي في سورة البقرة

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في قسم التفسير وعلوم القرآن

إشراف الاستاذ الدكتور

الطاهر أحمد عبد القادر

إعداد الطالب

عصام العبد زهد

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

تمت الطباعة لدى سليمان أبوقمر/متخصص في الطباعة ت المكتب ٨٤٦٨٢٣ المنزل ٨٣٥٥٩٤

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمد لله رب العالمين، الحمدلله الذي هدانا لهذا العمل الطيب وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله، وأشهد ان لا إله إلاالله وحده لا شريك له في الملك والحكم والسلطان وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله وحبيبه وخليله، أدى الامانة وبلّغ الرسالة، وكشف الغمة، ونصح الأمة حتى تركها على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لايزيغ عنها إلاّ هالك ،اللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واتبعه بإحسان الى يوم الدين.

وبعد:-

إذا نظر الدعاةُ المصلحون بعقول مستنيرة الى الحياة على سطح هذه المعمورة، يتضح لهم ولكل ذي عقلٍ وبصيرة، أنَّ الحياة صراعٌ حاد، وجهاد مستمر لا ينقطع بين قوى الشر والطغيان والحق المتمثل في منهج الله القويم.

فهي كفاح لا يهدأ وجهاد مستمر الى يوم القيامة واستشهاد في سبيل الحق والخير واقامة العدالة وتحقيق الحرية، قال تعالى ((*ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارضُ ولكن الله ذو فضل على العالمين*))(١)، وقال تعالى ((وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ ويكونَ الدينُ لله فإن انتهوا فلا عدوان إلاّ على الظالمين)).(٢)

ومنذ زمن بعيد يحُارب الاسلام وكتابهُ ولا زالا هدفا لشبهات الاعداء وسهامهم الطائشة وطعناتهم المسمومة ومع ذلك لم ولن ينالوا من هذا الدين وأهله لأن شبهاتهم وسهامهم ستتحطم على صخرة الاسلام الصلبة المحاطة بالرعاية والإصلاح من كل جانب، ولأن الله سبحانه تكفل بحفظ هذا الدين الى الأجيال كل الأجيال الى يوم القيامة.

قال تعالى ((*إنا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون*))(٣)، ومن المؤسف ان نجد من ابناء المسلمين من يشارك الأعداء الصرحاء كيدهم للاسلام وطعنهم عليه، إمّا عن غفلة وجهل وإما عن سوء قصد وخبث سريرة ونفاق في الصدور.

---

(١) سورة البقرة الآية:٢٥١

(٢) سورة البقرة الأية:١٩٣

(٣) سورة الحجر الآية:٩

اهمية البحث:-

١- تكمن اهمية البحث في قيمته العلمية الكبيرة حيث ان المادة جمعت من مصادر ومراجع أساسية وهامة في التفسير والحديث وكتب اللغة والتراجم وكتب السيرة، مع الرجوع احيانا الى بعض الكتب الثقافية الحديثة.

٢- حيوية البحث بإحتياج الناس اليه في اصلاح انفسهم وبيوتهم وتعاملهم مع بعضهم البعض التعامل اليومي الذي لا غنى لهم عنه.

٣- احتواء البحث على معلومات قيمة ومعالم ظاهرة مفيدة للقارىء حول موضوع الاصلاح الاجتماعي.

٤- مناقشته للمفاسد الاجتماعية عند اهل الكتاب لكي نتجنب هذه المفاسد ولا نقع فيها ونأمن شرها.

منهج البحث:-

منهج البحث قائم على الاستقراء والاستقصاء حول الآيات والاحاديث التي تتعلق بالموضوع ثم تم اخراج البحث بقدر ما منحني الله من المعرفة أثناء التعامل مع المراجع لساعات طوال في الجلسة الواحدة.

١- جمعت الآيات من القرآن عامة وسورة البقرة خاصة التي تمس موضوع ((الإصلاح الإجتماعي)) وبرمجتها حسب موضوعاتها في الفصول والمباحث.

٢- دعمت تفسير الآيات القرآنية بالأحاديث النبوية الشريفة في اغلب فصول البحث ليستفيد القارىء.

٣- جعلت الآيات القرآنية بين أقواس وبخط مميز وأشرت في الحاشية الى اسم السورة التي توجد بها الأية ورقمها المتسلسل.

٤- اطلعت على اقوال المفسرين حول الآية الواحدة، مع الوقوف طويلا على الدروس والعبر التي في الآيات مع محاولة استنباط بعض الايحاءات من خلال فهمي لاقوال المفسرين.

٥- تجاوزت عن المسائل التي لا تهمنا في البحث وكانت كثيرة خوفا من الاطالة ولكي يخرج البحث بحجم مقبول وجامع للفائدة.

٦- واجهت المسائل المختلف فيها بذكر اقوال العلماء وأدلتهم ثم رجحت الراجح منها مع ذكر الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال المفسرين والعلماء القدامى.

٧- اجتهدت كثيرا في استخراج العناوين البارزة والثانوية في هذا البحث بحيث تكون متناسقة مع موضوع البحث.

المصادر والمراجع:-

المرجع الاساسي والأول في البحث هو كتاب الله الخالد ((القرآن الكريم)) فهو يمتاز بخاصية الشمول وحفظ الله له وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لانه تنزيل من حكيم حميد.

واستعنت بمراجع كثيرة منها القديمة والحديثة وكان جل اعتمادي على المراجع القديمة لانها الاساسية لعلوم الاسلام الشرعية وهي امهات الكتب، واهمها كتب التفسير والحديث. والمعاجم اللغوية والتراجم والسيرة النبوية.

خطة البحث:-

يتكون من مقدمة وتمهيد وستة فصول وخاتمة اتبعتها بخمسة فهارس.

التمهيد:- تحدثت فيه عن معنى الإصلاح الاجتماعي وروده في القرآن الكريم ومجالاته ثم تناولت سورة البقرة بعرض عام من خلال توضيح زمن نزول السورة، وسبب تسميتها وفضلها والأحداث التي واكبت نزولها، ثم ذكرت الموضوعات التي تحدثت عنها السورة بإيجاز.

الفصل الاول:- يتحدث عن العبادة وأثرها الاجتماعي ويتكون من ستة مباحث وهي كالاتي:-

المبحث الاول:- "تعريف العبادة" وضحت فيه مفهوم العبادة في الاسلام والحكمة من تشريعها.

المبحث الثاني:- "الصلاة" مع التركيز على الفائدة الاجتماعية منها.

المبحث الثالث:- "الزكاة" واوضحت أوجه ورودهافي القرآن الكريم وحكمها، ومصارفها والثمار الاجتماعية للزكاة.

المبحث الرابع:- "الصيام" وجاء الحديث، عن فضله وآدابه وفوائده والجانب الاجتماعي للصيام.

المبحث الخامس:- "الحج" معناه وحكمه والترغيب فيه والاداب المستفادة منه.

المبحث السادس:- اثار العبادة على الفرد والمجتمع وجعلته في مطلبين الأول، آثار العبادة على الفرد، والثاني آثارها على المجتمع.

الفصل الثاني:- "الاصلاح الاجتماعي في الزواج" ويتكون من مقدمة واربعة مباحث كالاتي:-

المبحث الاول: "اهمية الزواج" اوضحت فيه معنى النكاح وروده في القرآن الكريم، وأنَّ الاسلام يحث على الزواج فهو رحمة وسكن ومودة، اضافة الى انه ميثاق غليظ، ثم حذرت من الرهبانية التي هي الاقلاع عن الزواج، وفي النهاية اثبت المبحث ان الزواج فيه مصلحة اجتماعية هامة.

المبحث الثاني: "الأسرة في الإسلام" تناولت فيه بناء الاسرة وتنظيمها وآداب الزواج وأهدافه وحقوق الزوجين والأبناء والآباء.

المبحث الثالث: "الطلاق" ويتكون من مقدمة مهمة ثم اوضحت مشروعيته وحكمه واقسامه والعِدَّة عند المطلقات واخيرا آداب الطلاق.

المبحث الرابع: "احكام تتعلق بالنساء" جاء الحديث فيه عما طرحته سورة البقرة من احكام تتعلق بالنساء، كالحيض وحكمه ونظام الخُلْع، والإيلاء، واحكام الرِّضاعة وحق المتوفى عنها زوجها وعدتها، ولماذا النهي عن زواج المشركات.

الفصل الثالث: "الاصلاح الاجتماعي في الأخلاق"، وفيه اربعة مباحث كالاتي:-

المبحث الاول:- الاخلاق وأثرها في الأدب مع الله تبارك وتعالى حيث أوضحت السورة الولاء لله والوفاء بعهده وعدم الحلف بغيره والانقياد لحكمه، والهجرة في سبيله.

المبحث الثاني:- الاخلاق وتهذيبها للنفس، فقد حثت السورة على ذكر الله والشكر على نعمه، والصبر أمام المحن والتضرع الى الله في السراء والضراء ثم إتباع القول بالعمل الصالح.

المبحث الثالث:- "الأخلاق واثرها في التعامل مع الناس" وتم الحديث فيه عن الاحسان الى اليتامى والفقراء والجيران.

المبحث الرابع:- التحذير من مسببات المضار الاجتماعية، كالتحذير من التقليد الاعمى للاباء، والتحذير من الخمر والميسر، والتحذير من تناول الميتة والدم ولحم الخنزير ثم التحذير من المنافقين واهل الكتاب ومضارهم الاجتماعية.

الفصل الرابع:- "المعاملات المالية وأثرها الاجتماعي". وجعلته من مقدمة للفصل واربعة مباحث كالاتي:.

المبحث الاول: "جمع المال وانفاقه" وفيه ثلاثة مطالب، الكسب الحلال، النهي عن الكسب الحرام، الانفاق.

المبحث الثاني: "المعاملات الربوية" وركزت الحديث على الضرر الاجتماعي العائد

على المجتمع من خلال التعامل الربوي.

المبحث الثالث: "الوصية" تعريفها ومشروعيتها، وهل تجوز للوارث؟ والحكمة الاجتماعية منها.

المبحث الرابع: "البيع ومتعلقاته" كالدين والإشهاد عليه والرهن وحكمه.

الفصل الخامس:- "القصاص في القتلى" جعلته في ثلاثة مباحث كالاتي:-

المبحث الاول: مشروعية القصاص وشروطه وانواعه.

المبحث الثاني: العفو في القصاص.

المبحث الثالث: الحكمة من تشريع القصاص.

الفصل السادس: "الجهاد واثره في اصلاح الحياة" وفيه ثلاثة مباحث كالاتي:-

المبحث الاول: "تعريف الجهاد"

المبحث الثاني: اهداف الجهاد وفضله وآدابه.

المبحث الثالث: الجهاد ضرورة لإصلاح الحياة.

واخيرا جعلت خاتمة للبحث عبارة عن خلاصة له مع بعض النتائج . واتبعت الخاتمة بخمسة فهارس كالاتي:-

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس تراجم الرجال.

٤- فهرس المصادر والمراجع.

٥- فهرس الموضوعات.

شكر وتقدير

اشكر الله العلي العظيم الذي منحني القدرة والتوفيق في إنجاز هذا البحث، الذي استغرق مني السنوات الطوال في البحث والاطلاع والتحري في بطون كتب التفسير والعقيدة والحديث والتراجم والثقافة حتى خرج بهذا الشكل الذي أحسبه منظما ومرتبا وجميلا وأنا عنه راضٍ.

كما واتقدم بخالص الشكر والتقدير للقائمين على إدارة جامعة أم درمان الإسلامية، وخاصة كلية أصول الدين وعلى وجه الخصوص قسم التفسير وعلوم القرآن.

واخص بالشكر والتقدير والاحترام استاذي الفاضل، الاستاذ الدكتور/ الطاهر احمد عبد القادر، المشرف على هذه الرسالة والذي منحني عظيم الرعاية والعناية بالتوجيه والارشاد منذ ان تدراست معه خطة البحث، حيث قام بتعديلها وتصويبها الى ان رأى النور فأصبح بهذه الصورة التي نسألُ الله سبحانه قبولها، وان يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ولإبتغاء مرضاته.

واخص بالشكر ايضا الدكتور/ احمد علي الامام مدير جامعة القرآن الكريم والعلوم الاسلامية، لما بذل من جهد، حيث احاطني بنصائحه وإرشاداته المفيدة عند إعداد خطة البحث.

واتقدم بالشكر والتقدير والعرفان للشعب السوداني المسلم عامه صاحب القلب الكبير الذي اغدق علينا بالكرم والجود في فترة تواجدي للكتابة في جمهورية السودان الشقيقة.

وختاماً اسأل الله العلي القدير ان ينفع بهذا العمل شباب الاسلام، ودعاة الاصلاح والمسلمين عامة، وان يهدينا الى سواء السبيل انه نعم المولى ونعم النصير.

الباحث

عصام العبد زهد

التمهيد

التمهيد

ويشمل الاتي

أولاً

معنى الإصلاح الإجتماعي ومجالاته وروده في القرآن الكريم.

ثانياً

عرض عام لسورة البقرة.

التمهيد

معنى الإصلاح الإجتماعي

المعنى اللغوي:

الإصلاح: لغة مأخوذ من صَلَح، يَصْلَحُ، صَلاحاً، والصلاح ضد الفساد، والاستصلاح نقيض الاستفساد، والمصالحة تعني المسالمة بعد المنازعة.

وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه، وأصْلَحَ الدابة: أحسن إليها فصلحت وأصبحت قوية صالحة للقيام بخدمة الإنسان .

وكانت العرب تطلق على مكة صلاحاً، تعتبره من أسمائها، شرّفها الله به لأنه من الصُّلْح لقوله تعالى "*ومن دخله كان آمناً*".(١)

وقيل أن الصلح يعني السلم وهو اسم من المصالحة، والصّلاحية هي حالةٌ يكون بها الشيء صالحاً بعيداً عن الفساد.

الإصلاح شرعاً:

الصلح والصلاح: هو سلوك طريق الهدى والرشاد ويعني استقامة الحال وفق ما يدعو إليه الشرع والعقل.

وعرفه بعض العلماء بأنه عقد يرفع النزاع سواء كان بين المرء وزوجه أو بين انسان وآخر أو بين قبيلة وقبيلة أو دولة ودولة أخرى.(٢)

الإجتماعي:

الإجتماع لغة مأخوذة من الفعل الثلاثي جَمَع، ومضارعه يجمع والمصدر جمعاً، والجَمْعُ مصدر لقولك جمعت الشيء، والجمع: اسم يطلق على جماعة الناس ويستعمل في غير الناس كجماعة الشجر وجماعة النبات.

وأطلق على المسجد "الجامع" لأنه يجمع المصلين في مواقيت الصلاة.

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٩٧

(٢) انظر لسان العرب المجلد: ٢/ ص٥١٦-٥١٧ لابن منظور ط (لا يوجد) دار صادر بيرون وانظر القاموس المحيط، ص:٢٩٣، للفيروز ابادي ط ٢ (١٤٠٧هـ ١٩٨٧). مؤسسة الرسالة وانظر محيط المحيط، مجلد: ٢ ص ١١٩٩ لبطرس البستاني ط(١٢٨٦هـ-١٨٧٠م) بطريقة الفوتو أوفست بيروت .

فهو نعت للمجسد لأنه علامة للإجتماع.(١)

قال بعض العلماء أن كلمة "إجتماع" تعني تقارب الأفراد بعضهم من بعض وإجتماع الساكنين في مكان واحد - كالحي أو القرية - بحيث تربطهم وشائج واحدة ويجمعهم مصير مشترك وبينهم وحدة حال في الآمال والأهداف.(٢)

خلاصة القول - أن كلمة الإصلاح تعني الأمن والسلام والمصالحة التي هي ضد المنازعة وجاءت في القرآن الكريم بعدة أوجهٍ نورد منها الآتي:-

١- الصلاح بمعنى الإيمان:-

جاءت كلمة الصلاح في آيات كثيرة بمعنى الإيمان حيث قال تعالى "**والصالحين من عبادكم وامائكم**"(٣) يعني المؤمنين وجاء حكاية على لسان سليمان عليه السلام قوله تعالى "**وأُدخلني برحمتك في عبادك الصالحين**"(٤) أي في عبادك المؤمنين وقوله تعالى "**وَمَنْ صَلَعَ مِنْ أُبائهمْ**"(٥) أي من آمن من آبائهم، وحكاية على لسان يوسف عليه السلام قال تعالى "**فاطِرَ السماوات والأرض أنت وليّ في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وأُلحقني بالصالحين**" (٦) أي بالمؤمنين من أبائه من ذرية ابراهيم عليه السلام.

٢- حُسْنُ المنزلة:

وجاءت كلمة الصلاح بمعنى المنزلة الحسنة سواء في الدنيا أو الآخرة، فجاء حكاية على لسان اخوة يوسف عليه السلام قوله تعالى "**اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخلُ لكم وجهُ أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين**"(٧) فهم تآمروا على ارتكاب جريمة القتل وهذا عنوان الفساد، ولكنهم ظنوا صلاح منزلتهم عند أبيهم بعد الايقاع بيوسف وهذا ظن خاطىء.

وتحدث القرآن الكريم في سورة البقرة عن ابراهيم عليه السلام فقال تعالى "**ولقد اصطفيناهُ في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين**".(٨)

---

(١) انظر لسان العرب مجلد: ٨: ص (٥٣-٥٥).

(٢) انظر التعريفات للجرجاني ص: ٢٣

(٣) سورة النور الآية: ٣٢

(٤) سورة النمل الآية: ١٩

(٥) سورة غافر الآية: ٩

(٦) سورة يوسف الآية: ١٠١

(٧(يوسف يوسف الآية: ٩

(٨) سورة البقرة الآية: ١٣٠

٣- الرفق:

فمن أوجه ورود الاصلاح في القرآن الكريم أنها تعني الرفق بالناس فجاء حكاية على لسان موسى عليه السلام مخاطباً أخاه هارون قال تعالى "*وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبعْ سبيل المفسدين*"(١) أوصى أخاه بأن يرفق بالقوم وحذّره من إتباع سبيل المفسدين. لأن الصلاح والفساد لا يلتقيان لأنهما على طرفي نقيض.

٤- الصلاح بمعنى تسوية الخَلق كما جاء في سورة الأعراف وعبّر عن ذلك قوله تعالى "*هو الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وجعلَ منها زوجها ليسكُنَ إليها فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرّتْ به فلمّا أُثقلت دعوا اللهَ ربّهما لئن آتيتنا صالحاً لنكوننّ من الشاكرين*"(٢) فالآية تعني ان يرزقهما طفلاً سوي الخلقه في صورة الآدميين.

٥- الصلاح بمعنى الطاعة:

جاءت كلمة الصلاح بمعنى الطاعة والإلتزام بمنهج الله قال تعالى "*ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها*"(٣) أي بعد الطاعة لأن الصلاح يكون في الأرض إذا أطعنا الله وعملنا في حياتنا وفق منهج الله الكريم.

٦- الإحسان:-

جاءت كلمة الإصلاح بمعنى الإحسان على لسان هود عليه السلام حينما خاطب قومه بأنه ملتزم بما ينهاهم عنه وأنه يريد الإحسان ويعمل على نشره بينهم قال تعالى "*وما أُريد أن اخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أُريد إلاّ الإصلاح ما استطعت*".(٤)

٧- الصلاح يعني آداء الأمانة:-

المصلح في المجتمع من أخلاقه أن يعطي الأمانة إلى أهلها غير منقوصة قال تعالى "*وأمّا الجدارُ فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحتَهُ كنزٌ لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربّك أن يبلغا أشُدَّهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك*"(٥) الشاهد في الآية أن أبا الغلامين كان أمينا في تعامله ويوصل الأمانه إلى أصحابها.

---

(١) سورة الأعراف الآية: ١٤٢

(٢) سورة ألأعراف الآية: ١٨٩

(٣) سورة الأعراف الآية: ٥٦

(٤) سورة هود الآية: ٨٨

(٥) سورة الكهف الآية: ٨٢

٨- الصلاح يعني بر الوالدين:-

تحدثت سورة الإسراء عن بر الوالدين والمحافظة عليهما وخاصة عند الكبر وأمرت بخفض الجناح لهما ثم أتبع ذلك بقوله تعالى "*إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوّابين غفوراً*" (١) أي إن تكونوا بارين بوالديكم فإن الله غفور رحيم بكم طالما كنتم صالحين مع آبائكم.

٩- الصلاح يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:-

الداعية الى الإسلام يُعتبر من أفضل المصلحين في المجتمع لأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ومن وصل إلى هذه المرتبه، فقد وصل الى قمة الإصلاح، لأن هذه المرحلة - هداية الناس - تتم بعد إصلاح النفس والأسرة ومن له عليهم سلطة في المجتمع، والداعية يكون قد تخطى ذلك الى اصلاح الناس جميعاً قال تعالى "*وما كان ربك ليُهلك القرى بظلم وأهلُها مصلحون*"(٢)

١٠- **الصّلاح بمعنى الحج**، ذكر ذلك الدامغاني* واستأنس بقوله تعالى "*حتى إذا جاء أحدهُمُ الموتُ قال ربّ ارجعون لعلّي أعملُ صالحاً فيما تركت كلاّ إنها كلمةٌ هو قائِلُها ومن ورائهم برزخٌ إلى يوم يبعثون*".(٣)

فقال ان المقصود من قوله "لعلي أعمل صالحاً" أي أحج.(٤)

ولكن الراجح ما قاله البيضاوي ** في تفسيره لهذه الآية أن الإنسان يطلب على سبيل التحسر عند الموت أن يرجع الى الدنيا لكي يعمل صالحاً وخاصة إذا كان تاركاً للإيمان بعيداً عن الألتزام بشريعة السماء، وقيل أن يعمل صالحاً في المال، وقيل في الدنيا بشكل عام.(٥)

---

(١) سورة الإسراء الآية: ٢٥

(٢) سورة الأعراف الآية: ١١٧

(٣) سورة المؤمنون الآية: ٩٩، ١٠٠

(٤) انظر قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ص:٢٨٢، ٢٨٣ للدامغاني حققه عبدالعزيز سيد أهل ط ٥ (١٩٨٥م) والعلم للملايين.

(٥) انظر تفسير البيضاوي ص: ٤٦٠

* الدامغاني: هو أبو عبدالله الحسين بن محمد بن ابراهيم الدامغاني الفقيه الحنفي أشهر مصنفاته، الزوائد، والنظائر وفوائد البصائر في القرآن المسمى الوجوه والنظائر وأيضا شوق العروس وأنس النفوس، انظر هداية العارفين، مجلد، ٥ ، ص١:(٣١٠) طبعة استانبول اعادت طبعة بالاوفست بغداد.

** البيضاوي: هو الأمام ناصر الدين عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي علامة في التفسير والعربية والفقه والمنطق وكان زاهداً صالحاً متعبداً شافعي المذهب ولد بالقرب من شيراز بفارس، أشهر مؤلفاته كتاب التفسير المسمى "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" و "مختصر الكشاف" و "المنهاج في الأصول" ت سنة٦٨٥ و وقيل سنة ٦٩١، انظر ترجمته في طبقات المفسرين للداودي ١/(٢٤٢، ٢٤٣) رقم (٢٣٠) والبداية والنهاية ٣٠٩/١٣ وبغية الوعاه ٥/٢ رقم(١٤٠٦) وهداية العارفين ٤٦٢/١، ٤٦٣ والأعلام للزركلي ١١٠/٤ الطبعة الثالثة.

الإصلاح عند المصلحين:

إن كلمة الإصلاح تعني في قاموس المصلحين بذل الجهد والوسع في سبيل تغيير واقع مؤلم يعتريه الكثير من الأمراض سواء في الجانب الأخلاقي أو الإجتماعي أو السياسي أو الإقتصادي للمجتمع، وأطلق العلماء الغربيين على الإصلاح لفظ Reformation وهو مقابل للفظ الثورة.

فإذا كانت كلمة الثورة Revellution تعني استخدام العنف والقوة في تغيير أوضاع غير سليمة، فإن الإصلاح يقصد به استخدام الرفق والتدرج في احداث هذا التغيير والنهوض بالناس إلى المستوى الإصلاحي الأفضل.(١)

يتضح مما تقدم أن الإصلاح يستهدف القضاء على الفساد بالرفق والدعوةالمتمثلة بالكلمة الطيبة كما جاء في قوله تعالى "*ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلمُ بالمهتدين*".(٢)

ويجوز استخدام العنف والقوة ضد الأنظمة والحكومات الهاربة عن منهج الله تبارك وتعالى عندما تضع السدود والحواجز في وجه الدعاة إلى الله لتمنع من تطبيق الشريعة الإسلامية، التي أوصى القرآن بالتزامها قال تعالى "*ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون*".(٣)

كما أن الإسلام أجاز استخدام العنف المقنن وهو إقامة الحدود عندما أصبح للأسلام دولة ذات سيادة بيدها السلطة وتتحاكم لمبادىء الاسلام.

قال تعالى "*وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبعْ أهواءهمْ واحذرهم أن يفتنوك عن بعضِ ما أنزلَ اللهُ اليك*".(٤)

وكلمة الاصلاح من المصطلحات الواردة على لسان الأنبياء جميعاًلذلك غلب عليها طابع الرفق مع عدم ادخار الوسع والجهد في تغيير الفساد والأوضاع المنحرفة عن منهج الله، فجاء على لسان شعيب عليه السلام قوله تعالى "*إنْ أُريد إلاّ الإصلاح ما استطعتُ وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلتُ وإليه أُنيبُ*".(٥)

---

(١) انظر منبر الإسلام عدد (٥)، ص [٨١، ٨٢] يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وزارة الأوقاف القاهرة.

(٢) سورة النحل الآية: ١٢٥ (٣) سورة الجاثية الآية: ١٨

(٤) سورة المائدة الآية: ٤٩ (٥) سورة هود الآية: ٨٨

لذا ينبغي على كل داعية إلى الإسلام أن يحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، باعتباره الأساس في إصلاح المجتمع، والمحافظة على طابعه الإسلامي.

والإصلاح الإجتماعي يعتبر الغرض الأسمى لسورة البقرة باعتبارها من أوائل ما نزل في العهد المدني وسنلمس ذلك عند الدخول في تفسيرها، وخاصة عندما نكشف الستار عن الأوامر والنواهي التي في السورة فنعلم علم اليقين أن بها الصلاح والإصلاح للأمة بأسرها.

مجالات الإصلاح الإجتماعي:-

لقد مرّ الإسلام بطورين عظيمين هما، طورُ إقامة الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة ويسمى بطور ما قبل الهجرة والطور الثاني بعد هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة، مما أدى إلى نجاح الإسلام وظهوره في مشارق الأرض ومغاربها.

ونستخلص من ذلك أن غرض التشريع الإسلامي في الإصلاح كان موزعاً على الطورين السابقين فالطور الأول كان معظمه للإصلاح الفردي لأن الإسلام كان يتمثل في أفراد ينتمون إليه بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بأيديهم السلطة والقيادة للمجتمع.

أما الطور الثاني فكان معظمه للإصلاح الإجتماعي الذي سنتحدث عنه باستفاضة من خلال تفسير سورة البقرة.

ونخرج بنتيجةٍ من خلال هذا التقسيم أنه يجب أن يسبق الإصلاح الإجتماعي إصلاح فردي بتربية الأفراد على عقيدة الإيمان وتمكين ملكة المراقبة لله من ضمائرهم حتى يصبحوا لبنات صالحة في جسم المجتمع، لذلك كانت الحكمة من القرآن المكي أنه ركّز على بناء التصور الاعتقادي عند الأفراد ليكون عندهم الإستعداد لما يناط بهم من مسؤوليات في مجالات الإصلاح المتعددة، وفعلا أثبت المسلمون جدارتهم في نشر مبادىء الإسلام في أرجاء الأرض وبث فضيلته في نفوس الناس والصدع بكلمة الحق أمام الملأ دون خوف أو وجل، وأصبحوا قادرين على إحداث التغيير والإصلاح في المجتمع بتأسيس قواعده ومؤسساته وفق التشريعات الإسلامية.(١)

لقد خطا الإسلام خطوات عظيمة لتحقيق الإصلاح في المجتمع نلمسها من خلال الآتي

أولاً إصلاح الأفراد:

إن الإنسان العاقل يبحث عن علة وجوده على سطح هذه المعمورة بين الكائنات وسبب هذا البحث كامن مرتكز في الفطرة الإنسانية، والقرآن الكريم وضّح ذلك بصورة عامة وسورة البقرة بصفة خاصة فتحدثت عن خلق الإنسان من الأباء الأوائل آدم وحواء عليهما السلام ثم تعليمه الكلمات قال

---

(١) انظر أصول النظام الإجتماعي في الإسلام، ص: ١٠٣ ط : ١٩٧٦م الشركة الفرنسية للتوزيع.

تعالى "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفةً قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفكُ الدماء ونحن نسبّحُ بحمدك ونقدس لك قال إني أعلمُ ما لا تعلمون، وعلّم آدم الأسماء كلها ثمّ عرضَهُمْ على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين".(١)

وركزت الآيات القرآنية على إصلاح الجانب العقلي عند الانسان الذي هو أساس إصلاح جميع خصاله، فإذا أصبح تفكير الإنسان منضبطاً وفق التصور الاعتقادي للمنهج القرآني فستصلح حياة المجتمع، لذلك تحدثت عن حقيقة التوحيد، ثم حثت العقل أن يتبصر في الآيات الكونية وحقائقها الكبرى قال تعالى "وإلهكم إلهٌ واحدٌ لا إله إلاّ هو الرحمنُ الرحيمُ، إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل اللهُ من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون".(٢)

قال بعض المفسرين إن المنهج القرآني أطلق للعقل العنان بأن يفكر ويبدع، ولكن في حدود المعقول بحيث أن يظل في نفس الدائرة التي يحددها التصور الإسلامي فلا يخوض إلا فيما هو تحتَ الحس، وفي مجاله العقلي، أما فيما يتعلق بالغيب فله أن يسلّم تسليماً مطلقاً بما جاء عن الله تبارك وتعالى أو أخبر به صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الصحيحة لأنه لا مجال للعقل مع النص الشرعي قال تعالى "والله يعلم وانتم لا تعلمون".(٣)

وكما أنه دعا العقول إلى الاستدلال على وجود الله وصفاته، دعا إلى إمعان النظر والتفكير في الأرض وفي الأنفس قال تعالى "وفي الأرض آياتٌ للموقنين، وفي أنفسكم أفلا تبصرون".(٤)

وركز بعد ذلك على إصلاح الأفراد من خلال دعوتهم إلى الاستقامة في سلوكهم الحياتي وفق معتقداتهم الإيمانية حيث جاء في الحديث الشريف عن سفيان بن عبدالله الثقفي* قال: قلت يا رسول الله ! قل

(١) سورة البقرة الآية: ٣٠، ٣١

(٢) سورة البقرة الآية: ١٦٣، ١٦٤

(٣) سورة البقرة الآية: ٢١٦

(٤) سورة الذاريات الآية: (٣٠، ٣١)

* سفيان بن عبدالله الثقفي يقال له أبو عمرة الطائي ، صحابي جليل جعله عمر عاملاً على الطائف روى عن النبي صلى الله وعن عمر بن الخطاب وروى عنه ابناؤه، انظر تهذيب التهذيب، ج:٤، ص:(١١٥، ١١٦)

لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال: قل آمنت باللهِ ثم استقم".(١)

نستطيع ان نجمل ما استخدمته السورة من الأساليب في تحقيق الإصلاح الفردي(٢) بالآتي:-

١- دعت المسلمين إلى إصلاح أنفسهم باسلوب ينفذ إلى قلوبهم إذا ما سمعوا التوجيهات القرآنية.

٢- كشفت عن فساد الضالين في العقيدة على اختلاف ضلالهم، وأن سبب فسادهم الإجتماعي ناتج عن انحراف وضلال في تصوراتهم الإعتقادية.

٣- حاربت الشرك وعملت على اجتثاث جذوره من الأساس قال تعالى "*ومن النّاسِ من يتخذُ من دونِ اللهِ أندادا يحبونهم كَحُبِّ الله والذين آمنوا أشدُّ حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أنّ القوة لله جميعاً وأن الله شديدُ العذاب*".(٣)

وبعد أن استخدمت اسلوب التفصيل والإيضاح المتمثل في الأمر والنهي استخدمت أيضاً اسلوب التعليل في بيان مجالات الإصلاح وذلك ليكون التطبيق والعمل عن قناعة كاملة وإليك الآتي:

أ- لقد اومأ القرآن الكريم إلى التعليل من وراء تحريم الخمر والميسر بقوله تعالى "*إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر*".(٤)

ب-كما اومأت إلى التعليل في مشروعية القصاص في القتلى قال تعالى "*ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب*".(٥)

جـ- وأوضحت العلة من عدم إقتراب النساء في المحيض فقال تعالى "*ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساءَ في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن*".(٦)

كان هذا التوضيح بياناً للعلة في التحريم لبعض الأشياء استئناساً لنفوس العرب المخاطبين حيث كانوا مولعين بالخمر والثأر وغيرها من الأمور في الجاهلية.

إصلاح الأفراد مقدمة لإصلاح المجتمع:-

لقد دعا الإسلام إلى بناء مجتمع سليم بعيد عن كل الآفات الضارة ويسوده كل معاني الخير والسعادة والوئام والتراحم من خلال تركيز المنهج القرآني على إعداد الأفراد لانهم بمثابة اللبنات التي يتألف منها جسم المجتمع الكبير، لذا فقد اعتبر الإسلام الفرد الصالح أساساً للمجتمع الصالح، فهذب الفرد من جانبين وهما كالآتي:-

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح، المجلد: الأول، ك: الإيمان، باب: ١٣(جامع أوصاف الإسلام) حديث رقم: ٦٢ وأخرجع الإمام أحمد في مسنده، مجلد: ٣، ص ٤١٣، مجلد:٤ ص:٣٨٥

(٢) انظر أصول النظام الإجتماعي في الإسلام، ص: ٤٩

(٣) سورة البقرة الآية:١٦٥

(٤) سورة المائدة الآية" ٩١

(٥) سورة البقرة الآية: ١٧٩

(٦) سورة البقرة الآية: ٢٢٢

١- إبراز الشخصية المستقلة للفرد: فقد دعا الإسلام إلى المحافظة الكاملة على مكونات الإنسان وأحاطها بالرعاية، فحافظ على جسم الإنسان وعقله وروحه وماله وعمله ليكون إنساناً سوياً في المجتمع ايجابياً في حركته وعمله وإنتاجه، لذلك جاءت التكاليف الفردية.

٢- بناء الشخصية العامة:

لقد حافظ المنهج القرآني على الشخصية العامة للمجتمع المسلم من خلال توضيحه لطبيعة العلاقة بين الأفراد وما ينبغي أن يقوم به من خدمات لتحقيق سعادة المجتمع لذلك كانت التكاليف الجماعية.(١)

نستخلص مما سبق أنه بقدر ما يكون عند الفرد من القوة والخلق والإرادة والسمو الروحي والإحساس بالمسؤولية يكون نصيب المجتمع من الصلاح والسعادة والرفاه الإجتماعي، فسعادة الفرد هي سعادة للمجتمع وصلاح المجتمع من صلاح الفرد، وشقاؤه من شقائه وفساده من فساده، فهما مترابطان ترابط الجسد بالروح، لذلك كانت العناية بتربية الأفراد لينهض المجتمع الفاضل على أساس من تعاليم الإسلام.

إصلاح الأسرة:-

لا يكتفي الإسلام من المسلم أن يكون مسلماً لوحده دون إهتمام بمن حوله بل أنه يريد من المسلم

أن يهتم بالآخرين ودعوتهم والنصح لهم والغيرة عليهم فقال تعالى "*ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين*".(٢)

لذلك أوجب الإسلام على المسلم بعد إصلاحه لنفسه أن يحمل رسالة الإسلام وتعاليمه الإصلاحية السامية في جميع مجالات الحياة إلى أهل بيته - المجتمع الصغير - المكون من الزوجة والأولاد والأقارب قال تعالى "*يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون*".(٣)

فأمر بحسن اختيار شريكة الحياة ورفيقة الدرب فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "تخيروا لنطفكم وانكحوا الاكفاء وأنكحوا إليهم.(٤)

وأوصى صلى الله عليه وسلم باختيار ذات الدين فهي أمينةٌ على البيت بأن يصبح قلعة من قلاع العقيدة عن عبدالله بن عمرو قال:

---

(١) انظر من توجيهات الإسلام للشيخ محمود شلتوت ص: ٥٥٥

(٢) سورة فصلت الآية: ٣٣ (٣) سورة التحريم الآية: ٦

(٤) سنن ابن ماجه، المجلد: الأول، باب: ٤٦، كتاب: النكاح، ص: ٦٣٣ حديث رقم: ١٩٦٨

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تزوجوا النساء لحُسنِهِنّ فعسى حُسنِهُنّ أن يُرديَهُنّ ولا تزوجوهن لأموالِهنّ فعسى أموالُهُنّ أن تطغيهُنّ ولكن تزوجوهُنّ على الدين ولأمة خرماءُ سوداء ذات دين أفضل".(١)

وحثّ صلى الله عليه وسلم على الإهتمام بالأطفال الصغار لأنهم الثمرة الفعلية من الزواج والهدف الأسمى فأمر بالإحسان في تربيتهم والعمل على تنشئتهم النشأة الإسلامية خاصة وأنهم مولودون على الفطرة وللأباء الدور الأكبر في التربية عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "كلُ إنسان تلدُهُ أُمُّهُ على الفطرة وأبواه بعدُ يهودانهِ وينصرانهِ ويمجسانهِ فإن كانا مسلمين فمسلمٌ".(٢)

إصلاح المجتمع:-

إصلاح المجتمع هدف عظيم من أهداف الإسلام السامية لذلك خاطب القرآن الكريم الأمة كل الأمة بأن تعتصم بمنهج الله، لأن في الإعتصام وحدة واتحاد لأبناء الأمة وفي اتحادهم قوة ترهب الأعداء وفاعلية، وتحقيق لقيادة ولريادة الأمة الإسلامية للبشرية جمعاء قال تعالى "***واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً***".(٣)

وأوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدة الأمة وتماسكها بجملة صغيرة مؤثرة ثم شبك بين أصابعه دليل الوحدة والاتحاد والتآلف والترابط على آصرة العقيدة الإسلامية فجاء في الحديث الشريف عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضاً وشبك بين أصابعه".(٤)

وحذر القرآن الكريم الأمة من التفرق والإنقسام إلى فِرق وشيع لأن ذلك يؤدي الى عواقب لا تحمد عاقبتها من تشتت وضياع لمقدرات المجتمع قال تعالى "***إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون***".(٥)

ونجزم القول بأن الأمة حينما تمسكت بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت منهما منهجاً ودستوراً لها في الحياة، وأصبحت البيوت قائمة على الطُهر والتقوى، وأصبح المجتمع على الإيمان والفضيلة كانوا خير أمة أخرجت للناس فعلاً، والتاريخ شاهد على ذلك، وحينئذ انتصروا على

---

(١) سنن ابن ماجة، مجلد: ١، كتاب: النكاح، باب: ٦ "تزويج ذات الدين، ص: ٥٩٧ حديث رقم ١٨٥٩
(٢) صحيح مسلم، مجلد:٤، كتاب القدر، باب:٦، ص: ٢٠٤٨ حديث رقم:٢٥
(٣) سورة آل عمران الآية: ١٠٣
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، ج:١، ك: الصلاة، باب: ٨٨،(تشبيك الأصابع)، ص ١٢٢
(٥) سورة الأنعام الآية: ١٥٩

أعدائهم ألف عام، وبغير الإسلام انهزمت الأمة وتراجعت عن مركزها القيادي المنوط بها فلا بد من عودة صادقة مع الله، فنصلح انفسنا ومجتمعنا وفق مبادىء الإسلام قال تعالى "وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج مِلّة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسولُ شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير".(١)

إصلاح العمل:-

إن القرآن الكريم يربط الإيمان بالعمل الصالح في العديد من الآيات القرآنية وذلك لأن الأعمال الصالحة تنتج عن المعتقدات والأفكار السليمة، لذلك كان الربط بين الإيمان والعمل الصالح في الإسلوب القرآني فحينما أمر بالاعمال الصالحة ونهى عن الفساد والشر بجميع أشكاله، كان قد أمر بإصلاح العقيدة في النفوس، ومن هنا تبرز الحكمة الجليلة بأن كانت فترة الدعوة في مكة فترة تربية وإصلاح للنفوس ببناء التصور الإعتقادي.

ينبغي للإيمان أن يثمر العمل الصالح عند الأفراد، وإن لم يثمر ذلك فحينئذٍ ينبغي تحسس الإيمان في القلوب فعسى أن يكون الإنسان مخدوعاً في حقيقة إيمانه وإلّا فما الذي يمنعه من القيام بالعمل الصالح في المجتمع الذي ينتمي إليه ويعتقد بمبادئه، قال تعالى "وقل اعملوا فسيرى الله عَمَلَكُمْ ورسُولُهُ والمؤمنون وستُردُّونَ إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون".(٢)

وأوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الإيمان هو ما وقَرَ في القلب على شكل عقيدة تظهر في عمله الصالح، فقال صلى الله عليه وسلم "ليس الايمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا، ولو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل".(٣)

الإصلاح العالمي هدف القرآن الكريم:-

جاء القرآن الكريم بهدف كبير وهو إصلاح العالم أجمع بصفته الرسالة الأخيرة للبشرية قال تعالى "تبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً".(٤)

---

(١) سورة الحج الآية: ٧٨ (٢) سورة التوبة الآية: ١٠٥

(٣) جمع الجوامع أو الجامع الكبير، ج:١، ص ٦٧٧ ط (لا يوجد) الهيئة المصرية العامة للكتاب، وأخرجه أيضاً الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس ج:٣، ص ٤٠٤ حديث رقم ٥٢٣٢ وقال عنه المناوي في فيض القدير، ص:٧٥٧٠ قال العلائي حديث منكر، ط:١ (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) دار الكتب العلمية بيروت.

(٤) سورة الفرقان الآية: ١

فهو منهجٌ صادر عن العليم الخبير بحياة الناس، وحينما يُشَرِّع الله للناس تكون شريعته للعالم أجمع،لأنه رب العالمين، وتحقق البر والمساواة والعدالة المطلقة بين بني البشر، ففي ظل الشريعة الإسلامية يسود الأمن والسلام والإستقرار في حياة الناس وتتحقق كرامة الإنسان وتفضيله على سائر المخلوقات قال تعالى "**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً**".(١)

ويتم التعارف بين الناس شعوباً وقبائل في ظل المجتمع الإسلامي الذي يحتكم إلى منهج الله قال تعالى "**يا أيها الناسُ إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنَّ اكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير**".(٢)

ودعا القرآن الى التزام الصراط المستقيم، صراط الأمن والسلام الذي يسوده العمل المنتج ويتحقق في ظله العزة والرفعة والحياة الطيبة قال تعالى "**والله يدعوا إلى دار السَّلام ويهدي من يشاءُ إلى صراطٍ مستقيم**".(٣)

ثم ربط تحقيق تلك الأهداف السامية بروح الشجاعة في قول الحق وتغيير المنكر حيث جاء في الحديث الشريف عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"(٤)

وجعل ذلك التغيير مرتبطاً بروح التضحية والإقدام من أجل الإصلاح والتطهير للأنفس(٥)

قال تعالى "**إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون**".(٦)

---

(١) سورة الإسراء الآية: ٧٠

(٢) سورة الحجرات الآية: ١٣

(٣) سورة يونس الآية: ٢٥

(٤) الحديث متفق عليه وأخرجه ابو داود في سننه، ج:٢، ك: الملاحم، باب:(الأمر والنهي) ص: ٤٣٧، ط:١ (١٣٧١هـ-١٩٥٢م) طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

(٥) انظر من توجيهات الإسلام، ص: ٢٨٢ لمحمود شلتوت

(٦) سورة التوبة الآية: ١١١

عرض عام لسورة البقرة:

بعد الإطلاع على كتب التفسير التي تناولت السورة أردت أن أتحدث عنها من خلال الآتي:-

١- زمن نزول السورة.

٢- سبب تسمية السورة.

٣- فضل سورة البقرة.

٤- الأحداث والملابسات التي واكبت نزولها.

٥- الموضوعات التي تحدثت عنها السورة.

أولا:- الزمن الذي نزلت فيه السورة:-

إن سورة البقرة من أطول السور في القرآن الكريم، فهي حوالي جزئين ونصف الجزء أو تزيد قليلاً، عدد آياتها مائتان وست وثمانون آية، نزلت في المدينة المنورة مع بداية العهد المدني. (١)

ويؤيد ذلك ما جاء فيها من أمور تتحدث عن بداية إقامة المجتمع الإسلامي في المدينة بعد الهجرة وهي كالآتي:-

١- بقدوم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أمر ببناء المسجد لتقام فيه الصلاة وليكون بمثابة ندوه جامعة للمسلمين يتعلمون فيه ويتشاورون فيما يخص المجتمع المسلم من أمور حيث أصبح للمسلمين جماعة ذات سيادة على أرض المدينة.

٢- المؤاخاة التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في يثرب جعلت من المسلمين جبهة واحدة مترابطة على أساس العقيدة وهذه الأمة تحتاج إلى تشريع وتنظيم لشؤون حياتها لذلك كانت السورة مليئة بالتشريعات التي تضبط علاقة الفرد والمجتمع.

٣- حددت السورة طبيعة العلاقة بين المجتمع المسلم وأهل الكتاب واعتبارهم الجيران الجدد وأسهبت في الحديث عنهم لتعطي المسلم الخبرة في كيفية التعامل معهم.(٢)

كل هذه العوامل مجتمعة توحي بأن السورة من أوائل ما نزل في العهد المدني.

ثانياً: سبب تسمية السورة:-

سميت السورة بهذا الإسم "سورة البقرة" لأنها تحدثت عن حادثة قتل وقعت في بني اسرائيل على عهد موسى عليه السلام، فأمروا بذبح بقرة ثم يضربوا القتيل ببعضها فينطق، ويدلهم على القاتل، ولكن طبيعة بني اسرائيل تُحب الجدال فجادلوا في الأمر فشدد الله عليهم مع أنهم لو ذبحوا أي بقرة لأجزأتهم.

---

(١) انظر مجمع البيان في تفسير القرآن، ج:١، ص: ١١١ للفضل بن الحسن الطبرسي، ط:١ (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) دار المعرفة بيروت.

(٢) انظر تفسير القرآن الكريم ص: (٥٠، ٥١) محمود شلتوت ط: ١٠ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٦م) دار الشروق.

ذكر الطبري* في تفسيره هذه الحادثة أن رجلاً من بني اسرائيل كان عقيماً ويملك مالاً كثيراً، وكان ابن أخيه وارثه فقتله ثم احتمله ليلاً، فوضعه على باب رجلٍ منهم، ثم أصبح يدعيه عليهم حتى تسلحوا وركب بعضهم على بعض.

فقال أصحاب الرأي والبصيرة منهم: علام يقتل بعضنا بعضاً وهذا رسول الله فيكم، فأتوا موسى عليه السلام فذكروا ذلك له فقال: إن الله يأمركم ان تذبحوا بقرة، واعترضوا وشددوا في نوع البقرة فشدّد الله عليهم حتى انتهوا إلى البقرة التي أمروا بذبحها فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها فقال: والله لا أُنقصها من ملء جلدها ذهباً فاشتروها فذبحوها ثم ضربوه ببعضها فقام، فقالوا: من قتلك؟ قال: هذا وأشار على ابن أخيه، ثم مال ميتاً، فلم يُعط من ماله شيئاً، ولم يورث قاتل بعد.(١)

وأضاف بعض المفسرين على القصة أن الرجل الذي من بني اسرائيل كان غنياً وله إبنةٌ، وكان له ابن أخ، فخطب إليه ابنُ أخيه ابنته فرفض أن يزوجه فغضب الفتى وقال: والله لأقتلن عمي ولأخذن ماله، ولأنكحن ابنته ولآكلن ديته فأقدم على جريمة القتل.(٢)

صوّر القرآن الكريم تلك الحادثة بقوله تعالى "وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول إنها بقرة لا فارضٌ ولا بكرٌ عوانٌ بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون، قالوا ادعُ لنا ربك يبين لنا ما لونُها قال إنه يقول إنها بقرةٌ صفراء فاقعٌ لونها تسُرُ الناظرين.(٣)

واختتم القصة بقوله تعالى "فقلنا اضربوهُ ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون".(٤)

---

(١) انظر جامع البيان في تفسير القرآن، مجلد:١، ص:(٢٦٨، ٢٦٩) ط:٤ (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م) طبعة دار المعرفة بيروت وانظر صفوة التفاسير مجلد:١ ص(٦٦، ٦٧) للصابوني ط: ٩ (١٩٨٩م، ١٤١٠هـ) دار الصابوني للطباعة والنشر القاهرة.

(٢) انظر مختصر ابن كثير، مجلد: ١، ص: ٧٦

(٣) سورة البقرة الآية: (٦٧-٦٩)

(٤) سورة البقرة الآية: ٧٣

* الطبري: هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري يلقب بأبي جعفر كان عالماً بالتفسير بالمأثور والحديث والفقه والتاريخ، مصنفاته "جامع البيان عن تأويل أي القرآن" ووصل الينا كاملاً وله "تاريخ الرسل والملوك" وله مؤلفات كثيرة لم تصلنا ولد بطبرستان عام ٢٢٤هـ ت ببغداد عام ٣١٠هـ. انظر طبقات المفسرين للداودي ١٠٦/٢-١١٤ رقم الترجمة ٤٦٨ وشذرات الذهب ٢٦٠/٢، ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني ١٠٠/٥ ط: ٢(١٣٩٠-١٩٧١ـ) وميزان الإعتدال، ٤٩٨/٣ رقم الترجمة ٧٣٠٦

ولإنفراد السورة بهذه القصة من دون السور القرآنية سميت "سورة البقرة"

ثالثاً: فضل سورة البقرة:-

إن لسورة البقرة فضلاً عظيماً بحيث إذا قرأها المسلم في بيته فإنها تقي جميع من في البيت من همزات الشياطين ويؤيد ذلك ما جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة* رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورةُ البقرة".(١)

وروي عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تجعلوا بيوتكم مقابر فإنّ البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان".(٢)

وأوضحت السنة النبوية المطهرة أن سورة البقرة هي سنام القرآن كما أن الجهاد سنام الإسلام، وهي حصن للمسلم من الشيطان الرجيم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لكل شيء سنامٌ وإن سنامَ القرآن سورةُ البقرة وفيها آية هي سيدةُ القرآن هي آية الكرسي".(٣)

---

(١) صحيح مسلم، مجلد:١، ص: ٥٣٩، ك: المسافرين، باب: ٢٩ استجاب صلاة النافلة في البيت وجوازها في المسجد، حديث رقم ٢١٢)

(٢) صحيح مسلم، مجلد:١، ك: صلاة المسافرين، باب: ١٩، حديث رقم: ٢١٢، وأيضاً رواه الترمذي رقم ٢٨٧٧، ورواه أحمد في مسنده مجلد:٢، ص: (٣٧٧، ٣٣٨)

(٣) الترمذي في سننه، مجلد:٥، ك: فضائل القرآن باب: ٢، ص ١٥٧، حديث رقم: ٢٨٧٨

* أبو هريرة: هو عبدالرحمن بن صخر، صحابي جليل اسلم عام خيبر سنة ٧هـ وشهد الغزوة، لزم الرسول صلى الله عليه وسلم طيلة فترة اسلامه وكانت رغبته في العلم شديدة وكان من الملتزمين والمكثرين لرواية الحديث رغم تأخر إسلامه، روى عنه الكثير من أهل العلم ت بالمدينة سنة٥٧هـ وقيل سنة ٥٨هـ وقيل سنة ٥٩هـ وكان عمره ٧٨ سنة جعله عمر ابن الخطاب أميراً على البحرين ثم عزله، وأصبح أميراً على المدنية في أيام معاوية. انظر الاستيعاب مجلد:٤، ص (١٧٦٨-١٧٧٢)،رقم:(٣٢٠٨)، والاصابة تميز في الصحابة مجلد: ٧،ص:(٤٢٥-٤٤٥) رقم (١٠٦٧٤)

وجاء في فضلها ما رواه أبو أمامه* عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اقرأوا الزهراوين - المنيراتين لأن المستنير زاهر - البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف، اقرأوا سورة البقرة وآل عمران فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة - السحرة الأشرار -".(١)

وجاء في فضل الآيات الأواخر من سورة البقرة عن ابن مسعود ** قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ الآيتين من آخر البقرة في ليلةٍ كفتاه".(٢)

لذلك فهي سورة مفضلة ومحببة إلى القلوب، فينبغي على المسلم أن يلتزمها وليتأدب بآدابها الجمة الكثيرة ويستحسن حفظها في الصدور.(٣)

رابعاً: الأحداث التي واكبت نزول السورة:-

علمنا أنها من أوائل ما نزل من السور القرآنية بعد الهجرة وتضم عدة موضوعات هامة في حياة المجتمع الإسلامي، وتكشف عن مواقف بني اسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة تلك المواقف المشحونة بالعداء والكيد لرسالة الإسلام.

ومواجهتهم العلنية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمجتمع الإسلامي الناشيء، فهم لا يحبون الخير للمسلمين عامة قديماً وحديثاً قال تعالى "*ما يَوَدُّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن يُنزّل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم* ".(٤)

---

(١) اخرجه مسلم، ج:١، ك: صلاة المسافرين باب: ٤٢ (فضل قراءة القرآن والبقرة) ص: ٥٥٣، رقم: ٢٥٢، سنن الدارمي، ج:٢، ك: فضائل القرآن باب: ١٥، ص٣٤٢، رقم ٣٣٩٤

(٢) أخرجه الدارمي، ج:٢، ك:فضائل القرآن، باب: ١٤، ص:٣٢٣، حديث رقم:٣٣٩١

(٣) انظر تفسير زاد المسير في علم التفسير، مجلد:١، ص: ٢٧ وانظر تفسير القاسمي، محاسن التأويل، ج:٢، ص:٣١

(٤) سورة البقرة الآية: ١٠٥

* أبو أمامه: هو صُدّى بن عجلان بن وهب يقال له أبو أمامه الباهلي، صحابي جليل سكن الشام وهو آخر من مات من الصحابة بالشام ت سنة ٨١هـ بحمص وقيل سنة ٨٦ وهو ابن ٩١ سنة وقيل شهد أُحداً، انظر تهذيب التهذيب، مجلد: ٤، ص (٤٢٠، ٤٢١) ط:١ سنة ١٣٢٥هـ دار صادر بيروت.

** عبدالله بن مسعود: هو عبدالله بن مسعود بن غافل بن كاهل بن الحارث بن تميم، أمه أم عبد من هذيل ولها صحبة، كان سادس من أسلم بمكة وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد كلها، وكان صاحب نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ منه سبعين سورة وروى عن سعد بن معاذ وعمرو وصفوان بن عسال وروى عنه خلق كثير، ت بالمدينة سنة ٣٢ وقيل سنة ٣٣هـ، انظر تهذيب التهذيب. مجلد"٦، ص: (٢٤، ٢٥).

وتحدثت عن طبيعة العلاقة بين يهود والمنافقين من جهة ومن جهة أخرى العلاقة بين يهود والمشركين وكيف كانوا يخططون ويتأمرون ليلاً ونهاراً للإيقاع بالمسلمين.

ثم وضحت نكول بني اسرائيل ونقضهم للعهود والمواثيق، ومن قبل نقضهم لعهد الله وقتلهم الأنبياء بغير الحق ثم تجردهم من شرف الانتساب الى إبراهيم عليه السلام قال تعالى "وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين".(١)

ثم حذرت المسلمين من اتباع يهود فإنهم في ضلال وانحراف عن الهدى الى يوم الدين قال تعالى "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من وليٍّ ولا نصير".(٢)

واوضح صاحب الظلال(٣) أن السورة نزلت وسط أهوال جسام وأحداث ضخام ألمت بالمجتمع الإسلامي نوجزها في الآتي:-

١- نزلت السورة بعد أن اشتد الأذى بالمؤمنين في مكة وطردت ثقيف وهوازن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف بعد وفاة عمه أبي طالب ووفاة زوجه المواسية له بنفسها مع مالها خديجة رضي الله عنها.

٢- كان العرب خارج مكة ينتظرون المصير النهائي للمعركة القائمة بين الإسلام وقريش، فإذا كانت الغلبة للإسلام فسيدخلون في دين الله وإن كانت لقريش فسيظلون على شركهم.

٣- نزلت بعد أن بحث النبي صلى الله عليه وسلم عن قاعدة آمنة تحمي العقيدة ويأوي إليها المسلمون بإيمانهم ومن ثم يزاولوا تطبيق أحكام شريعتهم وكانت المدينة المنورة.

٤- نزلت بعد بيعة العقبة الأولى والثانية سراً عن أعين قريش تلك البيعة التي كانت مقدمة لإيجاد الدرع الحصينة والقاعدة الأمينة التي كان يبحث عنها صلى الله عليه وسلم طويلاً.

٥- نزلت في المدينة بعد أن أصبح الإسلام منتشراً في كل بيت حتى لم يبق فيها بيت لم يدخله الإسلام.

٦- نزلت في ظرف استطاع به صلى الله عليه وسلم أن يعقد المؤاخاه بين المهاجرين والأنصار ويبني منهم جبهة قوية داخل المجتمع الإسلامي، وقد نوه القرآن الكريم الى ذلك في مواضع كثيرة قال تعالى "والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون".(٤)

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٣٥ (٢) سورة البقرة الآية: ١٢٠

(٣) انظر في ظل القرآن، مجلد: ١، ص: "٢٨، ٢٩" ط: ٩ (١٤٠٠ هـ -١٩٨٠م) دار الشروق (٤) سورة الحشر الآية: ٩

خامساً موضوعات السورة:-

بدأت السـورة بالحروف المقطعـة "الم" تحدياً للعرب ولبيان عجـزهم عـن الإتيان بمثل هـذه السورة القرآنية المؤلفة مـن جنس الحروف العربية التي منهـا حرف، الألـف واللام والميم، وفعلاً أُسقـط الأمرُ في أيدي العـرب قديماً وحديثاً، فلم يأتوا بمثـل آيات القـرآن الكـريم مما يبرهن بالدليل القـاطع على أنه من عند الله، ولـو كان من عند غير الله لما عجـزوا، وهـم أهـل اللغـة والفصـاحة عـن الإتيـان بمثلـه أو بمـا يقـاربه ويدانيـه.(١)

ودعَـت إلى الإسلام النـاس عامـة، بأن يلتزمـوا أحكام القـرآن الكـريم لأنه لا مجال للشـك أو الريب فيه، ثم تحدثت عـن موقف الناس من ا لدعـوة إلى الله وقسّمتهم إلى ثلاثة أصنـاف بدأت بالمـؤمنين واصفـة لهـم بخمـس صفـات، ، وهـي كـالتالي:-

١- الإيمان بالغيب:-

أوضحـت أن المؤمنين يؤمنون بعـالم الغيب إيماناً مطلقاً، لا يخامره أدنى شـك، وهذه صفـة المؤمنين الذين يقولون سمعنا وأطعنا لكل القضايا الغيبيـة التي جاءت في القرآن الكريم أو تحدث عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى "*وإذا ما أُنزلت سورةٌ فمنهم من يقول أيكم زادتْهُ هذه إيماناً فأمّا الذين آمنوا فزادتْهُمْ إيماناً وهم يستبشرون*".(٢)

٢- إقامة الصلاة:-

إن إقـامة الصلاة تعني إقـامة ركـن الدين الروحي، لأن المـؤمن يتزود بطـاقة إيمانية تدفعـه لفعـل الخيرات كالأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر ومسـاعدة الآخرين مـن أبناء المجتمـع فيشاركهم افراحهم وأحزانهم ويسعى جادّاً للقضاء على الفتن والظلم والظلمـات التي تعيق تقدم المجتمع وازدهاره.

وفي الصلاة سمـو للأرواح وارتفـاع للنفـوس عن سفاسف الحيـاة الـدنيا، قال تعالى "*وأقم الصلاة إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولَذِكْرُ اللهِ أكبرُ واللهُ يعلم ما تصنعون*".(٣)

---

(١) انظر غاية البيان في تفسير القرآن الكريم، مجلد: ١، ص: ١٤ تأليف: محمود محمد حمزة وحسين علوان ومحمد احمد برانق، ط: (لا يوجد) إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر.

(٢) سورة التوبة الآية: ١٢٤

(٣) سورة العنكبوت الآية: ٤٥

وذكر الراغب* أن إقامة الصلاة يعني إعطاءها حقها والمداومة عليها، وتخصيص الإقامة فيه تنبيه على أنه لم يرد ايقاعها فقط بل اقامتها بخشوع كامل في الركوع والسجود مع التدبر في الآيات التي تتلى، فتشرق روح المصلي، فُتسّبح في عنان السماء، وتشعر بوحدة الوجود وذلك بتأديته لحنة واحدة في العبادة إلى الله.(١)

٣- الإنفاق من رزق الله:

إن الإنفاق فيه إقامة لركن الدين الإجتماعي، وهو أن يساهم الشخص ببعض ماله للتيسير على المحتاجين والمعوزين من الفقراء والمساكين أو لتيسير شؤون المجتمع العامة، فأي صدقة ينفقها الرجل على أهله تكتب له صدقة قال صلى الله عليه وسلم "إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقةً وهو يحتسبها كانت له صدقة".(٢)

٤- الإيمان بالرسل:-

المؤمنون يؤمنون بمحمد - صلى الله عليه وسلم - وما أنزل عليه من الوحي كما أنهم يؤمنون أيضاً بمن سبقه من الرسل وما أنزل عليهم من الكتب السماوية قال تعالى "**والذين يؤمنون بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك**".(٣)

٥- الإيمان باليوم الآخر:

المسلم يؤمن بيوم الحساب يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وحينما يعتقد الإنسان أنه سيمتثل بين يدي الله وسيُحاسب على ما قدمت يداه، فإن ذلك الإيمان يحدث الاستقامة في حياته، قال تعالى "**فإذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الإنسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى فأمّا من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى وأمّا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن ا لجنة هي المأوى**".(٤)

---

(١) انظر محاسن التأويل للقاسمي، ج:٢، ص: ٣٥

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح، مجلد:٢، ص: ٦٩٥، ك:الزكاه، باب:١٤ فضل النفقة والصدقة على الأقربين رقم: ٤٨

(٣) سورة البقرة الآية:٤

(٤) سورة النازعات الآية: (٣٤-٤١)

* الراغب:- هو الحسين بن محمد بن الفضل أبو القاسم الأصفهاني المعروف بالراغب عالم وأديب من الحكماء من أهل أصبهان سكن بغداد واشتهر حتى كان قريناً للغزالي، أشهر مصنفاته، محاضرات الأدباء مجلدان، الذريعة إلى مكارم الشرعية، الأخلاق ويسمى أخلاق الراغب، جامع التفاسير كبير أخذ عنه البيضاوي وله المفردات في غريب القرآن توفي (سنة ٥٠٢هـ ١١٠٨م) انظر الأعلام للزركلي مجلد: ٢-ص: ٢٥٥ .

ثانيا الكافرون:

ثم تحدثت عن الكافرين واصفة لهم بمقومات الكفر، وكان الوصف مباشراً لهم وينطبق عليهم تماماً سواء وهم يحاربون الإسلام في مكة او في المدينة وما حولها من طوائف الكفار، فالكفرُ ملة واحدة قال تعالى "*إن الذين كفروا سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذابٌ عظيم*".(١)

ثالثا: المنافقون:

هذه الطائفة من الناس نشأت بعد الهجرة، ولم تكن موجودة في مكة لأن الإسلام لم يكن له دولة ولم تكن له قوة – سلطة سياسية – يخاف منها أهل مكة لينافقوها، بل كان الإسلام ضعيفاً ومضطهداً في البداية وكانت الدعوة مطارده، وعندما أصبحت للإسلام دولة في المدينة تُشكل قوة بدأوا يحسبون حسابها، فظهرت تلك الفئة المتملقة وخاصة بعد غزوة الفرقان غزوة بدر الكبرى التي فرقت بين الكفر والإيمان والجاهلية والاسلام(٢) ووصفتهم السورة بصفات منها قال تعالى "*وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون*".(٣)

آدم وخلافته في الأرض:-

لقد استرسلت السورة قليلاً في الحديث عن صفات المنافقين، ثم تحدثت عن المشركين وطالبتهم بأن يأتوا بمثل سورة من سور القرآن الكريم فعجزوا وبقيت معجزة القرآن الخالدة إلى يوم الدين.

وجاء الحديث عن قصة آدم واستخلافه في الأرض لتوضح الدور المنوط به في هذه الحياة، قال تعالى "*وإذ قال ربُك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفةً قالوا أتجعل فيها من يُفسد فيها ويَسفكُ الدماء ونحن نسبّحُ بحمدك ونقدسُ لك قال إني أعلم ما لا تعلمون*".(٤)

فهذه القصة تُمثل موكب الإيمان من أول الخليقة، جاءت على سبيل الإعتبار والاتعاظ، فهي توحي لنا بالاعتبارات الآتية:

١- تحدد القيمة الكبرى للأنسان بكونه خليفة لله في هذه الأرض ينبغي عليه أن يقيم حدود الله وينشر العدل والمساواة والتكافل الإجتماعي بين الناس جميعاً.

---

(١) سورة البقرة الآية: ٧، ٨

(٢) انظر نماذج تربوية في القرآن الكريم،ص: ٤٥، ط:١(١٩٨٠) دار الكتاب اللبناني بيروت.

(٣) سورة البقرة الآية: ١٤ (٤) سورة البقرة الآية: ٣٠

٢- توحي القصة بقيمة الإنسان العظمى بين سائر المخلوقات بعد أن تم اختياره ليكون خليفة في الأرض يعمرها بالطاعة لله وأيضاً سجود الملائكة وطرد إبليس من الجنة لأنه أبى أن يكون من الساجدين، كل ذلك جعل الإنسان كائناً فريداً من نوعه، فهو أكرم المخلوقات إن أطاع الله وعمل بمقتضى الإيمان وحافظ على معنى الخلافة لله في الأرض.

٣- إن الإنسان ينبغي عليه الإستعداد للمعركة مع الشيطان وأهواء النفس، فلا يضعف أمام رغبات النفس، بل عليه أن يصبر ويصابر في تلك المعركة ولا يجعل للشيطان عليه سبيلا، فالمؤمن هو الأقوى عزيمة وعقيدة، وحذرت السورة من اتباع الشيطان(١)(قال تعالى "*ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوٌ مبين، إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون*" (٢)

٤- يؤخذ من تلك القصة القرآنية التوبة الصادقة بعد الخطيئة، فالمؤمن قد يضعف أمام الشيطان ويقع في الإثم فعليه أن يستغفر الله ويتوب إليه، فإنه سيجد الله تواباً رحيماً، قال تعالى "*فتلقى آدم من ربه كلماتٍ فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم*".(٣)

نستطيع أن نلخص السورة في قسمين أساسيين من خلال الإطلاع على كتب التفسير التي تناولت السورة وهما كالآتي:

القسم الأول: بنو إسرائيل في سورة البقرة:

تحدثت السورة عن بني اسرائيل باستفاضة وتوسعت في الحديث عنهم، فعددت نعم الله عليهم لكي يشكروا الله على نعمائه إلا أنهم قابلوا ذلك بالجحود والنكران والتمرد والعصيان وذلك لفساد طباعهم وانحراف نفوسهم.

ونستطيع أن نوجز الحديث عن بني اسرائيل بعد الاستعانة بكتب التفسير(٤) في الآتي:

١- نجّى اللهُ آباءهم من فرعون حيث كان يذبح ابناءهم الذكور ويترك بناتهم أحياء حتى يشكروا الله تعالى، ومع ذلك تمادوا في عنادهم وكفرهم وضلالهم، قال تعالى "*وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاءٌ من ربكم عظيم*.(٥)

٢- ذكرهم سبحانه وتعالى بقصة نجاتهم من فرعون حينما جعل لهم في البحر طريقاً يبساً وأغرق فرعون وجنوده وهم ينظرون، ومع ضخامة تلك المعجزة إلاّ أنهم سرعان ما عبدوا العجل وجحدوا نعمة الله عليهم قال تعالى "*وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون، وإذ*

---

(١) انظر تفسير القرطبي مجلد: ١، ج:٢، ص: ٢٠٩
(٢) سورة البقرة الآية: (١٦٨، ١٦٩)　　(٣) سورة البقرة الآية: ٣٧
(٤) انظر تفسير المنار، مجلد: ص: ١٠٦، وأيضاً التفسير الواضح، الجزء الاول ص: (٣٨، ٣٩)، وأيضا في ظلال القرآن، مجلد: ١، ص: (٩٠، ٩١) وأيضا غاية البيان في تفسير القرآن مجلد١ ص:(٤٨، ٤٩)
(٥) سورة البقرة الآية: ٤٩

واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون".(١)
ثم عاتبهم موسى عليه السلام على تلك الجريمة الفاضحة، فرعاية الله ما زالت تحيط بهم ومع ذلك أشركوا وأُشربوا في قلوبهم حب العجل قال تعالى "وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذالكم خيرٌ لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم ".(٢)

٣- أنزل الله عليهم طعاماً طيباً من المنّ - صمغ على الشجر حلوا - والسلوى - طائر السماني(٣) وقاية لهم من الجوع، فأُمروا أن يأكلوا منها ولا يدخروا، فلم يفعلوا شيئاً مما أمروا به كعادتهم، فقطع الله عنهم تلك النعمة الرغيدة وكانوا لأنفسهم ظالمين.
قال تعالى "وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المنّ والسّلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ".(٤)

٤- ذكّرتهم السورة بالموقف الذي طلب فيه موسى عليه السلام من ربه الماء لأبائهم يوم أن عطشوا في سيناء فأنعم الله عليهم بنعمة الماء قال تعالى"وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كلُّ أُناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين ".(٥)

٥- طرحت السورة أيضا قبائح بني اسرائيل وجرائمهم في قتل أنبيائهم بغير الحق، فضرب اللهُ عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بالخسران المبين قال تعالى "وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون"(٦) ثم خاطبتهم بقوله تعالى "قل فلم تقتلون أنبياءَ الله من قبلُ إن كنتم مؤمنين ".(٧)

٦- امتحنهم الله بأن لا يصطادوا في يوم السبت وكعادتهم عصوا أمر الله فجعلهم قردة خاسئين قال تعالى" ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردةً خاسئين ".(٨)

---

(١) سورة البقرة الآية: (٥٠،٥١) (٢) سورة البقرة الآية: ٥٤
(٣) انظر غاية البيان في تفسير القرآن، مجلد: ١، ص:٤٧
(٤) سورة البقرة الآية: ٥٧ (٥) سورة البقرة الآية: ٦٠
(٦) سورة البقرة الآية: ٦١ (٧) سورة البقرة الآية ٩١
(٨) سورة البقرة الآية: ٦٥

٧- كشفت السورة عن مدى القسوة التي وصلت اليها قلوبهم فهي أشد من الحجارة لذلك لا يطمع إنسان في إيمان يهود ولا تأس على أمثالهم فإنهم لا خير فيهم قال تعالى "ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدّ قسوةً وإنّ من الحجارة لما يتفجّرُ منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرجُ منه الماء".(١)

٨- ثم بينت أنهم ينسخون الكتاب بأيديهم ويقولون هذا من عند الله ولهم بذلك عذابٌ شديد لمّا غيّروا وبدّلوا في كتبهم قال تعالى "فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون" (٢)

٩- افتروا على الله كذباً بادعائهم أن النار لن تمسهم إلاّ أياماً قليلة قال تعالى "وقالوا لن تمسنا النارُ إلاّ أياماً معدودةً قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهدهُ أمْ تقولون على الله ما لا تعلمون".(٣)

١٠- جادلوا في أمر البقرة التي أمروا بذبحها وشددوا على انفسهم فشدّد الله عليهم مع أنهم لو ذبحوا أي بقرة لكفتهم، ولكن النصوص القرآنية توضح ما يكمن في صدورهم من المكر وعدم الإستقامة قال تعالى "قالوا ادعُ لنا ربّك يبين لنا ما لونها".(٤)

١١- وأخيرا أخذ الله عليهم ميثاقاً غليظاً بان يعبدوه، وأن يحسنوا إلى الوالدين وأن يعطفوا على الأقارب واليتامى والمساكين وأن يؤدوا صلاتهم وزكاتهم كاملتين غير منقوصتين.

ولكن يهود كعادتهم نقضوا الميثاق الإلهي الذي فيه سعادتهم لأنهم جبلوا على اللؤم والطبع الفاسد وحب المادة، فلن ترى فيهم عطفاً ولا خيراً ولا إحساناً قال تعالى "وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون إلاّ الله وبالوالدين احساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلاّ قليلاً منكم وأنتم معرضون"(٥)

بعد هذا العرض الموجز عن بني اسرائيل كما جاء في سورة البقرة يتضح لنا أوصاف يهود على حقيقتهم وما جبلوا عليه من الفساد في جميع جوانب الحياة وعلى مدار العصور، فهم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون، وهم الذين يمكرون ليلاً ونهاراً للإيقاع بالإسلام والمسلمين ولقد تجسّد مكرهم وخبثهم حديثاً على أرض فلسطين من قتل وبطش وإبعاد وإرهاب وسجن للشيوخ والشباب والنساء والأطفال، فمكر يهود القديم يجسد اليوم، فهل من صحوة جديدة للأمة المسلمة على أعمال يهود؟!

(١) سورة البقرة الآية: ٧٤ (٢) سورة البقرة الآية: ٧٩
(٣) سورة البقرة الآية: ٨٠ (٤) سورة البقرة الآية: ٦٩ (٥) سورة البقرة الآية: ٨٣

لا بد من عودة صادقة لعقيدتنا الإسلامية التي بها انتصرنا قال تعالى "إنّا لننصُرُ رُسُلَنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقومُ الأشهاد".(١)

الحكمة من تفصيل السورة لقصة بني اسرائيل:-

لقد توسعت السورة في الحديث عن قصة بني اسرائيل لحكم جليلة وفوائد عظيمة تحدث عنها صاحب الظلال نلخصها في الآتي:

١- إن بني اسرائيل هم أول من واجه الدعوة الإسلامية بالكيد والخداع والدسائس والمكر فاحتضنوا المنافقين في المدينة ودربوهم على وسائل الكيد والمكر بالمسلمين ثم حرضوا المشركين وتآمروا معهم ضد المسلمين وأشاعوا الحرب الإعلامية في الصف المسلم لزعزعته من الداخل فأثاروا الشبهات الغبية والشكوك والتحريفات حول العقيدة الإسلامية وحول القيادة المسلمة ولكنهم لم يفلحوا في تحقيق أهدافهم الماكرة. فكان لزاماً من كشف يهود للأمة المسلمة لتعرف من هم أعداؤها وما طبيعتهم وما تاريخهم وكيف يخططون ضد الإسلام، ولكي تَعُدّ الأمة المسلمةُ كل العدة للمعركة المقبلة معهم في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس.

٢- ومن جوانب هذه الحكمة أن السورة كشفت عن انحراف وقع في عقيدة بني اسرائيل حيث نقضوا ميثاقهم مع الله عدة مرات فوقع الإنحراف في أخلاقهم وتقاليدهم لذلك توسعت السورة في ذكر قصتهم لكي تلم الأمةُ المسلمة التي هي وارثة الرسالات كلها بتجارب القوم وتضيفها إلى حصيلة تجاربها.

٣- إن بني اسرائيل طال عليهم الأمد فانحرفت منهم أجيال كثيرة والأمة الإسلامية سيمتد بها التاريخ إلى قيام الساعة وسيُصادفها فترات إرتخاء وزحزحة عن عقيدتها تشبه الفترات التي مرّت بها حياة بني اسرائيل لذلك كان التوسع في قصتهم ليستفيد قادة الأمة الإسلامية وأئمتها عبر التاريخ.(٢)

القسم الثاني: تحدثت السورة في القسم الثاني منها عن المؤمنين حيث أصبح لهم دولة ذات سيادة وسلطة تحتاج إلى تشريعات لتنظيم حياة المجتمع الجديد وفق التصور الإسلامي فوضحت العبادات والمعاملات التي ينبغي أن تقوم عليها حياة الناس في المجتمع الإسلامي ونلخصها في الآتي:-

١- أبرزت السورة المعنى الحقيقي للبر الذي يُعتبر صورة صادقة من الإيمان قال تعالى" ليس البرَّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البرَّ مَنْ آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقامَ الصلاةَ وآتى الزكاةَ".(٣)

---

(١) سورة غافر الآية: ٥١

(٢) انظر في ظلال القرآن، مجلد: ٢، ص: ٨٦٨ وأيضاً دراسات قرآنية ص: ٢٧٨، لمحمد قطب ط:٢ (١٤٠٠-١٩٨٠) دار الشروق.

(٣) سورة البقرة الآية: ١٧٧

٢- ذكرت بعد ذلك القصاص في القتل، لأن في إقامة القصاص حياة يسودها الأمن والطمأنينة والهدوء والسكينة بين الناس في المجتمع الإسلامي، فكل شخص يعلم أنه إذا قتل سيقتل يمتنع فوراً عن القتل وبالتالي تتحقق الحياة للقاتل والمقتول، وفي القصاص منعٌ للظلم والفوضى وتقليل للجرائم في المجتمع.(١)

٣- جاء الحديث عن الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين ثم انتقل لتوضيح فريضة الصيام لما لها من الأهمية في تربية الأفراد وتهذيب النفوس وزيادة التقوى قال تعالى "*يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون*".(٢)

ثم حذرت من أكل أموال الناس بالباطل فلا يجوز لمسلم أن يأكل مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، أما أكله بالباطل فهو حرام ولا يجوز شرعاً، وجعلت الآية من يأكل مال أخيه بالباطل كأنما يأكل مال نفسه بالباطل وذلك لأن المؤمنين أخوة(٣) قال تعالى "*ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون*".(٤)

٤- طالبت بالتزام مواقيت العبادة كالحج والصيام من خلال طرحها لموضوع الأهله ثم ربطت ذلك بأدب إسلامي رفيع وهو عدم إتيان البيوت من ظهورها، والقدوم من الأبواب لأن ذلك أزكى وأطهر قال تعالى "*يسألونك عن الأهلة، قل هي مواقيت للناس والحج وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكنّ البرّ من اتقى وآتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون*".(٥)

٥- إن الأمة الإسلامية أمة مجاهدة والجهادُ سمةٌ بارزةٌ من سماتها، لذلك لم تخلو السورة من الحديث عن الجهاد فأوضحت الأسباب التي تدعوا إليه، وكشفت عن الغاية منه والثمرة الداعية إليه وسيأتي الحديث عن ذلك في الفصل السادس قال تعالى "*كُتِبَ عليكم القتال وهو كُرْهٌ لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم*".(٦)

ولما للحج من أهمية جاء الحديث عنه باستفاضة وتوسع بين آيات الجهاد في سبيل الله وذلك للتذكير بأهمية هذه العبادة في حياة الأمة حيث تتجمع في كل عام من كل فج عميق عند البيت العتيق ليشهدوا المنافع ويتزودوا بالتقوى قال تعالى "*الحجُ أشهرٌ معلوماتٌ فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج*".(٧)

---

(١) انظر التفسير الواضح، ج:٢، ص: (١٠٠)

(٢) سورة البقرة الآية: ١٨٣

(٣) انظر محاسن التأويل للقاسمي،جـ:٣، ص: ٤٦٥

(٤) سورة البقرة الآية: ١٨٨ (٥) سورة البقرة الآية" ١٨٩

(٦) سورة البقرة الآية: ٢١٦ (٧) سورة البقرة الآية: ١٩٧

٦- ولما كانت الخمر والميسر تسببان المضار الإجتماعية الخطيرة وتوقعان العداوة والبغضاء بين الناس ويصبح المجتمع غير آمن ولا يسوده الإستقرار إذا انتشرت فيه مثل هذه الآفات والأمراض، لذلك جاءت مقدمات لتحريم الخمر والميسر(١) قال تعالى "يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافع للناس وإثمهما أكبرُ من نفعهما ".(٢)

٧- وأوصت السورة بإصلاح شأن اليتامى والمحافظة على أموالهم والعمل على تنميتها ومخالطتهم في البيت بحيث يصبح اليتم كالأخ والإبن الصغير ونشعره بالحب والحنان والعطف عليه(٣) قال تعالى "ويسألونك عن اليتامى قلْ إصلاحٌ لهم خيرٌ وإن تخالطوهُنَّ فإخوانكم والله يعلمُ المفسِدَ من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم ".(٤)

٨- جاء النهي للمؤمنين عن مصاهرة المشركين لوجود التباين في العقيدة، ولأنه لم يحدث الوفاق والانسجام في مثل هذا الزواج، والمعروف أن الزواج رحمه ومودة وسكن ولذلك كان تحريم نكاح المشركين قال تعالى "ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنةٌ خيرٌ من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبدٌ مؤمنٌ خيرٌ من مشرك ولو أعجبكم ".(٥)

وذكرت بعد ذلك حيض النساء وحذرت من إتيانهن في فترة الحيض لأنه أذى لهما فلا تتم مباشرتهنّ حتى يطهرن من الحيض ويتم اغتسالهن بالماء الطاهر وهو القول الراجح.(٦)

قال تعالى "ويسألونك عن المحيض قل هو إذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهنَّ حتى يطهُرنَ فإذا تطهّرنَ فأتوهن من حيث أمركمُ اللهُ، إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين"(٧)

٩- أرشدتنا السورة إلى ترك الحلف بالله إلاّ عند الضرورة والحاجة الماسة إلى ذلك ثم ذكرت الإيلاء وهو حلف الرجل على ترك غشيان إمرأته فلا يجوز له أن يتربص أكثر من أربعة أشهر فإن تاب وعاد قبل انقضائها لا إثم عليه(٨) قال تعالى "للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإنَّ الله غفورٌ رحيم ".(٩)

---

(١) انظر تفسير الفخر الرازي، مجلد: ٣، ص: ٤٦، وتفسير المنار، مجلد:٢، ص: ٣٢٧

(٢) سورة البقرة الآية: ٢١٩

(٣) انظر تفسير المنار، مجلد: ٢، ص ٣٤٣

(٤) سورة البقرة الآية: ٢٢٠

(٥) سورة البقرة الآية: ٢٢١

(٦) انظر تفسير البيضاوي، ص: ٤٨

(٧) سورة البقرة الآية: ٢٢٢

(٨) انظر تفسير المنار، مجلد: ٢، ص: ٣٦٩

(٩) سورة البقرة الآية: ٢٢٦

ثم جاء الحديث عن الطلاق بشيء من التفصيل، وأن عدة المطلقات ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن وأوضحت حقيقة الخُلع بأنه فسخ لعقد الزواج ولم يكن طلاقاً، وأن العدة فيه حيضة واحدة.(١)

قال تعالى "*والمطلقات يتربصْن بأنفسهنّ ثلاثةَ قُروءٍ ولا يحلُّ لهُنّ أن يكتمن ما خلق اللهُ في ارحامهنّ إن كن يؤمِنّ بالله واليوم الآخر*".(٢)

١٠- أوضحت الأمر الإلهي بإرضاع الأمهات لأولادهن لأن لبن الأمهات من افضل اللبن للأولاد وخاصة في مرحلة الطفولة المبكرة باتفاق الأطباء على ذلك كما أوجبت للأم المرضعة في حالة طلاقها حقاً تأخذه من المطلق مقابل إرضاعها للطفل المشترك بينهما.(٣)

قال تعالى "*والوالدات يُرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتمّ الرّضاعة وعلى المولود لهُ رزقُهنّ وكسْوَتُهنّ بالمعروف*".(٤)

١١- الإنفاق في سبيل الله له أهمية كبيرة في تحقيق التكافل الإجتماعي بين الناس، فنرى السورة استخدمت ضرب الأمثال لتحبب هذه الصفة الى قلوب المؤمنين. قال تعالى "*مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كلِّ سُنبلةٍ مائةُ حبّةٍ والله يضاعف لمن يشاء والله واسعٌ عليم*".(٥)

١٢- قبل الختام جاء الحديث عن البيع والشراء والاستيثاق من الدين بالكتابة أو الإشهاد عليه او الرهن حتى يتمّ الإصلاح بين الناس في عالم التجارة والتعامل اليومي في الأسواق والحوانيت قال تعالى "*يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدينٍ إلى أجلٍ مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتبٌ بالعدل*".(٦)

وحرمت الربا لإنه خطر اجتماعي رهيب يقضي على وحدة الأمة وتماسكها من خلال تدميره للبنية الإقتصادية.

قال تعالى "*يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا*".(٧)

---

(١) انظر محاسن التأويل، ج: ٣، ص: ٦٠٥

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٢٨

(٣) انظر تفسير المنار، مجلد: ٢، ص: ٤١٦، وفي ظلال القرآن، مجلد: ١، ص: ١٤٧

(٤) سورة البقرة الآية: ٢٣٣

(٥) سورة البقرة الآية: ٢٦١

(٦) سورة البقرة الآية: ٢٨٢

(٧) سورة البقرة الآية: ٢٧٨

١٣- اختُتمت السورة بالدعاء، الذي يغرس في نفوس المؤمنين الإطمئنان والسكينة، وجاء ختام السورة متناسقاً مع افتتاحها حيث ذكرت في البداية صفات المؤمنين ثم وجهتهم في الختام بالدعاء والتضرع إلى الله بقلوب مفعمة بالإيمان.

قال تعالى "ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملتَهُ على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين".(١)

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٨٦

الفصل الأول

الفصل الأول
العبادة وأثرها الإجتماعي

ويتكون من ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف العبادة

المبحث الثاني: الصلاة

المبحث الثالث: الزكاة

المبحث الرابع: الصيام

المبحث الخامس: الحج

المبحث السادس: آثار العبادة على الفرد والمجتمع

المبحث الأول
تعريف العبادة

يتكون من ثلاث نقاط هامة وهي كالتالي:-
أولاً: العبادة لغة وشرعاً.
ثانياً: مفهوم العبادة في الإسلام.
ثالثاً: الحكمة من تشريع العبادات.

أولاً: العبادة لغة:-

كلمةُ العبادة مأخوذة من الفعل الثلاثي عَبَدَ، يعبد، عبادة وهي المصدر.

وَعبد تعني أطاع وخضع وتذلل، وحينما تقول الحكومةُ عبّدت الطريق بمعنى أخضعته وذللته لحركة السير، فيقال طريق مُعبّد، وبعير معبد أي مذلل وطائع.

وحينما نقول إياك نعبد، نعني إياك نطيع الطاعة التي نخضع معها لله رب العالمين.

وتعبّد الرجل أي تنسك وانفرد بالعبادة، ومنها العابد وهو اسم فاعل يطلق على المنفرد للعبادة وعند النصارى يسمى بالراهب وقال ابن الأنباري* فلانٌ عابد وهو الخاضع لربه المستسلم المنقاد لأمر خالقه.

وَعَبَد الله، أي خضع وتذلل لله وأطاع منهجه الكريم، وأصبح يحتكم إلى ما جاء من عند الله في سائر شئون حياته.(١)

---

(١) انظر لسان العرب، مجلد: ٣، ص: (٢٧٢، ٢٧٣) وأيضاً القاموس المحيط، ص:٣٧٨ للفيروز آبادي، ط: ٢ (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) مؤسسة الرسالة وايضاً محيط المحيط، مجلد: ٢، ص: ١٣٢٦، وأيضاً المعجم الوسيط، ج: ٢ ص:٥٧٩ .

* ابن الأنباري:- هو أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار النحوي، صنّف كثيراً من الكتب، واسع الحفظ مع الصدق في العقيدة، كتب غريب الحديث في خمسة وأربعين ألف ورقة وله كتاب الأضداد كبير جداً، وكان علماً من أعلام المدرسة الكوفية في النحو، ت ليلة عيد النحر ببغداد سنة ٣٢٨هـ وكان عمره ٥٧ سنة. انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي مجلد: ٢، ج" ٣، ص: ٨٤٤ رقم الترجمة (٨٢١) ط (لا يوجد) دار الفكر العربي.

العبادة شرعاً:-

العبـادة تعني في الشرع، الخضوع والإستسلام لما جاء من عنــد الله مع كمال المحبة لله سبحانه وتعالى، وعرّفها آخرون بأنها فعل المكلف على خلاف هـوى نفسه تعظيماً لله. وتطلـق عند الفقهاء، على تطبيـق الأحكام الشرعية المتعلقة بأمـر الـدنيا والآخرة.(١)

نستخلـص مـن ذلك أن العبادة تشمـل الشعـائر التعبدية كـالصلاة والصيـام والزكاة والحج وأيضاً كافة أعمال الإنسان وأقواله مقرونة بالنية الطيبــة التي يبتغي بها وجه الله تبارك وتعالى.

إن الأنبيـاء جميعاً عليهم صلوات اللـه وسلامه دعوا أقوامهـم إلى تحقيق هذا المعنى للعبـادة في حياتهم من آدم عليه السلام الى محمد صلى الله عليـه وسلم، جاء حكاية على لسان نوح عليه السلام قال تعـالى "ولقد ارسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذيرٌ مبين، أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم ".(٢)

وكـذلك هود عليه السلام دعـا قومه لأن يكونوا عبـاداً للـه، قال تعالى " وإلى عادٍ أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرُهُ إن أنتم إلا مفترون".(٣)

وخاطب صالحٌ عليه السلام قومه بنفس الخطاب، قال تعالى "وإلى ثمودَ أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيْرُه.(٤)

وبنفـس المنطـق دعا شعيبٌ أهل مـدين إلى عبـادة الله فجاء حكـاية على لسـانه عليه السلام قـوله تعــالى " وإلى مدين أخاهُمْ شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غَيْرُهُ ولا تَنْقُصوا المكيال والميزان، إني أراكم بخير وإنِي أخافُ عليكم عذابَ يومٍ محيط ".(٥)

ثانياً: مفهوم العبادة في الإسلام:-

العبـادة ينبغي أن يقوم بها الإنسـان في الأرض امتثالاً لأمـر اللـه، ولحقه على عباده،

---

(١) انظـر تفسير ابن كثير، ج: ١، ص: ٢٥ الطبعــة الثـانية وأيضـاً فتــح القــدير مجلــد: ١، ص: ٢٢، ط: ٢(١٩٧٣م-١٣٩٣هـ) دار الفكر .

وانظر مختصر ابن كثير مجلد: ١، ص: ٢٢ وأيضاً محيط المحيط مجلد: ٢ ص: ١٣٢٦ وأيضاً دراسـات في الثقافة الإسلامية، ص: ٢٧٦ ط ٣(١٤٠٣ هـ-١٩٨٣م)

(٢) سورة هود الآية: ٢٥، ٢٦

(٣)سورة هود الآية: ٥٠

(٤) سورة هود الآية: ٦١

(٥) سورة هود الآية: ٨٤

وشكراً لنعمه التي لا تُعد ولا تُحصى قال تعالى "وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إنّ الإنسان لظلومٌ كفار" (١)

وإذا أردنا ان نحقق معنى العبودية لله لا بد من إقامة حكم الله في الأرض قال تعالى "إن الحكم إلاّ لله أمر ألا تعبدوا إلاّ إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون".(٢)

وتعني تطبيق الشريعة الإسلامية في حياة الناس حتى يكونوا عباداً لله قال تعالى "ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً".(٣)

يتضح من خلال النصوص القرآنية ان العبادة ليست هي إقامة الشعائر التعبّدية فقط، فإقامة الشعائر التعبدية جزء بسيط من مفهوم العبادة العام، فهي تعني اتباع ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم قال تعالى "واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتةً وانتم لا تشعرون".(٤)

وينبغي أن ندرك أنه ليس في التصور الإسلامي نشاط لا ينطبق عليه معنى "العبادة"، فالعبادة شاملة لكل حركة وعمل ونشاط يقوم به الإنسان في هذه الحياة فلا بد أن يبتغي به وجه الله وتحقيق مرضاته، فنظام الحكم ونظام الاقتصاد والسياسة والاجتماع وسائر التشريعات الجنائية والمدنية او ما يتعلق بالأسرة والدولة كلها مترابطة مع بعضها البعض ويتحقق في إقامتها العبودية لله في حياة الناس.(٥)

الخدمات الإجتماعية عبادة:-

إن الخدمات الأجتماعية التي يقدمها الإنسان لأبناء مجتمعه هي لون من ألوان العبادة المتعددة التي يؤجر عليها الإنسان ويثاب على فعلها الثواب الأوفى.

ووضّح ذلك القرضاوي فقال "كل عمل يمسح به الإنسان دمعة محزون أو يخفف به كُربة مكروب أو يضمد به جراح منكوب أو يسد به رمق محروم أو يشد به أزر مظلوم أو يقيل به عثرة مغلوب أو يقضي به دين غارم مثقل، أو يأخذ بيد فقيرٍ متعفف ذي عيال، أو يهدي حائراً أو يعلم جاهلاً أو يأوي غريباً أو يدفع شراً عن مخلوق أو أذىً عن طريق أو يسوق نفعاً الى ذي كبدٍ رطبه فهو عبادة وقربه إلى الله إذا صحت النية وكانت مع الله".(٦)

---

(١) سورة ابراهيم الآية: ٣٤

(٢) سورة يوسف الآية: ٤٠

(٣) سورة الجاثية الآية: ١٨، ١٩

(٤) سورة الزمر الآية: ٥٥

(٥) انظر في ظلال القرآن مجلد: ٣، ص: ١٩٣٧

(٦) العبادة في الإسلام، ص: ٥٧

يتضح من خلال ذلك أن العبادة تشمل جميع الخدمات الإجتماعية التي يقدمها الإنسان إلى المعوزين في المجتمع إذا كان الدافع في آدائها ابتغاء مرضات الله.

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة حينما اعتبر الإصلاح بين المتخاصمين عباده بل أفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة حيث جاء في الحديث الشريف عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا: بلى، قال: صلاحُ ذاتِ البين، فإنّ فساد ذاتِ البين هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين".(١)

واعتبر الإسلامُ زيارة المسلم لأخيه إذا مَرِضَ من أفضل الأعمال الإجتماعية التي تُقرّب إلى الله تبارك وتعالى، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من عادَ مريضاً أو زار أخاً له في الله، ناداه منادٍ أنْ طِبت وطابَ ممشاك وتبوّأت من الجنةِّ منزلاً"(٢) وخصص صلى الله عليه وسلم زيارة المريض لأنها تخفف عن المريض مرضه وتشعره بمواساةِ زائريه ومودتهم له، ويكشف لنا صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي عن أهمية الخدمات الإجتماعية التي تقدم للناس في مشهد من مشاهد يوم القيامة، تُعرض في صورة حوار بين العباد وخالقهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم! مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك؟ وأنت رب العالمين، قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عُدْتَهُ لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم! استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا ربِّ! وكيف أُطعِمُك؟ وأنت ربُ العالمين، قال أما علمت أنه استطعمك عبدي فلانٌ فلم تطعِمْهُ؟ أما علمت أنك لو أطعمتَهُ لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال: يا ربِّ! كيف أسقيك؟ وانت ربُ العالمين، قال: إستسقاك عبدي فلانٌ فلم تسقهِ أما إنك لو سقيته وَجَدتَ ذلك عندي".(٣)

واخبرنا صلى الله عليه وسلم أن قضاءالشهوة بالحلال عباده ويثاب عليها الإنسان ولقد جاء ذلك واضحاً في الحديث الشريف عن أبي ذر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن في بضع أحدكم صدقةٌ" قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجرٌ؟ قال: "أرأيتم لو وضعها في

---

(١) سنن الترمذي، مجلد:٤، ص: (٦٦٣، ٦٦٤)، ك: صفة القيامة، باب ٥٦ حديث رقم: ٢٥٠٩، وأيضاً سنن أبي داود، مجلد: ٢، ك: الأدب باب ٥٨ إصلاح ذات البين ص: ٥٧٨

(٢) سنن الترمذي، مجلد: ٤، ص: ٣٦٥، ك: البر والصلة، باب: ٦٤ زيارة الإخوان حديث رقم ٢٠٠٨

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح، ج: ٤، ص: ١٩٩٠، ك:البر والصله، باب:١٣ فضل عيادة المريض، حديث رقم:٤٣

حرام أكان عليه فيها وزرٌ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجراً".(١)

إن اعمال الخير التي يثاب عليها المؤمن تخطت دائرة الإنسان في تعامله مع أخيه الإنسان فشملت جميع المخلوقات الحيّة في هذا الوجود من طير وحيوان فالإحسان إليها ودفع الأذى عنها يعتبر عباده تقرب العبد من خالقه، فقد غفر الله لرجل سقى كلباً من شدة العطش.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "بينما رجلٌ يمشي بطريق اشتدّ عليه العطشُ فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلبٌ يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثلُ الذي بلغ بي، فنزل البئر فملأ خُفّه ثم أمسكه بفيه فسقي الكلبَ، فشكر الله له فغفر له، قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجراً فقال: في كل ذات كبدٍ رطبه أجر".(٢)

يتضح أن العبادة تسعُ جميع أمور الحياة من آداب الأكل والشرب وقضاء الحاجة إلى بناء الدولة وسياسة الحكم والتوزيع الإقتصادي، وتشمل شئون المعاملات والعقوبات وأصول العلاقات الدولية في السلم والحرب.(٣)

ولقد اشارت سورة البقرة إلى ذلك، وهي تخاطب المؤمنين بأوامر تكليفية وأحكام شرعية شملت جوانب متعددة من حياة الأمة كلها، جاءت بصيغة واحدة، ففي مجال القصاص قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى".(٤)

وفي مجال الوصية قال تعالى "كُتب عليكم إذا حضر أحدكُمُ الموتُ إن تركَ خيراً الوصيةُ".(٥)

وجاءت نفس الصيغة عند فريضة الصيام قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام" (٦) وجاء نفس التعبير بلفظ كتب عند فريضة الجهاد قال تعالى "كُتب عليكم القتال وهو كُرْهٌ لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم".(٧)

فالقصاص والوصية والصيام والقتال والصلاة مفروضة على المسلمين فعليهم أن

---

(١) صحيح مسلم، ج: ٢، ص: (٦٩٧، ٦٩٨): ك: الزكاة، باب: ١٦ اسم الصدقة يقع في كل نوع من المعروف، حديث رقم ٥٣

(٢) فتح الباري، مجلد: ١٠، ص: ٤٣٨ ك:الأدب، باب الأدب: رحمة الناس والبهائم، حديث رقم: ٦٠٠٩ وأخرجه مسلم، ج:٤، ك: السلام: باب: ٤١ فضل ساقي البهائم، ص: ١٧٦١، حديث رقم ١٥٣

(٣) انظر العبادة في الإسلام ص (٥١، ٥٢)

(٤) سورة البقرة الآية: ١٧٨ (٥) سورة البقرة الآية: ١٨٠

(٦) سورة البقرة الآية: ١٨٣ (٧) سورة البقرة الآية: ٢١٦

يعبدوا الله بالتزامها والعمل بها وفق ما أمر سبحانه في كتابه الكريم، وكما أوضحه صلى الله عليه وسلم بشأنها وغيرها من الأمور.

نستخلص من خلال ذلك أن الإسلام عقيدة وسلوك كما أنه عبادة ومعاملات، لا يمكن الفصل بين هذه وذاك، وأن ما قام به الفقهاء من تقسيم أبواب الفقه إلى عبادات ومعاملات، كان من باب التسهيل على الناس ولم يقصدوا الفصل بين العبادات والمعاملات بل أنهما مرتبطتان كارتباط الروح بالجسد قال تعالى "**قل إن صلاتي ونسكي ومحيايَ ومماتي لله ربّ العالمين**" (١)

وبهذا المفهوم الشامل للعبادة يصبح الإنسان في المجتمع عنصر خير وبركة يفيض دائماً بالعطاء والمساعدة للآخرين ويبذل جهده لرقي المجتمع والنهوض بالأمة نحو التقدم والإزدهار والرفاه الإجتماعي، وله بذلك الأجر الجزيل يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ثالثاً: شروط العبادة والحكمة منها:-

كان لتشريع العبادة في الإسلام حِكماً قويمة وعِبراً جليلة تعود بالنفع والخير على الناس في المجتمع، استطاع العقل البشري التوصل إلى بعض منها والأخرى لم يتوصل إلى معرفتها لأن معرفة الإنسان محدودة، والله قد احاط بكل شيءٍ علماً.

فالعبادة تعمل على تهذيب الجانب الخلقي في الإنسان وتسمو بروحه على ضرورات الجسد المادية، فيتجرد من النقائص ويتحلى بالفضائل، فيصبح انساناً ايجابياً في المجتمع وذلك بفضل تخلّقه بأخلاق القرآن والتزامه بالقيم العليا والمُثل النبيلة التي دعا إليها المنهج الإسلامي في تربيته للأفراد.

وكانت العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج وغيرها، لها الدور الكبير والعظيم في التربية والبناء للفرد والمجتمع، ولذلك شُرعت العبادة لمنفعة الناس في الدنيا والآخرة، قال تعالى "**إن الذين قالوا ربُّنا اللهُ ثمّ استقاموا تتنزّلُ عليهمُ الملائكةُ ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون**".(٢)

كما أن العبادة تهذب الأخلاق وتسمو بالأرواح وتعمل على وحدة الأمة وترابط المجتمع وجعله قلعة حصينة لا يستطيع الاعداء مهما بلغ مكرهم وكيدهم من تفريق تلك الوحدة، لأنهم سيُصدمون بقوة العقيدة الإسلامية والتي تستمد غذاءها في نفوس الأفراد من خلال التزامهم بالمحافظة على العبادات المفروضة عليهم ليلاً ونهاراً، ولذلك أمر سبحانه وتعالى بإقامة الصلاة وايتاء الزكاة أولاً، وهي من العبادات ثم عطف عليها الإعتصام بمنهج الله القويم قال تعالى "**فأقيموا الصلاة**

---

(١) سورة االأنعام الآية: ١٦٢ (٢) سورة فصلت الآية: ٣٠

وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونِعْمَ النصير".(١)

وشبّه صلى الله عليه وسلم وحدة المسلمين وترابطهم بالجسد الواحد .

عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".(٢)

أيضاً فإن العبادة تجعل من المجتمع مجتمعاً نظيفاً بعيداً عن الفواحش والمنكرات وذلك لأنها تُنشىء في ضمير الفرد ملكة المراقبة والخوف من ا لله الذي يعلم السرّ وما أخفى، واذا ما فرّط مؤمن بشيء في جانب الله تذكر ربه فاستغفره وأناب إليه، قال تعالى **"أن تقول نفسٌ يا حسرتى على ما فرطتُ في جنب الله وإن كنت لمن** الساخرين".(٣)

ولكي تؤتي العبادة ثمارها الطيبة وحِكمها الجليلة لا بد أن ترتكز على شرطين أساسيين وهما كالآتي:-

١- الإخلاص في النية:-

ينبغي على الإنسان حينما يُزاول أي عمل في هذه الحياة أن يعقد النيه مع الله ويبتغي بذلك العمل مرضات الله تبارك وتعالى لكي يكون مقبولاً وله ثماره الطيبة قال تعالى **"وما أُمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة"** (٤)

وأوضح صلى الله عليه وسلم أن الإخلاص في النية هو الأساس في قبول الأعمال، عن أبي حفص* رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولُ

---

(١) سورة الحج الآية: ٧٨

(٢) أخرجه البخاري، فتح البارى، مجلد: ١٠، ك: الأدب، باب: ٢٧ رحمة الناس والبهائم. ص:٤٣٨

(٣) سورة الزمر الآية: ٥٦

(٤) سورة البينة الآية: ٥

* أبو حفص: هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى، القرشي، أعزّ الاسلام والمسلمين بإسلامه، شهد بدراً وأحداً وغيرها من المشاهد، وكان زاهداً عالماً عادلاً قائماً بحدود الله خليفة للمسلمين بعد أبي بكر، ولد بعد حادثة الفيل بثلاث عشرة سنة ودفن يوم الأحد في ١ محرم سنة ٢٤ هـ

انظر أسد الغابة ٤/١٤٥-١٨١، رقم: ٣٨٢٤، والإصابة ٤/٥٨٨-٥٩١، رقم: ٥٧٤٠

وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم الأصفهاني: ١/٣٨-٥٥ رقم:٢ ط:٢ (١٩٦٧م-١٣٨٧هـ) بيروت/لبنان.

"إنما الأعمالُ بالنيات، وإنما لكلِّ امرىءٍ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرتُهُ إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرَتُهُ لدنيا يُصيبُها أو امرأةٍ ينكَحُها فهجرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إليه".(١)

٢- الإلتزام بشرع الله:-

ينبغي أن تؤدى العبادة بالتزام كامل وبنفس الصورة التي أرادها الشارع الحكيم بدون نقص فيها او زيادة عليها، لأن الزيادة في الدين كالنقص فنه، وهذا لا يجوز شرعاً. ولا يعبد الله إلاّ بما تشرّع في كتابه الكريم أو بما نطق به النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه(٢) قال تعالى "*وما ينطق عن الهوى إنْ هو إلاّ وحي يوحى*".(٣)

خلاصة المبحث:-

إن العبادة شاملةٌ لكل عمل يقوم به الإنسان في هذه الحياة من أعمال الخير والبر والإحسان في أي جانب من جوانب المجتمع المتعددة، والإنسان خلق في الأرض من أجل تحقيق معنى العبادة في سائر شؤون حياته قال تعالى "*وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون*".(٤)

فالعبادة في تصور المؤمن جزء لا يتجزأ عن أخلاقه، فهي تؤدى من باب الوفاء مع الله والشكر على النعم الجليلة التي أنعم بها على عباده، ومن باب العرفان بالجميل والتوقير لصاحب التوقير والتعظيم لله رب العالمين.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في عدة مواطن وأخرجه مسلم، مجلد: ٣ ك: الإمارة، باب: ٤٥، إنما الأعمال بالنيات، ص: ١٥١٥، حديث رقم: ١٥٥

(٢) انظر في ظلال القرآن، مجلد: ٧، ص" ٥٩٠، وأيضاً منهج الشريعة الإسلامية، ج:١، ص: ٩٥، ط: ١ (١٣٨٩هـ-١٩٦٩م) مكتبة المعارف بيروت، وأيضا دراسات في الثقافة الإسلامية، ص: ٧٤ لصالح هندي، ط: ٥ (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)

(٣) سورة النجم الآية: (٣، ٤)

(٤) سورة الذاريات الآية: (٥٦، ٥٧).

المبحث الثاني
الصلاة

الصلاة لغة:-

الصلاة أصلها صلّى، يُصلّي، صلاة، وقيل مأخوذه من الصلي وهي النار، فحينما تقول: صَلَيْتُ العصا يعني إذا قومتها بالصلي فأصبحت مستقيمة، وكأن المصلي بتأدية الصلاة يسعى إلى تعديل نفسه باطناً وظاهراً، كمن يحاول تقويم العصا عندما يعرضها على النار.(١)

وقال بعض المفسرين أن الصلاة عبارة عن الدعاء الذي يتقرب به المؤمن إلى الله تبارك وتعالى فيطلب منه المغفرة والرحمة من الذنوب أو الشكر على النِعِم الكثيرة أو دفعاً لمكروه قد أصاب الإنسان.

كما أن من معانيها الحمد والثناء على الله وفيها التخفيف عن المؤمن مما يلقاه من أنواع المشقة والبلاء في هذه الحياة حيث أن المصلي ينسى مشاغل الدنيا وهمومها عندما يُكبّر تكبيرة الإحرام ويشرع الدخول في الصلاة.

الصلاة شرعاً:-

عرفها المفسرون وأهل الفقه بأنها "عبارة عن أفعال مخصوصة وأركان معلومة بشرائط محصورة، مفتتحة بتكبيرة الإحرام، مُختتمة بالتسليم" وهذا التعريف ينسحب على صلاة الفرض والنافلة على السواء. (٢)

أوجه ورود الصلاة في القرآن:-

جاءت الصلاة بعدة معاني في القرآن الكريم وهي كالآتي:-

١- الصلاة بمعنى الاستغفار، كما في قوله تعالى "*وصل عليهم إن صلاتك سكنٌ لهم والله سميع عليم*".(٣)

٢- وجاءت في سورة البقرة بمعنى المغفرة، قال تعالى "*أُولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأُولئك هم المهتدون*"(٤) ومثلها في قوله تعالى "*إن الله وملائكته*

---

(١) انظر الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، ج: ٦،ص:٢٤٠٢ للجوهري تحقيق أحمد عبدالغفور ط: ٢ (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) دار العلم للملايين بيروت.

(٢) تفسير الرازي، مجلد: ٢، ص(٣٢، ٣٣)، وتفسير القرطبي، مجلد:١،ج١، ص: ١٦٩ وأيضا التعريفات للجرجاني، ص: ١٧٦، والعلم والعلماء، ص: ٤٧ وأيضاً روح الدين الإسلامي، ص ٢٤١، ط: ٢١ (١٩٨١) دار العلم للملايين بيروت.

(٣) سورة التوبة الآية: ١٠٣

(٤) سورة البقرة الآية: ١٥٧

يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً(١) فالله سبحانه وتعالى يصلي بالمغفرة والملائكة بالإستغفار والمؤمنون بطلب الرحمة.

٣- وجاءت بمعنى اقامة الصلاة نفسها، فقال تعالى "الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة"(٢) وقوله تعالى "وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر"(٣)

٤- الصلاة تعني التسبيح، فقد جاء في حق يونس عليه السلام قوله تعالى "فلولا أنه كان من المسبحين"(٤) أي من المصلين للبث في بطنه إلى يوم القيامة وبذلك تكون الصلاة نجاةً للإنسان من الكرب في الدنيا ونوراً وبرهاناً في الآخرة.

٥- الصلاة بمعنى قراءة القرآن قال تعالى "ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً".(٥)

٦- وقُصد بالصلاة العبادة، فقد تحدث القرآن عن صلاة المشركين فقال تعالى "وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون".(٦)

فصلاة المشركين عند البيت الحرام كانت تصفيقاً بالأيدي وصفيراً بأفواههم.

٧- وأخيراً ذكرت بصيغة الجمع "صلوات" وتعني بيوت العبادة نفسها.(٧)

قال تعالى: "ولولا دفعُ الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيعٌ وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً".(٨)

حُكم الصلاة:-

إنّ الصلاة فريضةٌ على كل مسلم ومسلمة لقوله تعالى "إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً"(٩) وقوله تعالى "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين.(١٠)

---

(١) سورة الأحزاب الآية: ٥٦

(٢) سورة البقرة الآية: ٣

(٣) سورة العنكبوت الآية: ٤٥

(٤) سورة الصافات الآية: ١٤٣

(٥) سورة الإسراء الآية: ١١٠

(٦) سورة الأنفال الآية: ٣٥

(٧) انظر تفسير القرطبي مجلد: ١، ج:١، ص ١٦٩ وانظر قاموس القرآن إصلاح الوجوه والنظائر للدمغاني، ص: (٢٨٤، ٢٨٥)

(٨) سورة الحج الآية: ٤٠

(٩) سورة النساء الآية: ١٠٣

(١٠) سورة البقرة الآية: ٢٣٨

والصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام لما جاء عن ابن عمر* رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "بني الإسلامُ على خمس شهادة أن لا إله إلّا اللهُ وأنّ محمداً رسولُ الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحجِّ وصوم رمضان"(١) من خلال النصوص الشرعية يتضح أن إقامة الصلاة أمر شرعي وكل أمر في القرآن للوجوب، فمن ترك الصلاة جحوداً بها وإنكاراً لها يستتاب ثلاثاً فإن تاب عاد إلى الإسلام وإن لم يتب يقتل كفراً بنحو سيف وحكمه بعد القتل حكم المرتد فلا يصلى عليه، أما تارك الصلاة كسلاً مع إيمانه بوجوبها على المسلمين يظل في دائرة الإيمان وتقام عليه العقوبة بالتعزير حتى يعود إلى الصلاة.(٢)

واعتمدوا على الأحاديث التي منها، حيث ورد عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه قال: "أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا من دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله"(٣) وأيضاً ما جاء عن بريدة * * عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "العهدُ الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر".(٤)

---

(١) فتح الباري، مجلد: ١، ك: الإيمان، باب: ٢ دعاؤكم إيمانكم، رقم:٨، صحيح مسلم، ج:١، ك: الإيمان، باب: ٥ أركان الإسلام، ص: ٤٥، رقم: ٢٠

(٢) انظر الفقه المبسط، قسم العبادات، ص: ١٢١، ط: ٤ (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م)

(٣) فتح الباري، مجلد: ١، ك: الإيمان، باب: ١٧ فإن تابوا وأقاموا الصلاة، ص: ٧٥ رقم: ٢٥ وأخرجه مسلم، ج:١، ك: الإيمان، باب: ٨، ص: ٥٣ رقم: ٣٦

(٤) ابن ماجة، مجلد: ١، ك: إقامة الصلاة، باب: ٧٧ فيمن ترك الصلاة، ص: ٣٤٢ رقم: ١٠٧٩، وأخرجه الإمام احمد في المسند، مجلد: ٥، ص: ٣٤٦

* ابن عمر: هو عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي المكي صاحبي جليل هاجر مع أبيه وشهد الخندق وبيعة الرضوان ومن المكثرين لرواية الحديث، واسع العلم متين الديانة، انظر الإصابة في تمييز الصحابة، ١٨١/٤-١٨٨ رقم الترجمة: ٤٨٣٧ وانظر خلاصة تهذيب تهذيب الكمال، ١٨/٢٠ رقم: ٣٦٧٨ والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج: ٢ ص: ٩٥٠ رقم: ١٦١٢

* * بريده بن الحصيب بن عبدالله بن الحارث الأسلمي، أسلم قبل بدر ولم يشهدها وشهد خيبر وفتح مكة، سكن المدينة ثم انتقل إلى البصرة، ت سنة٦٣هـ في أثناء خلافة يزيد بن معاوية، انظر تهذيب التهذيب، مجلد: ١، ص: (٤٣٢، ٤٣٣)

وما جاء في حديث جابر* حيث قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة".(١)

فضل الصلاة:-

إن للصلاة فضلاً عظيماً ومنزلة عالية رفيعة في الإسلام وتبرز تلك المنزلة من خلال ذكرها في القرآن كثيراً مرتبطة بأعمال البرّ والخير وبالقيم الخلقية الرفيعة، فقد جاءت مقترنة بذكر الله وفي ذلك اطمئنان للقلوب قال تعالى "**وأقم الصلاة لذكري**".(٢)

وتارة ربطها بالصبر فقال تعالى "**يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إنّ الله مع الصابرين**".(٣)

وتارة أخرى بالنسك قال تعالى "**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**".(٤)

وأخبر صلى الله عليه وسلم أنها عمود الدين، يقوم عليها البناء الإسلامي .

عن معاذ بن جبل * * رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ألا اخبرك برأس الأمر وذروةُ سنامه؟ قلتُ: بلى يا رسول الله قال: رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة، وذروةُ سنامه الجهاد".(٥)

وهي أول ما أوجبه الله على عباده من العبادات، فُرضت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في السماوات العلى ليلة الإسراء والمعراج حيث جاء في الحديث الشريف عن

---

(١) اخرجه مسلم في الصحيح، ج:١، ك: الإيمان، باب: ٣٥، ص: ٨٨، رقم: ١٣٤

(٢) سورة طه الآية: ١٤

(٣) سورة البقرة الآية: ١٥٣

(٤) سورة الأنعام الآية: ١٦٢

(٥) سنن الترمذي، ج:٥، باب: ٨ حرمة الصلاة، ص: (١١، ١٢) رقم: ٢٦١٦ هكذا من حديث طويل.

* جابر: ابن عبدالله بن عمرو بن حزام بن سلمه الأنصاري، صاحبي جليل من المكثرين لرواية الحديث وروى عنه جماعة من الصحابة وشهد تسع عشرة غزوة، ت سنة ٧٨ هـ وكان عمره ٩٤ سنة.
انظر الإصابة في تمييز الصحابة، مجلد: ١، ص: ٢٢٢ رقم الترجمة: ١٠٢٢

* * معاذ: ابن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي كان حليماً وسخياً ومقدم في علم الحلال والحرام شهد المشاهد كلها وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه ابن عباس وابن سمره وشهد بدراً وهو ابن إحدى وعشرين سنة أُمّر على بلاد اليمن، ت في فلسطين سنة ١٧هـ أوسنة ١٨هـ بالطاعون.
انظر الإصابة في تمييز الصحابة، مجلد: ٣، ص: (٤٢٦، ٤٢٧) رقم: ٨٠٣٧

أنس* قال: "فُرضت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أُسري به خمسين ثم نُقصّت حتى جعلت خمساً، ثم نودي يا محمد، إنّه لا يبدلُ القول لديّ، وإنّ لك بهذه الخمس خمسين".(١)

ثم اوضح صلى الله عليه وسلم أن الصلوات الخمس تسقط الذنوب كما الإغتسال لمرات متعددة في اليوم يزيل الأقذار عن البدن .

عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أرأيتم لو أنّ نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً، ما تقولُ ذلك يُبقي من درنه شيئاً؟ قالوا: لا يُبْقي من درنه شيئاً، قال: فذلك مثلُ الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا".(٢)

ولأهميتها أمر سبحانة بالمحافظة عليها في الحضر والسفر وفي وقت الأمن والخوف قال تعالى "**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين، فإن خِفْتُمْ فرجالاً أو ركباناً فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون**".(٣)

وأخيرا توعد بالويل والثبور لمن يُفرّط بها او يضيعها قال تعالى "**فخلف من بعدهم خَلْفٌ أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً**" (٤) وقال تعالى "**فويلٌ للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون**"(٥) والويل هو وادٌ في قعر جهنم ينتظر اولئك الذين لا يحافظون على صلاتهم ولا يؤدونها إلاّ قليلاً.

ويبرز فضل الصلاة من خلال أنها مدرسة ربانية عملية يدخلها المسلمون خمس

---

(١) أخرجه البخاري بصورة أطول، فتح الباري، ج:١ ك: الصلاة باب: ١ :(كيف فرضت الصلوات في الإسلام) ص: (٤٥٨، ٤٥٩) رقم: ٣٤٩

(٢) فتح الباري، مجلد: ٢، ص: ١١، باب: ٦ الصلوات الخمس كفارة، ك مواقيت الصلاة، رقم: ٥٢٨ ورواه مسلم مجلد: ١، ك: المساجد باب: ٥١ المشي إلى الصلاة، ص:٤٦٢ رقم: ٢٨٣، وابن ماجه، مجلد: ١، ك: إقامة الصلاة، باب ١٩٣، ص: ٤٤٧ رقم ١٣٩٧

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٣٨، ٢٣٩

(٤) سورة مريم الآية: ٥٩

(٥) سورة الماعون الآية: (٤، ٥)

* أنس: هو أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله صلى ا لله عليه وسلم وأحد المكثرين لرواية الحديث شهد بدراً روى عنه ابن سيرين وقتادة والحسن البصري ت بالبصرة سن ٥٩هـ وقيل سنة ٩١هـ وقيل سنة ٩٣هـ وكان عمره يناهز ١٠٣ سنين، انظر شذرات الذهب ٢٥/١ وأسد الغابة ١٥٧/١-١٥٩ رقم: (٢٥٨) والإصابة ١٢٦/١-١٢٩، رقم: (٢٧٧)

مرات في اليوم فتزرع فيهم الُخلق الفاضل النابع من صلتهم الوثيقة بالله السميع العليم

إقتران الصلاة بالزكاة:-

لقد ربط القرآن الكريم بين الصلاة والزكاة في كثير من الآيات القرآنية فقال تعالى "*وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة*" (١) للدلالة على قوة الإتصال بينهما، وبتطبيقهما تستقيم حياة الفرد والمجتمع، فالصلاة عبادة بدنية وشخصية من أقامها أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين، أما الزكاة فإنها عبادة مالية إجتماعية لا بد من آدائها ففيها تطهير للنفوس من البخل والشح والجشع وبالتالي يخلو المجتمع من تلك الأمراض الإجتماعية ولأهميتها حارب الصديق رضي الله عنه مانعيها واعتبرهم مرتدين عن الإسلام.(٢)

قيمة الصلاة وأهميتها:-

لقد ذكر صاحب الظلال قيمة الصلاة بتوسع نوجزها في الآتي:-

إن قيمة الصلاة تبرز من خلال انها تلخص فكرة الإسلام عن مكونات الإنسان، فالإسلام يعترف بأن الإنسان يتكون من قوى ثلاث وهي الجسم والعقل والروح، فلا يحاول كبت الجسم على حساب الروح ولا العكس، بل أنه يُغذي هذه المكونات جميعها لكي يسير الإنسان بخطى متوازنة ومستقيمة في المجتمع.

وإذا تدبرنا الصلاة وجدناها مظهراً لنشاط قواه الثلاث فالقيام والركوع والسجود تحقيقاً لحركة الجسد، والقراءة للقرآن بتدبر وتفكير تحقيقاً لنشاط العقل، والتوجه والخشوع والإستسلام لله في الصلاة فيه النشاط الكامل للروح عندما يقف المصلي بين يدي الله فيناجيه فيشعر بالرهبة والخشوع وبذلك تتربّى النفوس.(٣)

روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه "كان كلما دخل عليه وقت الصلاة اصفر مرة واحمرّ أخرى، فسئل عن سبب ذلك فقال أتتني الأمانة، التي عُرضت على السموات والأرض والجبال فأبيّن أن يحملنها وأشفقنّ منها وحملتها ولا أدري: أسيء فيها أم أحسن".(٤)

---

(١) سورة المزمل الآية: ٢٠

(٢) انظر تفسير سورة النور، ص: ٩٦ ليوسف العالم رحمه الله ط: ٢ (١٩٧٨) الدار السودانية وأيضا الإسلام، ص: ١٥٢ سعيد حوى ط: ٢ (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) بيروت.

(٣) في ظلال القرآن، مجلد ١، ص: ١٦٠ وأيضا من كنوز الإسلام، ص: ١٤٧، ط:٢ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) لمحمد فائز مؤسسة الرسالة بيروت.

(٤) أدب الدنيا والدين، ص: ٩٦ لأبي الحسن البصري الماوردي ط: ٤ (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م) الكتب العلمية بيروت.

الحِكم من الصلاة:-

١- تربية الروح:-

إن أي مجتمع إنساني لكي يقوى ويُمكّن له في الأرض يحتاج إلى قوة روحية ترفع من معنويات افراده وتُهذب أخلاقهم بحيث يسمون بأرواحهم الى قيم سامية ومُثل عليا، والصلاة ركن هام يمد الجماعة المسلمة بالقوة الروحية التي لا بد منها لاصلاح المجتمع بشكل عملي مباشر.

لذلك شرع الله سبحانه الصلاة على عباده لكي تتصل ارواحهم بخالقها فتسموا على ضرورات الجسد وجواذب الطين فلا تنحصر روابطهم في مصالح شخصية أو مادية قال تعالى "**والذين يُمَسّكونَ بالكتاب وأقاموا الصلاة إنّا لا نضيعُ أجرَ المصلحين**".(١)

٢- غرس الشجاعة والكرم والجود:-

لقد أشارت سورة البقرة إلى أن الصلاة لها الدور العظيم في تخفيف المصائب عن المسلمين ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يهرع الى الصلاة إذا حزبه الأمر، وحينما يقف المسلم بين يدي الله تزداد الثقة بالله، وبمناجاته لخالقه تصغر الهموم مهما عظمت وتزول الآلام وتخف حدتها، قال تعالى "**يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين**".(٢)

٣- تمرين المسلم على الطاعة:-

إن الصلاة تربي المسلم على الطاعة والإنقياد والإستسلام الكامل للخالق في خضوع وتذلل حينما يناجي ربّه بقراءة القرآن فتخضع جوارحه في الركوع والسجود والقيام وبالتالي ينقطع عن الغفلة ويصبح ذاكراً شاكراً لأنعم الله، عن عائشة* ، رضي الله عنها - أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أُحبُّ أن اكون عبداً شكوراً.(٣)

---

(١) سورة الأعراف الآية: ١٧٠

(٢) سورة البقرة الآية: ١٥٣

(٣) متفق عليه أخرجه البخاري، فتح الباري، مجلد: ٨، ك: التفسير، باب: ٢، ص: ٥٨٤، حديث رقم: ٤٨٣٧، وأخرجه مسلم، ج:٤، ك: صفات المنافقين، باب: ١٨ الاجتهاد في العباده ص: ٢١٧٢، رقم: ٨١

* عائشة: هي بنت الصديق رضي الله عنها زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت أحب نسائه إليه ومتفقهه في الدين، وكانت مرجعاً للصحابة، تفقه على يدها جماعة، ولها أحاديث كثيرة عن النبي وكانت فصيحة وغزيرة العلم وزاهدة في الحياة وكريمة ت سنة ٥٨هـ في السابع عشر من رمضان وقيل سنة ٥٧ هـ وكان عمرها ٦٦ سنة، انظر صفة الصفوة ٢/١٥-٣٨ رقم: ١٢٧ ط: ٣ (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) دار المعرفة بيروت، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج: ٢، ص: (٤٣-٥٠)

٤- تُثمر العمل الصالح:-

الملتزم بالصلاة يحس برهبة حينما يقف بين يدي الله فيزداد إيمانه بالله العظيم، وهذا الإيمان يدفعه الى فعل الخير والإصلاح في سائر مجالات الحياة وبالمقابل يبتعد عن الآثام والفواحش والمنكرات.

عن ابن مسعود رضي الله عنه "أن رجلاً أصاب من امرأة قُبلةً، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأنزل الله تعالى: "وأقم الصلاة طرفي النهار وزُلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات" فقال الرجلُ: أليَ هذا؟ قال: "لجميع أمتي كلهم".(١)

٥- تُنظم حياة المسلم:-

إن الصلاة تعوّد المصلين على النظام الكامل في جميع أعمالهم الحياتية، لأن المصلي يقف في أوقات معلومة من كل يوم ليؤدي هذه الفريضة قال تعالى "**إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً**".(٢)

وإذا اعتاد الإنسان على أداء الصلاة في مواقيتها فإنه يعتاد على تنظيم جميع أعماله اليومية.

٦- **وأخيراً رتّب القرآن الكريم على تأدية الصلاة** بكامل صحة شروطها الفلاح في الدنيا والآخرة قال تعالى "*قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون*"(٣) ثم وعدهم الفردوس وهو أعلى مراتب الجنة فقال تعالى "*والذين هم على صلواتهم يحافظون، أولئك هم الوارثون، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون*".(٤)

---

(١) متفق عليه، أخرجه مسلم ج: ٤، ك: التوبة، باب: ٧ (إن الحسنات يذهبن السيئات) ص: (٢١١٥، ٢١١٦) حديث رقم: ٣٩

(٢) سورة النساء الآية: ١٠٣

(٣) سورة المؤمنون الآية: (١، ٢)

(٤) سورة المؤمنون الآية: (٩-١١)

الفائدة الإجتماعية للصلاة:-

إن الصلاة تُعلِم الإنسان حب الآخرين والتسامح معهم والعمل على مساعدتهم وخاصة الفقراء والمساكين منهم وتحثه على نصرة المستضعفين في الأرض والوقوف بجانبهم.

وحينما يقف المصلون في صفوف الصلاة بتواضع يشعرُ كلٌ منهم أنه لا فرق بين غني وفقير وقوي وضعيف وأبيض وأحمر الا بالتقوى فالناس سواسية خلقوا من آدم، وآدم خُلِق من تراب.

قال تعالى "*يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير*".(١)

وصلاة الجماعة يتمّ فيها التعارف بين المصلين حيث أنهم يجتمعون خمس مرات في مواعيد الصلاة من كل يوم فتتآلف قلوبهم ويتناصحون فيما بينهم ويتعاونون على حلِّ ما يعتورهم من مشاكل، لذلك أوصى صلى الله عليه وسلم بصلاة الجماعة لما لها من تعميق وتعزيز الروابط الإجتماعية بين الناس، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحدَهُ بخمسة وعشرين جزءاً".(٢)

وتوعدّ صلى الله عليه وسلم الذين لا يؤدونها في جماعة إذا سمعوا النداء إلى الصلاة ولم يكن لهم عذر شرعي بأن يحرق عليهم بيوتهم، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لقد هممت أن آمُرَ بالصلاة فتقام، ثم آمُرَ رجلاً فيصلي بالناس ثم أنطلق برجال معهم حُزمٌ من حطبٍ إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأُحُرِّقَ عليهم بيوتهم بالنار".(٣)

وأمر سبحانه باجتماع اسبوعي من يوم الجمعة فيه يترك الناسُ العمل ساعة الصلاة ويتوجهون الى بيوت الله ليشهدوا فيه الخير بسماعهم لخطبة الجمعة التي تعالج مشاكل المسلمين في المجتمع قال تعالى "*يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون*".(٤)

---

(١) سورة الحجرات الآية: ١٣

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، مجلد: ١، ك: المساجد، باب: ٤٢ فضل صلاة الجماعة، ص: ٤٤٩، حديث رقم: ٢٤٥

(٣) أخرجه ابن ماجه في كتابه السنن، مجلد: ١، ك: المساجد، باب:١٧ التغليظ في التخلف عن الجماعة، ص: ٧٩١، وأخرجه أبو داود مجلد:١ ك: الصلاة، باب ٤٧، التشديد في ترك الصلاة، ص: (٣٧١، ٣٧٢) رقم: ٥٤٨ والامام احمد في مسنده، مجلدك ١، ص: ٤٥٠

(٤) سورة الجمعة الآية: ٩

ويشهدُ المسلمون اجتماعين هامين على مدار العام في صلاة عيدي الفطر والأضحى حيث تتقوى الروابط الاجتماعية بتصافح المسلمين فالقوي يأخذ بيد الضعيف والغني بيد الفقير فيشعر الجميع بالسعادة والمواساة والمساواة والمؤاخاه وهي من عوامل ترابط المجتمع فتعمل على تماسكه ووحدته.(١)

---

(١) انظر منهج القرآن في تربية المجتمع ص: ١٩٦، وأيضاً مناهج الشريعة الإسلامية ج: ١، ص: (٩٧، ٩٨) للشيخ أحمد العجوز ط:١ (١٣٨٩-١٩٦٩م) مكتبة المعارف بيروت وأيضاً الدين والدولة في توجيه القرآن، ص: ٢٥٩، لمحمد البهي ط: ٢ (١٤٠٠-١٩٨٠م) مكتبة وهبه القاهرة وأيضاً العلم والعلماء، ص: ٤٧، لأبي بكر الجزائري، ط ١ (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) دار الشروق جده، وأيضا من وصايا القرآن الكريم، ص: (٥٣٩، ٥٤٠) لمحمد البلتاجي، ط: ١(١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) دار التراث العربي.

المبحث الثالث

الزكاة

الزكاة في اللغة:-

هي النماء والطهارة والزيادة، مأخوذة من قولهم زكا الزرع إذا نما وزاد، وزكت النفقة إذا بورك فيها، ورجلٌ زكي أي كثير الخير بمعنى أن خيره زائد ويصل إلى عدد كبير من الناس.

ويُسمى القدر المخرج من المال زكاة، وهو نقصٌ من المال وفي الحقيقةِ أنه ينمو بالبركة او بالأجر الذي يُثاب عليه المزكي.(١)

والزكاة مأخوذة من التطهير ويدل على ذلك قوله تعالى "*قد أفلح من زكاها*"(٢) أي طهرها وقوله تعالى "*خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها*"(٣) وتطلق أيضاً على المدح قال تعالى "*فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى*"(٤) أي فلا تمدحوها.

نستطيع أن نستخلص من المعنى اللغوي للزكاة أنها سميت بذلك لأمور ثلاثة وهي كالآتي:-

١- إن المال المخرج عنه الزكاة ينمو ويزداد ببركة هذا الإخراج.

٢- لأن الزكاة فيها تطهير لمخرجها من البخل والشح والإثم.

٣- إن الزكاة حينما تخرج لمستحقيها تمدح صاحبها وتشهد له بصحة الإيمان.

الزكاة شرعاً:-

عرّفها بعض العلماء بأنها "إخراج مال مخصوص في وقت مخصوص لطائفة من الناس مخصوصة"

يقصد بالمال المخصوص هو الزكاة نفسها وتقدر بربع العشر من المال إذا حال عليه الحول أي مُرور عام هجري بشرط أن يكون المال المخرج منه بلغ النصاب، وقدروا النصاب الذي تجب فيه الزكاة بحوالي احدى وثمانين جرام من الذهب.(٥)

أوجه معاني الزكاة في القرآن الكريم:-

جاءت لفظة الزكاة في القرآن بعدة معاني ذكرها صاحب قاموس القرآن(٦) نوجزها في الآتي:

---

(١) انظر مختار الصحاح ص: ٢٧٣ للشيخ محمد بن أبي بكر الرازي وأيضاً انظر المصباح المنير، ج: ١، ص: ٢٧٢ للعلامة أحمد بن محمد المقرى الفيومي ط مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

(٢) سورة الشمس الآية: ٩ (٣) سورة التوبة الآية: ١٠٣ (٤) سورة النجم الآية: ٣٢

(٥) انظر تفسير القرطبي، مجلد:١، ج: ١، ص: ٣٤٣ وأيضاً الفقه المبسط قسم العبادات، ص: ٢٤٥ وأيضاً العبادة في الإسلام، ص: ٢٧٣ وأيضاً العلم والعلماء، ص: ٤٨

(٦) انظر قاموس القرآن في إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن ص: (٢١٧، ٢١٨)

١- الـزكاة تعني الـزكاة المفـروضة على المسلمين قـال تعـالى "فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة"(١)

٢- الـزكاة بمعنى الإصلاح، لأن تزكى بمعنى أصلح كمـا أوضحه قوله تعالى "ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه"(٢)

٣- الزكاة بمعنى البراءة، قال تعالى "ألم تر إلى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء".(٣) ويزكون أنفسهم بمعنى يُبرئونها ومثلهـا قوله تعالى "أقتلت نفساً زكيةً بغير نفس"(٤) أي تعني النفس البريئة.

٤- الزكاة بمعنى الحلال الطيب قال تعالى "فلينظر أيها أزكى طعاماً"(٥) أي ألطف طعاماً من الطعام الحلال.

٥- تطلـق الزكاة على الصدقة، قـال تعالى "وحناناً من لدنا وزكاة وكان تقيا"(٦) أي صدقة تصدق بها أبواه.

حُكمُ الزكاة:-

الـزكاة فرضت على المسلمين في السنـة الثانية من الهجرة بعـد زكاة الفطر وهذا على المشهـور عند المحدثين، وهي من الشرائع القديمة فقد جاء حكـاية على لسان عيسى عليه السلام قوله تعالى "وأوصاني بالصلاة والزكاة(٧) وتأكدت فرضية الزكاة بقـوله تعالى :خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها(٨) وقـوله تعالى "كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده"(٩)

وأمر صلى الله عليه وسلم بإخراجها إلى مستحقيها فقد جاء في الحـديث الشريف عن ابن عبـاس* رضـي اللـه عنـه - قـال: قـال رسـول الله صلى اللـه عليـه وسلم

---

(١) سورة الحج الآية: ٧٨ (٢) سورة فاطر الآية: ١٨
(٣) سورة النساء الآية: ٤٩ (٤) سورة الكهف الآية: ٧٤
(٥) سورة الكهف الآية: ١٩ (٦) سورة مريم الآية: ١٣
(٧) سورة مريم الآية: ٣١ (٨) سورة التوبة الآية: ١٠٣
(٩) سورة الأنعام الآية: ١٤١

* ابن عبـاس: هو عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم صحابي جليل يسمى بحبر الأمة لكثرة علمه وفقهه، وكان فقيها وعالماً بالحديث والتفسير والقضاء، دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" وحدث عنـه التابعون، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات، ت سنة٦٨هـ بالطائف وكان عمره ٧٠سنة انظر أسـد الغابة ٣/٢٩٠-٢٩٤ رقم: ٣٠٣٥ والاستيعـاب ٢/٩٣٣، رقم: ١٥٨٨ وحليـة الأولياء١/٣١٤ رقـم ٤٥ والأصـابة ٤/١٤١-١٥٢ رقـم: ٤٧٨٤

لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فاخبرهم أن اللهَ قد فرض عليهم صدقةً تؤخذُ من اغنيائهم فتردُّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائمَ أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب".(١)

والزكاة تعتبر من المعلوم بالدين بالضرورة، وتمّ إجماع المسلمين على فريضتها ويعتبر من أنكر وجوبها خارج عن الإسلام ويقتل كفراً والذي يمتنع عن أدائها بُخلاً مع اعتقاده بفرضيتها فإنه يؤثم ويظل في حظيرة الإسلام وعلى الحاكم المسلم أن يأخذها منه قهراً وإن قاتل دونها قوتل حتى يرجع إلى أمر الله ويؤدي زكاة ماله.(٢)

قال تعالى "**فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين**".(٣)

ولقد شدد أبو بكر الصديق على مانعي الزكاة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واعتبرهم من المرتدين عن الإسلام فحاربهم لتفريقهم بين الصلاة والزكاة، وقال كلمته الشهيرة، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه".(٤)

مصارف الزكاة:-

ذكر القرآن الكريم الوجوه التي يستحق لها الأخذ من أموال الزكاة فحددهم في ثمانية أصناف قال تعالى "**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم**".(٥)

وسنتاول الحديث عن كل مصرف من هذه المصارف بشيء من الإيجاز:

١- الفقراء:-

الفقير، هو من لا مال له ولا كسب يسد به حاجته وحاجة من يعولهم من طعام وشراب وملبس او مسكن ويدخل في قسم الفقراء من تفرغ للعلم وتعذر عليه الجمع بين

---

(١) فتح الباري، مجلد: ٣، ك: الزكاة، باب: ٦٣ أخذ الصدقة، ص: ٣٥٧، رقم: ١٤٩٦ ورواه مسلم ج: ١، ك: الإيمان، باب: ٧ الدعاء الى الشهادتين، ص: ٥٠، رقم:٢٩

(٢) انظر الفقه المبسط، ص ٢٤٦ وأيضاً فقه السنه، مجلد: ١، ص: ٢٨١ ط:٤ (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) دار الفكر، وأيضاً منهاج المسلم ص: ٢٤٨

(٣) سورة التوبة الآية: ٥

(٤) انظر إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، ص: (٢٤، ٢٥) ط:٤ مطبعة الإستقامة بالقاهرة

(٥) سورة التوبة الآية: ٦٠

الكسب وطلب العلم فإنه يستحق من الزكاة قدر ما يعينه على أداء رسالته للمجتمع، ولأن فائدة علمه لا تعود عليه فقط وإنما تعود على الأمة بأسرها.(١)

٢- المساكين:-

المسكين أصله من السكون وهو عدم القدرة على الحركة من أجل الكسب، وكأن العجز أسكنه فأصبح مسكيناً ويدل عليه قوله تعالى "**وأما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر**".(٢)

وعرّف صلى الله عليه وسلم المسكين فقال "ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان، قالوا فما المسكين؟ يا رسول الله! قال: الذي لا يجد غني يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يسألُ الناسَ شيئاً".(٣)

ويدخل في زمرة الفقراء المساكين العمال الذين لا يجدون رأسمال يقيمون به عملهم، ويدخل أيضاً جميع العاطلين عن العمل لفقدانهم لأماكن العمل حتى يجدوا عملاً، أو تجد لهم الدولة عملاً يكتسبون من خلاله فيقضون حوائجهم في هذه الحياة.(٤)

٣- العاملون عليها:-

هم الساعون لجمعها فيعطون منها أجرة عملهم على جبايتها، ولإنهم متفرغون لهذا العمل فيكون لهم نصيباً معقولاً من زكاة المال التي يجمعونها لسد حاجة من يعولونهم، لذلك فرض لهم القرآن الكريم نصيباً منها.

٤- المؤلفة قلوبهم:-

هم قوم أسلموا حديثاً ولم يتمكن الإسلام من قلوبهم فهؤلاء يعطوا من الزكاة لتأليف قلوبهم وجمعها على الإسلام وقال بعض المفسرين أنه يدخل ضمنهم الأشراف الذين يُترقب بإعطائهم ومراعاتهم إسلام رعيتهم وقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم البعض منهم كالأقرع بن حابس.

وقيل أنه يدخل فيهم كلما من شأنه أن يحقق مصلحة للإسلام والمسلمين كبعض رجال الصحافة والإعلام.(٥)

---

(١) انظر تفسير البيضاوي، ص: ٢٥٨، وانظر الإسلام، ص: ١٣٠

(٢) سورة الكهف الآية: ٧٩

(٣) فتح الباري ج: ٣ ك: الزكاة، باب: ٥٣، ص: ٣٤١، رقم ١٤٧٩ وأخرجه مسلم ج: ٢، ك: الزكاة، باب: ٣٤، ص: ٧١٩ رقم ١٠١ وأيضاً الدارمي ج: ١، ك: الزكاة، باب: ٢، ص: ٣١٨، رقم: ١٦٢٣ ورواه النسائي ومالك وأحمد وأبو داود بطرق أطول وكلٌ رواه بطريقه وبإسناده إلى أبي هريره.

(٤) انظر الإسلام، ص: ١٢٥ لسعيد حوى

(٥) انظر تفسير البيضاوي، ص: ٢٥٨ وأيضا منهاج المسلم ص: ٢٥٦

٥- في الرقاب:-

يدخل في هذا الوجه من أوجه مصارف الزكاة الرقيق الذي أسلم فيشتري من مال الزكاة ويعتق في سبيل الله، وفعل ذلك أبو بكر رضي الله عنه، وكذلك المكاتب الذي يريد الأداء فيعطى من مال الزكاة حتى يصبح حراً، ويجوز أن يُفدى الأسرى ويتم فك أسرهم من الزكاة.

٦- الغارمون:-

هم الذين تحملوا ديناً بدون إسراف او معصية ولم يكن لهم القدرة على تسديد هذا الدين او تحملوه نتيجة لتدخلهم في الإصلاح بين الناس، فيحق أن يعطوا من مال الزكاة لتسديد ذلك الدين.

وأوضح ذلك صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف عن أبي بشر* رضي الله عنه قال: تحملت حَمالَةً فأتيتُ رسول الله أسأله فيها فقال "قم حتى تأتينا الصدقةُ فنأمُرَ لك بها" قال ثم قال: "يا قبيصة! إن المسألةَ لا تحلُّ إلاّ لأحد ثلاثة: رجلٌ تحمل حمالةً فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش، ورجل أصابته فاقةٌ حتى يقول ثلاثةٌ من ذوي الحجا من قومه: لقد أصابت فلاناً فاقةٌ فحلت له المسألة فما سواها من المسألة يا قبيصة سحتاً يأكلها صاحبها سحتاً".(١)

٧- في سبيل الله:-

يقصد بهذا الوجه من مصارف الزكاة أيُّ عمل يوصل إلى مرضات الله وأفضله الجهاد في سبيل اعلاء كلمة الله في الأرض فينفق على المجاهدين كتجهيزهم للقتال بشراء أسلحتهم .

ويشمل هذا الباب جميع المصالح العامة التي تخص المسلمين كعمارة المساجد والمصانع وبناء الجسور وتحسين الشوارع أو بناء المدارس والمستشفيات وتجهيزها وإلى غير ذلك من المرافق العامة التي ينتفع بها المجتمع.

٨- ابن السبيل:-

هو المسافر المنقطع عن ماله البعيد عن وطنه وأهله فيعطى من الزكاة لسد حاجته وإن كان غنياً في موطنه الأصلي، فنظرا لانقطاعه في حالة السفر تعرض له الفقر فأصبح فقيراً لذلك فهو يُعطى من مال الزكاة.

---

(١) أخرجه مسلم، ج:٢، ك: الزكاة، باب: ٣٦ من تحل له المسألة، ص: ٧٢٢ رقم: ١٠٩ والدارمي في سننه، ج:١، ك: الزكاة، باب: ٣٧ من تحل له الصدقة ص: ٣٣٣ ورواه أحمد في مسنده مجلد: ٣، ص: ٤٧٧، مجلد: ٥، ص:٦٠

* أبو بشر هو قبيصة بن المخارق بن عبدالله بن شداد بن أبي ربيعة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه ولده وأبو عثمان النهدي له صحبه وسكن البصرة وكان شريفاً وولى على سجستان. انظر الإصابة في تمييز الصحابة، مجلد: ٣، ص: ٢٢٢ ترجمة رقم: ٧٠٦١

الثمار الاجتماعية للزكاة:-

الزكاة ركن من الأركان الهامة في بناء التضامن الإجتماعي بين أبناء المجتمع، لأنها تهدف إلى توثيق الرباط الإجتماعي بين الناس وتقضي على الأنانية والإنعزالية والإنطوائية، فليس لهذه الصفات البغيضة وجوداً في مجتمعنا الإسلامي مجتمع العطاء والبذل والفداء.

وحينما يخرُج المزكي زكاة ماله يشعر بأنه يساهم في بناء المجتمع ويساعد في حلِّ ضائقة المعوزين ويفرج عنهم كرباتهم، وبذلك تتآلف القلوب وتستريح النفوس ويسود المجتمع التراحم والتعاون والحب والوئام وكل معاني الإنسانية لأن الجميع يشعر بمشاعر الآخرين.

لهذا كان المجتمع الإسلامي مجتمعاً متكاتفاً ولحمة واحدة ولقد وصف الله تبارك وتعالى هذا الشعور النبيل بقوله تعالى "*والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجةً مما أُوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأُولئك هم المفلحون*".(١)

إن الزكاة رباطِ اجتماعي وثيق بين الناس ولها من الثمار الطيبة العديدة التي نستطيع أن نوجزها في الآتي:-

١- إن الزكاة طهارة لنفس الغني من الشح والبخل والبغضاء، بل أنها تغرس في نفس المؤمن كل معاني الشعور بالمسؤولية والإحساس بآلام الآخرين وجراحهم، وحينما يمد المزكي يد المساعدة لأخيه المحتاج ويخفف عنه كربة من كربات الدنيا فله الأجر الأوفى في الدنيا والآخرة، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من نفَّسَ عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّسَ الله عنه كربة من كُربِ الآخرة ومن ستر على مسلمٍ ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه".(٢)

٢- الزكاة طهارة لنفس الفقير:

فالزكاة تستأصل من نفس الفقير داء الحقد والحسد والغل تجاه الأغنياء فيشعر الناس بالتضامن والتآلف وذلك لأن النفوس جبلت على حب من أحسن اليها وأدخل السرور عليها فالفقير يقضى حاجته المادية من مأكل وملبس ومسكن وحاجته الحيوية كالزواج وحاجته الفكرية كطلب العلم من أموال الزكاة.

---

(١) سورة الحشر الآية: ٩

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري، مجلد: ٥، ك: المظالم، باب: ٣ لا يظلم المسلم المسلم ص: ٩٧ رقم: ٢٤٤٢ وأخرجه مسلم، ج: ٤ ك البر باب: ١٥ تحريم الظلم ص: ١٩٩٦، رقم: ٥٨، وأخرجه الترمذي، مجلد: ٤، ك: الحدود، باب: ٣ الستر على المسلم، ص: ٣٤ رقم: ١٤٢٥

وبذلك يحس الفقير أن المجتمع يهتم به ويرعاه، وهذا الشعور التضامني ينهض بالأمة الإسلامية إلى قمة لم يصل اليه أيُّ مجتمع بشري إلا المجتمع الإسلامي حينما طبق تعاليم الإسلام واحتكم إلى منهج الإسلام.(١)

٣- الزكاة تقضي على الطبقية:-

الزكاة تمنع عوامل الهدم والتفرقة والطبقية والفتن والضغائن التي تثير الصراعات والحروب وذلكلأنها تهدف إلى أن يشترك المجتمع في سداد دين من أجبرته الظروف لذلك، ولم يكن بسبب انحراف أو فساد.

ونرى أنه يحق لمن انقطعت به السبيل عن بلده فأصبح غريباً أن يأخذ من الزكاة، ويساعد حتى لا يشعر بأنه وحيد وعلى ذلك فالمجتمع الإسلامي يوفر الحياة الشريفة لكل من ألمت به جائحة حتى يرتفع عنه البلاء والمحنة.

٤- الزكاة زيادة للمال:-

إن المخرج للزكاة قد يشعر بنقص ظاهري في المال وفي الحقيقة أنها تنمي المال وتحل فيه البركة في الدنيا وله الأجر الأعظم والثواب الجزيل في الآخرة.

والزكاة توجب إنزال رحمة الله على عباده في الأرض قال تعالى "*ورحمتي وَسِعَتْ كلَّ شيءٍ فسأكْتُبُها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون*".(٢)

وأوضح صلى الله عليه وسلم أن ما ينفقه الإنسان هو الذي يبقى يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، فروت عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاة فقال صلى الله عليه وسلم "ما بقي منها؟ قالت: ما بقي إلا كتفها فقال: "بقي كلها إلا كتفها".(٣)

---

(١) انظر مناهج الشريعة الإسلامية، ج: ١، ص: ٩٩ وأيضا اضواء على التربية الإسلامية ص ١٧٤ وأيضا القرآن رؤية تربوية، ج:١ ص: ٨٣، ط: ١ (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) دار الفكر عمان وأيضا الفقه المبسط ص: ٢٨١

(٢) سورة الأعراف الآية: ١٥٦

(٣) الترمذي، مجلد: ٤، ك: صفة القيامة، باب: ٣٣، ص:٦٢٤، رقم: ٢٤٧٠، وأخرجه أحمد في مسنده مجلد:٦، ص: ٥٠

٥- الزكاة وسيلة للضمان الإجتماعي:-

إن الـزكاة تحقق الضمان الإجتمـاعي بين الناس من خلال انفـاقها في مصـارفها وسد حوائج المحتـاجين في المجتمـع، وهـي وسيلة لتحقيق الضمان الإجتمـاعي مـن خلال أن الإسلام يرفـض ان يوجد الفقير الـذي لا يجـد القوت الذي يكفيـه ويكفـي من يعولهم وبجانبه الغني المترف، بل إن الإسلام تكفل بإيجاد

الضـرورات لمن يعيش في ظله مـن المأكل والمشرب والملبـس والمسكن، وبذلك يصبح الجميع كالجسد الواحد.(١)

ولهذا حارب الإسلام كنز الأموال فقال تعالى "*والذين يكنزون الذهب والفضةَ ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم*".(٢)

---

(١) انظر العبادة في الإسلام، ص: ٢٧٥

(٢) سورة التوبة الآية: ٣٤

المبحث الرابع

الصيام

الصيام في اللغة:-

كلمة الصيام أصلها الفعل الثلاثي، صَامَ ومضارعه يصوم والمصدر صوماً او صياماً، وهو يعني الإمتناع والإمساك بالجملة، فيقال: للصمت صوم لأن الصامت ممسك عن الكلام حيث جاء حكاية على لسان مريم عليها السلام قوله تعالى "*إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً*"(١) ويقال للنهار إذ اعتدل، صام النهار، ونقول صامت الريح، إذا أمسكت عن الهبوب وأصبحت راكده، وصام الفرس صوماً وصياماً إذا لم يُعتلف وقالوا الصائم من الخيل القائم الساكن الذي لا يُطعم شيئاً.

قال النابغة*

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمة   تحت العجاج وأخرى تعلكُ اللُّجُما.(٢)

نستخلص من ا لمعنى اللغوي ان الصوم هو الإمساك عن الشيء والترك له وقيل للصائم صائمٌ لامساكه عن المأكل والمشرب والمنكح.

الصيام في الشرع:-

الصيام هو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع وسائر المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع اصطحاب النية".

وبناء على هذا التعريف لا يصح صوم الليل ولا صوم جزء من النهار دون جزء، كما أن العلماء أجازوا صيام الذي ينوي في غير الفرض قبل زوال الشمس وقالوا بأن نيته تنعطف على ما مضى من النهار وبشرط ألاّ يكون قد فعل شيئاً يفطر كالأكل والشرب والجماع على سبيل المثال، قبل شروعه في النية قبل الزوال. (٣)

---

(١) سورة مريم الآية: ٢٦

(٢) انظر لسان العرب، مجلد: ١٢، ص: (٣٥٠،٣٥١) وانظر تفسير زاد المسير، مجلد: ١، ص: ١٦٨، وتفسير القرطبي، مجلد١، ج:٢، ص: ٢٧٢ وأيضاً تفسير الفخر الرازي، مجلد: ٣، ج:٥ ص: ٧٤ وأيضاً تفسير المنار، مجلد:٢ ص:١٤٤

(٣) انظر تفسير زاد المسير، مجلد: ١، ص: ١٦٨

* النابغة: هو قيس بن عبدالله بن ربيعة بن جعده وقيل اسمه الأول عبدالله وقيل حبان والراجح قيس، وسمي بالنابغة لنبوغه في الشعر العربي وكان شاعراً في الجاهلية والإسلام، أنكر الخمر والسكر، ودعا إلى هجر الأزلام في الجاهلية قبل إسلامه عاش حوالي ١٢٠ سنة،انظر الإصابة في تميز الصحابة، مجلد: ٣، ص: (٥٣٧-٥٤٠) رقم: ٨٦٣٩ .

مشروعية الصيام:-

الصيام من الشرائع القديمة وفُرض على الأمة الإسلامية، كما فرض على الأمم السابقة في يوم الإثنين من شهر شعبان في السنة الثانية للهجرة والأصل في مشروعتيه قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون".(١)

وأيضاً الحديث الشريف عن أبن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحجّ وصوم رمضان"(٢) وصام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهر رمضان في تسع سنوات قبل إنتقاله الى الرفيق الأعلى.(٣)

فضل الصيام:-

لقد جاءت الأثار النبوية الكثيرة التي تحدثت عن الصيام ورغبت في هذه العبادة، حتى حرص المسلمون الأوائل على تأديتها بحقيقتها وروحها، فظهرت على أيديهم الإنتصارات والبطولات وذلك لأن الصيام تربية للإرادة وتقوية للعزيمة ويدفع إلى البذل والعطاء والتضحية والفداء، ويوم أن نؤدي هذه الفريضة بنفس الروح التي أداها السلف الصالح فإننا سنصل إلى ما وصلوا إليه من انجازات عظيمة، وخصصت الأثار النبوية باباً في الجنة اسمه الريان لا يدخل منه إلا الصائمون عن سهل بن سعد* رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن في الجنة باباً يقال له الريان، يدخلُ منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل معهم أحدٌ غيرُهُم، يقالُ: أينَ الصائمون؟ فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم، أُغلق فلم يدخل منه أحدٌ".(٤)

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٨٣

(٢) الحديث سبق تخريجه في، ص:٤٠

(٣) انظر الفقه المبسط، ص: ٢٨٧ وانظر منهاج المسلم، ص: ٢٦٠

(٤) فتح الباري، ج:٦، ك بدء الخلق باب: ٩، ص: ٣٢٨ رقم: ٣٢٥٧ وأخرجه مسلم، ج:٢، ك: الصيام، باب ٣٠، ص: ٨٠٨ رقم: ١٦٦ وأخرجه الإمام احمد في مسنده مجلد: ٥، ص: ٢٣٥ وقال عنه السيوطي حديث صحيح في الجامع الصغير، مجلد: ١،ص: ٣٥٣

* سهل بن سعد الساعدي: هو سهل بن مالك بن خالد بن حارثة بن ساعده الخزرجي الأنصاري رأى النبي صلى الله عليه وسلم وسمع منه وكان اسمه حزناً فسماه النبي سهلاً توفى النبي وكان عمره خمس عشرة سنه وقال الواقدي ت سنة ٩١هـ وعمره ١٠٠ سنة وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة. انظر أسد الغابة. مجلد:٢، ص: ٤٧٢، رقم: (٢٢٩٣) وأيضا تهذيب التهذيب مجلد:٤، ص: ٢٥٢ رقم الترجمة ٤٣٠

وصيام رمضان يسبب في مغفرة الذنوب، وقيل أنه سمي بهذا الإسم لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه".(١)

وأوضح صلى الله عليه وسلم أن عمل ابن آدم يضاعف بأضعاف كثيرة إلا الصيام فإنه لله وهو تبارك وتعالى يجزي به، ومن أكرم وأرحم من الله بعباده، فإذا اكرمهم أجزل لهم في الكرم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "قال الله عز وجل: كلُ عملِ ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به".(٢)

وذكر الإمام القرطبي، أن الصيام خُصص بأنه لله من دون ا لعبادات لأمرين وهما كالآتي:

١- أن الصوم يكبح من جماح النفس وملاذها وشهواتها أكثر من سائر العبادات الأخرى.

٢- الصوم سرٌ بين العبد وخالقه فلا يظهر لأحد إلّا لله تبارك وتعالى بينما سائر العبادات فينتابها الظهور أمام الآخرين.(٣)

المؤمنون والصيام:-

ينقسم المؤمنون بالنسبة إلى الصيام إلى ثلاثة أقسام وهي كالآتي:-

١- المؤمن القوي الصحيح:-

وهو المؤمن القادر على الصيام بدون ضرر يعود عليه من صيامه وبلا مشقة ترهقه، وهذا القسم يكون الصوم واجباً في حقه وتركه يعتبر من الكبائر، لأن من أفطر متعمداً لا يُقبل منه صيام الدهر لما جاء في الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصةٍ ولا مرض لم يقضه صوم الدهر كله وإن صامه.(٤)

٢- المريض والمسافر:-

وهؤلاء الصنف من المؤمنين يباح لهم الإفطار في رمضان مع وجوب القضاء إذا زالت العلة، وكانت الإباحة، لأن المرض والسفر قد يعرضهم للمشقة والإرهاق والتعب قال تعالى "*ومن كان مريضاً أو على سفر فعدةٌ من أيام أُخر يُريدُ اللهُ بكم اليُسرَ ولا يُريدُ بكم العُسر*".(٥)

---

(١) صحيح البخاري : ١ ك: الإيمان، باب: ٢٨، ص:١٧

(٢) أخرجه مسلم، ج: ٢، ك: الصيام، باب: ٣٠ فضل الصيام ص: ٨٠٧، رقم ١٦٣، سنن الدارمي ج:١، ك: الصوم باب: ٥٠ فضل الصيام ص: ٣٥٦ رقم: ١٧٧٧ .

(٣) انظر تفسير الجامع لإحكام القرآن، مجلد: ١ ج:٢، ص: ٢٧٤ .

(٤) أخرجه الدارمي، ج: ١، ك: الصوم، باب: ١٨، ص: ٣٤٣، رقم: ١٧٢١ وأخرجه الترمذي، مجلد: ٣، ك: الصوم، باب: ٢٧ ص: ١٠١ رقم ٧٢٣ وأخرجه أبو داود، ك: الصيام، باب ٣٩ التغليظ من أفطر عمداً رقم:٢٣٩٦

(٥) سورة البقرة الآية: ١٨٥

٣- الشيخ الكبير ومن يدخل في حكمه:-

الصوم يعتبر مشقة في حق الشيخ الكبير الهرم، وكذلك الإنسان الضعيف البنية بسبب مرض أصابه لا يُرجى زواله أو الذي أصيب بمرض مزمن لا يُرجى الشفاء منه فأمثال هؤلاء يجوز لهم الإفطار في شهر رمضان مقابل أن يطعموا عن كل يوم مسكيناً طعاماً يشبع الرجل السوي.

وكذلك الحامل والمرضعة إذا خافت كلٌ منهما على نفسها أو على ما في بطنها أو على وليدها، أجيز لها الإفطار وعند زوال العذر قضت كُلٌ منهما ما أفطرته من أيام وزاد بعض العلماء إن كانت موسرة تصدقت مع كُلِّ يوم تصومه بمد من قمح حتى يكون لها أكمل وأعظم أجراً.(١)

آداب الصيام:-

إن شهر رمضان مدرسة عملية وفرصةٌ عظيمة لأن يتربى فيها الصائم على مائدة القرآن الكريم ويعي حقيقة المنهج القرآني كرسالة إصلاح انساني منبثقة من العقيدة الإسلامية التي تبدأ في ضمير الفرد المسلم حتى تشمل المجتمع، ولكي تتم ا لفائدة المرجوة من الصيام ينبغي أن نعي آداب الصيام وهي كالآتي:

١- صيانة الجوارح:-

إن الصيام يصون الجوارح ويحفظها من الوقوع في الآثام، وتحدث الإمام الغزالي* في كتابه "الإحياء" عن صيام الصالحين(٢) نلخصه في الآتي:-

أ- غض البصر:-

يجب على المسلم أن يكف بصره عن كل ما يذم ويعاب فلا يُرسله الى زينة وعورات الآخرين قال تعالى "قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبيرٌ بما يصنعون، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهنّ ويحفظن فروجهنّ".(٣)

---

(١) انظر تفسير المنار، مجلد: ٢، ص: ١٥٧، وانظر في ظلال القرآن، مجلد: ١، ص: ١٦٨، وأيضاً فقه السنة، مجلد: ١، ص: (٣٧٣،٣٧٤) والفقه المبسط، ص: ٣٠٣

(٢) انظر إحياء علوم الدين ج:١، ص: (٢٣٤-٢٣٦) للغزالي ط (لا يوجد) مكتبة مصر.

(٣) سورة النور الآية: (٣٠، ٣١)

* الغزالي:- هو حجة الإسلام الإمام ابو حامد، محمد بن محمد بن أحمد الطوسي ا لغزالي ولد بقرية غزاله من قرى طوس بخراسان سنة ٤٥٠هـ، شيوخه: أحمد الطوسي واسماعيل بن مسعده، وإمام الحرمين الجويني، تلاميذه: القاضي ابو نصر أحمد، وأبو منصور ا لقاسم. أشهر مصنفاته: إحياء علوم الدين، والمنخول من تعليقات الاصول، والمستصفى في علم الأصول، ومنهاج العابدين وغيرها كثيرة. ت يوم الاثنين سنة ٥٠٥، انظر: طبقات الشافعية الكبرى ١٩١/٦ وشذرات الذهب ٤/(١٠-١٤) وفيات الأعيان مجلد: ٢، ص(٢٤٦-٢٤٧) والبداية والنهاية ١٧٣/١٢ والأعلام ٢٢/٧ والكامل في التاريخ ٤٩١/١٠

ب- حفظ اللسان:-

أن يحفـظ الصائم لسانه عن الغيبـة والنميمة والمراء ويكفـه عن الوقوع في أعراض النـاس، ويجعلـه رطباً بذكر الله وقـراءة القرآن والقول الطيـب بتقـديمه النصائح المفيده للناس وإرشادهم إلى عمل الخير وفعل الطاعات.

وأخبر صلى اللـه عليه وسلم أن قول الزور والعمل به يذهـب معنى الصيام والفائدة المرجوه منه، عن أبي هريرة – رضي الله عنه قال: قال رسول اللـه صلى الله عليه وسلم "مـن لم يدع قـول الزور والعمـل به فليس لله حاجة في أن يدع طعـامه وشـرابه".(١)

ج- حفظ السمع:-

يتحقق حفظ السمع عندما لا يسمح الصائم لنفسه أن يستمـع إلى حديث مكروه، أو أن يصغـي إليه، وأننا محاسبون على السمـع كما أننا نحاسـب على البصر قال تعالى "***ولا تقف ما ليس لك به علمٌ إنَّ السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً***".(٢)

د- كف بقية الجوارح:-

لكـي يكون الصيام مفيداً وتحقق الغاية المرجوة منه يجب على الصـائم أن يكف يده ورجله وفرجه عن الوقوع في الآثام، عن أبي هريرة أن النبي صلى اللـه عليه وسلم قال: "إذا أصبح أحُدكم يوماً صائماً، فلا يرفث ولا يجهل فإن إمروٌ شـاتمه أو قاتله، فليقل: إني صائمٌ إني صائم".(٣)

٢- الكرم والجود:-

شهر رمضان شهر البر والخير والإحسان والعفو، فيه نزل القـرآن الكريم فيجب على الصائم أن يحتفي بالقرآن في كل الأيام والشهور وخاصة في أيام رمضـان ولياليه بالقيام ومزاورة القرآن بقراءته بتدبر وإمعان.

---

(١) أخرجه البخـاري، مجلـد: ٤، ص (٩٩-١٠٠) وأيضـاً جامـع الأصول. ج:٦، ص: ٣٩٠ حديث رقـم: (٤٥٧٢) وسنن أبي داود، ج: ٢، ك: الصـوم، باب: ١٤ (الغيبـة للصـائم)، ص: ٣٠٧ حديث رقـم: (٢٣٦٢) ط: (لا يوجد) دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) سورة الإسراء الآية: ٣٦

(٣) أخرجه مسلم، ج: ٢، ك: الصيام، باب: ٢٩ (حفـظ اللسان للصائم)، ص: ٨٠٦ رقـم الحديث: ١٦٠ وأخرجه ابن مـاجه، ج: ١، ك الصيـام، باب: ٢١ (الغيبـة والـرفث للصـائم)، ص: ٥٣٩ حديث رقـم: ١٦٩١

روى البخاري* عن ابن- عباس رضي الله عنه - قال "كان رسول الله أجودَ الناس، وكان أجودُ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاهُ في كلِّ ليلةٍ من رمضان فيُدارسه القرآن، فلرسولُ الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة".(١)

٣- الإجتهاد في العبادة:-

أن يجتهد الصائم في عبادته لله في رمضان وخاصة في العشر الأواخر طلباً لليلةِ القدر فهي طيبةٌ مباركة خيرٌ من ألف شهر يسح فيها الخير سحاً على العباد وتُفتّح أبواب السماء ويستجاب الدعاء عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا دخل العشرُ الأواخر من رمضان أحيا الليل وأيقظ أهله وشدَّ المئزر".(٢)

٤- الدعاء عند الإفطار:

إن دعوة الصائم مستجابة بإذن الله فلنكثر من الدعاء والتضرع إلى الله عسى أن يكشف الضرّ ويستجيب الدعاء، لذلك أخبرنا سبحانه وتعالى بأنه يستجيب الدعاء، بين آيات الصيام فقال تعالى "*وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أُجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون*".(٣)

وجاء في الأثر، أن الله سبحانه يجيب دعوة الصائم ولو بعد حين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ثلاث لا تُردُّ دعوتُهمْ: الإمام العادلُ و،الصائم حين يفطر، ودعوةُ المظلوم يرفعُها فوق الغمام وتُفتّح لها أبواب

---

(١) اخرجه البخاري، فتح الباري، ج: ١، ك: بدء الوحي، باب: ٥، ص: ٣٠ حديث رقم ٦ وأيضاً اخرجه مسلم، ج: ٤، ك: الفضائل، باب: ١٢ (كان النبي أجود الناس) ص: ١٨٠٣ حديث رقم: ٥٠

(٢) أخرجه مسلم، ج:٢، ك: الإعتكاف، باب: ٣(الأجتهاد في العشر الأواخر) ص: ٨٣٢،حديث رقم: ٧ وكذلك أخرجه ابن ماجه، ج:١ ك: الصيام، باب: ٥٧ (فضل العشر الأواخر)، ص: ٥٦٢ رقم: ١٧٦٨

(٣) سورة البقرة الآية: ١٦٨

* البخاري:- اسمه محمد بن إسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة أبو عبدالله البخاري وهو حافظ علامة من شيوخه، مالك واحمد بن حنبل ومن تلاميذه مسلم والترمذي والنسائي، أشهر مصنفاته: "الجامع الصحيح" وهو أصح كتب الحديث ويعتبر أصح كتاب بعد كتاب الله وله "التاريخ" و "بر الوالدين" ولد في يوم الجمعة ١٣ شوال سنة ١٩٤هـ ببخارى و ت ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ عن عمر يناهز ٦٢ سنة. انظر تهذيب التهذيب ٩/(٤٧-٥٥) وطبقات المفسرين للداودي ٢/١٠٠-١٠٤ وتاريخ بغداد ٤/٢ وهداية العارفين ٢/١٦ صفة الصفوة ١٦٨/٤ رقم الترجمة: (٧١٢)

السماءِ ويقول الربُّ وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين".(١)

الحكم والفوائد من الصيام:-

فرض الله سبحانه صيام شهر رمضان على الأمة الإسلامية كما فرضه على الأمم السابقة لتكون هذه العبادة خالصة لله، فهو سبحانه يجزي بها الصائم في الدنيا والآخرة.

واستطاع العقل البشري أن يصل إلى بعض الفوائد والحكم التي تتعلق بهذه الفريضة وهي كالآتي:-

١- تقوية الروح:-

الإنسان مخلوق من قبضة الطين ومنها يتكون الجسم المادي، ومن النفحة الإلهية التي بها يفكر ويعقل ويتذوق وبها أكرم اللهُ الإنسان على سائر المخلوقات قال تعالى "*ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً*"(٢)

وينبغي على الإنسان أن يسير بخطى متوازنة في هذه الحياة فلا يهمل جسده على حساب الروح وكذلك العكس، فكما يعتني بالغذاء المادي للجسد يجب ان يهتم بالغذاء الروحي، والصيامُ عاملٌ هام في تقوية الروح لأن العلة الأساسية منه تدريب النفس على تقوى الله، قال تعالى "*لعلكم تتقون*"(٣)

وعجباً من هؤلاء الذين أهملوا أرواحهم واعتنوا بأجسامهم فجعلوها أكبر همهم ومبلغ علمهم ونسوا آخرتهم وعملوا لدنياهم، قال تعالى "*وقالوا ما هي إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يُهلكنا إلاّ الدهرُ وما لهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنون*".(٤)

أين هؤلاء من الذين صاموا فأخلصوا في عبادتهم، فسمت أرواحهم فكانوا من المتقين قال تعالى "*إنَّ المتقين في جناتٍ ونهرٍ في مقعد صدق عند مليكٍ مقتدر*".(٥)

٢- تقوية الإرادة:-

إن المسلم منوط به نشر الإسلام والدعوة إلى أخلاقه الفاضلة وإقامة العدل بين الناس والصدع بكلمة الحق في وجه الباطل، كما أن عليه واجب العمل لإقامة دولة الإسلام التي تحتكم إلى شريعة الله، فهذه الأهداف السامية العليا تتطلب إعداد الشباب

---

(١) أخرجه الترمذي، مجلد:٤، باب: ٢ (صفة الجنة)، ص: ٦٧٢، حديث رقم: ٢٥٢٦ وأيضاً ابن ماجه، مجلد: ١، ك: الصيام، باب: ٤٨ (الصائم لا ترد دعوته)، ص: ٥٥٧ حديث رقم: ١٧٥٢

(٢) سورة الإسراء الآية: ٧٠ (٣) سورة البقرة الآية: ١٨٣

(٤) سورة الجاثية الآية: ٢٤ (٥) سورة القمر الآية: (٥٤، ٥٥)

القوي المتين صاحب الإرادة حتى يستطيع أن يجابه ويقف في وجه الطاغوت دون خوف أو وجل.

لذلك كان فرض الصيام على الأمة الإسلامية ليتغلب ابناؤها على رغبات الجسد والأهواء وليستعصموا عن الدنايا والسيئات، فمن قَدِرَ على الصيام واستفاد من مدرسته فهو على الكفاح أقدر، ولن يثبت في ميادين الكفاح والجهاد إلّا الذين صبروا وصابروا ورابطوا وكانوا من المتقين.(١)

٣- صحة الجسم:-

إذا كان الصيام يقوى الروح والإرادة في الإنسان فهو صحةٌ للجسم وراحة للجهاز الهضمي الذي يعمل بلا انقطاع من لحظة أن أرضعته أمه أول مرة إلى أن يأتي أجله.

والصيام تطهير للإمعاء وبه ترتاح المعدة وتصلح، ويتخلص البدن من الرواسب والفضلات الضارة بالجسم، ويخفف ثقل البطن من الشحم، كما أنه علاجٌ لكثير من الأمراض الجلدية والرماتزمية وأمراض القلب وضغط الدم والبول السكري(٢) قال تعالى "*وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين*".(٣)

الفائدة الإجتماعية للصيام:

الصيام ينمي ملكة الضمير في الإنسان، فيجعل من الله رقيباً عليه في السراء والضراء وبالتالي يظهر الإخلاص والأمانة عند الصائم والعطف على المحتاجين والفقراء فيتأثر لحالهم ويشاركهم تخفيف آلامهم والعمل على مواساتهم.

ولم تكن هذه المشاركة الوجدانية والفعلية نتيجة لسماع خطبة بليغة وإنما نداءٌ من المعدة الخاوية من الطعام في نهار رمضان، بأنه يوجد في المجتمع أناس يذوقون ألم الجوع على مدار السنة.

وحينما يشعر الغني بجوع الجائع فيتراحم معه ويخفف عنه ما أصابه من المتاعب فيسد جوعته يكون المجتمع في قمة التعاون والترابط والتراحم(٤) عن أبن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء".(٥)

---

(١) انظر تفسير المنار: مجلد: ٢ ص: ١٤٨ وأيضاً أضواء على التربية الإسلامية، ص: ١٨٠

(٢) أنظر مناهج الشريعة الإسلامية، ص: ١٠٠، وأيضاً الإسلام، ص: ١٧٥ لسعيد حوى وأيضاً من كنوز الإسلام، ص: ١٥٢

(٣) سورة الأعراف الآية: ٣١

(٤) انظر تفسير المنار، مجلد: ٢، ص: ١٤٧، العبادة في الإسلام، ص: ٢٩٢ وأيضا روح الدين الإسلامي، ص: ٢٥٥، ومنهاج المسلم، ص: ٢٦١

(٥) اخرجه الترمذي في السنن مجلد:٤، ك:البر والصلة، باب:١٦ (رحمة المسلمين)،ص:(٣٢٣،٣٢٤) رقم:١٩٢٤

المبحث الخامس

الحج

الحج في اللغة:

الحجُ: أصله الفعل الثلاثي حجَّ ومضارعه يحج، وحجّاً المصدر منه، وهو يعني القصد مطلقاً، فحينما تقول: حَجَّ إلينا فلانٌ أي بمعنى قَدُمَ وحججتُ فلاناً أي قصدته، ورجلٌ محجوج أي مقصود.

وأصبح هذا اللفظ مستعملاً في القصد إلى مكة من أجل تأدية مناسك فريضة الحج.

في الشرع:- هو القصد إلى البيت الحرام بمكة المكرمة لأداء الأعمال المشروعة فرضاً وسنة من الطواف او السعي والوقوف بعرفه وسائر المناسك المرتبطة بفريضة الحج استجابة لأمر الله تبارك وتعالى.(١)

وكان العرب قديماً يؤدون هذه الفريضة وحينما جاء الإسلامُ أقر الحجَّ ولكن ليس بالصورة التي كانت تزاولها الجاهلية في القديم، فقد كانوا يطوفون بالبيت عراة الأجسام يصفرون ويصفقون بأيديهم.(٢)

حُكمُ الحجّ:-

إن فريضة الحج واجبة على كل مسلم ومسلمة إذا استطاعا إليه سبيلا. وقد أمرنا سبحانه وتعالى باتمام الحج والعمرة بشروطهما والمحافظة على آدابهما بقصد رضى الله ورسوله بعيداً عن الرياء، وأصلُ الوجوب لهذه الفريضة قوله تعالى "**ولله على الناس حجُّ البيت من استطاع إليه سبيلاً**".(٣)

وهذا الوجوب مشروط بالاستطاعة، فإن كان فقيراً لا يملك الزاد والراحلة أو المال الذي ينفقه لتأدية فريضة الحج ففي هذه الحالة تسقط عنه فريضة الحج.(٤)

وقال المفسرون بأنه مرة واحدة في العمر على المكلف فمن زاد على ذلك فهو تطوع واستدلوا بما جاء في الحديث الشريف عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كتب عليكم الحج فقيل يا رسول الله في كل عام؟ قال:

---

(١) انظر لسان العرب، مجلد: ٢، ص: ٢٢٦، وكتاب التعريفات، ص: ١١١ وروح الدين الإسلامي، ص: ٢٥٨، فقه السنة، مجلد: ١، ص: ٥٢٧ الفقه المبسط، ص: ٣٢٣

(٢) انظر تفسير البيضاوي: ص: ٢٣٩

(٣) سورة آل عمران الآية: ٩٧

(٤) انظر التفسير الواضح، مجلد ١، ص: ١١٣، وفقه السنة، مجلد: ١، ص:٥٣٠ ومنهاج المسلم، ص: ٢٧٤

لا ولو قلتها لوجبت الحج مرةً فمن زاد فهو تطوع".(١)

الحكمة من مشروعية الحج:-

الحكمة الجليلة من مشروعية الحج، هي التذكير بيوم الحشر الأكبر عندما يقف الحجيج بملابس الإحرام البيضاء بين يدي الله بخشوع وتذلل تاركين المال والأهل والوطن هاتفين لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك، في حشد رهيب فيه الفقير والغني والضعيف والقوي والرئيس والمرؤوس، الكل يطلب الرحمة والعفو وغفران الذنوب والتوبة من كل ذنب.

وإذا رجع الحاج بعد تأدية هذه الفريضة إلى أهله ووطنه يشعر بمعنى الحدب والرحمة على ابن السبيل الذي يترك وطنه في سبيل الله أو طلباً للعلم.(٢)

الترغيب في الحج:-

لقد حثَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على تأدية هذه العبادة ورغب المسلمين في الإمتثال إليها بأساليب عديدة ومتنوعة حيث جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من حجَّ البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه"(٣)

واعتبره صلى الله عليه وسلم في الأفضلية يأتي بعد فريضة الجهاد في سبيل الله عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل؟ قال "إيمانٌ بالله ورسوله، قال قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل ثم ماذا؟ قال: ثم حج مبرور".(٤)

---

(١) سنن الدارمي ج:١، ك: مناسك الحج، باب: ١٤ (كيف وجوب الحج)، ص: ٣٦١ رقم: ١٧٩٥ وسنن الترمذي، مجلد: ٣، باب: ٥ (كم فرض الحج) ص: ١٧٨، رقم ٨١٤ وأخرجه ابن ماجه في، ك: المناسك، باب: ٨٤ (حجة رسول الله) حديث رقم: ٣٠٧٦ ورواه احمد والنسائي وأبو داود والبيهقي والدارقطني وهو صحيح الإسناد وأقرّه الذهبي فالحديث مروى من طرق عديدة بألفاظ متقاربة.

(٢) انظر أدب الدنيا والدين، ص: ٩٨ لأبي الحسن الماوردي، ط: ٤ (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م) دار الكتب العلمية بيروت.

(٣) أخرجه البخاري، ك: الحج، باب ٤ (فضل الحج المبرور) حديث رقم ٨١٠ وأخرجه مسلم ج:٢، ك: الحج، باب: ٧٩ (فضل الحج والعمرة) ص: ٩٨٣ رقم ٤٣٨ والدارمي، ج: ١، ك: المناسك، باب: ٧ (فضل الحج والعمره) ص: ٣٦٢ رقم ١٨٠٣ وأخرجه الترمذي، ج: ٣، ك: الحج، باب: ٢ (ثواب الحج والعمرة) ص: ١٧٦ وأخرجه ابن ماجه ج: ٢، ك: المناسك، باب: ٣ (فضل الحج والعمرة) ص: ٩٦٤، رقم: ٢٨٨٩

(٤) اخرجه مسلم، ج١، ك الإيمان باب: ٣٦ (أفضل العمل) ص: ٨٨، رقم: ١٣٥ الترمذي، مجلد: ٤، ك فضل الجهاد، باب: ٢٢ (أي العمل أفضل) ص:١٨٥ رقم ١٦٥٨ الدارمي،ج:٢،ك:الجهاد، باب:٤(أي الأعمال أفضل) ص ١٢١ رقم ٢٣٩٨ .

إن للحج اهمية كبرى في الدنيا والآخرة لذلك أجاز صلى الله عليه وسلم للولد أن يحُجَّ عن والديه، عن ابن عباس، أن امرأةً من خثعم جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله: إنَّ أبي شيخٌ كبيرٌ قد أفند وأدركتهُ فريضةُ الله على عباده في الحج، ولا يستطيع آداءَها فهل يُجزىءُ عنه أن أؤدّيها عنه؟ قال: نعم".(١)

وحذّر الشارع الحكيم من عدم تأدية هذه الفريضة وخاصة الذي يتخاذل في تأديتها وهو قادرٌ وليس لديه أي عذر شرعي فقد روى علي – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "من ملك زاداً أو راحلةً تُبلّغُهُ إلى بيت الله ولم يَحُجّ، فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً وذلك أنّ الله يقول في كتابه: ولله على الناس حجُّ البيت من استطاع إليه سبيلاً"(٢)

الأداب الإجتماعية للحج:-

إن للحج أداباً إجتماعية جليلة ينبغي على الحاج أن يراعيها أثناء تأديته لهذه الفريضة حتى يكون حجه مبروراً وسعيه مشكوراً وذنبه مغفوراً، نوضحها في الآتي:-

١- التوبة ورد المظالم إلى اهلها:

يجب على من نوى فريضة الحج أن يتوب إلى الله من كلّ ذنب ويهجر المعاصي قال تعالى "***وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون***"(٣) وأن يرد المظالم إلى أهلها إذا أخذها بغير حق كما أن المسلم مأمور بأن يرجع الأمانات إلى أصحابها.

قال تعالى "***إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل***".(٤)

٢- الحج من المال الطيب:-

ينبغي على الحاج ان ينفق على تسيير عملية الحج من ماله الحلال الطيب لأن الله سبحانه طيب ولا يقبل إلّا طيّباً.

---

(١) أخرجه أبو داود، ج:١، ك: مناسك الحج، باب: ٢٥ (الرجل يحج عن غيره) ص: ٤٢٠ وأيضاً ابن ماجه، ج:٢، ك: المناسك، باب: ١٠ (الحج عن الحي إذا لم يستطع) ص: ٩٧٠، رقم: ٢٩٠٧، مسند الإمام أحمد مجلد: ٤ ص: (١٠، ١١، ١٢)

(٢) أخرجه البخاري: ك الحج باب: ٤ (فضل الحج المبرور) رقم ٨١٠ وأخرجه الترمذي مجلد: ٣، ك: الحج، باب: ٣ (التغليظ من ترك الحج)، ص: ١٧٦، رقم: ٨١٢

(٣) سورة النور الآية: ٣١

(٤) سورة النساء الآية: ٥٨

فقد جاء في الحديث الشريف:

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيها الناس إن اللهَ طيب لا يقبل إلاّ طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمرَ به المرسلين فقال: يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم" وقال "يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم" ثم ذكر الرجل يطيل السفرَ أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك".(١)

٣- عدم الرفث والفسوق والجدال:-

ينبغي على الحاج أن يبتعد كلياً عن الرفث والفسوق والجدال أثناء الحج، وأن يتجرد لله تجرداً كاملاً، ليستفيد من هذه الرحلة الروحية، فيتعلق قلبه بالله ويبتعد عما سواه قال تعالى ***"الحج أشهرٌ معلوماتٌ فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج، وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإنّ خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب".*** (٢)

قال بعض المفسرين، أن الرفث في الآية يعني ذكر الجماع ودواعيه، أما الجدال فيقصد به المناقشة الحادة والمشادة الكلامية التي فيها يُغضب الرجل صاحبه، وعدم الفسوق، فهو عدم إتيان المعاصي كبرت أم صغرت.(٣)

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن من تأدب بهذا الأدب الرفيع في تعامله مع الناس أثناء الحج، رجع كيوم أن ولدته أمه معافى من السيئات والذنوب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه".(٤)

٤- الرفيق الصالح:-

من أداب الحج أن يبحث الحاج عن أخ صالح يحب الخير للناس ويفعل المعروف وينهى عن المنكر وملتزم بتعاليم الإسلام لكي يكون رفيقاً له في سفره فيساعده ويعينه في هذه الرحلة المباركة ويتعلم منه مكارم الأخلاق.

٥- المساواة بين الناس:-

الحج يُعلّم المسلمين حقيقة المساواة والوحدة والتآلف، لأنهم يجتمعون من مشارق

---

(١) أخرجه مسلم، ج: ٢، ك: الزكاة، باب: ١٩ (قبول الصدقة من الكسب الطيب)، ص: ٧٠٣، حديث رقم: ٦٥

(٢) سورة البقرة الآية: ١٩٧

(٣) انظر تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: ٢، ص: (٢٦٣-٢٧١) ط (١٤٠٥هـ-١٩٨٤م) بيروت وانظر أيضاً في ظلال القرآن، مجلد: ١، ص: ١٩٦

(٤) سبق تخريجه في ص:٦٥

الأرض ومغاربها، من كل فجٍّ عميق في كل عام تتوافد وفود عبادُ الرحمن فيجتمعون على اختلاف لغاتهم ومشاربهم وتباعد بلدانهم وتمايز ألوانهم، يتجردون من ثيابهم ويلبسون ملابس الإحرام البيضاء التي أشبه ما تكون بأكفان الموتى فيتذكرون أنه لا محالة سيرحلون عن هذه الحياة وسيبعثون ليوم الحشر.

ويشعرون بعدم التمييز بين إنسان وآخر في المراتب أو الدرجات الكل سواسية لا فرق بين ضعيف وقوي وأسمر وأبيض وفقير وغني، الكلُّ يرفعون أكفهم إلى السماء بقلوب مفعمة بالإيمان يطلبون رضى الواحد الديان ويرجون رحمته ومغفرته ورضوانه وبذلك تسقط جميع الفوارق الإجتماعية وغيرها.

ويتذكر الناسُ في الحج حقيقة واحدة تربطهم في الله وهي أخوتهم في الله قال تعالى "**إنما المؤمنون اخوة**"(١) وقوله تعالى "**والمؤمنون والمؤمناتُ بعضُهم أُولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أُولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم**".(٢)

وحينما يهتف المسلمون في الحج بدعاء واحد "لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة والشكر لك" إنه لدليل على رابطة العقيدة والإيمان الرابطة التي يتجمع حولها المؤمنون في كل مكان وزمان.(٣)

---

(١) سورة الحجرات الآية: ١٠

(٢) سورة التوبة الآية: ٧١

(٣) انظر أضواء على التربية في الإسلام، ص (١٩٤، ١٩٥) وأيضا معالم في التربية، ص: ١٩٦ وأيضاً مناهج الشريعة الإسلامية، ص: ١٠٤

المبحث السادس

آثار العبادة على الفرد والمجتمع

يتكون من مطلبين أساسيين وهما كالآتي:

المطلب الأول: آثار العبادة على الفرد

المطلب الثاني: آثار العبادة على المجتمع

المطلب الأول: آثار العبادة على الفرد:

إن للعبادة في الإسلام آثاراً حميدة وطيبة على المسلم في حياته اليومية يدركها ويلمسها في ذاته ويراها في غيره من أبناء المجتمع، قال تعالى "محمدٌ رسولُ الله والذين مَعَهُ أشدّاءُ على الكفار رُحماءُ بينهم تراهم رُكّعاً سُجّداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود".(١)

وأبرز هذه الآثار على الفرد وأهمها ما يلي:-

١- العبادة في الإسلام تجعل المسلم على اتصال دائم مع خالقه وبالتالي يصبح مخلصاً لله سبحانه في النية والطاعة قال تعالى "قل إني أُمرت أن أعبُدَ الله مُخلصاً له الدين، وأُمرتُ لأن أكون أولَ المسلمين"(٢) وإذا تمكن الإخلاص من القلب اصبح الإنسان يبتغي مرضات الله ورضوانه في كل عمل يقوم به، ويجعل الله رقيباً عليه في حركاته وسكناته قال تعالى "ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد".(٣)

والتزام المسلم بالعبادة والمحافظة على آدائها في مواقيتها يجعل المسلم منطقياً في جميع أمور حياته، إنساناً منهجياً لا يقوم بعمل إلاّ ضمن خطة ووعي، لأنه يعبد الله سبحانه ضمن خطة ثابتة نابعة من الشريعة الإسلامية.(٤)

٢- إذا قام الإنسان بالعبادة بنية الخاشع العابد فإنها تدفعه إلى القيام بكل عمل مفيد ونافع للمجتمع، لأنه يعتقد أن أعمال الخير ستسجل في رصيد حسناته وتقربه إلى الله زلفى لذلك فهو يقوم بالعمل الصالح على أكمل وجه دون نقص وبإتقان كامل.

وكان صلى الله عليه وسلم يوصي أصحابه بأن يأخذوا من الأعمال ما يطيقونها وفي حدود قدرتهم وطاقتهم مع المداومة على العمل الصالح وإن كان قليلاً.

---

(١) سورة الفتح الآية: ٢٩ (٢) سورة الزمر الآية: (١١، ١٢)

(٣) سورة ق الآية: ١٦

(٤) انظر أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص: ٥١، ط: ١(١٣٣٩هـ-١٩٧١م) دار الفكر

عـن عائشة - رضي الله عنها - قالت كان رسول الله صلى اللـه عليه وسلم يقول: "خذوا من الأعمال ما تطيقون فإنَّ الله لن يملَّ حتى تملوا وكان يقول "أحبُ العمل إلى الله ما داوم عليه صاحِبُهُ وإن قلَّ"(١)

٣- تُربي العبـادةُ في المسلم حُبَّ الإرتباط بجماعة المسلمين أينما كانوا ارتباطاً وثيقاً مبنياً على الثقة بالنفس بينه وبين الآخرين في المجتمع، لأن بعض العبادات في الإسلام قائمة على التجمع مثـل صلاة الجماعـة في المسجد وكالحج إلى بيـت اللـه الحرام وكالزكاة فهـذه العبادات توحّد القلوب والنفـوس المؤمنة فتصبح كـالجسد الـواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

وتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ترابط المسلمين فقال "إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً وشبك بين اصابعه".(٢)

٤- العبادة في الإسلام تُربي الشخصية المسلمة القوية الشكيمة ذات الإرادة الفولاذية لأنها تنشىء في المسلم العزة والكرامة ورفض الظلم فلا تلين له قنـاة أمام الطغاة لأنه يعتز بالله الواحد القهار.

إن المسلم يشعـر بهـذه المعاني السـامية في عبـادته اليوميـة أو الأسبـوعية أو السنـوية فحينمـا يستمع إلى خطبة الجمعة التي تعالج أحداث الساعة في المجتمـع فتستقيم نفسه إلى منهـج اللــه فلا يكـون مجـالاً للظلم أو الإستغلال في المجتمـع الإسلامـي.

٥- تُربي العبادة المسلم على الفضائل النبيلة فيصبح صاحب نظـرة إنسانية إلى جميع قضايا بني الإنسان، فيتخطى حدود الأرض أو المصلحة أو الحزب فهـي نظرات ضيقة في نظر المسلم قـال تعـالى "إِنَّ هذه أُمتكم أُمَّةً واحدةً وأنا ربكم فاعبدون"(٣)

وينظـر صاحب العقيدة الإسلاميـة بدون تمييز بين الناس ولا فـرق بينهـم إلا بالتقوى لأن الرب واحد وحينما أنزل هذه الشريعة أنزلها لتكون للعـالمين بشيراً ونذيراً، قال تعالى "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير".(٤)

---

(١) اخرجه مسلم، مجلد ٢، ك: الصيام، ص: ٨١١، رقم: ١٧٧ وأيضاً أخرجه في مجلد: ١، ك: صلاة المسافرين باب: ٣ (فضيلة العمل الدائم)، ص:(٥٤٠، ٥٤١)

(٢) صحيح البخاري ج:١، ك: الصلاة، باب: ٨٨ (تشبيك الأصابع) ص: ١٢٢

(٣) سورة الأنبياء الآية: ٩٢

(٤) سورة الحجرات الآية: ١٣

٦- العبادة التي يقوم بها الناس في المجتمع المسلم عبارة من محطات يستريح بها المسلم ليتزود بخير زاد هو تقوى الله عز وجل المستمد من معرفة الله، ومن عرف الله تعززت عنده الثقة بالنفس والأمل بالمستقبل المستمد من نصر الله وثوابه للمؤمنين، فينطلق المسلم بشحنات ايمانية مستمدة من عبادته لخالقه وتدفعه إلى فعل الخير والبر والإحسان ومحاربة الفساد والمنكر وكل ضارٍ في المجتمع.(١)

يتضح أن مزاولة العبادة على وجهها المشروع أنها تربي المسلم على الفضائل الخلقية وتجعل منه عنصراً ايجابياً مع نفسه وأسرته ومجتمعه والناس جميعاً، فيصبح عنصر خير وصلاح للأمة بأسرها قال تعالى **"ولتكن منكم أمةٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"(٢)**

---

(١) انظر أصول التربية الإسلامية، ص: ٥١، ٥٣ وأيضاً فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، ص: ٢٢٠، ط: ١ (١٩٨٠م) طبعة دار الفكر العربي، وأيضاً العبادة في الإسلام، ص: ٦٦

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٠٤

المطلب الثاني: آثار العبادة على المجتمع

إن المجتمع الذي يقوم افراده بعبادة الله كما شرع لهم في كتابه الكريم أو جاء على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يشهد آثاراً عظيمة في جميع مجالات الحياة.

هذه الأثار يستطيع إدراكها من يعيش ويتعامل مع ابناء المجتمع، لكننا لا نستطيع الجزم بأنها الغرض النهائي المقصود من التشريع وإنما هي آثار تنجم عن العبادات ويعلم الله سبحانه أنها ستكون، وسينتفع من خلال تأديتها بهذه الصوره الناس في حياتهم، وهناك بعض الآثار التي لم يتوصل لمعرفتها الإنسان تبقى في علم الله الواسع، وقد أحاط الله بكل شيء علماً.(١)

وتوصل بعض العلماء إلى جزءٍ من هذه الآثار نوجزها في الآتي:-

١- تنقل العبادة الناس كل الناس في المجتمع إلى المستوى الرفيع وتخطو بهم إلى عالم القيم العليا والأخلاق الفاضلة، هذه النقلة الواسعة تفوق ما تصوره الفلاسفة وأصحاب المدن الفاضلة، والمذاهب الأخلاقية لأن الذي وضع هذا المنهج الرباني هو الله سبحانه العليم الخبير بالنفس الإنسانية وشعابها المتعددة فوضع منهجه الرباني متناسقاً مع فطرة الإنسان لكي يتحرر من الماديات ويسمو في عالم الروح.(٢)

إن السمو الروحي والأخلاقي الذي دعا إليه المنهج القرآني مصحوبٌ بالمحافظة على ضرورات الجسد المادية وما يحتاج إليه الإنسان في الحياة قال تعالى "*يا بني آدم خذوا زينتكم عند كلِّ مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين، قل من حرم زينة الله التي أُخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون*".(٣)

٢- العبادة وسيلة تربوية لبناء المجتمع الفاضل:-

فالصلاة تعمل على تربية الناس خلقياً وروحياً وتربطهم بالله مباشرة في اليوم خمس مرات، كما أنها تُقوي المجتمع من الناحية الإرادية لأن الجميع تربى على الصبر والمصابرة فحارب الفحشاء والمنكرات قال تعالى "*إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون*.(٤)

---

(١) انظر من توجيهات الإسلام، ص: ٣٧٤

(٢) انظر منهج القرآن في تربية المجتمع، ص: ٢٢٩

(٣) سورة الأعراف الآية: ٣٢

(٤) سورة العنكبوت الآية: ٤٥

والصلاة تربي أيضاً الشعور بالمساواة بين الناس عندما يؤدون حركات واحدة في أوقات واحدة، فيصطفون صفوفاً واحدة المنكب بالمنكب والقدم بالقدم فلا ترى منهم عوجاً، إذا كبّر الإمام يكبرون وإذا ركع يركعون وإذا سجد يسجدون وإذا دعا أمّنوا لدعائه.

والصيام له نفس الأثر التربوي فيعوّد الإنسان على ضبط النفس ويقويها في محاربة الفساد والشهوات وفيه لون من ألوان تحقيق المساواة مع الفقراء والمحتاجين.(١)

كما أن الزكاة تربي المجتمع المسلم على إنكار الذات ومكافحة الشح والبخل، فهي تطهر المزكي حينما يخرجها طواعية وامتثالاً لأمر الله وفي نفس الوقت تُطهر المستحق لها فلا يحمل العداء والحقد على من بيده المال، وبذلك يعود فضل الزكاة على المجتمع برفع الشقاء والتعاسة والضغائن من نفوس الناس فيصبح المجتمع متكاملاً يسوده الطهارة وكل عوامل الاستقرار، قال تعالى "**إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير**.(٢)

وبذلك فإن العبادات المستمرة التي تؤدى في جماعة واحدة تحت لواء العقيدة تهدف إلى غايات نبيلة وهي أن يناجي الجميع ربّاً واحدا، ثم إذا فرغوا من عبادتهم تعارفوا وتناصحوا وتشاوروا فيما يخص الصالح العام، وهذه قمة التعاون والمساواة.

٣- العبادات المستمرة على مدار اليوم والاسبوع والشهر والسنة تكوّن الشخصية الواحدة المستقيمة عند أبناء المجتمع، هذه الشخصية لا تعرف الإزدواجية ولا الإنقسام لأنهم يعبدون الله في الليل والنهار، ولأنهم ليسوا ممن يعبدون الله في المسجد ويعبدون الدنيا أو المال في ساحة الحياة وليسوا ممن يعبدون الله في يوم من أيام الأسبوع ثم يعبدون الجاه والسلطان، بل أنهم يتوجهون إلى الله وحده دون شريك له في الحكم والسلطان.

قال تعالى "**ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا وجوهكم فثم وجه الله إن الله واسع عليم**".(٣)

خلاصة القول: أن العبادة تعمل على تهذيب الفرد وإصلاحه كما أنها تجعل من المجتمع وحدة مترابطة عقائدياً وشعورياً واجتماعياً فالكل يشعر بمشاعر الآخرين يفرح لأفراحهم ويحزن إذا أصابهم المكروه قال تعالى "**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون**".(٤)

---

(١) انظر معالم في التربية ص: ٩٠ ط:١ (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م) مكتبة المنار الإسلامية الكويت وأيضا الدين والدولة من توجيه القرآن، ص: ٢٥٩ط:٢ (١٤٠٠هـ -١٩٨٠ـ) مكتبة وهبه القاهرة.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٧١ (٣) سورة البقرة الآية: ١١٥ (٤) سورة الحجرات الآية: ١٠

والعبادة تُعمق مفهوم الأخوة بين المؤمنين وتجعل منهم أمة متضامنة متكافلة ذات قوة وتأثير وفاعلية إلى الأفضل في هذه الحياة.

والعبادة رمزٌ لوحدة الأمة وتماسكها بحيث تقف أمام الصعاب كالجبال الرواس وتتحدى الأهوال الجسام التي قد تواجهها، وهي مطمئنة لوعد الله لها بالنصر والتمكين والاستخلاف قال تعالى "وعد اللهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلكم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني ولا يشركون بي شيئاً".(١)

---

(١) سورة النور الآية: ٥٥

الفصل الثاني

الفصل الثاني
الإصلاح الإجتماعي في الزواج

يتكون من مقدمة وأربعة مباحث:-

مقدمة الفصل:

المبحث الأول: "أهمية الزواج"

المبحث الثاني: "الأسرة في الإسلام"

المبحث الثالث: "الطلاق"

المبحث الرابع: "أحكام تتعلق بالنساء"

الفصل الثاني
الإصلاح الإجتماعي في الزواج

مقدمة الفصل:

لقد أوضحت سورة البقرة ملامح النظام الإجتماعي في الزواج عندما تحدثت عن الأحكام الشرعية التي تنظم العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة، وما ينشأ عن هذه العلاقة من حقوق وواجبات تهدف لإصلاح الجانب الإجتماعي داخل الأسرة بتنظيم العلاقات الأسرية وضبطها على أكمل وجه والعمل على استمرار بقائها، لكي يحفظ المجتمع وحدته وتماسكه من خلال بناء الأسرة التي هي حجر الأساس لبناء المجتمع.

وحث صلى الله عليه وسلم على الزواج ورغب فيه في العديد من الأحاديث الشريفة ليكثر النسل الصالح وتتماسك الأسر وتتقارب عن طريق الأنساب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "انكحوا فإني مكاثر بكم".(١)

وأباح الاسلام للمسلم أن يتزوج أكثر من واحدة، مثنى وثلاث ورباع، بشرط أن يعدل بينهن قال تعالى "*فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألاّ تعولوا*".(٢)

وكما أن الإسلام شجّع على الزواج ورغب فيه نهى أيضا عن العزوبة وحذّر من الرهبنة في المجتمع وهي الإنقطاع عن الزواج والتفرغ فقط للعبادة كما يفعل النصارى في أديرتهم قال تعالى "*قل يأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل*".(٣)

ولتوضيح ما بيّنته سورة البقرة من ملامح للنظام الاجتماعي في الزواج تحدثنا في هذا الفصل عن أربعة مباحث هامة وهي كالآتي:

المبحث الأول يتحدث عن أهمية الزواج وأجملناه في عدة نقاط هامة.

أما المبحث الثاني وعنوانه الأسرة في الإسلام، يتكون من خمسة مطالب أساسية.

والمبحث الثالث يتحدث عن الطلاق بإعتباره العلاج الأخير لحل المشاكل المستعصية بعد استخدام جميع طرق الإصلاح التي أرشد اليها المنهج القرآني بين الزوجين.

والمبحث الأخير فقد تمّ الحديث فيه عن الأحكام المتعلقة بالنساء كما أوضحتها سورة البقرة.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتابه السنن، مجلد:١ ، ك النكاح، باب: ٨ ، ص٥٩٩ ، حديث رقم: ١٨٦٣ وأخرجه النسائي، مجلد: ٦ ، ك: النكاح، باب "كراهية تزويج العقيم، ص: ٦٥ ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده مجلد: ٣ ص:١٥٨،٢٤٥،٣٥٤ ومجلد:٤ ، ص: ٣٤٩،٣٥١ .

(٢) سورة النساء الآية: ٣

(٣) سورة المائدة الآية: ٧٧

المبحث الأول
أهمية الزواج

يتحدث هذا المبحث عن أهمية الزواج في الإسلام من خلال طرحه لنقاط متعددة وهي كالآتي:

١- النكاح في اللغة والشرع.
٢- ورود النكاح في القرآن الكريم
٣- الإسلام يحث على الزواج.
٤- الزواج رحمة وسكن ومودة.
٥- الزواج ميثاق غليظ.
٦- النهي عن العزوبة والتحذير من الرهبانية.
٧- الزواج مصلحة إجتماعية.
٨- الخلاصة.

أولا: أ:- النكاح في اللغة:-

كلمة النكاح أصلها من الفعل الثلاثي نَكَح ومضارعه ينكح والمصدر منه نكاحاً، وهي تعني الضم والجمع والتداخل والتلاصق أو التلازم والتزاوج بين شيئين.

ويؤيد هذا المعنى اللغوي قول العرب، نكح المطر الأرض إذا تداخل فيها، ونكح النعاس عين الصبي إذا أصابها بفتورالنوم، ونكح الرجل من عائلة فلان إذا تزوج ابنتهم.

وقولهم، نكحت الحصاة أخفاف الإبل إذا لصقت بها وتداخلت فيها، وقولهم نكحت القمح في الأرض إذا بذرته فيها، وتناكحت الأشجار إذا تمايلت وتداخل بعضها ببعض ونكح الرجل زوجته إذا غشيها ووطئها.(١)

النكاح في الشرع:

عرّفه بعض العلماء بعدة تعريفات أفضلها وأشملها بأنه عقد يراد به تمليك منفعة البضع قصداً وبه يحل لكل من الزوجين الإستمتاع بصاحبه.(٢)

ب: كلمة النكاح في القرآن:

لقد جاء القرآن الكريم بكلمة "النكاح" وأراد بها عدة معاني مستعملاً مع كل معنى

---

(١) انظر لسان العرب، مجلد:٢ ، ص: (٦٢٥،٦٢٦) وأيضا محيط المحيط، مجلد:٢ ، ص:٢١٢٦ ، وأيضا القاموس المحيط للفيروزآبادي ص:٣١٤وأيضا الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مجلد:١، ص:٤١٣ .

(٢) انظر التعريفات للجرجاني، ص:٣١٥ وأيضا العلم والعلماء ص:٥٤ ومحيط المحيط مجلد:٢ ؛ ص٢١٢٦ ومنهاج المسلم، ص:٣٧٢ .

من هذه المعاني قرينة حالية أو مقالية تبرهن على المعنى المراد وترشد إليه، ومن هذه المعاني الآتي:

١- **النكاح بمعنى العقد:-**

ذكر القرآن الكريم النكاح بمعنى كتابة العقد في آيات كثيرة من آيات متعددة منها قوله تعالى "**ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك**".(١)

وقوله تعالى "**فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة**"(٢). وقوله تعالى "**ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف**".(٣) وقوله تعالى "**ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم**".(٤)

وقوله تعالى في سورة النور "**وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم**".(٥)

وقوله تعالى في سورة الأحزاب "**يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهنّ من عدّة تعتدونها**".(٦)

وتعني كلمة النكاح كتابة العقد فاذا كتبتم العقد ولم تتم الخلوة الحقيقية فليس لكم عليهن من عدة لأنه لم يتم الدخول الحقيقي .

٢- **النكاح بمعنى الوطء:**

لقد ذكرت سورة البقرة كلمة النكاح بمعنى الوطء الحقيقي فقال تعالى "**فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره**".(٧)

٣- **النكاح بمعنى الحُلم:-**

جاءت كلمة النكاح في سورة النساء بمعنى الحلم أي بلوغ سن الرشد قال تعالى "**وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رُشدا فادفعوا إليهم أموالهم**".(٨)

وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النكاح في العديد من الأحاديث الشريفة وأراد به العقد نذكر منها الآتي:

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٢١ . (٢) سورة النساء الآية: ٣ .
(٣) سورة النساء الآية: ٢٢ . (٤) سورة النساء الآية: ٢٥ .
(٥) سورة النور الآية: ٣٢ .(٦) سورة الأحزاب الآية: ٤٩
(٧) سورة البقرة الآية: ٢٣٠ (٨) سورة النساء الآية: ٦

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "تُنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك".(١)

وجاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "النكاح من سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني وتزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم ومن كان ذا طول فلينكح ومن لم يجد فعليه بالصيام فإنّ الصوم له وجاء".(٢)

ثانيا: الإسلام يحث على الزواج:

إن القرآن الكريم إهتم إهتماما عظيما في الزواج من خلال الحث عليه في كثير من الآيات القرآنية ورغب فيه لأنه الطريق السليم لحفظ الأنساب والمجتمع بأسره من التسيب والإنحلال.

قال تعالى "*هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها*".(٣)

وقال تعالى "*يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا*".(٤)

خلق الله سبحانه وتعالى الذكر والأنثى وجعل بينهم مودة وحبا بحيث يميل كل منهما إلى صاحبه، وأحاط هذا الميل بتشريع دقيق لكي تصان فيه الأنساب عن الإختلاط وتحفظ فيه الأعراض عن الإنتهاك ويُصبح الإنسان خليفة لله في هذه الأرض قال تعالى "*وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة*".(٥)

لذلك شرع الله الزواج لأنه الطريق السليم لتلبية مطالب النفس والجسد فأمر المسلمين بأن يهتموا بتزويج من كان في مجتمعهم بدون زواج، من الرجال والنساء سواء كانوا أحرارا أو من الإماء وينبغي على القائمين بالأمر في المجتمع أن يعملوا على تذليل الصعاب والعقبات التي تقف في طريق الزواج المشروع وتحول دون انعقاده حتى لا تدفع بهم الغرائز إلى طريق الفاحشة الممقوتة شرعا وعقلا.(٦)

---

(١) الترمذي، مجلد:٣ ، ك: النكاح، باب: ٤ (المرأة تنكح لثلاث) ص: ٣٩٦ رقم: ١٠٨٦ وأيضا صحيح مسلم مجلد:٢ باب: ١٥ ، ك: الرضاع، ص: ١٠٨٦ رقم ٥٣ وأيضا النسائي مجلد ٦، ك:النكاح ، باب (على ما تنكح المرأة) ص: ٦٥ ، المسند مجلد: ٣ ، ص: ٣٠٢ .

(٢) سنن إبن ماجه ج: ١ ، ك: النكاح، باب: ١ (ما جاء في فضل النكاح)، ص:٥٩٢، حديث رقم: ١٨٤٦ .

(٣) سورة الأعراف الآية: ١٨٩ .

(٤) سورة النساء الآية: ١ .

(٥) سورة البقرة الآية: ٣٠ .

(٦) انظر تفسير سورة النور، ص: ٧٩ ليوسف العالم رحمه الله ط: ٢ (١٩٧٨م) دار الكتب السودانية.

قال تعالى "وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله".(١)

واعتبر الإسلام أن من تزوّج فقد ملك نصف دينه فليتق الله في النصف الآخر عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الباقي".(٢)

وشجّع رسول الله صلى الله عليه وسلم الشباب على الزواج لأنه يغض البصر ويحفظ الفرج ويصون العرض فقال صلى الله عليه وسلم "يا معشر الشباب: من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع، فعليه بالصوم فإنه له وجاء".(٣)

وحينما يتبصر الإنسان في حقيقة الزواج يدرك حقيقة أنه من أعظم النعم التي امتن الله بها على الإنسان من لدن آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وتتضح أهمية هذه النعمة من خلال الآتي:

١- الزواج سبيل لإحصان النفس من الوقوع في الفواحش والمنكرات، وكلّ ما يغضب الله كما أنه يوفر للنفس الراحة والسكن والطمأنينة والستر في الدنيا والأجر في الآخرة.

قال تعالى "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون".(٤)

٢-الزواج يحمل الإنسان على التزود بتقوى الله قال تعالى "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة".(٥)

٣- يعمل الزواج على تكوين الأسرة القادرة على إعداد الرجال الصالحين للنهوض بالمجتمع إلى المجد والعزة والتقدم في جميع مجالات الحياة.

٤- الزواج يمد المجتمع الإنساني بعوامل البقاء والإمتداد عن طريق طلب النسل حيث

---

(١) سورة النور الآية: ٣٢ .

(٢) قال السيوطي حديث صحيح انظر الجامع الصغير، مجلد: ٢ ، ص: ٦٠٤ .

(٣) البخاري ج:٣ ، ك الصوم، باب: ١٠ ، ص: ٣٦ ، مسلم، ج: ٢ ، ك: النكاح، باب ٣ (استحباب النكاح لمن تاقت نفسه) ص (١٠١٨،١٠١٩)، النسائي، مجلد: ٤ ك: الصيام، باب: ٤٣ ، ص: (١٦٩،١٧٠) وأخرجه أيضا في مجلد: ٦ ، ك: النكاح باب: ٣ ، ص: ٥٧ الدارمي، ج:٢ ، ك: النكاح، باب: ٢ (من كان عنده طول فليتزوج) ص: ٥٧ ، حديث رقم : ٢١٧١ وأخرجه ابن ماجه، مجلد:١ ، ك: النكاح، باب: ١ ، ص: ٥٩٢ رقم ١٨٤٥ واخرجه الإمام أحمد في المسند، مجلد:١ ، ص(٣٧٨ ، ٤٣٤ ، ٤٢٥ ، ٤٣٢).

(٤) سورة الروم الآية: ٢١ .

(٥) سورة النساء الآية: ١ .

أنه الثمرة العملية للزواج(١) قال تعالى "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير".(٢)

ثالثا: الزواج رحمة وسكن ومودة:-

إن الزواج آية من آيات الله تظهر فيها المودة والرحمة والسكن الذي ينطوي على الأمن والإستقرار الذي يسود النفس الإنسانية عند الزواج، لذلك فقد عبر القرآن الكريم بلفظ اللباس أي أن كلا الزوجين غطاء للآخر يحفظه ويستره ويقيه من الوقوع في الآثام قال تعالى "هن لباس لكم وأنتم لباس لهن".(٣)

وقال ابن عباس في تفسيرها، هن سكن لكم وأنتم سكن لهن، وجاء بكلمة اللباس لصعوبة إجتنابهن ولكثرة المخالطة وشدة الملابسة بهن، ولأنهما يعتنقان ويشتمل كل منهما على الآخر فشبه ذلك باللباس ولأن الإنسان لا يستغني عن ملابسه ولأن كل واحد منهما يستر صاحبه ويمنعه من الفجور.(٤)

قال تعالى "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون".(٥)

إن كلمة السكن في الآية الكريمة توحي بما تحتاجه النفس الإنسانية من الراحة والاطمئنان عندما يأوي الزوجان إلى بيت الزوجية فيشعران بأنهما في كهف أمين وملجأ حصين تخيم عليه ظلال الرحمة والتراحم فينمو الإحساس بالواجب والمسؤولية الملقاة على كل إنسان في هذا البيت الآمن.

والأمة التي تجد مثل هذه المعاني السامية من الحب والرحمة وتعمل على تهيئة الأبناء للحياة الإجتماعية السليمة، هي أمة ناهضة وقوية بعيدة عن الإنحراف والفساد ويسودها العفاف والقناعة والغنى.(٦)

---

(١) انظر في ظلال القرآن، مجلد: ٢ ، ص ٦٤٩ ، وانظر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ص: ٦٧، ط١ (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) وانظر تفسير سورة النور ص: (٧٩-٨١).

(٢) سورة الحجرات الآية: ١٣ .

(٣) سورة البقرة الآية: ١٨٧ .

(٤) انظر تفسير البيضاوي، ص: ٣٩ وايضا صفوة التفاسير، مجلد: ١ ، ص: ١٢٢ .

(٥) سورة الروم الآية: ٢٢ .

(٦) انظر منهج القرآن في تربية المجتمع، ص: ٢٩٧ .

رابعاً: الزواج ميثاق غليظ:-

إن الزواج يعقد أوثق الصلات بين الرجل والمرأة في الأسرة المسلمة التي تعتبر أساسا لبناء العلاقات الاجتماعية الوثيقة القائمة على معاني الخير والرحمة والمودة والسكن داخل الأسرة.

وجعل الله الزواج ميثاقاً غليظا لما يعقده من عرى الترابط بين الأزواج حيث يفضي الرجل إلى المرأة وتفضي إليه فتجتمع القلوب ويتم الكشف عن المستور بينهما فيصبحان لباسا لبعضهما البعض قال تعالى "**وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا**".(١)

وإذا علم الأزواج أن عقد الزواج ميثاق غليظ وأمر خطير فلا يفكر أحدٌ في نقضه إلا إذا اقتضت الضرورة القصوى، وأصبحت الحياة الزوجية جحيماً لا تطاق فيها العشرة بين الزوجين، وبهذه الحالة تذهب الحكمة من معنى الزواج الذي هو رحمة ومودة وسكن.

لذلك وجب على كلا الزوجين أن يصبر على صاحبه ويحسن عشرة الآخر حتى لا تصل الأمور إلى نقض هذا الميثاق الغليظ.

وأوصى صلى الله عليه وسلم بتقوى الله في النساء والمعاملة بالمعروف معهن في البيوت فقال: صلى الله عليه وسلم "اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فُرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرّح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف".(٢)

ويتضح من تفسير الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة أن الزواج يربط الزوجين بعقد غليظ ليس الفكاك منه بالأمر اليسير لكي تظل الحياة الزوجية مستمرة ومتوازنة يسودها الاستقرار ويتم فيها تحقيق الثمرة الحقيقية وهي إنجاب الأطفال الذين هم في أمس الحاجة إلى الرعاية والتربية المثالية التي تحقق لهم التوازن النفسي في مجتمع صالح متعاون على الخير والبر والإحسان وبالتالي يكونون رجالاً في المستقبل وأملا للأمة.(٣)

---

(١) سورة النساء الآية: ٢١ .

(٢) أخرجه مسلم، مجلد: ٢ ، ك: الحج، باب: ١٩ ، ص ٨٨٦ رقم الحديث ١٤٧ وهو جزء من حديث طويل وايضاً أخرجه ابن ماجه، مجلد: ٢ ، ك: المناسك، باب: ٨٤ ، ص: ١٠٢٣ رقم: ٣٠٧٤ جزء من حديث طويل، وأخرجه الدارمي، مجلد: ١ ، ك: المناسك، باب: ٣٤ ، ص: ٣٧٥ رقم: ١٨٥٧ وأخرجه الإمام أحمد في المسند، مجلد: ٥ ، ص: ٧٣ .

(٣) انظر مختصر ابن كثير، مجلد: ١ ، ص: ٣٧٠ وأيضا النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، ص: ٤٤٧ .

ولتحقيق هذه المعاني السامية من الزواج أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء خيراً فجاء في الحديث الشريف عن سليمان بن عمرو بن الأحوص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "استوصوا بالنساء خيرا، فإنهن عندكم عوان ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبيّنة فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا".(١)

خامساً- التحذير من الرهبانية:-

لقد حذر الإسلام من الوقوع في الرهبانية التي هي المبالغة في العبادة لحد الإنقطاع عن الزواج وعن الناس وعن العمل وهي منسوبة إلى الرهبان من النصارى وتعني التبتل بتعطيل سنة الزواج والتفرغ الكامل للعبادة، وذلك تعطيل للحياة البشرية وشلل لحركة الفرد الإيجابية في المجتمع ولم يأمر الله سبحانه بذلك قال تعالى "*ثم قفّينا على آثارهم برسلنا وقفّينا بعيسى ابن مريم، وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون*".(٢)

الراجح في تفسير هذه الآية أن الاستثناء هنا منقطع بمعنى أنهم ابتدعوا الرهبانية من عند أنفسهم ابتغاء رضوان الله، وقيل متصل بمعنى ما تعبدناهم بها.(٣)

فهي من بدع أهل الكتاب الذين نهاهم الله عن الغلو في دينهم ومن نتاج أفكارهم المسمومة التي حاولت غزو مجتمعنا الإسلامي لتعطيله عن التقدم والنماء في مجالات الحياة.

قال تعالى "*قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلّوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل*".(٤)

---

(١) أخرجه ابن ماجه، مجلد: ١ ، ك: النكاح، باب: ٣ ، ص: ٥٩٤ حديث رقم: ١٨٥١ .

(٢) سورة الحديد الآية: ٢٧ .

(٣) انظر تفسير البيضاوي، ص: ٧١٨ ، ط (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) دار الفكر .

(٤) سورة المائدة الآية: ٧٧ .

وخير تفسير لذلك ما قاله صاحب الظلال: "إن هذه الرهبانية التي عرفها تاريخ المسيحية كانت اختيارا من بعض أتباع عيسى عليه السلام، ابتدعوها من عند أنفسهم ابتغاء رضوان الله، وابتعاداً عن أوضار الحياة، ولم يكتبها الله عليهم ابتداء، ولكنهم حينما اختاروها وأوجبوها على أنفسهم صاروا مرتبطين أمام الله بأن يرعوها حق رعايتها ويحافظون على مقتضياتها من تطهر وترفع وقناعة وعفة.

ولكنها سرعان ما انتهت إلى أن تصبح في الغالب طقوسا وشعائر خالية من الروح، وأن يتخذها الكثيرون مظهرا عاريا عن الحقيقة".(١)

والرهبانية بهذا المفهوم تتعارض مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تحث على الزواج والمحافظة على العبادة دون أن يطغى جانب على جانب.

وأرشد النبي صلى الله عليه وسلم عكّاف * إلى أن الزواج من سنته صلى الله عليه وسلم والإبتعاد عنه من بدع النصارى.

قال صلى الله عليه وسلم لعكاف الهلالي "يا عكّاف ألك امرأة؟ قال: لا، قال ولا جارية: قال: لا، قال: وأنت صحيح موسر؟ قال: نعم والحمد لله، قال: فأنت إذاً من إخوان الشياطين، إن كنت من رهبان النصارى فالحق بهم، وإن كنت منّا فمن سنتنا النكاح".(٢)

ونهى صلى الله عليه وسلم عن الزيادة في العبادة التي قد تؤدي إلى الإنقطاع عن الزواج وإيقاف حركة الفرد والمجتمع، وذلك لأن الإسلام يمتاز بالحركة والعمل والنشاط المستمر لبناء الفرد والمجتمع . فقد جاء في الحديث الشريف عن أنس رضي الله عنه قال "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال: أحدهم أما أنا أصلي الليل أبداً، وقال

---

(١) في ظلال القرآن، مجلد: ٦ ، ص: ٣٩٥ ، ج: ٢٧ ط: ١٠ (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) دار الشروق .

(٢) أخرجه النسائي، مجلد: ٦ ، ك: النكاح، باب: ١١ (كراهية تزويج العقيم) ص: ٦٥ وأخرجه الإمام أحمد في المسند، مجلد: ٣ ، ص (١٥٨،٢٤٥) ومجلد: ٥ ، ص: ١٦٣ ، وقال الهيثمي فيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات، انظر جمع الزوائد، مجلد: ٤ ، ص: ٢٥٠ .

* عكّاف: هو عكاف بن وداعه الهلالي، ويقال عكاف بن بشر التميمي زوّجه النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت كلثوم الحميرية حينما علم أنه يعزف عن الزواج. انظر الأصابة في تميز الصحابة ومعه الإستيعاب في اسماء الأصحاب ج: ٢ ، ص: ٤٥٧ رقم الترجمة: ٥٤٥٥ .

الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوّج أبدا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني".(١)

وتكفل الله سبحانه بعون من يريد الزواج من أجل أن يعف نفسه ويحفظها من الوقوع في المهلكات، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف".(٢)

وحارب الإسلام التبتل والرهبنة والعزوبة التي تعني الإنقطاع عن تسيير عجلة الحياة، ولأنها توجد في النفس الهواجس السيئة التي تعمل على تقويض دعائم المجتمع من خلال هدمها لقيم وأخلاق الأفراد.

ولقد حاول عثمان بن مظعون* وعبدالله بن عمرو** أن يتبتلوا ويلبسوا المسوح بداية ثم رجعوا عن ذلك عندما سمعوا قول الله تبارك وتعالى "**يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أُحلّ الله لكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحب المعتدين**".(٣)

وحرص الصحابة رضوان الله عليهم على الزواج وحثوا عليه لأنه يُكمل الدين وإتباعا لسنة رسول الله صلىالله عليه وسلم.(٤)

---

(١) فتح الباري، مجلد: ٩ ، ك: النكاح، باب: ١ (فانكحوا ما طاب لكم من السناء) ص: ١٠٤ رقم: ٥٠٦٣ - وأخرجه مسلم، ج: ٢ ، ك النكاح، ص: ١٠٢٠ حديث رقم (١٤٠١) وأخرجه النسائي، ج: ٦ ، ك النكاح باب: النهي عن التبتل، ص: ٦٠ وأحمد في المسند، مجلد: ٣ ، ص: ٢٤١ .

(٢) سنن الترمذي، مجلد: ٤، ك: فضل الجهاد، باب: ٢٠ ، ص: ١٨٤ ، رقم: ١٦٥٥ النسائي: مجلد: ٦ ، ك :الجهاد، باب: ١٢ (فضل الروحه في سبيل الله) ص:(١٥،١٦) وأيضا رواه في ك: النكاح باب:٥ (معونة الناكح)، ص: ٦١ . ابن ماجه، مجلد: ٢ ، ك العتق، باب ٣ (المكاتب) ص (٨٤١،٨٤٢) رقم: ٢٥١٨ - المسند، مجلد: ٢ ، ص: (٢٥١-٤٣٧).

(٣) سورةالمائدة الآية: ٨٧ .

(٤) انظر تربية الأولاد في الإسلام، ج: ١ ، ص: (٢٨،٢٩) وأيضا الحلال والحرام، ص: ١٦٨ وأيضا فضيلة التوكل في القرآن والسنة، ص: (٥٧،٥٨) وأيضا أهداف الأسرة في الإسلام ص(١٥٤ - ١٥٦) وأيضا الآداب الدينية الاجتماعية، ص: ٨٤ .

* عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافه الجمحي، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا، ثم هاجر إلى الحبشة ورجع فدخل في جوار الوليد بن المغيرة وذهبت عينه في سبيل الله وهو أول من مات من المهاجرين بالمدينة ودفن بالبقيع بعد شهوده بدر سنة ٢ هـ ، انظر الإصابة ج: ٢ ، ص: ٤٥٧ رقم ٥٤٥٥ .

** عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي كان إسمه العاص فغيّره النبي صلى الله عليه وسلم إلى عبدالله وأوصاه بصيام يوم بعد يوم وقال الواقدي مات بالشام سنة ٦٥هـ وعمره ٧٢ سنة وقيل بمكة وقيل بالطائف وقيل بمصر. انظر الإصابة، مجلد: ٢ ، ص (٣٤٣،٣٤٤) ترجمة رقم: ٤٨٤٧ .

فقد أوصى صلى الله عليه وسلم شباب الأمة بالزواج وشجعهم عليه فقال "يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء".(١)

فالزواج يكرم الإنسان بغض البصر وحفظ الفرج والصيام وقاية ومانع من الوقوع في تلك المحرمات.

ورغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الزواج وخاصة من المرأة الصالحة التي تربّي أولادها وتحفظ زوجها في نفسها وماله عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول "ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله، خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرّته وإن أقسم عليها أبرّته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله".(٢)

سادساً- الزواج مصلحة إجتماعية:

تبرز أهمية الزواج من حيث أنه مصلحة إجتماعية كبيرة فيحافظ على النسل ويمنع من إختلاط الأنساب كما أنه بقاء للنوع الإنساني ولقد نوه القرآن الكريم إلى ذلك قال تعالى "*الله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات*".(٣)

الآية الكريمة توضح أن ثمرة الزواج هي البنين والحفدة الذين هم امتداد لحياة الآباء والأجداد، كما أنه ينبغي أن لا نخشى من الفقر فالأرزاق بيد الله يرزق من يشاء بغير حساب، فحذر القرآن من قتل الأولاد خشية الفقر والإملاق قال تعالى "*ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خِطئا كبيرا*".(٤)

---

(١) البخاري ج: ٣ ، ك: الصوم باب: ١٠ ، ص٣٦ ، مسلم، مجلد: ٢ ، ك: النكاح باب: ٣ (استحباب النكاح لمن تاقت نفسه) ص (١٠١٨،١٠١٩) النسائي ج: ٤ ، ك: الصيام باب: ٣٤ ص (١٦٩،١٧٠)، الدارمي ج: ٢ ، ك: النكاح باب: ٢ ص: ٥٧ رقم ٢١٧١ .

(٢) أخرجه ابن ماجه، مجلد: ١ ، ك: النكاح، باب: ٥ (أفضل النساء) ص ٥٩٦ ، حديث رقم: ١٨٥٧ وأيضا النسائي، مجلد: ٦ ، ك: النكاح، باب (أي النساء خير) ص: ٦٨ حديث رقم ٣٢٣١ المسند مجلد: ٢ ، ص: (٢٥١،٤٣٢،٤٣٨) وقال السيوطي حديث صحيح انظر الجامع الصغير مجلد: ١ ، ص: ٦٢٣ .

(٣) سورة النحل الآية: ٧٢ .

(٤) سورة الإسراء الآية: ٣١ .

والـزواج طـريق تؤدي إلى سلامـة المجتمـع من الإنحلال الخلقـي فيـأمن الأفراد من الـدمار الإجتماعي حيث أن إشبـاع غريزة الإنسان بالطريق المشـروع والإتصـال الحلال تجعله يتحلى بمكارم الأخلاق وأفضل الآداب، فيهدأ البدن مـن الإضطراب وتسكن النفس لأن الزواج سكن ويكف البصر عن التطلع إلى الحرام ويطمئن القلب إلى حلاله الطيب. عـن أنس رضي الله عنه أن رسول اللـه صلى الله عليه وسلم قـال "من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الآخر".(١)

وبالـزواج يسلم المجتمـع مـن الأمـراض العـديدة التي تنتـج عـن الـزنا ومـن شيوع الفـاحشة والـرذيلة والإتصال الحـرام وأخطـر هذه الأمراض الإيدز الـذي يحطـم المنـاعة الـداخلية عنـد الإنسان إضافة إلى أنه سـريع العـدوى، ومنهـا مـرض السيلان والزهري والسفلـس وغيرهـا مـن الأمـراض التي تقضـي على النسـل البشـري وتفتـك بصحـة المجتمع.(٢)

ومن أجل الحفاظ على أبناء المجتمع أحلّ الله الزواج وحرم الـزنا فقال تعالى "*ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا*".(٣)

الخلاصة:-

إتضحـت أهمية الزواج في الاسلام مـن خلال العرض السـابق، وبذلك يكون واجباً في حق مـن قدر عليه وخشي الوقـوع في الحرام، لأن في الـزواج عفاف للنفس وصيانة عن الوقوع في الآثام.

ويكـون الزواج مستحباً من القادر عليه ولكنه يأمن نفسه مـن اقتراف ما حرّم الله، ففـي هـذه الحالة قال العلماء الـزواج أولى من التخلي للعبادة لأن الـرهبانية ليسـت من الإسلام في شيء كما أوضحنا آنفاً.

---

(١) انظر تخريجه في ص:٧٩

(٢) انظر تربية الأولاد ج: ١ ، ص: ٣١ .

(٣) سورة الإسراء الآية: ٣٢ .

وقال العلماء أن من تاقت نفسه إلى الزواج وعجز عن الإنفـاق على الزوجة فليعمل بقـوله تعـالى "**وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله**"(١). وليستعينـوا بالصيـام في التغلـب على الشهـوة وكسـرها فـالصيام وجاء للإنسـان.

كما أنه ينبغي على الشباب الذين يؤخرون زواجهم حتى يبلغـوا الأربعين من العمر إنتظاراً للغنى واليسر، أن يقدموا على الزواج ولو كان كسبهـم قليلاً فقد يكون الزواج سبباً في إصلاح أوضاعهم المادية فكثيراً ما تساعد الزوجة زوجهـا في التغلب على الكثير من المشاكل الإجتماعية والإقتصادية.(٢)

١- سورة النور الآية: ٣٣ .

٢- انظر فقه السنة، ج: ٢ ، ص: ١٣ وايضاً انظر تفسير سورة النور ص: ٨١ .

المبحث الثاني
الأسرة في الإسلام

لقد إهتمت الشريعة الإسلامية في تكوين الأسرة إهتماماً عظيماً لأنها القاعدة الأساسية التي يقوم عليها بناء المجتمع الصالح، فإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع وإذا فسدت فسد المجتمع بأسره.

وقبل الحديث عن الأسرة وما يدور داخلها من علاقات قائمة على الآداب الرفيعة والأخلاق السامية الوضيئة، ينبغي الحديث عن المرأة التي تُعتبر قاعدة أساسية في تكوين البنية الأسرية، وكيف كانت نظرة الأمم القديمة إليها ثم كيف أصبح وضعها الإجتماعي بعد نزول الرسالة الإسلامية.

المرأة قديماً:-

لقد نظر الوثنيون إليها في الجاهلية القديمة وفق تصوراتهم الجاهلية على أنها من سقط المتاع وأنها من عمل الشيطان، فكانوا يشترونها ويبيعونها في الأسواق كأي سلعة بثمن بخس دراهم معدودة، حتى جاء في شرائع الهند القديمة:-

"أن الوباء والموت والجحيم والسم القاتل والنار المحرقة خير من المرأة".

واعتبروا أن حقها في الحياة ينتهي بموت زوجها بل أنهم أوجبوا حرقها على جثمان زوجها عند وفاته.

ولم يرحمها اليهود بأكثر من الوثنيين بل اعتبروها أمرّ من الموت وأنها شباك وشراك وأياديها قيود.

ورغم أن الحضارة المصرية القديمة أجلستها على العرش إلا أنها إعتبرتها علة الخطيئة وخليفة للشيطان في الأرض وسبباً للغواية والرذيلة ولا نجاة إلا بالتخلص من إغرائها وحبائلها الشيطانية.(١)

---

(١) انظر حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، ص: ١٦٢ وأيضاً روح الدين الإسلامي، ص: ٣٥٧ .

المرأة في الجاهلية العربية:

لقد كانت المرأة تعيش في ظل الجاهلية قبل الإسلام حياة الذل والهوان والصغار فكانت توأد وهي طفلة صغيرة بمجرد مجيئها على قيد الحياة، فكانت الأم إذا جاءها مخاض الولادة تذهب إلى الخلاء فتحفر حفرة وتضع بها، فإذا كان المولود أنثى طمرت عليها التراب وإذا كان ذكراً أخذته وعادت به إلى بيتها.

وكان الرجل في الجاهلية العربية إذا بلغت ابنته السادسة من عمرها ألبستها أمها أفضل ملابسها ثم يطوف بها على أقاربه، ويكون قد أعد لها بئرا في الصحراء فيأخذها إليه ويقول لها انظري يا بنيّة فتنظر في البئر فيلقي بها ثم يعود إلى بيته وقد تخلص منها خشية العار أو الفقر.(١)

أليس ذلك يدل على غلظة القلوب وقسوة الطباع؟! بلى، وصدق الله حينما وصفهم في كتابه الكريم قال تعالى "*الأعراب أشد كفراً ونفاقا وأجدرُ ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم*".(٢)

وكانت حياة البداوة في الجاهلية العربية تُرغب الآباء في ذرية البنين وتنفرهم من إنجاب البنات، لأن البنين سند وعون وحماة للقبيلة من أي خطر خارجي يشن عليها من الأعداء، أما البنات فلا يملكن مثل هذه القوة، فكان العربي يتغير لونه إلى السواد عندما يُبشّر بمولود جديد أنثى قال تعالى "*وإذا بُشّر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسودّا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بُشّر به أيمسكه على هُون أم يدسّه في التراب ألا ساء ما يحكمون*".(٣)

وكان العرب يرثون النساء كرهاً فيُلقي الوارث ثوبه على زوج مورثه ويقول "ورثتها كما ورثت ماله" وبذلك يكون له الأحقية أن يتزوجها أو يزوجها لغيره ويأكل مهرها أو يُحرّم عليها الزواج قطعاً وطمعاً في أن تفدي نفسها بمال أو تموت فيرثها إن كانت صاحبة أملاك.(٤)

---

(١) في ظلال القرآن مجلد:٤ ج: ١٤ ، ص: ٢١٧٨ .

(٢) سورة التوبة الآية: ٩٨ .

(٣) سورة النحل الآية: (٥٨،٥٩)

(٤) انظر النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، ص (٤٤١،٤٤٢).

حقوقها وعليها واجبات.

وأعطاها حقها كزوجة تشاطر زوجها شريك حياتها في السراء والضراء، وأعطاها حقها كأم تحمل على عاتقها مسؤولية تربية الأولاد في الأسرة جنبا إلى جنب مع الزوج.

ومنحها حقوقها كربة بيت وهي تقوم بتدبير شؤون المنزل لتجلب السعادة والراحة لأبنائها داخل الأسرة.(١)

بذلك العرض البسيط تكون الشريعة الإسلامية لها السبق على جميع الأنظمة والقوانين الوضعية التي عرفها الإنسان في تاريخه الطويل في تحرير المرأة بالصورة اللائقة بها وإعطائها حقوقها كاملة، بينما في ظل الأنظمة والقوانين الوضعية نراها تهان وتستذل وتستباح كرامتها، وتخرج من عملها الأساسي في البيت ألا وهو تربية الرجال وإعداد الجيل، إلى العمل في المزارع والمصانع وتُكلّف من الأعمال مالا طاقة لها به من الناحية النفسية والجسمية.

---

(١) انظر النظم الاسلامية، ص: (٤٤٥،٤٤٦) وأيضاً أهداف الأسرة في الإسلام ص: (٢٣،٢٤) وأيضاً شبهات حول الإسلام ص: (١١٤ ، ١١٥) ط: ٥ ، (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) دار الشروق.

المطلب الأول:
بناء الأسرة وتنظيمها

أمر الإسلام ببناء الأسرة المسلمة ورسم لها من الأحكام التشريعية التي تجعل منها أسرة متكاتفة متعاونة على الخير ويسودها الأمن والسلام الشامل في المناحي المتعددة من الحياة إذا عملت بمقتضى المنهج القرآني.

وأوصى صلى الله عليه وسلم بالزواج بإعتباره الخطوة الأولى نحو بناء الأسرة المسلمة فجاء في الحديث الشريف عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "النكاح من سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني، وتزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم ومن كان ذا طول فلينكح ومن لم يجد فعليه بالصيام فإنّ الصوم له وجاء".(١)

وأرشد صلى الله عليه وسلم إلى الزواج من ذات الدين، لأن الزواج منها يُحقق الغرض السامي من الزواج وهو تربية الأطفال التربية الدينية، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "تُنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فأظفر بذات الدين تربت يداك".(٢)

ولتحقيق الترابط في الجو الأسري أوضح سبحانه وتعالى أن الذكر والأنثى شطران لنفس واحدة قال تعالى "**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منها رجالاً كثيراً ونساءً**".(٣)

وبالزواج يتم إلتقاء شطري النفس الواحدة فيتحقق السكن والهدوء النفسي لكلا الزوجين وتطمئن الأرواح وترتاح الأجساد وبذلك يكون الزواج ستراً وإحصاناً وصيانة من الوقوع في الآثام والمعصية ثم توّج ذلك بأن جعل القوامة في البيت للرجل باعتباره المؤسس الأول للأسرة، ولكي يتم النظام في الأسرة عن طريق طاعة الزوجة لزوجها قال تعالى "**الرجال قوامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض**".(٤)

---

(١) أخرجه ابن ماجه، ج:١ ، ك: النكاح، باب: ١ (ما جاء في فضل النكاح) ص: ٥٩٢، حديث رقم:١٨٤٦ .

(٢) أخرجه مسلم ج: ٢ ، باب: ٥ (استحباب نكاح ذات الدين) ص: ١٠٨٦، رقم ٥٣ وأيضاً الترمذي ج: ٣ ، ك: النكاح، باب: ٤ (المرأة تنكح لثلاث) ص ٣٩٦ ، حديث رقم ١٠٨٦ وأيضاً النسائي، ج: ٦ ، ك: النكاح، باب: (على ما تُنكح المرأة) ص: ٦٥ وأخرجه صاحب المسند، مجلد: ٣ ، ص: ٣٠٢ .

(٣) سورة النساء الآية: ١ .

(٤) سورة النساء الآية: ٣٤ .

ثم جعل الزواج مزرعة للنسل وإمتداداً للحياة وكلف الآباء بتربية هذا النسل ورعايته وتنميته جسدياً وعقلياً وروحياً في ظل الأسرة المتعاونة التي يسودها كل معاني الرحمة.(١)

وأوضح صاحب الظلال أهمية الأسرة في تنميتها للنسل فقال "إن التجارب العملية في الحياة أثبتت أنه لا يمكن أن يقوم أي جهاز آخر في تحقيق الأمن والإستقرار وتربية الأطفال التربية السليمة غير جهاز الأسرة، فالمحاضن الجماعية ينشأ فيها الطفل غير سليم النفس والشخصية وذلك لأنه يفقد حنان الأم ورعايتها".(٢)

وبذلك يتضح أن الأسرة هي القاعدة الأساسية لحفظ النسل وبناء الجيل لذلك أحاطها الإسلام بالعناية والرعاية البالغين فاستغرق في تنظيمها وتطهيرها من الفوضى والإنحراف جهداً كبيراً نراه بوضوح من خلال النصوص الشرعية الآتية.

قال تعالى "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة".(٣)

وقال تعالى "ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم".(٤)

وقال تعالى "أُحلّ لكم ليلة الصيام الرّفث إلى نسائكم هُنّ لباس لكم وأنتم لباس لهنّ".(٥)

وقال تعالى "نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم وقدّموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشّر المؤمنين".(٦)

شبّه النساء بالحرث لأن الهدف الأساسي من الزواج هو إيجاد الجيل الصالح ليكونوا تبعاً لآبائهم في طريق الإيمان الذي شقه موكب الرسل الكرام من آدم عليه السلام إلى

---

(١) انظر في ظلال القرآن، مجلد:٢ ، ص: ٦٤٨ . وأيضاً انظر دستور الأسرة في ظلال القرآن: ص (٥٣،٥٥).

(٢) في ظلال القرآن، مجلد: ١ ، ص: ٣٣٥ .

(٣) سورة الروم الآية: ٢١ .

(٤) سورة البقرة الآية: ٢٢١ .

(٥) سورة البقرة الآية: ١٨٧ .

(٦) سورة البقرة الآية: ٢٢٣ .

محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى "والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين".(١)

وأوصى صلى الله عليه وسلم بالنكاح ليتم تكاثر الأمة الإسلامية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "انكحوا فإني مكاثر بكم الامم ولا تكونوا كرهبانية النصارى".(٢)

وأمر بالصبر على الأبناء وخاصة البنات، فمن أطعمهن وأدبهن دخل بهن الجنة، قال صلى الله عليه وسلم "مَنْ كان له ثلاث بنات، فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهنّ وكساهُنّ من حلاله، كُنّ له حجاباً من النار يوم القيامة".(٣)

نظرة المسلمين إلى الأسرة:

لقد أدرك المسلمون المعنى الحقيقي للنصوص الشرعية التي تحث وتوجب الزواج من أجل بناء الأسرة المسلمة لأنهم عرفوا مكانتها في المجتمع الإسلامي وآثارها الطيبة في إصلاح النفوس فسارعوا جميعاً إلى الزواج وحرصوا عليه لأن فيه استكمالاً للدين وإتباعاً لسنّة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وبالزواج تتوثق الأخوة بين المسلمين عن طريق التقارب الذي يحدثه الزواج بين العائلات، وعن طريقه تزداد شوكة الإسلام بين الأمم الأخرى.

وما زال الغرب المستعمر يحاربنا في هذا الجانب فيضع السموم الماكرة حول تعدد الزوجات في الإسلام وعن طريق ما يُسمى تحديد النسل والإكتفاء بطفل واحد لكل اسرة، وهذا يتنافى مع النصوص الشرعية التي ترغب في الزواج من أجل الإنجاب.

وسارع المسلمون منذ السلف الصالح إلى يومنا هذا إلى الزواج، فقد قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه "لو لم يبق من عمري إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكيلا ألقى الله عزبا".(٤)

---

(١) سورة الطور الآية: ٢١ .

(٢) ابن ماجه، مجلد:١ ، ك: النكاح، باب: ٨ ، ص: ٥٩٩ رقم ١٨٦٣ وأخرجه النسائي مجلد:٦ ، ك: النكاح، باب (كراهية تزويج العقيم) ص: ٦٥ مسند الإمام أحمد مجلد:٣ ، ص (١٥٨،٢٤٥،٣٥٤) مجلد:٤ ص:٣٤٩،٣٥١ .

(٣) أخرجه الترمذي، مجلد:٤ ، ك: البر، باب: ١٣ ، ص: ٣٢٠ رقم: ١٩١٦ وايضاً ابن ماجه، مجلد:٢ ، ك: الأدب، باب:٣ ، ص: ١٢١٠ رقم ٣٦٦٩ المسند، مجلد:٣ ، ص:٤٢ ، مجلد٤ ، ص:١٥٤ .

(٤) مجمع الزوائد، ج: ٤ ، ص: ٢٥١ ، وقال الهيثمي رواه الطبراني وفيه عبدالرحمن بن عبدالله المسعودي وهو ثقة لكنه إختلط في آخر حياته وبقية رجاله رجال الصحيح.

ورُوى أن الإمام أحمد بن حنبل* رضي الله عنه تزوج في اليوم التالي لوفاة زوجته وحينما سئل قال "أكره أن ابيت عزباً"، وعندما توفت امرأتان لمعاذ بن جبل رضي الله عنه في الطاعون الذي أصيب هو فيه حرص على الزواج فقال "زوجوني فإني أكره أن القى الله عزباً".(١)

المطلب الثاني: اختيار كلا الزوجين للآخر

إن الأسرة هي الدعامة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع وهي تتكون في بداية الأمر من الزوجين الذين يعقد الإسلام بينهما ميثاقاً غليظا، تتحقق في ظلاله الوارفة المودة والرحمة والسكون النفسي، ولكي يكون الزواج موفّقا ويؤتي ثماره أرشد الإسلام كلًا من الزوجين إلى اختيار رفيق حياته، فوضع بعض الشروط التي ينبغي توافرها في الزوج والزوجة وهي كالآتي:

أولاً: إختيار الزوجة:-

١- أن تكون صالحة وذات دين:

أوصى الإسلام بالزواج من المرأة ذات الدين والأخلاق العالية الرفيعة لأنها مؤتمنة على حفظ العرض والمال والبيت والولد قال تعالى "***ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم***".(٢)

وأوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم أن إختيار الزوجة لدينها أفضل من اختيارها لمالها أو جمالها أو حسبها فإن هذه الأمور زائلة وجاء في الحديث عن عبدالله ابن عمرو أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تتزوجوا النساء لحسنهنّ فعسى حُسْنهنّ أن يرديهن، ولا تزوجوهنّ لأموالهنّ فعسى أموالهنّ أن تطغيهنّ ولكن

---

(١) انظر أهداف الأسرة في الإسلام ص: (١٥٤ ، ١٥٦).

٢- سورة البقرة الآية: ٢٢١ .

* ابن حنبل: هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني أبو عبدالله ولد ببغداد كان عالماً وزاهدا ورعا إماماً للمذهب الحنبلي وأحد الأئمة الأربعة، سافر كثيراً إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن سجن ٢٨ شهراً لامتناعه عن القول بخلق القرآن وثبت في المحنة، له مصنفات كثيرة منها "المسند" يحتوي ٦ مجلدات وبه ٣٠ الف حديث وله "المناسك" و "الزهد" و "التاريخ" و "الناسخ والمنسوخ" ت سنة ٢٤١ هـ. انظر تهذيب التهذيب ج:١ ، ص: (٧٢،٧٦) ، حلية الأولياء ١٦١/٩ ، صفة الصفوة ١٩٠/٢ تاريخ بغداد ٤١٢/٤ ، البداية والنهاية ٣٢٥/١٠-٣٤٣ .

تزوجوهنّ على الدين، ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل".(١)

٢- أن تكون مطيعة لزوجها:

إذا توفرت العفة والطاعة في الزوجة تم الألفة ويحصل الوئام والإنسجام بين الزوجين ويثمر الزواج الغاية الإنسانية والأهداف النبيلة للأسرة.

عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول "ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله، خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرّته، وإن أقسم عليها أبرّته وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله".(٢)

٣- أن تكون قليلة المهر:-

إن الإسلام لم يحدد مهور النساء مهما كان قدره، قال تعالى "**وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهنّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا**".(٣)

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوضح أن البركة والخير يكون في القليلة الصداق. فجاء في الحديث الشريف أنه صلى الله عليه وسلم قال "خير الصداق أيسره وخيرْهن أيسرهن صداقا".(٤)

أما تعليم المرأة فليس المقصود به أن تحمل الشهادات العليا الجامعية فما فوق، بل إن أفضل التعليم للمرأة معرفتها للآداب الإسلامية وكيفية معاشرة زوجها وكيف تربي أولادها وتدير شؤون الأسرة، وتحافظ على حقوق الأقارب والجيران، وإن توفر إلى جانب ذلك تعليمها الجامعي كان من الأفضل والأحسن.(٥)

---

(١) اخرجه ابن ماجه في كتابه السنن، مجلد: ١ ، ك: النكاح، باب: ٦ ص: ٥٩٧ ، حديث رقم: ١٨٥٩ ورواه ابن حبان في صحيحه بإسناد آخر.

(٢) رواه النسائي، ج:٦ ، ك: النكاح، باب: "أي النساء خيرٌ" ص: ٦٨ حديث رقم ٣٢٣١ ، وايضاً ابن ماجه، مجلد:١ ، ك: النكاح، باب: ٥ (أفضل النساء) ص: ٥٩٦ حديث رقم: ١٨٥٧ وأيضاً المسند مجلد:٢، ص (٢٥١،٤٣٢،٤٣٨) وقال السيوطي حديث صحيح، انظر الجامع الصغير، ج:١ ، ص: ٦٢٣ .

(٣) سورة النساء الآية: ٢٠ .

(٤) مجمع الزوائد، ج:٤ ، ك: النكاح، باب: (الصداق)، ص: ٢٨١ وقال الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين الأول فيه أحمد حماد جابر الجعفي وهو ضعيف وقد وثقه شعبه والثوري وفي الآخر، رجاء بن الحارث، ضعفه ابن معين وغيره وبقية رجال السند ثقات.

(٥) انظر في رحاب الإسلام، ص ٣٤٣ وايضاً الآداب الدينية الإجتماعية ص: ٩٢

٤- أن تكون سليمة الجسم:

الأفضل سلامة الجسم في المرأة حتى تستطيع أن تقوم بحقوق الزوج وما يلقى عليها من أعمال في بيتها كتربية الأولاد والقيام بشئون البيت، لذلك أباح الإسلام نظر الخاطب إلى مخطوبته لكي يرى منها إلى ما يدعوه الى نكاحها عن المغيرة بن شعبه: أنه خطب امرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "انظر اليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما".(١)

٥- أن تكون متعلمة وذات صلاح:-

المرأة الصالحة تُرشد أسرتها وتُصلح أبناءها فتُعينهم على التمسك بالدين الحنيف والخلق الفاضل لذلك أوصى صلى الله عليه وسلم بأن نختار منهن الصالحات الطيبات وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "تخيّروا لنُطفكم فإنّ النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن".(٢)

وحذّر صلى الله عليه وسلم من النساء الجميلات الحسنوات الوجوه ولكنهن نشأن في المنبت السيء بعيداً عن تعاليم الإسلام، وتطبعن بعادات الجاهلية حتى جرت في عُروقهن.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إياكم وخضراء الدّمن قيل ما خضراء الدمن؟ قال: "المرأة الحسناء في المنبت السوء".(٣)

---

(١) الترمذي، ج:٣ ، ك: النكاح، باب:٥ ، ص:٣٩٧ ، رقم: ١٠٨٧ وأيضاً النسائي، ج:٦ ، ك: النكاح، باب: ١٧ ، ص: ٦٩ حديث رقم: ٣٢٣٥ وابن ماجه ج:١ ، ك: النكاح باب: ٩ ، ص: ٥٩٩ حديث رقم: ١٨٦٥ .

(٢) رواه ابن عدي في الكامل وابن عساكر، كلاهما عن عائشة، هكذا قال السيوطي وقال الحديث ضعيف، أنظر الجامع الصغير ج:١ ، ص: ٥٠٣ ، حديث رقم ٣٢٦٩ .

(٣) قال السخاوي، رواه الدارقطني في الافراد وقال عنه لا يصح من وجه وايضاً رواه الرامهرمزي والعسكري في الأمثال وابن عدى في الكامل والقضاعي في مسند الشهاب والديلمي في حديث الواقدي. انظر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوي ص: ١٣٥ .

ثانياً: إختيار الزوج

إنّ الإسلام أوصى الزوج بإختيار الزوجة الصالحة كذلك أوصى ولي المرأة أن يختار الرجل الصالح للزواج من ابنته او من له ولاية عليها، ويُفضل أن تتوفر فيه الشروط الآتية:

١- أن يكون صالحاً:-

إن صلاح الفرد يكون بالتزامه بتعاليم الإسلام وتمسكه بالأخلاق الفاضلة النابعة من عقيدة الإسلام، فمن توفر فيه هذا الشرط يُزوج من الصالحات المؤمنات والعبد المؤمن خير من المشرك قال تعالى "*ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبدٌ مؤمن خيرٌ من مشرك ولو أعجبكم*".(١)

كما وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بتزويج صاحب الدين والخلق الفاضل عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض".(٢)

٢- أن يكون قادراً على القيام بحقوق الزوجة:-

إن الحياة الزوجية تتطلب من المتزوج القدرة على الإنفاق على زوجته وتوفير ما تحتاج إليه من مأكل وملبس ومسكن في حدود التواضع بعيداً عن الإسراف والتبذير قال تعالى "*إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا*".(٣)

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٢١ .

(٢) أخرجه الترمذي ج: ٣، ك: النكاح، باب ٣، ص ٣٩٥،٣٩٤ حديث رقم ١٠٨٤ وأيضاً ابن ماجة ج:١، ك:النكاح، باب:٤٦ (الأكفاء) ص: ٢٣٢ حديث رقم ١٩٦٧ .

(٣) سورة الأسراء الآية: ٢٧

المطلب الثالث: آداب الزواج وأهدافه

أولا:- آداب الزواج:

الزواج عقد موثق وميثاق غليظ بين الزوجين ينبغي المحافظة عليه وعدم الاستهانة به، ولأهميته في الحياة الإجتماعية جعل الإسلام له آداباً يجب مراعاتها وهي كالتالي:

١- الخطبة:-

أصل الكلمة في اللغة، خَطَبَ المرأة يخطبها ومصدرها خَطْباً وخِطبة بالكسر، وجمع الخاطب خُطّاب، والخِطب: هي المرأة المخطوبة كما يقال ذبح للمذبوح وقال بذلك الفراء*

الخطبة في الشرع:

أن يخطب الرجل المرأة فتركن إليه ويتفقا على صداق معلوم ويتراضيا بحيث لم يبق إلا العقد".

أما إذا لم يتفق الخاطب وأهل المخطوبة ولم يتراضيا ولم يركن أحدهما إلى الآخر فليس بخِطبة حينئذ.(١)

والخِطبة من مقدمات الزواج، أمر الله بها في سورة البقرة فقال تعالى "*ولا جناح عليكم فيما عرّضتم به من خِطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم*".(٢)

قال المفسرون، الآية نزلت في النساء المعتدات حيث يحرم خطبتها أثناء العدة سواء كانت العدة من وفاة أم طلاق، لأن في ذلك إعتداء على حقوق الآخرين.

---

(١) انظر لسان العرب، ج:١ ، ص: (٣٦٠،٣٦١) وايضا المعجم الوسيط ج:١ ، ص: (٢٤٢).

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٣٥ .

* الفراء : هو يحي بن زياد بن عبدالله الديلمي، مسمى بأبي زكريا ويشتهر بالفراء كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي وكان فقيهاً متكلماً عالماً بأخبار العرب ويميل للإعتزال، من شيوخه الكسائي أشهر مصنفاته "غريب الحديث" و "معاني القرآن" ت سنة ٢٠٧ هـ في طريقه الى مكة. انظر البداية والنهاية ٢٦١/١ ، الأعلام للزركلي ١٤٦/٨، ط:٣ ، تهذيب التهذيب ٢١٢/١١ وطبقات المفسرين للداودي ٣٦٦/٢،٣٦٧ ترجمة رقم: ٦٨١ .

والخطبة تعني أخذ رأي المخطوبة قبل الزواج منها حتى يكون الزواج على هدى وبصيرة، لذلك أباح الإسلام لكلّ من الخاطب والمخطوبة النظر إلى بعضهما البعض ولكن في حدود الشرع فالذي يجوز للرجل أن يراه من الأجنبية هو الوجه والكفين لا غير.(١)

واباحت السنّة النبوية المطهرة النظر من الخاطب إلى مخطوبته لتدوم المودة بينهما فقد جاء عن محمد بن مسلمه* قال خطبت امرأة فجعلت أتخبّأ لها حتى نظرت إليها في نخل لها، فقيل له: أتفعل هذا وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "إذا ألقى الله في قلب امرىء خِطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها".(٢)

وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبه** بالنظر إلى خطيبته فقال النبي صلى الله عليه وسلم "انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما".(٣)

وأمر الرجل الذي أخبره بأنه تزوج من الأنصار أن ينظر إليها لأن في أعين الأنصار صغراً أو عمشاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتا رجل فأخبره أنه تزوّج من الأنصار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنظرت إليها؟ قال: لا، قال "فاذهب فانظر إليها، فإنّ في أعين الأنصار شيئاً".(٤)

---

(١) تفسير آيات الأحكام للصابوني مجلد: ١ ، ص: ٣٧٠ وأيضاً فقه السنة مجلد:٢ ، ص: ٢١ .

(٢) أخرجه ابن ماجه، ج:١ ، ك:النكاح، باب: ٩ ، ص: ٥٩٩ حديث رقم: ١٨٦٤ .

(٣) أخرجه الترمذي، ج:٣ ، :: النكاح باب: ٥ (النظر إلى المخطوبة) ص: ٣٩٧ حديث رقم: ١٠٨٧ والنسائي، ج:٦ ، :: النكاح، باب: ١٧ (النظر قبل التزويج) ص:٦٩ ، حديث رقم: ٣٢٣٥ وابن ماجه ج:١، ك: النكاح، باب: ٩ ، ص: ٥٩٩ ، حديث رقم: ١٨٦٥ .

(٤) مسلم ج:٢ ، ك: النكاح باب:١٢ ، ص:١٠٤٠ رقم: (٧٥،٧٤) والنسائي، ج:٦ ك: النكاح، باب: ١٧ ، ص:٦٩ ، رقم: ٣٢٣٤ وابن ماجه ج:١ ، ك: النكاح، باب:،٩ ص:٦٠٠ ، رقم:١٨٦٦ والدرامي ج:٢ ، ك: النكاح، باب:٥ ، ص: ٥٩ ، حديث رقم: ٢١٧٨ .

* ابن مسلمه: هو محمد بن مسلمه بن حريش بن خالد الخزرجي الأنصاري روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعنه ابنه محمود والمسور بن مخرمة وأبو برده وهو أحد الثلاثة الذين قتلوا كعب بن الأشرف، استخلفه النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة في بعض غزواته وآخى بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح في سنة ٤٢ هـ وهو ابن ٧٧ سنة وقيل سنة ٤٦هـ قتله أهل الشام لكونه إعتزل معاوية في حروبه. انظر تهذيب التهذيب ج:٩، ص: (٤٥٥،٤٥٤).

** المغيره بن شعبه:- هو المغيره بن شعبه بن ابي عامر بن مسعود ويقال أبو عيسى ويقال أبو محمد الثقفي، شهد الحديبية وما بعدها روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعنه أولاده ومسروق ونافع وعامر الشعبي وشهد اليمامة وفتوح الشام والقادسية ولاه معاوية على الكوفه ت سنة ٤٩هـ وهو أميرها وقيل سنة ٥١ ، أول من وضع ديوان البصره انظر تهذيب التهذيب، ج:١٠ ، ص: (٢٦٣،٢٦٢).

واشترط العلماء لجواز الخطبة شرطين وهما كالآتي:-

أ-أن تكون خالية من الموانع الشرعية لكي يجوز لمن خطبها الزواج منها في الحال، وعليه فلا يجوز خطبة المحرمات تحريماً مؤبداً أو مؤقتاً.

ب- ليست مخطوبة لأحد:-

لا يجوز خطبة المخطوبة للغير، لأن في ذلك اساءة إليه ويحزنه وينجم عن هذا التصرف السيء الشقاق والعدواة بين الناس وإنما ينبغي احترام الخاطب الأول ولا نتقدم عليه إلاّ إذا علمنا أنه تخلى عن خطبته تماماً كأن لم يتفقا ولم يتراضيا على الخطبة.(١)

عن ابن عمر رضي الله-عنه-عنهما قال "نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يبيع بعضكم على بيع بعض ولا يخطب الرجل على خِطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله، أو يأذن له الخاطب".(٢)

٢- الوليمة*

الوليمة هي الطعام الذي يصنعه أهل المتزوج ويدعون إليه الأقارب والجيران والأصحاب من الفقراء والأغنياء بدون تميز وهي سنة مؤكدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أنه رأى عبد الرحمن بن عوف** وعليه درعُ زعفران فقال صلى الله عليه وسلم "مَهْيَم - أي ما شأنك - فقال: يا رسول الله تزوجت امرأة، قال: ما أصدقتها؟ قال: وزن نواة من ذهب قال: أولم ولو بشاة".(٣)

ويكره أن يُدعى إلى طعام الوليمة الأغنياء دون الفقراء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول "شرّ الطعام طعام الوليمة يُدعى لها الأغنياء ويترك الفقراء، ومن

---

(١) انظر فقه السنة ج:٢ ، ص:٢٣ .

(٢) متفق عليه البخاري فتح الباري ج:٤ ك: البيع، باب:٥٨ ، ص ٣٥٣ ، رقم: ٢١٣٩ .

(٣) أخرجه ابو داود، ج:١ ، ك:النكاح، باب: (قلة المهر) ص:٤٨٦ .

* أولم الرجل إذا صنع طعاماً وجمع اليه الناس لتتم الصلة بينهم، تُجمع على ولائم، انظر محيط المحيط مجلد:٢ ، ص ٢٢٧٨ .

** ابن عوف: هو عبدالرحمن بن عوف بن عبدالحرث بن زهره القرشي من المبشرين بالجنة أسلم قديماً وهاجر الهجرتين وشهد بدرا ومعظم المشاهد آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع، كثير الصدقة، استخلفه عمر على الحج سنة ولّى الخلافة وكان قد حرم الخمر في الجاهلية ت سنة ٣١ وقيل سنة ٣٢ وكان عمره ٧٢ سنة، انظر الإصابة، ج:٢ ، ص (٤٠٨،٤٠٩) رقم الترجمة ٥١٨١ .

ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم".(١)

٣- النشيد المباح:

أباح الإسلام النشيد عند الزواج لأن فيه ترويحاً عن القلوب وتنشيطاً للنفوس شريطة أن يتوفر فيه الآتي:-

أ- أن يكون داعياً إلى الأخلاق والفضيلة بعيدا عن الخلاعة والمجون والقول الفاحش.

ب-ألا يكون اختلاط بين الجنسين في الأفراح.

وجاء في الحديث الشريف الأمر باعلان النكاح في المساجد والضرب عليه بالدفوف، عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد وأضربوا عليه بالدفوف".(٢)

المقصود من الضرب بالدفوف والنشيد في الفرح هو إعلان الزواج وإشهاره بين الناس، فرحاً بما أحلّ الله من الطيبات للطيبين وترغيباً في الزواج من العفيفات الطيبات.

٤- الدعاء للزوجين:

جاء في السنة النبوية المطهرة، أن ندعوا إلى الزوجين، عندما نبارك لهما بفرحة الزواج بالدعاء الماثور عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رفّأ الإنسان -إذا تزوج - قال: "بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير".(٣)

وكذلك من الآداب أن يصلي الزوج بزوجته ركعتين لله تبارك وتعالى ثم يأخذ بناصيتها ويدعو بالدعاء المأثور(٤) الوارد عن ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "إذا أفاد أحدكم امرأة أو خادماً أو دابة فيأخذ بناصيتها وليقل: اللهم إني أسألك

---

(١) فتح الباري، مجلد:٩ ، ك: النكاح، باب: ٧٢ ، ص: ٢٤٤ ، حديث رقم: ٥١٧٧ ، وأخرجه مسلم، ج:٢ ، ك: النكاح، باب: ١٦ ص: (١٠٥٤،١٠٥٥) حديث رقم: ١٠٧ ، وأخرجه الدارمي، ج:٢ ك: (الأطعمة)، باب: ٢٨ (في الوليمة) ص: ٣١ حديث رقم: ٢٠٧٢ مسند الإمام أحمد، ج: ٤ ، ص: ٥ .

(٢) أخرجه الترمذي، مجلد:٣ ، ك: النكاح، باب: ٦ (إعلان النكاح) ص: (٣٩٨،٣٩٩) حديث رقم: ١٠٨٩ ، وأيضاً جاء بنحوه عند ابن ماجه، ج:١ ، ك: النكاح، باب: ٢٠ (إعلان النكاح) ص: ٦١١ حديث رقم: ١٨٩٥ وأيضاً المسند ج:٤ ، ص:٥ .

(٣) أخرجه الترمذي، ج:٣ ، ك: النكاح، باب: ٧ ، ص: ٤٠٠ حديث رقم: ١٠٩١ وأخرجه ابن ماجه، ج:١ ، ك: النكاح، باب: ٢٣ ، ص: ٦١٤ حديث رقم: ١٩٠٥ وأخرجه أبو داود، ج:٢ ، ك: النكاح، باب: ٣٦ ، ص: ٤٩١ وأخرجه الدارمي ج:٢ ، ك: النكاح، باب:٦ ، ص: ٥٩ ، حديث رقم: ٢١٧٩ .

(٤) انظر الآداب الإجتماعية في الإسلام، ص: ١٥٠ وأيضاً، منهاج المسلم، ص: ٣٧٥ .

٢- الوقاية من الفتن:

إذا تزوج الرجل يُحصن نفسه ويحفظها من الوقوع في الفتنة ومما يسول به الشيطان للنفس البشرية، وفيه غض للبصر وحفظ للفرج وفيه من العفة والطهارة ما يصون الأعراض ويحمي المجتمع من الفساد والإنحلال، عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال: "إنّ المرأة إذا أقبلت، أقبلت في صورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله، فإن معها مثل الذي معها".(١)

٣- الوقاية من الأمراض:

إن الإسلام ينظر الى الأسرة على أنها المحضن الطبيعي الذي يحافظ على الأطفال من الضياع فتنمو أجسادهم وعقولهم وتشرق أرواحهم لأنهم يشربوا حنان الوالدين منذ صغرهم.

إضافة إلى أن الزواج الشرعي يصون الأنساب من الضياع والتسيب الناتج عن الإختلاط والفوضى الجنسية.

كما أنه يحمي ويصون المجتمع من الأمراض الكثيرة التي تحدث من الفوضى الجنسية كالتي تحدث في بعض المجتمعات الجاهلية قديماً وحديثاً.

٤- راحة النفس:-

النفس تهدأ وتطمئن وتأنس بمجالسة الأهل والأولاد وخاصة بعد أن يعود الأب من مشاق الحياة ومتاعبها من أجل تحصيل قوته وقوت عياله، فيجد الزوج راحة في القلب فتنشرح نفسه ويعود نشيطاً للعمل في اليوم التالي.

٥- تحقيق القوامة والمجاهدة:

الزواج فيه تكليف للرجل برعاية أهله والعمل على توفير متطلباتهم في الحياة لأن له القوامة في البيت وهذا يحتاج إلى جهاد منه لأجل تحصيل الكسب الحلال لمن يعولهم. قال تعالى "**ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه**".(٢)

وأحيانا يبذل الزوج الجهد في الصبر على الزوجة والأولاد من أجل إصلاحهم

١- أخرجه مسلم، ج:٢ ، ك: النكاح، باب:٢ ، ص ١٠٢١ حديث رقم:٩ وأخرجه الترمذي، ج:٣ ، ك: الرضاع، باب:٩ (الرجل يرى المرأة تعجبه)، ص: ٤٦٤ ، حديث رقم: ١١٥٨ وأخرجه أبو داود ج:٢ ، ك: النكاح، باب: ٤٣ (ما يؤمر به من غض البصر) حديث رقم:٢١٥١ ، وأخرجه الدارمي عن طريق ابن مسعود، ج:٢ ، ك: النكاح، باب: ٣١ ، ص:٧٠ ، حديث رقم ٢٢٢١ ، وأخرجه الإمام احمد في المسند، ج:٣ ، ص: (٣٣٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٨ ، ٣٩٥).

٢- سورة العنكبوت الآية: ٦ .

وارشادهم وتعليمهم تعاليم الدين.(١)

وهذا يثاب عليه ويؤجر لأنه عمل بقول الله تبارك وتعالى "يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون".(٢)

المطلب الرابع: الحقوق الزوجية

لقد أوجب الإسلام حقوقاً لكلا الزوجين على الآخر حتى تكون العلاقة بينهما قائمة على الصورة المثلى كما أراد الله في كتابه الكريم، وقبل الحديث عن ذلك ينبغي أن نتحدث عن توضيح هذه العلاقة وطرح الأمور التي فرّق الإسلام فيها بين المرأة والرجل في الأسرة والمجتمع.

لقد أوضحت سورة البقرة بصورة خاصة علاقة الرجل بزوجته بقوله تعالى "هن لباس لكم وأنتم لباس لهن".(٣)

فجاء في معنى اللباس أقوال منها أن كلا الزوجين بمنزلة اللباس للآخر حيث أنهما يفضيان بأجسامهما لبعضهما البعض فكنّى عن إجتماعهما في البيت باللباس لأن كلًا منهما يستر صاحبه من العيوب ويصون عرضه ويحفظ شرفه وهذا ما أوضحناه سابقاً.

ومنها أن اللباس هو السكن بمعنى الهدوء والراحة للنفوس حيث عبر عن الليل باللباس وهو يمتاز بالهدوء والسكن بالنسبة للنفس التي تعاني التعب والشقاء في النهار(٤)، وقال بذلك مجاهد* .

ثم أوضحت السورة قوامة الرجل على المرأة بقوله تعالى "ولهن مثل الذي عليهن

---

(١) انظر دراسات في الثقافة الإسلامية، ص١٠٧ وأيضاً الآداب الدينية الإجتماعية، ص: ٨٨ وأيضاً دستور الأسرة ص: (٦١ ، ٦٥).

(٢) سورة التحريم الآية: ٦ .

(٣) سورة البقرة الآية: ١٨٧ .

(٤) انظر تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن ج:١ ، ص: ٥٠٤ وايضاً غاية البيان في تفسير القرآن ج:١، ص٥٤ .

* مجاهد: هو مجاهد بن جبر المكي المخزومي وهو ثقة في الحديث وإمام في علم التفسير حدّث عن ابن عباس وعن عائشة وعن أبي هريره، وحدّث عنه عكرمه وقتادة وغيرهم، روى عنه تفسيره شبل بن عماد المكي ولد سنة ٢١ﻫ في خلافة عمر، ت بمكة سنة ١٠١ﻫ وعمره ٨٣ سنة. انظر حلية الأولياء ٢٧٩/٣ رقم ٢٤٣ وتهذيب التهذيب ٤٢/١٠ رقم الترجمة: ٦٨ ،ط:١ ، دار صادر بيروت، وايضاً طبقات المفسرين للداودي ج:٢ ، ص(٣٠٥ – ٣٠٨) رقم: ٦١٧ وأيضاً ميزان الإعتدال ج٣ ، ص: ٤٣٩ رقم الترجمة: ٧٠٧٢ .

بالمعروف وللرجال عليهن درجة"(١). فالعلاقة تكون مبنية على المساواة بين الزوجين، لأنهما من نفس واحدة ثم فضلت الرجال على النساء درجة وهي التي تعني قوامة الرجل على المرأة في البيت.

فهذه الدرجة تكون بإنفاق الرجل على المرأة ومستمدة ايضاً من تفوقهم الطبيعي على النساء لانهم أقدر على تحمل المسؤولية وتكاليف الحياة ولن تستطيع المرأة أن تكافح كفاح الرجل لأنها تمر بمراحل الحمل والرضاعة التي تضعف جسدها وايضاً العادة الشهرية التي تأتي اليها اسبوعاً في كل شهر فتبتعد عن الصلاة وتفطر في شهر رمضان فتسبّب لها الضعف في المزاج النفسي والعصبي.(٢)

لذلك أوصى القرآن بالرفق في معاملتهن والإحسان إليهن فقال تعالى "**وعاشروهن بالمعروف**".(٣)

وقال المفسرون أن المعاشرة بالمعروف أن تكون العلاقة بينهما قائمة على الآتي:

١- الأمانة:-

علاقة الزوج بالزوجة ينبغي أن تكون قائمة على الأمانة المتبادلة ليتولد الإخلاص بينهما في كل عمل لأنهما شركاء في الحياة الزوجية، وإذا توفرت الأمانة والإيمان فلا يبغي بعضهما على الآخر كما يحدث بين الكثير من الخلطاء قال تعالى "**وإن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**".(٤)

٢- الثقة:

إن علاقة الزوج بزوجته لا بد أن يسودها الثقة المتبادلة من الطرفين فلا يشك الإنسان في نفسه، لانهما خلقا من نفس واحدة فلذلك ينبغي أن يعتني كل منهما بمصلحة الآخر، والإثنان عينٌ ساهرة على الأسرة ومصالحها.

ولنعلم أنه إذا فقدت الثقة داخل الأسرة، ودخل داء الشك والريبة بين الزوجين فإن ذلك يكون حجر الأساس في دمار الأسرة والتفريق بين الزوجين.(٥) لذلك حرص الإسلام على إيجاد عنصر الثقة بين الزوجين وفرّق بينهما في بعض الأمور بصفة أن الرجال قوامون على النساء وأوضحت سورة البقرة هذا التفريق بصورة خاصة كما جاء في القرآن والسنة بصفة عامة وهي كالآتي:

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٢٨ .

(٢) انظر تفسير الطبري ج:٢ ، ص: ٤٥٣ وايضاً من الآداب والأخلاق الإسلامية، ص:٥٤ ، وأيضا روح الدين الإسلامي ص: ٣٦٧ .

(٣) سورة النساء الآية: ١٩ . (٤) سورة ص الآية: ٢٤ .

(٥) انظر منهاج المسلم، ص: (٩٢ ، ٩٣).

١- **الشهادة:**

فرق الإسلام بينهما في الشهادة فجعل شهادة الرجل بشهادة امرأتين قال تعالى "*واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجلٌ وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضلّ إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى*".(١)

وقال المفسرون أن السبب في هذا التفريق هو إحتمال النسيان عند المرأة أكثر من الرجل، فإن ضلّت إحداهما تذكرها الأخرى ولأمور أخرى مرتبطة بطبيعتها كأنثى تمتاز بعاطفة الأمومة والطفولة، وأنّ عملها الأساسي في البيت وليس في الأسواق.

وليس المقصود إهانة المرأة حينما جُعلت شهادتها بهذه الصورة وإنما التثبت في القضاء بين الناس وإبراز العدل.(٢)

قال تعالى "*وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل، إن الله نعمّا يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا*".(٣)

٢- **الميراث:**

جعل الإسلام ميراث المرأة من التركة نصف ميراث الرجل، وذلك لأن الرجل مُلزم بواجبات مالية كثيرة، كالمهر الذي يدفعه للزوجة عند الزواج وأيضاً مطالب بالنفقة على زوجته وأولاده وتوفير كل ما يحتاج إليه البيت، والمرأةُ غير مطالبة بمثل هذه الأمور فهي خاصة بالرجل.

قال تعالى "*يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الأنثيين*".(٤)

٣- **الديّة:-**

إتفق العلماء على أن دية المرأة في حالة القتل الخطأ نصف دية الرجل في تفسير قوله تعالى "*ومن قتل مؤمنا خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله*".(٥)

٤- **رئاسة الدولة:-**

لم يُبح الإسلام للمرأة أن ترأس الدولة أو تعتلي كُرسي القضاء لتغلب العاطفة عليها في بعض الأمور فأسند ذلك المنصب إلى الرجل.

فقد جاء في الحديث الشريف عن أبي بكرة قال: لقد نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الجمل بعدما كِدت أن ألحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم، قال: لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن أهل فارس قد ملّكوا عليهم بنت

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٨٢ .

(٢) انظر تفسير الكشاف، ج:١ ، ص: ٤٠٣ ، ط١ (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) دار الفكر وأيضاً صفوة التفاسير، مجلد:١ ، ص: ١٨٧ وأيضاً دراسات في الثقافة الإسلامية، ص: ١١٤ .

(٣) سورة النساء الآية: ٥٨ . (٤) سورة النساء الآية: ١١ . (٥) سورة النساء الآية: ٩٢ .

كسرى قال: "لن يُفلح قومٌ ولّوا أمرهم إمرأة".(١)

وأوضحت الشريعة الإسلامية حقوق الزوج والزوجة وواجبات كلّ منهما على الآخر لتسير الحياة الزوجية بانتظام وخطى وئيدة نحو تحقيق الهدف السامي من الزواج وهي كالآتي:

أولا - حقوق الزوج على زوجته:-

١- حق الطاعة:-

أمر الإسلام الزوجة بطاعة زوجها في كل ما يأمر به بحيث لا يتعارض مع مبادىء الإسلام وآداب الشريعة قال تعالى "**فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا**".(٢)

قال العلماء في تفسير الآية أن الطاعة من الزوجة لزوجها واجبة لأمرين.(٣)

أ- خلقي: بمعنى أن الله سبحانه جعل في الرجال القوة الجسمية والعزم والصبر والإرادة في القدرة على تنفيذ ما يخططونه بعقولهم أكثر بكثير من النساء اللواتي قد تخرجهن عاطفة الأمومة عن جادة الصواب.

ب-كسبي: يعني أن الله سبحانه كلّف الرجل بالكسب والعمل خارج البيت لكسب الحلال الطيب والإنفاق على أسرته، وأي ضير في أن تطيع المرأة من يشقى لإسعادها و يبذل الجهد لراحتها؟!

فقد جاء في شأن داود عليه السلام أنه كان يكسب رزق أسرته من عمل يده عن المقدام ابن معد يكرب* رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "ما أكل أحد طعاما قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وأن نبي الله داود صلى الله عليه وسلم كان يأكل من عمل يده".(٤)

فالطاعة من الزوجة واجبة لذلك المجاهد الذي يتعب في سبيل راحتها عملا بقول

---

(١) فتح الباري، ج:٨ ، ك: المغازي، باب ٨٢ ، ص: ١٢٦ رقم: ٤٤٢٥ وأيضاً الترمذي، مجلد:٤ ، ك: الفتن، باب: ٧٥ ، ص: ٥٢٧ حديث رقم: ٢٢٦٢ .

(٢) سورة النساء الآية: ٣٤ .

(٣) انظر التفسير الموضوعي في القرآن ، ص: ٦٩ وانظر منهج القرآن في تربية المجتمع، ص ٣٢٠ وانظر فضيلة التوكل في القرآن، ص١٢٣ .

(٤) فتح الباري ج:٤ ، ك: البيوع، باب: ١٥ كسب الرجل من عمل يده، ص ٣٠٢ حديث رقم: ٢٠٧٢ .

* المقدام: هو المقدام بن معد يكرب بن عمرو بن يزيد بن معدى كرب، أبو يحي الكندي نزل حمص وروى عن النبي وعن خالد بن الوليد وعنه ابنه يحي وابن إبنه صالح بن يحي وخالد بن معدان والشعبي وشريح وهو من الطبقة الرابعة من أهل الشام ت سنة ٨٣ هـ وقيل سنة ٨٦ هـ وهو ابن ٩١ سنة تهذيب التهذيب ج:١٠ ، ص:٢٨٧ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا صلّت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها".(١)

ومنع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تخرج المرأة من بيتها بدون إذن زوجها عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن المرأة إذا خرجت من بيتها وزوجها كاره لعنها كلّ ملك في السماء وكلّ شيء مرت عليه غير الجن والإنس حتى ترجع".(٢)

٢- حفظ العرض والمال:-

الزوجة الصالحة المتخلقة بأخلاق الإسلام هي التي تحفظ عرض زوجها خاصة في غيابه وترعى ماله من الضياع أو التبذير وتحفظ ولده وسائر شؤون البيت لأنها راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها يوم القيامة، وبذلك تحفظ مستقبل الأسرة من الضياع والتسيب.(٣)

جاء في الحديث الشريف عن الأحوص* أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول "ألا إنّ لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقّاً فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فُرشكم من تكرهونه ولا يأذنّ في بيوتكم لمن تكرهونه".(٤)

٣- القيام بالعمل البيتي:-

إن عمل المرأة الأساسي في البيت وهو لا يقل عن عمل الرجل خارج البيت لأن من واجبها الإعتناء بأولادها فتربيهم التربية الصحيحة، لتقدم للأمة جيلاً يتفانى في خدمة العقيدة والوطن فهو عمل هام ودقيق لبناء الأمة وتحرير الوطن.(٥)

٤- أن تصوم نفلاً بإذنه:-

لا يجوز للمرأة أن تصوم نفلاً وزوجها حاضر إلا بإذنه والدليل على ذلك ما جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "لا تصوم المرأة

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ج:١ ، ص: ١٩١ وقال الهيثمي في رواته ابن لهيعه وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح انظر مجمع الزوائد ج:٤ ، ص: ٣٠٦ .

(٢) قال الهيثمي رواه الطبراني في الأوسط وفيه سويد بن عبدالعزيز وهو متروك وقد وثقه جماعة غيره وبقية رجاله ثقات انظر مجمع الزوائد ج:٤ ، ص:٣١٣ .

(٣) انظر في رحاب الإسلام ص: ٣٤٧ وايضا منهاج المسلم ص: ٩٥ .

(٤) أخرجه الترمذي، مجلد:٣ ، ك:الرضاع، باب: ١١ (حق المرأة على زوجها" ص٤٦٧ ، رقم ١١٦٣ والدارمي ج:١ ، ك: المناسك باب ٣٤ ، ص: ٣٧٥ رقم ١٨٥٧ وهو جزء من حديث طويل، وأخرجه في المسند ج:٥ ، ص: ٧٣ .

(٥) انظر الثقافة الإسلامية، ص: ٦٨ .

* الأحوص: هو سليمان بن عمرو بن الأحوص الجشمي ويقال الأزدي الكوفي روى عن أبيه وأمه أم جندب ولهما صحبه، ذكره ابن حبان في الثقات. انظر تهذيب التهذيب، ج:٤ ، ص: ٢١٢ .

وبعلها شاهد إلا بإذنه".(١)

وإذا دعاها إلى فراشه عليها الطاعة وعدم الإمتناع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح".(٢)

٥- التزين لزوجها:

يجب على الزوجة أن تتزين لزوجها الزينة المشروعة المباحة كأن يشم منها الرائحة الطيبة ويرى منها جمالاً تطيب به نفسه وتقرّ به عينه فلها أن تتزين بالثياب والحُليّ والطيب واستعمال الكحل واستعمال الكريمات الحديثة التي تجمّل الوجه.

أما الزينة الممنوعة فهي التي فيها تغيير لخلق الله كالوشم أو تفريق الأسنان فهذا لا يجوز شرعاً.

عن عبدالله أن النبي صلى الله عليه وسلم "لعن الواشمات والمستوشمات والمتنمصات، مبتغيات للحسن مغيرات خلق الله" قال فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب وكانت تقرأ القرآن، فأتته فقالت، ما حديثٌ بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فقال: عبدالله ومالي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وهو في كتاب الله فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين الوحي - المصحف - فما وجدته فقال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، قال الله عز وجل: "وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا".

فقالت المرأة: فإني أرى شيئاً من هذا على امرأتك الآن قال: اذهبي فانظري، قال فدخلت على امرأة عبدالله فلم تر شيئاً فجاءت إليه فقالت ما رأيت شيئا، فقال أما لو كان ذلك فلم نجامعها".(٣) أي لم نصاحبها في الحياة الزوجية.

وينبغي على المرأة أن تحافظ على زينتها فلا تبديها أمام الناس في الطرقات والأماكن العامة كما يحدث من بعض الكاسيات العاريات فهذا حرام في الشرع. قال تعالى "*وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يُبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخُمُرهنّ على جيوبهنّ*".(٤)

---

(١) فتح الباري، مجلد:٩ ، ك: النكاح، باب: ١٤ ، ص: ٢٩٣ ، رقم: ٥١٩٢ مسلم ج:٢ ، ك: الزكاة، باب: ٢٦ ، ص: ٧١١ ، رقم: ٨٤ وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ج:٢ ، ص (٢٤٥،٣١٦،٤٤٤).

(٢) مسلم ج:٢ ، ك: النكاح، باب: ٢٠، ص: ١٠٦٠ رقم: ١٢٢ ، فتح الباري ج:٩ ، ك:النكاح، باب: ٨٥ ، ص: (٢٩٣،٢٩٤) حديث رقم: ٥١٩٣ ، المسند، ج:٢ ، ص(٤٣٩،٤٨٠).

(٣) فتح الباري، مجلد(٩ ، ك: الطلاق باب: ٥١ ، ص: ٤٩٤ حديث رقم: ٥٣٤٧ ومسلم: ج:٣ ، ك: اللباس، باب: ٣٣ ص: ١٦٧٨ حديث رقم: ١٢٠ وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ج:١ ص: (٤٣٤ ، ٤٤٣ ، ٤٤٨) ج:٤ ، ص: (٣٠٨،٣٠٩).

(٤) سورة النور الآية: ٣١ .

٦- **مشاركتها هموم الزوج:**

إن الزوجة الصالحة تواسي زوجها وتخفف عنه متاعب الحياة بالكلمة الطيبة والوقوف بجانبه حتى يؤدي رسالته للمجتمع ويقوم بالدور الملقى عليه للأمة والوطن.

وهكذا كانت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها تُخفّف متاعب الدعوة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواسيه بنفسها مع مالها وتقف بجانبه يوم يؤذيه قومه.

ويا ليت نساء اليوم يدركن مواقف المؤمنات عبر التاريخ، عن أنس قال "كان ابن أبي طلحه يشتكي فخرج أبو طلحه فقُبض الصبيّ فلما رجع أبو طلحه قال: ما فعل إبني؟ قالت أم سليم: هو أسكن ما كان، فقّربت إليه العشاء فتعشى ثم أصاب منها فلما فرغ قالت له "احتسب ولدك، فذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم "بارك الله لكما في ليلتكما، فولدت غلاماً".(١)

ثانيا - حقوق الزوجة على زوجها:-

إن للزوجة حقوقاً على زوجها يجب أن يصدقها إياها ولا ينقصها شيئاً من حقها وتتمثل في الآتي:

١- **الصداق:-**

الصَدُقة: هو مهر المرأة ويجمع صَدْقات وصدُقات، وهو أول حق للزوجة على زوجها أوجبه الله بقوله تعالى "***وآتوا النساء صدقاتهن نحلةً فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئا***"(٢). لتوثيق الصلة بين الزوجين وزيادة عوامل الألفة والمحبة بينهما، ولا يجوز للزوج أن يأخذ منه شيئاً إلا عن طيب نفس منها.(٣)

فقد رُوي عن الشعبي* أن رجلاً جاء مع امرأته إلى شريح** يشتكي في عطية أعطتها إياه وهي تطلب أن ترجع بها فحكم شريح برد عطيتها عليها.

---

(١) فتح الباري، ج:٩ ، ك: الأطعمة، باب:١ (تسميةالمولود)، ص: ٥٨٧ ، رقم: ٥٤٧٠ .

(٢) سورة النساء الآية: ٤ .

(٣) محيط المحيط ج:٢ ، ص: ١١٧٣ .

* الشعبي: هو عامر بن شراحيل الشعبي الحميري أبو عمرو من التابعين يُضرب المثل بحفظه نشأ بالكوفة واتصل بعبد الملك بن مروان فكان رسوله الى ملك الروم، من رجال الحديث الثقات وكان فقيهاً وشاعراً ولد ١٩هـ وتوفي سنة ١٠٣هـ بالكوفة . انظر الزركلي ج:٣ ، ص:٢٥١ وتهذيب التهذيب ج:٥، ص:٦٥ وحلية الأولياء ج:٤، ص:٣١٠، وتاريخ بغداد ج:١٢، ص:٢٢٧ وتهذيب بن عساكر ج:٧، ص:١٣٨ .

** شريح: هو شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي أبو أمية من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام، أصله من اليمن وُلّي قضاء الكوفة زمن عمر وعثمان كان ثقة في الحديث مأموناً في القضاء، له باع في الشعر والأدب. انظر الأعلام، مجلد:٣ ، ص:١٦١ وطبقات ابن سعد ٦/(٩٠-١٠٠) ووفيات الأعيان ٢٢٤/١ وحلية الاولياء ١٣٢/٤ والشذرات ٨٥/١ .

فقال الرجل: أعطتني عن طيب نفس، فقال شريح لو طابت نفسها لما رجعت فيه.

وروي أن رجلاً أعطته امرأته الف دينار صداقاً كان لها فلبث شهراً ثم طلقها فخاصمته الى ابن مروان* فقال الرجل أعطتني طيبة بها نفسها فقال ابن مروان للرجل، أين الآية الثانية فلا تأخذوا منه شيئاً أردد عليها، وأجاز عمر بن الخطاب هذا الحكم حيث كان يكتب الى عماله أن النساء يعطين رغبة ورهبة، فأيما امرأة أعطت ثم أرادت أن ترجع فذلك لها.(١)

قال تعالى "وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً".(٢)

٢- النفقة:-

أوجب الاسلام على الرجل أن ينفق على أهله حسب حالته المادية بدون إسراف أو تبذير أو تقتير في الإنفاق(٣) قال تعالى "ولينفق ذو سعة من سعته ومن قُدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عُسر يسرا".(٤)

وأوضح صلى الله عليه وسلم حق الزوجة فقد جاء عن حكيم بن معاوية** عن أبيه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم "ما حق المرأة على الزوج؟ قال: أن يُطعمها إذا طَعم وأن يكسوها إذا اكتسى ولا يضرب الوجه ولا يُقبح ولا يهجر إلا في البيت".(٥)

---

(١) انظر تفسير الكشاف مجلد: ١ ، ص:٤٩٩ .

(٢) سورة النساء الآية: ٢٠ .

(٣) انظر تفسير البيضاوي، ص: ٧٤٤ .

(٤) سورة الطلاق الآية: ٧ .

(٥) أخرجه مسلم ج:٢، ك:الحج، باب: ١٩ (حجة النبي) ص: ٨٩٠ رقم: ١٤٧ جزء من حديث طويل، وأخرجه ابن ماجه، ج:١ ، ك: النكاح باب:٣ (حق المرأة على الزوج) ص: (٥٩٣،٥٩٤) حديث رقم:١٨٥٠ .

* ابن مروان: هو عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو الوليد من أعظم الخلفاء ودهاتهم نشأ بالمدينة وكان فقيها متعبدا استعمله معاوية على المدينة وعمره ١٦ سنة انتقلت اليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥هـ وكان جبارا على معانديه وأول من صك الدنانير في الأسلام ت بدمشق. انظر الزركلي مجلد:٢ / ص: ١٦٥ وميزان الإعتدال ١٥٣/٢ وتاريخ بغداد ٣٨/١٠ وتهذيب التهذيب ٦/ (٤٢٢-٤٣٢).

** حكيم: هو حكيم بن معاوية بن حيده القشيري روى عن أبيه وروى عنه بنوه بهز وسعيد ومهران وأبو قزاعه سويد بن حجير، وقال العجلي عنه ثقة وقال النسائي ليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثقات وزاد في الرواة عنه قتاده، وقيل اختلف في صحبته وقيل أنه من التابعين، انظر تهذيب التهذيب، ج:٢ ، ص: ٤٥١ .

وحينما تنظر إمرأة المستور الحال الى زوجة الميسور الحال ثم تطالب زوجها بنفقة فوق سعته من المال فذلك يؤدي إلى مشاكل لا تحمد عقباها، لذلك يجب على الزوجة أن تراعي وضع زوجها وتعيش معه في السراء والضراء ولنا عبرة في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لم توقد فيه النار لمدة ثلاثة شهور وكانوا يعيشون على التمر والماء.

٣- تعليمها أمور الدين:-

أحياناً تجهل المرأة أمور دينها فعلى زوجها أن يعلمها تعاليم الإسلام من الطهارة والغسل والوضوء والصلاة وأحكام الحيض والنفاس والإستحاضة وأحكام الصيام وقراءة القرآن والأذكار المأثورة صباحا ومساء، وكيف تتعامل مع أهلها والجيران ولنا إسوة حسنة في اسماعيل عليه السلام حيث كان يأمرأهله بالصلاة والزكاة. قال تعالى "***وكان يأمُرُ أهْله بالصلاة والزكاة وكان عند ربّه مرضيا***".(١)

وأن يمنعها من التبرج ويحول بينها وبين الاختلاط بغير محارمها وإذا كان الزوج غير عالم بهذه الأمور فعليه أن يسأل أهل الاختصاص والعلم(٢) قال تعالى "***فاسألوا أهْل الذكر إنْ كنتم لا تعلمون***".(٣)

٤- المعاملة بلطف وإحسان:

إن المعاملة الحسنة في الأسرة هي أساس نجاح وسعادة الزوج والزوجة لذلك وجب على الزوج أن يلاطف زوجته ويكّف عنها الأذى ويدخل عليها السرور ويحلم عند غضبها فقد جاء في الحديث الشريف عن أبي هريره رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "استوصوا بالنساء خيرا فإنهن خُلقن من ضلع وانّ أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً".(٤)

ولنا الأسوة الحسنة في رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان يلاطف زوجاته ويُمازحهن، فقد جاء في مداعبته وممازحته لنسائه، عن عائشة رضي الله عنها، أنها كانت

---

(١) سورة مريم الآية: ٥٥ .

(٢) انظر السلوك الإجتماعي في الإسلام، ص: ٢٠٧ وأيضا التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص: ٦٩ وأيضاً منهاج المسلم، ص:٩٤ .

(٣) سورة الأنبياء الآية: ٧ .

(٤) فتح الباري ج:٩ ، ك: النكاح، باب: ٨٠ (الوصاة بالنساء) ص: ٢٥٣ حديث رقم: ٥١٨٦ وأيضاً مسلم، ج:٢ ، ك: الرضاع، باب: ٦٢ (الوصية بالنساء) ص: ١٠٩١ رقم: ٦٢ وايضا الدارمي، ج:٢ ، ك: النكاح باب: ٣٥ (مدارة الرجل أهله) ص: ٧١ ، رقم ٢٢٢٧ . وأخرجه صاحب المسند ، ج:٥ ، ص: ٨ بنحوه.

مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر قالت: فسابقتُه فسَبقته على رجليّ فلما حملتُ اللحم سابقته فسبقني فقال "هذه بتلك".(١)'

٥- المحافظة على أسرارها:

إن الرجل أمين على زوجته ومطالب برعايتها والذود عنها والمحافظة عليها فلا يجوز أن يذكر عيباً فيها لأحد لأنه لباس لها وهي لباس له، وهما من نفس واحدة، فكيف يتكلم على نفسه؟!

قال تعالى "**وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظا**".(٢)

٦- العدل بين الزوجات:-

أباح الاسلام للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة قال تعالى "**فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم**".(٣)

فالتعدد في الآية مشروط بالعدل من الزوج بينهن في النفقة والمسكن والمبيت وسائر الأمور المادية المحسوسة التي يستطيع أن يعدل فيها الزوج، فلا يحق له أن يعطي واحدة من ماله دون الأخرى أو يبيت عند واحدة في ليلة الأخرى، وإذا لم يقدر على تحقيق العدل فالإكتفاء بواحدة.

أما الميل القلبي فهو من الأمور المعنوية التي لا يستطيع أن يعدل الإنسان بها فهو غير محاسب على ذلك ،لأن الأب أحياناً تكون محبته لأبنائه غير متساوية فكيف بين النساء!.(٤)

وكان رسولنا صلى الله عليه وسلم يعدل بين نسائه في العطاء والمبيت وهو الأسوة الحسنة لنا في حياتنا.

فقد روت عائشة رضي الله عنها فقالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول: "اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك"(٥). وقال أبو داود يعني القلب.

---

(١) أخرجه أبو داود، ج:٢ ، ك: الجهاد، باب (في السبق) ص: ٢٨ وأيضاً ابن ماجه، ج:١ ، ك: النكاح، باب: ٥٠ (حسن معاشرة النساء)، ص: ٦٣٦ رقم : ١٩٧٩ وأيضاً الإمام أحمد في المسند ج:٦ ، ص: ٣٩ ، ١٢٩ ، ١٨٢ .

(٢) سورة النساء الآية: ٢١ .

(٣) سورة النساء الآية: ٣ .

(٤) انظر تفسير البيضاوي، ص:١٠٢ وأيضاً في رحاب الإسلام، ص:٣٥٤ وأيضاً السلوك الإجتماعي في الإسلام، ص: ٢١٣ .

(٥) أخرجه أبو داود، ج: ، ك: النكاح، باب ٣٨ "القسم بين النساء"، ص: ٤٩٢ .

المطلب الخامس: حقوق الآباء والأبناء

أولاً - حق الوالدين:-

لقد أوصت سورة البقرة الأبناء بالإحسان إلى الوالدين ليس لأنهما تعبا في تربيتهم لأبنائهم أو لكونهم سبباً في وجودهم، بل لأن الله سبحانه أوجب الطاعة لهما، فقرن ذلك بحقه عليهم في العبادة في العديد من الآيات القرآنية التي منها الآتي:-

قال تعالى "*وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا*".(١)

فجعل سبحانه وتعالى الإحسان إلى الوالدين العنصر الثاني بعد توحيد الله وإفراده في الألوهية والربوبية قال تعالى "*واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب*".(٢)

وجعل الإحسان إلى الوالدين من الوصايا العشر التي دعا إليها الرسل الكرام قال تعالى "*قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا*".(٣)

أمر سبحانه بالإخلاص له في العبادة ثم ربط ذلك بإسداء الجميل والإحسان للوالدين والعناية بهما خاصة عند الكبر قال تعالى "*وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إمّا يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما*".(٤)

وأمر بالمصاحبة لهما في الدنيا بالمعروف وعدم طاعتهما في معصية الله قال تعالى "*ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمّه وهناً على وهنٍ وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير وإن جاهداك على أن تشركَ بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا*".(٥)

وجاءت السنّة النبوية المطهرة تأمر الأبناء بأن يبروا آباءهم فقد صحّ في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يجزي ولدٌ والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيُعتقه".(٦)

---

(١) سورة البقرة الآية: ٨٣ . (٢) سورة النساء الآية: ٣٦ .

(٣) سورة الأنعام الآية: ١٥١ (٤) سورة الإسراء الآية: ٢٣ .

(٥) سورة لقمان الآية: (١٤، ١٥).

(٦) رواه مسلم ج:٢ ، ك: العتق، باب ٦ ، ص:١١٤٨ رقم:٢٥ وأيضاً الترمذي ج:٤ ، ك: البر، باب:٨ ، ص:٣١٥ رقم ١٩٠٦ وأيضاً أبو داود ج:٢ ، ك: الأدب باب (في بر الوالدين) ص:٦٢٨ وأيضاً ابن ماجه، ج:٢ ، ك الأدب باب: ١ ، ص:١٢٠٧ رقم: ٣٦٥٩ ، مسند الإمام أحمد ج:٢ ، ص:(٣٣٠ ، ٣٦٣ ، ٣٧٦).

وقدّم صلى الله عليه وسلم البر بالوالدين على الجهاد في سبيل الله عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،أيّ العمل أفضل قال: "الصلاة لوقتها" قال قلت: ثم أي؟ قال: "برّ الوالدين" قال: قلتُ: ثم أيّ؟ قال: "الجهاد في سبيل الله" فما تركت أستزيده إلا إرعاءً عليه".(١). أي مخافة أن أشق عليه بكثرة الأسئلة.

وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبايعه على الجهاد، وأبواه يبكيان فأمره بالرجوع ليرضيهما. عن عبدالله بن عمرو قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إني جئت أريد الجهاد معك أبتغي وجه الله والدار الآخرة ولقد أتيت وإنّ والديّ ليبكيان، قال: فارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما".(٢)

النصوص الشرعية السابقة وضّحت أن للآباء حقوقاً على أبنائهم، وكما أن للآباء حقوقاً فإن للأبناء حقوقاً على آبائهم، ولقد ذكر المفسرون حقوق الأباء على أبنائهم نلخصها في الآتي:(٣)

١- حق الطاعة:-

ينبغي على الأبناء أن يطيعوا الآباء ولا يعصونهم في معروف وذلك لفضلهم على أبنائهم في الآتي:

أ- الآباء سبب في وجود الأبناء.

ب-الآباء بذلوا جهداً كبيراً في تربية أولادهم فسهروا عليهم الليل والنهار حتى أصبحوا رجالاً يعتمدون على أنفسهم في الحياة.

ج-الآباء يتفانوا في طلب الراحة لأبنائهم.

لهذه العوامل وجب طاعة الأبناء لآبائهم ولأن في طاعتهم الأجر من الله تبارك وتعالى قال تعالى "**ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كُرها ووضعته كرها**

---

(١) فتح الباري، ج:٦ ، ك: الجهاد، باب (أفضل الجهاد) ص:٣ ، حديث رقم: ٢٧٨٢ ، مسلم، ج:١ ، ك: الإيمان، باب: ٣٦ ، ص: ٨٩ حديث رقم:١٣٧ وأيضاً الترمذي، ج:٤ ، ك: البر، باب: ٢ (بر الوالدين) ص ٣١٠ رقم: ١٨٩٨ وأيضاً ابن ماجه ج:٢ ك: الأدب باب١ ، ص ١٢٠٧ رقم: ٣٦٦١ بألفاظ مختلفة وأيضاً مسند الإمام أحمد ج:١ ، ص: (١٨٦،١٨١) ، ج:٥ ، ص: ٣٦٨ .

(٢) أخرجه ابن ماجه، ج:٢ ، ك: الأدب، باب: ١٢ ، ص: ٩٣٠ رقم ٢٧٨٢ أبو داود ، ج:٢ ، ك: الجهاد باب (الرجل يغزو وأبواه كارهان) ص: (١٦، ١٧) مسند أحمد ج:٤ ، ص ٢٢٣ ، ج:٢ ، ص (١٦٠ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ، ٢٠٤).

(٣) انظر تفسير القرطبي، مجلد ١ ، ج:٢ ، ص:١٣ وايضاً في ظلال القرآن مجلد:٤ ، ص:٢٢٢١ وايضا مجمع البيان ج:١ ، ص: ٢٩٨ وأيضاً غاية البيان، مجلد:١ ، ص:٦٧ .

وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنة قال ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين".(١)

٢- الإحسان إليهما:

أوصى القرآن الكريم بالإحسان الى الوالدين في العديد من الآيات القرآنية وقال العلماء ان الإحسان إليهما لا بد أن يشمل ثلاثة أمور وهي كالآتي:-

أ- الإحسان بالقول:-

أن يخاطب الأبناء آباءهم بالقول اللين اللطيف وبالكلم الطيب الذي يشعرهما بنبرة الحب والحنان والحدب عليهما قال تعالى "فلا تقل لهما أفّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما".(٢)

ب- الإحسان بالفعل:-

أن يقوم الأبناء بخدمتهما والسهر عليهما إذا مرضا وتوفير كل ما يحتاجان إليه في هذه الحياة مهما كانت ظروف الأبناء فلا بُدّ أن يطوعوا أنفسهم ومصالحهم في خدمة والديهم.

وأوضح صلى الله عليه وسلم أن الذي يسهر على راحة والديه يفرج الله عنه الكرب في الدنيا والآخرة.

فجاء في الخبر أن ثلاثة أواهم المبيت في جبل فانحطت عليهم صخرة فدعوا الله بأفضل أعمالهم فقال: أحدهم "اللهم إني كان لي أبوان شيخان كبيران فكنت أخرج فأرعى ثم أجيء فأحلب بالحلاب فآتي به أبويّ فيشربان ثم أسقي الصبية وأهلي فاحتلبتُ ليلة فجئت فإذا هما نائمان، قال: فكرهت أن اوقظهما والصبية يتضاغون عند رجلي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما حتى طلع الفجر، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة نرى فيها السماء، قال ففرج عنهم".(٣)

---

(١) سورة الأحقاف الآية: ١٥ .

(٢) سورة الإسراء الآية: ٢٣ .

(٣) فتح الباري ج:٥ ، ك: الحرث، باب: ١٣ ، ص ١٦ رقم ٢٣٣٣ جزء من حديث طويل وأخرجه مسلم، ك: الذكر، باب ٢٧ حديث: ١٠٠ وروي في مسند أحمد ٢٧٤/٤ .

ج- الإحسان بالمال:-

أن يبذل الأبناء ما يملكوا من مال لآبائهم عن طيب نفس لأن الولد وما يملك في هذه الحياة لأبيه، فقد جاء عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنّ أبي احتاج مالي فقال "أنت ومالك لأبيك" وقال صلى الله عليه وسلم "إن أولادكم من أطيب كسبكم، فكلوا من أموالهم".(١)

وأوصى صلى الله عليه وسلم بالبر بالوالدين بعد مماتهما وأوضح أن ذلك يكون بِبر صديقهما بعد موتهما، ويكون ذلك بمزاورته والسؤال عنه والحديث معه ومشاركته في السراء والضراء فقد كان ابن عمر يُكرم أصحاب أبيه.

عن عبدالله بن دينار* عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنّ رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلّم عليه عبدالله، وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه فقال ابن دينار: فقلنا له اصلحك الله! إنهم الأعراب وإنهم يرضون باليسير فقال عبدالله إنّ أبا هذا كان وُدّا لعمر بن الخطاب وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "إنّ أبرّ البرّ صلة الولد أهل وُدّ أبيه".(٢)

وأوضحت السنة أن استغفار الولد لوالديه والدعاء لهما وتنفيذ عهدهما بعد مماتهما يعتبر من البر بالوالدين.

عن ابي أسيد ** قال: "بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ جاءه رجل من بني سلمه فقال يا رسول الله هل بقي من برّ أبويّ شيء أبرّهما به بعد موتهما؟ قال: نعم الصلاة عليهما والإستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما".(٣)

---

(١) أخرجه ابن ماجه، ج:٢ ، ك: التجارات، باب: ٦٤ ،ص: ٧٦٩ حديث رقم ٢٢٩٢ .

(٢) مسلم ج:٤ ، ك: البر، باب: ٤ ص: ١٩٧٩ رقم:١١ وأخرجه الترمذي ج:٤ ، ك: البر، باب:٥ ، ص٣١٣ رقم:١٩٠٣ مسند أحمد ج:٢ ، ص (١١١،٩٧،٩١،٨٨).

(٣) أخرجه أبو داود ج:٢ ، ك: الأدب، باب (في بر الوالدين) ص: ٦٢٩ مسند أحمد، ج:٣ ، ص:٤٩٨ .

* ابن دينار: هو عبدالله بن دينار العدوي مولى ابن عمر وروى عنه وعن أنس وسليمان بن يسار وعنه ابنه عبدالرحمن ومالك وشعبه وكان ثقة ت سنة ١٢٧ هـ ومن صالحي التابعين. انظر تهذيب التهذيب ج:٥، ص: (٢٠١ ، ٢٠٢) .

** أبو أسيد:- هو مالك بن ربيعه بن عمرو بن عوف بن حارثة بن ساعده، أبو أسيد الساعدي شهد بدراً والمشاهد كلها روى عن النبي وعنه أولاده وأيضاً أنس وابن عباس ت عن ٦٠ سنة وهو آخر من مات من البدريين وقيل مات سنة ٣٠ هـ وقيل سنة ٤٠هـ انظر تهذيب التهذيب ج:١٠ ، ص: (١٦،١٥).

وأوصى صلى الله عليه وسلم بالأم كثيرا وأمر بطاعتها وإرضائها والعمل على برها، فهي تحملت صعوبة الحمل والوضع والرضاع وسهرت الليالي الطوال على راحة أولادها وهذا يسبب لها الضعف إلى جانب كونها انثى، فمن أغضبها فقد حبط عمله وينذر بسوء الخاتمة ومن عمل على إرضائها فإنّ الجنة تحت أقدامها.(١) عن معاوية ابن جاهمه* قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله: إني كنت اردت الجهاد معك ابتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة قال "ويحك أحيّة أمّك؟ قلت: نعم قال: "ارجع فبرّها، ثم أتيته من الجانب الآخر ومن أمامه فقلت يا رسول الله: إني كنت أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة قال: "ويحك! أحيّة أمّك؟ قلت: نعم يا رسول الله! قال ويحك! إلزم رجلها فثمّ الجنّة".(٢)

ولعظم شأن الأم أوصى صلى الله عليه وسلم الأبناء بها ثلاث مرات وبينما الأب مرة واحدة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال: أمّك قال: ثم من؟ قال: أمّك، قال ثم من؟ قال أمّك قال ثم من؟ قال: ابوك".(٣)

ثانياً- حقوق الأبناء:-

إن للآباء حقوقا على أبنائهم كما علمنا، أيضاً فإن للأبناء حقوقاً على آبائهم إذا تمت مراعاتها لن يتصدع بناء الأسرة بإذن الله ولن يحصل فيه خلل فالأبناء ثمرة الحياة الزوجية وأملها المرتجى وذكرها الممتد عبر الأيام والسنين، ولهم من الحقوق ما يتلخص في الآتي:

---

(١) انظر من توجيهات الإسلام، ص: ٢٣٣ وايضاً من وصايا القرآن الكريم ص: ١٠٩ .

(٢) ابن ماجه، ج:٢ ، ك: الجهاد ، باب:١٢ ، ص: (٩٢٩ ، ٩٣٠) حديث رقم ٢٧٨١ .

(٣) متفق عليه، أخرجه مسلم، ج:٤ ، ك: البر والصلة والآداب، باب:١ ، ص: ١٩٧٤ ، حديث رقم: ٢٥٤٨ .

* ابن جاهمه: هو معاوية بن جاهمه السلمي، استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد، فقال له النبي ألك أم يا معاوية قال نعم قال فالزم قدمها، فإن الجنة تحت أقدام الأمهات إلى نهاية الحديث. انظر تهذيب التهذيب ج:١ ، ص: (٢٠٢ ، ٢٠٣).

١- العقيقة:-

إذا رُزق الآباء بطفل فينبغي عليهم أن يسمعوه الآذان في أذنه اليمنى ويقيموا الصلاة في الأذن اليسري ثم يسموه بأفضل الأسماء ويصنعوا له عقيقة في اليوم السابع ويحلقوا شعره ويتصدقوا بمقدار وزنه ذهباً أو فضة على الفقراء والمساكين والمحتاجين.

عن سمره قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الغلام مرتهن بعقيقته، يذبح عنه يوم السابع ويُسمى ويُحلق رأسه".(١)

٢- التربية والتعليم:-

ينبغي على الآباء تعليم أولادهم في مجالات متعددة ويربوهم على الإسلام.

فأمر صلى الله عليه وسلم بتعليمهم الصلاة قال صلى الله عليه وسلم "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرّقوا بينهم في المضاجع".(٢)

كما أنه أمر بتعليمهم ألعاب القوى التي تشد عضلات الجسم ليصبحوا أقوياء يستفيد منهم الوطن في حمايته وتصنيعه قال صلى الله عليه وسلم "علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل".(٣)

فلا ينبغي أن يترك الطفل بدون إعتناء من والديه فيتعلم من الشارع الخصال القبيحة، فتهذيب الطفل من والديه خير من الصدقة.

---

(١) أخرجه الترمذي، ج:٤ ، :: الأضاحي، باب: ٢٣ (من العقيقة) ص: ١٠١ حديث رقم: ١٥٢٢ ، ابن ماجه، ج:٢ ، ك: الذبائح، باب:١ (العقيقة) ص: (١٠٥٦،١٠٥٧) رقم: ٣١٦٥ ، أبو داود ج:٢ ، ك: الأضاحي، باب: ٢٠ (في العقيقة) ص:٩٥ وأخرجه الدارمي ج:٢ ، ك: الأضاحي، باب ٩ (السّنة في العقيقة)، ص:٨، حديث رقم: ١٩٧٥، مسند أحمد، ج:٥ ، ص: (٢٢،١٢،٧،٥) .

(٢) أخرجه أبو داود، ج:١ ، ك: الصلاة، باب: (متى يؤمر الغلام بالصلاة). ص: ١١٥ .

(٣) قال السخاوي سنده ضعيف لكن له شواهد فعند الديلمي من حديث جابر مرفوعاً "علموا بنيكم الرمي فإنه نكاية العدو" وعند البيهقي عن ابن عمر مرفوعاً "علموا أبناءكم السباحة والرمي...". انظر المقاصد الحسنة ص:٨٩ ، حديث رقم ٧٠٨ .

عن جابر بن سَمُرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لأن يؤدّب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع".(١)

٣- النفقة على الأبناء:-

الأب راع في بيته ومسؤول عن رعيته فمن واجب الرعاية والمسؤولية أن يكفل لأولاده الغذاء والكساء وما يحتاجونه في هذه الحياة، وينفق عليهم في مراحل التعليم حتى يصبحوا أملًا للأمة وعدة للمستقبل.

قال تعالى "*لينفق ذو سعة من سعته ومن قُدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله*".(٢)

٤- الرحمة بهم والمساواة بينهم:-

يجب المساواة بين الأولاد فلا تميز بين ابن وآخر داخل الأسرة سواء في العطاء أو المأكل أو الملبس لكي يتم التآلف والتحابب بينهم، والتفريق بينهم في العطاء يؤدي إلى التفرقة والعناء والشكوك التي تؤدي إلى الأمراض النفسية وضعف الشخصية .

أما الرحمة بهم فتزيدهم حباً بالآباء وتمسكاً وطاعة.(٣) عن عائشة قالت "قَدم ناس من الأعراب على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: أتقبّلون صبيانكم؟ قالوا: نعم فقالوا: لكنّا لا نقبّل فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "وأملك أن كان الله قد نزع منكم الرحمة".(٤)

---

(١) أخرجه الترمذي ج:٤ ، ك: البر، باب: ٣٣ (أدب الولد)، ص: ٣٣٧ حديث رقم: ١٩٥١ وأخرجه أحمد في مسنده ج:٥ ، ص: (١٠٢،٩٦).

(٢) سورة الطلاق الآية: ٧ .

(٣) انظر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ص:٧٤ وأيضاً السلوك الإجتماعي في الإسلام ص:٢٣٦ وأيضاً من الآداب والأخلاق الإسلامية، ص:٤٨ .

(٤) فتح الباري، ج:١٠ ، ك: الأدب، باب: ١٨ ، ص:٤٢٦ حديث رقم ٥٩٩٨ وأخرجه مسلم ج:٤ ، ك: الفضائل، باب: ١٥ ، ص:١٨٠٨، حديث رقم: ٦٤ ، ابن ماجه، ج:٢ ، ك: الأدب، باب:٣ ، ص:١٢٠٩ ، حديث رقم:٣٦٦٥ ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ج:٦ ، ص: (٧٠،٥٦).

المبحث الثالث

الطلاق

الطلاق في اللغة:-

أصل الكلمة من الفعل طَلّق، يُطلّق، طلاقاً المصدر، وتعني التخلية والتحرر من القيد. فحينما تقول ناقة أو شاة طالق أي مرسلة ترعى حيث شاءت بمعنى لا يوجد قيد يحد من حركتها ولذلك قيل أن الطلاق موضوع في الأصل للتخلية من القيد. وقالوا: ليلة طالق: بمعنى الخالية من الحر والبرد.

والمرأة الطالق، هي المتحللة من قيد الزوج الخارجة من عصمته وطلّق المرأة بمعنى خلاها عن قيد النكاح.(١)

الطلاق في الشرع:-

الطلاق: هو إزالة ملك النكاح وحل العصمة الزوجية بلفظ خاص مثل تلفظ الزوج أنت طالق أو طلقتك أو أنت بائنة أو نحوه، وهذا ما عليه الشافعية.

وعرفه المالكية: بأنه صفة حكمية ترفع حلية تمتع الزوج بزوجته بحيث لو تكررت منه مرتين حُرّمت عليه ولا تحل له إلا بعد الزواج من غيره.

أما الحنفية فقد عرفوه بأنه رفع النكاح في الحال أو في المآل بلفظ مخصوص صريح أو كناية.(٢)

---

(١) انظر لسان العرب، مجلد:١٠ ، ص:٢٢٦ ، وأيضاً محيط المحيط، مجلد:٢ ، ص: ١٢٩٠ ، وانظر المعجم الوسيط، ج:٢ ، ص:٥٦٩ ، وأيضاً الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج:٤ ، ص:١٥١٩ وايضاً التعريفات للجرجاني، ص:١٨٣ .

(٢) انظر الفقه على المذاهب الأربعة، ج:٤ ، ص:٢٧٨ ، وانظر المعجم الوسيط، ج:٢ ، ص:٥٦٩ وأيضاً أحكام الأحوال الشخصية ج:١ ، ص:٢٣٢ .

لقد شرّع الله سبحانه الزواج وحببه إلى القلوب، وجعله رباطا أبديا بين الزوجين كما أوضحنا في المباحث السابقة من هذا الفصل وذلك للمحافظة على النوع الإنساني ولتحقيق الترابط الأسري ولتوفير جو من الراحة والطمأنينة والسكينة داخل البيت المسلم.

وقد يحدث الخلاف والشقاق أحياناً بين الزوجين لظروف خاصة بهم كأن لا يحسن أحدهما اختيار الآخر أو نتيجة لتباين في الطباع والعادات والأخلاق وقد يحدث الشقاق لامور خارجة عارضة عن الإرادة فتؤدي إلى تصدع في بناء الأسرة.

وإذا تصدع البناء وازدادت شروخه بحيث يصعب إجتماع القلوب المتنافرة في محضن واحد، كان من الحكمة أن يبحث عن حلّ تشريعي يناسب ذلك الجو المشحون بالخلافات، وكان الحل هو الطلاق لهدم البناء المتصدع والعمل على إعادة بناء الأسرة من جديد وبشكل قوي متين وإنشاء العلاقات الإجتماعية القائمة على الحب والسعادة والتراحم.

لم يشرّع الله سبحانه الطلاق من أول الأمر لحل مشاكل الأسرة وإنما استخدم الأساليب المتعددة في الإصلاح، وعندما لا تؤت ثمارها وتستنفذ أغراضها دون جدوى جعل الطلاق هو الحل الأخير لتلك المشاكل المستعصية وكما يقولون آخر العلاج الكي.

أوصى سبحانه وتعالى بحسن العشرة بين الزوجين قال تعالى "**وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً**"(١) وهي أولى مراحل الإصلاح.

ثم أمر بالتحكيم بين الزوجين عند وجود بوادر الخلاف بينهما قال تعالى "**فابعثوا حكما من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا**".(٢)

---

(١) سورة النساء الآية: ١٩ .

(٢) سورة النساء الآية: ٣٥ .

وأمر الزوج بالهجر لزوجته الناشز حتى ترجع إلى طاعته ثم أمر بالضرب الغير مبرح مع إجتناب وقوع الأذى في الوجه وإن استحالت العشرة بعد استخدام جميع الوسائل في المصالحة وتحقيق الإصلاح بينهما، كان لا مفر من إنفصام عرى الزوجية وعندئذ يغني الله كلاً عن الآخر وهذا هو الحل الأخير لتلك المشكلات المستعصية على الحل.(١)

والطلاق يمر بمراحل ثلاث حتى لا يكون الإنفصال مباشرة قال تعالى "الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان".(٢)

وجعل الإسلام التروي بين الطلقتين الأولين، ثم أمر بعدم التضييق عليهن في حياتهن ومعاشهن أثناء فترة العدة عسى أن تتم المراجعة من قبل الزوج.(٣)

قال تعالى "وأسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن".(٤)

مشروعية الطلاق:-

لقد جاءت مشروعية الطلاق في الكتاب والسنة وعليها نصوص متعددة نذكر منها الآتي:

أ - الكتاب:

لقد ذكرت سورة البقرة مشروعية الطلاق في آيات متعددة منها قوله تعالى "للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم، وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم".(٥)

وقوله تعالى "لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة(٦). وقوله تعالى "وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرّحوهن بمعروف".(٧)

---

(١) انظر الوجيز لأحكام الأسرة في الإسلام، ص: ٢١١ .

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٢٩ .

(٣) انظر الإسلام في حياة المسلم، ص: ٣٠١ .

(٤) سورة الطلاق الآية: ٦ .

(٥) سورة البقرة الآية: (٢٢٦ ، ٢٢٧).

(٦) سورة البقرة الآية: ٢٣٦

(٧) سورة البقرة الآية: ٢٣١ .

ب - السنّة:-

ذكرت السنة إباحة الطلاق في أحاديث كثيرة منها ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أبغض الحلال إلى الله الطلاق".(١)

فالطلاق من الأمور المباحة إلا أنه أبغض الحلال إلى الله وأوصى صلى الله عليه وسلم بعدم الطلاق إلا إذا وقعت الريبة وأصبحت الحياة الزوجية جحيماً لا يطاق.

قال صلى الله عليه وسلم "لا تطلقوا النساء إلا من ريبة فإنّ الله لا يحب الذواقين والذواقات".(٢)

الحكمة من جعل الطلاق بيد الرجل:-

لقد قرر عامة الفقهاء أن الطلاق بيد الرجل ومن حقه لانه الأقدر على ضبط نفسه وهو القائم على أمور الزوجية من نفقة على الأسرة، وهو الذي يدفع الصداق للمرأة وهو الذي يتكفل بنفقة العدة وأجور حضانة الأطفال وخدمتهم إذا كانوا صغاراً فهذه الأمور تجعله يفكر ألف مرة قبل الطلاق فتدفعه إلى مراجعة الحساب فيعالج الأمر بحكمة ورويّة وصبر وبتدبر، فيحصر الخلافات في أضيق دائرة حفاظاً على الأسرة من التصدع والهدم.(٣)

حكم الطلاق:-

ذكر العلماء أن الطلاق مباح للرجل إذا رأى ذلك في نهاية المطاف وبعد استنفاذ جميع الوسائل في الإصلاح واعتمدوا قوله تعالى "*الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحلّ لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا*".(٤)

واعتمدوا أيضاً حديث ابن عمر حيث أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأل عمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال "مُرْه فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد ذلك، وإن شاء طلّق، قبل أن يمسّ، فتلك العدة التي أمر الله سبحانه أن تطلق لها النساء.(٥)

---

(١) أخرجه أبو داود، ج:١ ، ك: الطلاق، باب: (كراهية الطلاق)، ص: ٥٠٣ وقال السيوطي حديث صحيح انظر الجامع الصغير ج:١ ، ص:١٢ .

(٢) رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط وفي أحد اسانيد البزار ذُكر عمران القطان وثقه أحمد وابن حبان وضعفه يحي بن سعيد انظر مجمع الزوائد، ج:٤ ، ص:٣٣٥ .

(٣) انظر أحكام القرآن لابن العربي، ج:١ ، ص:٢٦٠ . (٤) سورة البقرة: ٢٢٩ .

(٥) فتح الباري، ج:٩ ، ك: الطلاق، باب:١ ، ص: (٣٤٥،٣٤٦) حديث رقم:٥٢٥١ ، الترمذي، ج:٣ ، ك: الطلاق، باب:١ (طلاق السنّة). ص:٤٧٨ ، رقم:١١٧٥ ، وأخرجه الدارمي، ج:٢ ، ك: الطلاق، باب:١==

وطلق النبي صلى الله عليه وسلم حفصه* ثم راجعها قبل انتهاء العدة وكان الصحابة يطلقون زوجاتهم ولم ينكر أحد منهم ذلك.(١)

والطلاق يُعتبر بمثابة عملية جراحية مؤلمة لانه يفصل جزئين عن بعضهما البعض، ويُلجأ إليه للضرورة القصوى لتفادي أذى أشد خطرا من العملية نفسها وهو من آخر العلاجات المستعملة في تفادي الخطر.

صيغة الطلاق:

يقع الطلاق باللفظ الصريح المشير إلى إنهاء عقدة النكاح كأن يقول الرجل لزوجته أنتِ طالق، أو مطلقة، أو طلقتك فهذه الألفاظ لا تحتاج إلى قرينة لأنها لا تحتمل غيره.

واشترط الفقهاء أن يكون المتلفظ بها مدركاً أنها وضعت لإنهاء الحياة الزوجية.

وقال الشافعي** الفاظ الطلاق الصريحة تتمثل في الألفاظ التي ذكرها القرآن الكريم وهي ثلاثة ألفاظ، الطلاق، والفراق والسراح.(٢)

==(السنة في الطلاق) ص:٨٣ حديث رقم:٢٢٦٧ ، أبو داود، ج:١ ، ك: الطلاق، باب:٤ ، ص(٤٠٣،٥٠٤)
وأخرجه ابن ماجه، ج:١ ، ك: الطلاق، باب:٢ (طلاق السنة) ص:٦٥١ ، حديث رقم: ٢٠١٩ .

(١) انظر احكام القرآن لإبن العربي، ج:١ ، ص:٢٥١ ، وأيضاً الأحوال الشخصية، للحسيني ص:٨٩ والأحوال الشخصية لأبي زهره، ص:٢٨٤ .

(٢) انظر فقه السنة، مجلد:٢ ، ص:٢١٧ .

* حفصه:- هي حفصه بنت عمر بن الخطاب العدوية أم المؤمنين ولدت قبل البعثة بخمسة أعوام تزوجها النبي سنة ٣ ﻫ روت عن النبي وعن أبيها وعن أخيها عبدالله، وقيل أُفتتحت افريقية عام وفاتها توفت أول ما بويع معاوية سنة ٤١ ﻫ وقيل سنة ٤٥ ﻫ وصلى عليها مروان بن الحكم. انظر تهذيب التهذيب ج:١٢ ، ص(٤١٠،٤١١).

** الشافعي: هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان الهاشمي القرشي يكنى بأبي عبدالله، وهو أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه ينسب الشافعية كافة ولد في فلسطين بغزة هاشم وحمل إلى مكة وهو إبن سنتين، زار بغداد مرتين وقصد مصر ١٩٩ ﻫ وتوفي بها.

كان رحمه الله أعرف الناس بالشعر والأدب والفقه والقراءات وبرع في الرمي، أفتى وهو ابن عشرين سنة وكان ذكياً مفرط الذكاء.

اشهر مصنفاته كتاب "الأم" سبع مجلدات في الفقه وله "أحكام القرآن، و"الرسالة" و "أدب القاضي" و "المواريث" انظر الأعلام للزركلي ج:٦ ، ص:٢٦ ، تذكرة الحفاظ ٣٢٩/١ تهذيب التهذيب ٢٥/٩ ، صفة الصفوة ١٤٠/٢ ، تاريخ بغداد ٢/(٥٦-٧٣) حلية الأولياء ٦٣/٩ طبقات الشافعية ١٨٥/١ البداية والنهاية ٢٥١/١٠ .

والطلاق يقع بها وبغيرها من الألفاظ التي تحتمل الطلاق، كقول الرجل لزوجته، أنت بائن أو إلحقي بأهلك أو اخرجي أو إعتدي، أو أمرك بيدك.

وتسمى هذه الألفاظ في اصطلاح الفقهاء، كنايات الطلاق وهي لا يقع بها الطلاق إلا بالنية أو الدلالة على الطلاق.

ويقع الطلاق باللفظ أو الكتابة أو الإشارة من الأخرس الدالة على إنهاء العلاقة الزوجية.(١)

أقسام الطلاق:

ينقسم الطلاق إلى أربعة أقسام وهي كالآتي:

١- الطلاق السُنّي:

المقصود بالطلاق السني، طلاق السنّه، وهو الذي يقع على الوجه الذي يوافق الشرع كأن يطلق الزوج زوجته طلاقاً واحداً في طهر لم يجامعها فيه ويتركها حتى تنقضي عدتها وهذا يسمى بأفضل الطلاق، أو أن يطلقها ثلاث طلقات متفرقات في أطهار ثلاثة قال تعالى "*يا أيها النبيّ إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن*".(٢)

وذكر ابن عباس في تفسيرها أي طلقوهن في طهر من غير جماع حتى تنتهي العدة.(٣)

وايد ذلك التفسير حديث ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "مُره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتلك العدة التي أمر الله سبحانه أن تُطلق لها النساء"(٤). وهو الطلاق المشروع.

٢- الطلاق البدعي:-

أن يطلق الرجل زوجته وهي حائض أو نفساء أو ثلاثاً في كلمة واحدة، أو ثلاث طلقات متفرقة في مجلس واحد أو في طهر جامعها فيه.(٥)

وحكم هذا الطلاق نفس حكم الطلاق السني عند الجمهور في وقوعه وبه ينحل عقد الزوجية أي بوقوعه إلا أن البعض من العلماء أضاف أن المطلق يكون آثماً إن طلق وهي حائض أو نفساء.(٦)

---

(١) انظر الفقه على المذاهب الأربعة، ج:٤ ، ص:٢٨٨ وأيضاً الأحوال الشخصية، ص:٩٢ .

(٢) سورة الطلاق الآية: ١ . (٣) انظر تفسير القرطبي، ج:١٨ ، ص:١٤٨ .

(٤) انظر تخريجه في ص:١٢٦

(٥) انظر زاد المعاد في هدي خير العباد، ج:٤ ، ص:٥٤ .

(٦) انظر تفسير القرطبي ج:٢ ، ص:١٣٢ وانظر فقه السنة مجلد:٢ ، ص:٢٣٥ وأيضا الحلال والحرام في الإسلام، ص:٢٠٦ وأيضاً منهاج المسلم، ص:٣٨٧ .

وعللوا ذلك بأن حالة الحيض أو النفاس توجب اعتزال النساء فربما كان حرمانه أو توتر أعصابه هو الذي دفعه إلى الطلاق لهذا أمر الشارع أن ينتظر المطلق حتى ينتهي الحيض ثم تطهر ثم يطلقها قبل أن يمسها.

٣- الطلاق الرجعي:-

هو الطلاق الذي يوقعه الزوج على زوجته التي دخل بها، بحيث أن يكون دون الثلاث طلقات.

وحكمها في وقت العدة حكم الزوجة في النفقة والسكن وله كل حقوق الزوج في ارجاع المطلقة إلى عصمته والإستمتاع بها في أي وقت شاء ولو بغير رضاها طالما هي في وقت العدة.

ويحق التوارث بينهما إذا مات أحدهما في فترة العدة، كما لا يحل به مؤخر المهر.(١) قال تعالى "وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا".(٢)

قال الشوكاني* في تفسيرها أي أحق برجعتهن كما يستحب الإشهاد مخافة إنكار الزوجة فيما بعد أنه راجعها(٣). قال تعالى "وأشهدوا ذوى عدل منكم".(٤)

٤- الطلاق البائن:

الطلاق البائن يشمل حالات متعددة وهي كالآتي:

أ- يشمل الطلاق الذي قبل الدخول بالزوجة، لان الغير مدخول بها لا عدة لها.

ب-الطلاق على مال من الزوجة عند من اعتبر الخُلع طلاقا.

ج-وينطبق الطلاق البائن على الطلاق المكمل للثلاث طلقات وفي هذه الحالة تبين منه الزوجة بينونة كبرى أي لا رجعة فيها.

د-يشمل ايضاً إذا كان الطلاق رجعياً ثم تركها زوجها ولم يراجعها حتى تنقضي عدتها فتبين منه بمجرد إنقضاء العدة.

وحكم هذا الطلاق انه بائن بينونة صغرى، أي أنّ المطلق لا يملك معه حق الرجعة،

---

(١) انظر تفسير القرطبي ج:٢ ، ص:١٢٣ وايضاً أحكام الأحوال الشخصية، ص:٢٤٥ .

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٢٧ .

(٣) انظر تفسير "فتح القدير" للشوكاني ج:٥ ، ص:٢٤١ .

(٤) سورة الطلاق الآية: ٢ .

* الشوكاني: هو محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني من كبار علماء اليمن فقيه مجتهد، كان يرى تحريم التقليد كتب مصنفات كثيرة حتى بلغت ١١٤ مصنفاً منها تفسير فتح القدير، وأيضاً في الحديث كتب "نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار".

ولد بهجر سنة ١١٧٣هـ ومات فيها سنة ١٢٥٠هـ عن عمر يناهز ٧٧ سنة. انظر الأعلام للزكلي ٧/(١٩٠،١٩١) ط:٣ وايضاً البدر الطالع، ٢/٢١٤،٢١٥ ، ترجمة رقم: ٤٨٢ .

وللمطلقة الحق في أن تقبله بعقدٍ ومهر جديد ولها الحق أن ترفض الزواج منه.

أما في حالة البينونة الكبرى وهي أن يطلقها ثلاثاً في كلمة واحدة أو ثلاث طلقات متفرقات في مجلس واحد فتبين منه بينونة كبرى ولاتحل له حتى تنكح زوجاً غيره. قال تعالى "*فإن طلقها فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره*".(١)

وفسر ذلك ما قاله صلى الله عليه وسلم لإمرأة رفاعه، أنّ عائشة رضي الله عنها قالت "أن امرأة رفاعة القرظي جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن رفاعة طلقني فبتّ طلاقي، وإني نكحت بعده عبد الرحمن بن الزبير وإنما معه مثل الهدبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعه؟ لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته".(٢)

العدة عند المطلقات:

المقصود بالعدة في اللغة العَدد والإحصاء لأنّ المرأة في فترة العدة تعد وتحصي الأيام والأقراء.

أما في الشرع فهي عبارة عن الأيام التي تتربص فيها الزوجة مفارقة الزوج فلا يحق لها أن تتزوج فيها ولا تتعرض للزواج.(٣)

التعريف السابق يوضح أن الله سبحانه فرض العدة على المطلقات وهي بمثابة فترة التريث قبل الفصل في الطلاق وفي هذه الفترة تبقى الزوجة في بيت زوجها طيلة عدتها، لكي يفكر بعقل وروية في إرجاعها إلى نفسه إن كان الطلاق رجعي أو بائن بينونة صغرى كما أوضحنا سابقاً.

ثم حدد القرآن الكريم أن العدة تتفاوت في قصرها وطولها بحسب حال المطلقة نوضحها في الآتي:

أ- عدة المرأة التي تحيض:-

إن كانت المرأة من ذوات الحيض فعدتها ثلاثة قروء. قال تعالى "*والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحلّ لهن أن يكتمن ما خلق الله في ارحامهن*".(٤)

وفسّر أهل الكوفه، القُرء بالحيض وعلى ذلك قالوا أنها تتربص بنفسها ثلاث حيضات.

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٣٠ .

(٢) فتح الباري، ج:٩ ، ك: الطلاق، باب:٤ ، ص:٣٦١ ، حديث رقم ٥٢٦٠ أبو داود ج:١ ، ك: الطلاق، باب (لا يرجع إليها زوجها حتى تنكح غيره) ص(٥٣٩) الترمذي ج:٣ ، ك: النكاح باب: ٢٧ ، ص:٤٢٦ . حديث رقم:١١١٨ سنن الدارمي، ج:٢ ، ك: الطلاق، باب:٤ ، ص:٨٤ ، حديث رقم:٢٢٧٢ وايضاً ابن ماجه ج:١ ، ك: النكاح، باب: ٣٢ ص(٦٢١،٦٢٢) حديث رقم ١٩٣٢ المسند ج:١ ، ص:٢١٤ ، ج:٢ ، ص:(٢٥،٦٢،٨٥)، ج:٣ ، ص:٨٤ .

(٣) انظر فقه السنة، مجلد:٢ ، ص:٢٧٧ وأيضاً منهاج المسلم، ص: ٣٩٥ .

(٤) سورة البقرة الآية: ٢٢٨ .

أما أهل الحجاز فقالوا أنها الأطهار بمعنى أن العدة تبدأ في الطهر وتنتهي بنهاية الطهر الثالث، واتفق العلماء أنها الأوقات أي يتربصن بأنفسهن ثلاثة أوقات.(١)

ب- عدة اليائسات من الحيض:-

النساء اللواتي يئسن من المحيض فعدتهن ثلاثة اشهر ويصدق هذا الحكم على المرأة الكبيرة التي تجاوزت سن الحيض ويلحق بهن النساء المتجاوزات لسن البلوغ ولم يحضن، فعليهن الإنتظار ثلاثة أشهر فهي مدة كافية لأن تتضح فيها براءة الرحم من الحمل.

قال تعالى "***واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن***".(٢)

ج - عدة الحامل: عدة الحامل تنتهي بوضع الحمل عملاً بقوله تعالى" ***وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً***"(٣). ويستوي في ذلك الحكم المطلقة المدخول بها وأيضاً المرأة المتوفى عنها زوجها سواء مكثت أياماً أو شهراً فإنتهاء العدة يكون بوضع الحمل.(٤)

الحكمة من العدة:

ذكر المفسرون الحكمة من مشروعية العدة كل حسب إجتهاده فتوسعوا في ذلك نوجزها في الآتي:

١- شرعت فترة العدة لتعطي الزوج الفرصة السانحة في إرجاع مطلقته بدون أي تكليف إن كان الطلاق رجعياً.

٢- وشُرعت أيضاً للتأكد من براءة الرحم حفاظاً على الأنساب حتى لا تختلط بعضها ببعض.

٣- التزام النساء بفترة العدة يعتبر عبادة لله، لأنه إمتثال لأمر الله حيث أمر النساء المسلمات المؤمنات بأن يتربصن بأنفسهن .

٤- العدة تبرهن على أهمية عقد النكاح فهو ليس من الامور البسيطة التي يفكها الإنسان في جلسة أو ساعة من نهار، فهو ليس عقداً تجارياً.

٥- تحديد فترة العدة بهذه المدة من الزمن يكون منظوراً فيه إلى أقصى مدى الإحتمال عند المرأة كي لا تُفسد نفسُها تحت ضغط حاجتها الفطرية فتتطلع إلى الحرام.

فقد روي أن عمر بن الخطاب خرج من الليل يتحسس حاجات الناس وأحوالهم متخفّياً فسمع امرأة تقول:-

تطاول هذا الليل واسود جانبه   وأرّقني ألا خليل ألاعبه
فوالله لولا الله أني أراقبه   لحرّك من هذا السرير جوانبه

---

(١) انظر تفسير فتح القدير مجلد:١ ، ص:٢٣٥ وايضاً تفسير الكشاف مجلد:١ ، ص:(٣٦٥،٣٦٦).
(٢) سورة الطلاق الآية: ٤ . (٣) سورة الطلاق الآية:٤ (٤) انظر التفسير الواضح، مجلد:١ص:١٤٧ .

فسأل عمر رضي الله عنه ابنته حفصه كم أكثر ما تصبر المرأة على زوجها، فقالت: ستة أشهر أو أربعة أشهر فقال رضي الله عنه "لا أحبس أحداً من الجياش - الجيش - أكثر من ذلك فكان يسرح الجنود لزيارة أهليهم في أقل من أربعة أشهر.(١)

المطلقة قبل الدخول وما يجب لها:

لقد أوضحت سورة البقرة الحقوق التي ينبغي أن تكون للمطلقة قبل الدخول بها، مراعاة لنفسها وإصلاحاً لشأنها، لان الطلاق له من التأثير البالغ على النفس الإنسانية.

قال تعالى "*لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين، وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفوا الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى*".(٢)

جاءت أقوال المفسرين توضح حق المرأة الغير مدخول بها في الآتي:

أ- المتعة:-

تجب المتعة للمطلقة قبل الدخول بها إذا لم يكن حدد لها مهراً، فعلى المطلق أن يمتعها - يعطيها عطية - حسب إستطاعته وفي حدود قدرته المادية إن كان غنياً أو فقيراً.

والمتعة لها قيمتها النفسية على المطلقة ففيها جبر لما حدث في قلبها من إنكسار، كما أنها تُذهب التوتر الذي يسببه الطلاق.(٣)

ب - نصف المهر:

يجب على المطلق أن يدفع نصف المهر المحدد للمطلقة الغير مدخول بها كما أوضحته الآية السابقة حيث جاء عن ابن عباس أن "المَس" في الآية يعني النكاح، كما أن الآيات أعطت الحرية الكاملة للمطلقة بأن تعفو إن أرادت هي ذلك أو يعفو الولي الذي بيده عقدة النكاح إن كانت هي صغيرة أو غير ذلك.(٤)

جـ - عدم العدة:-

لا ينبغي عليها العدة لأنه لم يكن دخل بها، والعدة إنما شُرّعت للتأكد من خلو الرحم من الحمل، ففي مثل هذه الحالة لا يُعتد بالعدة لأنه لم يتم المساس بينهما.(٥)

---

(١) انظر محاسن التأويل، ج:٣ ، ص:٥٨٠ وأيضاً في ظلال القرآن، مجلد:١ ، ص:٢٤٥ وأيضاً روائع البيان في تفسير آيات الأحكام مجلد:١ ، ص:٣٦٧ .

(٢) سورة البقرة الآية: (٢٣٦،٢٣٧).

(٣) انظر تفسير زاد المسير، مجلد:١ ، ص:٢٤٧ وانظر تفسير المنار مجلد:٢ ، ص:٤٥١ وانظر في ظلال القرآن مجلد:١ ، ص:٢٥٩ وأيضاً دستور الأسرة في ظلال القرآن، ص:٢٨٦ .

(٤) انظر تفسير الفخر الرازي، مجلد:٣ ، ج:٦ ، ص:١٤٥ وأيضاً مختصر ابن كثير، مجلد:١ ، ص(٢١٦،٢١٧).

(٥) انظر تفسير الرازي مجلد:٣ ، ج:٦ ، ص(١٤٥،١٤٦).

قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسّوهنّ فمالكم عليهنّ من عدة تعتدونها".(١)

آداب الطلاق:

إن الإسلام أباح الطلاق مع أنه أبغض الحلال إلى الله ومع أنه كارثة اجتماعية على الزوجين وحياة الأطفال.

ولم يُبح الإسلام حل هذا العقد المتين إلا عند الضرورة التي لا مفر منها ومن هذه الضرورات الآتي:

أ- إذا زالت المودة بين الزوجين واستفحلت الكراهية وعجزت كل طرق الإصلاح عن إرجاع الأمور إلى طبيعتها وأصبحت الحياة الزوجية جحيماً لا يُطاق عندئذ يُباح الطلاق.

ب-إذا كانت الزوجة مصابة بالعقم وليس لها علاجاً والزوج لا يصبر على الحياة بدون أولاد وغير قادر في الإنفاق على زوجتين أو أن الزوجة المصابة بالعقم لا ترضى بزواجه من أخرى تكون بجانبها.

جـ-إذا كانت الزوجة مريضة بمرض مُزمن لا يرجى شفاؤه أو بها مرض منفر كالبرص والجذام أو الجنون أو أنها لا تستطيع أن تقوم بواجب الزوجة تجاه زوجها، وإن صبر عليها فله الأجر ففي هذه الحالات يبيح الإسلام الطلاق لأنه يكون العلاج السليم.(٢)

إذا كان للزواج آداباً يجب أن تراعى فإن للطلاق آداباً أيضاً ينبغي أن تراعى ويؤخذ بها لكي يتم الفراق بإحسان وتهدأ النفوس من ثورانها وتتم العملية الجراحية التي هي الطلاق بأفضل صورة إذا إلتزمنا الآداب الآتية:-

---

(١) سورة الأحزاب الآية: ٤٩ .

(٢) انظر الآداب الدينية الإجتماعية، ص: ١٢٣ .

١- إتباع سياسة المراحل في الطلاق:-

أن يكون الطلاق مرحلة بعد مرحلة كما جاء في قوله تعالى "*الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان*".(١)

فقد جاء في تفسيرها عن ابن عباس أنه قال: إذا طلّق الرجل إمرأته طلقتين فليتق الله في الثالثة فإما أن يمسكها بمعروف فيحسن صحبتها أو يسرحها بإحسان.

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أرأيت قوله تعالى "فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، أين الثالثة؟ فقال: التسريح بإحسان".(٢)

أمر الإسلام بأن يكون الطلاق على مراحل ليتسنى للرجل أن يراجع نفسه فيعدل عن الطلاق لأنه يحل له أن يراجعها في المرة الأولى والثانية كما أوضحنا.

وإذا استفحل الشقاق بينهما فحينئذ ينصح الإسلام بالتحكيم بينهما عن طريق حكمين من أهلهما يتصفان بالأمانة والسرية.

قال تعالى "*وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها، إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما*".(٣)

وإذا التحكيم لم يوفق في الإصلاح وحصل الطلاق وهي حامل فقد أمر المنهج القرآني بالإنفاق عليها وإعطائها الأجر إذا أرضعت. قال تعالى "*وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن ارضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف*".(٤)

٢- أن يكون الطلاق في طهر لم يمسها فيه ولا يكون في حالة النفاس أو الحيض لكي يستطيع الرجل الرجوع عن الطلاق إلى الأفضل والأحسن فيمسك عليه زوجه بإرجاعها إلى نفسه.

٣- تبقى المطلقة رجعياً في بيت زوجها فترة العدة ويجب عليه الإنفاق عليها عسى في هذه الفترة أن يعدل عن الطلاق.

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٢٩ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير، ج:١ ، ص:٢٧٣ طبعة دار الفكر بيروت.

(٣) سورة النساء الآية: ٣٥ .

(٤) سورة الطلاق الآية: ٦ .

ولكن الناس في هذا الزمن لا يعملون بذلك فنرى المطلقة رجعياً تخرج من بيت زوجها لتقضي عدتها في بيت ولي أمرها ويا ليتنا نعمل بتعاليم الإسلام وآدابه، ولو عملنا لخفّت نسبة الطلاق كثيراً مما هو عليه في مجتمعاتنا اليوم.

٤- المطلقات مكلفات بأن يتربصن بأنفسهن فترة العدة ولا يحلّ لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن فهنّ مؤتمنات على ذلك خوفاً من اختلاط الأنساب.

٥- الأزواج مكلفون بالإحسان اليهن عند إرجاعهن فلا يمسكوهن ضراراً كما كان في الجاهلية قديماً حيث حارب الإسلام ذلك. قال تعالى "**الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان**".(١)

٦- لا يحق للمطلّق أن يسترد شيئاً من الصداق أو النفقة التي أنفقها على مطلقته أثناء الحياة الزوجية أو في فترة العدة إذا وقع الطلاق.

٧- إذا وقعت الطلقة الثالثة لا يحل له أن يرجعها الى نفسه إلا بعد أن تنكح زوجاً غيره، لانه إذا وصلت الأمور إلى هذه المرحلة تكون الحياة الزوجية متعسرة جداً ولا يجدي معها إلا الطلاق حفاظاً على رابطة الأسرة والمجتمع ومنعاً من الوقوع في الأمور التي لا تحمد عاقبتها.

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٢٩ .

المبحث الرابع
أحكام تتعلق بالنساء

إن سورة البقرة تحتوي على الكثير من النظم والقوانين التشريعية التي يحتاج إليها أبناء المجتمع المسلم في حياتهم الإجتماعية.

وهي من السور التي إشتملت على معظم الأحكام التشريعية سواء في العقائد أو العبادات أو المعاملات أو الأخلاق أو الأحكام التي تتعلق بالنساء من أمور الزواج والطلاق والعدة والرضاع وتحريم نكاح المشركات، ونظام الخلْع والإيلاء أو التحذير من ملامسة النساء في الحيض، وإلى غير ذلك من الأحكام التي تضع الأسرة المسلمة على اساس متين بصفتها اللبنة الأساسية في المجتمع.

وسنتناول في هذا المبحث ما ذكرته السورة من الأحكام التي تتعلق بالنساء وهي كمايلي:

أولاً- النهي عن زواج المشركات:-

إن الزواج يتحقق في ظلاله إمتزاج بين الزوجين واندماج واستقرار، وهذه الصورة لا يمكن أن تقوم إذا إنقطعت وشيجة العقيدة ورباطها بين الزوج وزوجته، ولا يمكن الجمع بين قلبين متنافرين في أصول العقيدة والإيمان، لأن الزواج ليس الذي يتحكم فيه الميل والهوى والشهوة، بل هو قائم على المودة والرحمة والعطف والسكن الذي فيه تنمو الحياة في طهر وعزة وكرامة.

لهذا حرّم الله سبحانه الزواج من المشركين بنص الكتاب قال تعالى "*ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خيرٌ من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة*".(١)

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٢١ .

وقال تعالى "*ولا تمسكوا بعصم الكوافر*"(١). وقال المفسرون أن المراد بالكوافر المشركات الوثنيات والمراد بالخير في الآية الأولى النفع الحسن، فإن كانت المشركة غاية في الجمال أو المال أو النسب فالأمَة المؤمنة خيرٌ منها لأن الإيمان متعلق بالدين أما المال والجمال فهو متعلق بالدنيا فهو عرض زائل، والدين خير من الدنيا.

والمؤمن يدعو إلى الجنة وأعداء الله يدعون إلى النار، لذلك يستحيل اللقاء والجمع بين من يدعو إلى الجنة ومن يدعو إلى النار. فالعاقل في هذه الحياة لا يلتفت إلى المشركات بل أنه ينكح المؤمنات فإنهن يعملن من أجل الجنة والمغفرة وابتغاء مرضات الله.(٢)

وذكر صاحب الظلال كلاماً طيباً في تفسير الآية(٣)، فقال "لقد بات حراماً أن ينكح المسلم مشركة وأن ينكح المشرك مسلمة، حرام أن يربط الزواج بين قلبين لا يجتمعان على عقيدة، إنه في هذه الحالة رباط زائف واه ضعيف لأنهما لا يلتقيان في الله ولا تقوم على منهجه عقدة الحياة، فنزلت الآيات السابقة تحرم إنشاء أي نكاح جديد بين المسلمين والمشركين، أما الذي كان قائماً بالفعل فقد ظلّ إلى السنة السادسة للهجرة حتى نزلت سورة الممتحنة، قال تعالى "*يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهنّ مؤمنات فلا ترجعوهنّ إلى الكفار لاهنّ حلّ لهم ولا هم يحلون لهن*".(٤)

الحكمة من تحريم زواج المشركين:-

١- حرّم الإسلام الزواج من المشركين لوجود الفارق الكبير بين عقيدة التوحيد ومبادىء المشركين، فالإسلام والشرك على طرفي نقيض، ولا يمكن أن يتم اللقاء بين الإسلام القائم على التوحيد والجاهلية القائمة على الشرك، لذلك حرّم الإسلام على المسلمين الزواج من المشركات.

---

(١) سورة الممتحنة الآية: ١٠ .

(٢) انظر تفسير الفخر الرازي، مجلد:٣ ، ص: (٦٤-٦٦).

(٣) في ظلال القرآن، مجلد:١ ، ص:٢٣٩ .

(٤) سورة الممتحنة الآية: ١٠ .

وكذلك حرّم الإسلام على المسلمات الزواج من غير المسلمين لأن الحياة الزوجية لا تستقيم بينهما لأنه يعاديها في العقيدة ويخالفها ولا يؤمن بما تؤمن به من معتقدات.

ولم يملك من التسامح والرحمة لأنه ينظر إليها على أنها تؤمن بدين ليس له أساس من الصحة، فهذا يؤدي إلى احتقارها ومنعها من الإستمرار على دينها. لذلك يصعب إقامة الحياة الزوجية في ظل هذا العداء والإحتقار للزوجة، وأين السكن والمودة والرحمة التي هي من أسس الزواج وقواعده.(١)؟!

٢- إن الأولاد الذين هم ثمرة الزواج سيؤثر عليهم الأب بما يعتقد فيدينون بمبادىء ما أنزل الله بها من سلطان، معادية للإسلام والمسلمين.

وتصبح الأم غير مستقرة في بيت الزوجية لأنه لم يسمح لها بمزاولة شعائرها الدينية وبالتالي لا تأخذ وضعها كأم لها احترامها وقدرها في الأسرة.(٢)

إباحة الزواج من الكتابية:-

الإسلام أعطى أهل الكتاب مزاولة حريتهم الدينية في ظل المجتمع الإسلامي وشملهم في الحياة الإجتماعية مع المسلمين فجعل طعامهم حلاً للمسلمين وطعام المسلمين حلاً لهم وأمر بمزاورتهم في المجتمع وتوّج الإسلام هذه العلاقة بالسماح للمسلمين بالزواج من نسائهم الطيبات العفيفات ليسود المجتمع المودة والسماحة.

وقال جمهور العلماء بإباحة الزواج من الكتابيات واعتمدوا قوله تعالى "**اليوم أحلّ لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حلّ لكم وطعامكم حلّ لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهنّ أجورهن**".(٣)

---

(١) انظر التفسير الواضح، مجلد:١ ، ص:١٣٣ ، وأيضاً في ظلال القرآن مجلد:٨ ، ص:٦٨ وأيضاً دستورالأسرة ص:٨٧ .

(٢) انظر فتاوي معاصرة للمرأة والأسرة ص:٤٩ وأيضاً روح الدين الإسلامي، ص:٢٨٤ .

(٣) سورة المائدة الآية: ٥ .

وخالف ابن عمر ذلك فلم يُبح الزواج من الكتابيات وعندما سُئل عن نكاح النصرانية واليهودية فقال إن الله حرم المشركات على المؤمنين، ثم قال لا أعلم شيئاً أكبر من أن تقول ربها عيسى ابن مريم وهو عبدٌ لله ورسوله.(١)

والملاحظ شرعاً أن الله سبحانه أحل للمسلم الزواج من الكتابية لأن المسلم والكتابية يلتقيان في أصل العقيدة القائم على التوحيد الكامل في الألوهية والربوبية وإن اختلفت التفصيلات في الشرائع وأن ما طرأ عند أهل الكتاب من خزعبلات في عقائدهم فهو ليس الأصل الذي يُبنى عليه.(٢)

والراجح في هذه القضية رأي الجمهور، لأن سورة المائدة واضحة في ذلك وهي آخر ما نزل بهذا الشأن وأن البقرة والممتحنة قد تكون من قبيل العام الذي خُصص بما نزل في سورة المائدة.(٣)

أما من انحرفت من أهل الكتاب عن حقيقة دينها واعتقدت أن الله ثالث ثلاثة أو أن الله هو المسيح ابن مريم أو قالت بأن العزير ابن الله، فإني أرجح عدم زواج المسلم منها، لأنها بهذه المعتقدات الكفرية والشركية تكون وبال وشر على البيت المسلم وقد تصبغ الأطفال بذلك فيخرج الأولاد بعيدون عن الإسلام، وخاصة في مجتمعاتنا اليوم التي تدعي الإسلام شكلاً وهي بعيدة كل البعد عن الحاكمية بما أنزل الله سبحانه.(٤)

لذلك ننصح من أراد الزواج من الكتابية حتى يكون زواجه على هدى ونور بالآتي:

١- التأكد بأنها تؤمن بدين سماوي كاليهودية والنصرانية فتكون مؤمنة بالله والدار الآخرة وليست ملحدة أو مرتدة أو منتمية لأفكار إلحادية أو منتمية لنِحلة يرفضها الإسلام كالقاديانية أو البهائية أو الشيوعية.

٢- أن تكون عفيفة محصنة بعيدة عن الزنى لقوله تعالى "**والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان**".(٥)

---

(١) انظر تفسير الكشاف للزمخشري، مجلد:١ ، ص:٥٩٥ ، ط: ١ (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) دار الفكر، وانظر صفوة التفاسير، مجلد:١ ، ص:٣٢٨ .

(٢) انظر تفسير محاسن التأويل، ج:٣ ، ص:٥٥٨ .

(٣) انظر فقه السنّة مجلد:٢ ، ص:٩٠ ، وأيضاً فتاوي معاصرة للمرأة والأسرة المسلمة، ص:٥٣ وأيضاً مباحث في علوم القرآن للقطان ص:(٧٢،٧٣).

(٤) انظر دستور الأسرة في ظلال القرآن، ص:٩٣ .(٥) سورة المائدة الآية: ٥ .

٣- المتزوج من الكتابية عليه أن يُظهر أخلاق الإسلام في تعامله معها داخل البيت فتصبح هي متأثرة لا مؤثرة فتذوب داخل البيت المسلم سلوكياً وإن لم تدخل في دين الإسلام، والحقيقة أنهن في الغالبية يدخلن في الإسلام حينما يعرفن حقيقة الدين الإسلامي.

ثانياً- حق المتوفى عنها زوجها وعدتها:-

لقد تباينت الأمم منذ القِدم في كيفية التعامل مع المرأة المتوفى عنها زوجها، فكان البعض لا يبقيها على قيد الحياة بعد وفاة الزوج، والبعض الآخر منعها من التفكير في الزواج، وإن كانت في مقتبل الشباب ولم تعش مع زوجها المتوفى إلا يوماً واحداً.

وكانت المرأة في ظل الجاهلية العربية إذا توفى زوجها يحق لوليه أن يلقي عليها ثوبه فيمنعها من الناس ويحوزها كما يحوز الغنيمة فإن كانت جميلة تزوجها وإن كانت غير ذلك حبسها حتى تموت فيرثها، أو تفتدي نفسها بمال! وأما إذا انطلقت إلى بيت أهلها قبل أن يدركها ويُلقي عليها ثوبه فقد نجت وحمت نفسها منه!.(١)

وكان الرجل يرث امرأة قرابته فيعضلها حتى يموت أو تردّ إليه صداقها، وكان العضل من أخلاق قريش بمكة، ينكح الرجل المرأة الشريفة فلعلها لم توافقه فيفارقها على أن لا تتزوج إلا بإذنه ويكتب ذلك أمام الشهود، فإذا خطبها خاطب، فإن أعطته وأرضته أذن لها وإلا عضلها.(٢)

حتى نزل تحريم ذلك بقوله تعالى "*يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلاّ أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف*".(٣)

يتضح من خلال ذلك أن المرأة قديماً إذا توفي زوجها تلاقي من العنت والشدة من الأهل واقارب الزوج والمجتمع كله ما لم يقبله الإسلام وعندما جاء الإسلام رفع هذا العنت بكامله وأوجب عليها ثلاثة أشياء فقط وهي الإعتداد، والإحداد ولزوم البيت(٤) وسيأتي الحديث عنها بإيجاز.

أ- الإعتداد:

إن عدة المتوفى عنها زوجها أربعةأشهر وعشرا كما جاء في قوله تعالى "*والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربص بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير*".(٥)

---

(١) انظر فتح القدير، مجلد:١ ، ص:٤٤٠ ، وأيضاً في ظلال القرآن مجلد:٢ ، ص:٢٨٥ طبعة دار الشروق.

(٢) انظر تفسير فتح القدير، مجلد:١ ، ص:٤٤٢ .(٣) سورة النساء الآية: ١٩ .

(٤) انظر في ظلال القرآن ج:٢ ، ص:٣٧٣ (٥) سورة البقرة الآية: ٢٤٠ .

وأما إذا كانت حاملا فعدتها وضع الحمل لأن الحكم العام الذي في الآية السابقة خصص بقوله تعالى "*وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن*".(١)

وإلى هذا ذهب الجمهور واعتمدوا ما جاء عن سبيعه الأسلمية أنها كانت تحت سعد ابن خوله وهو ممن شهد بدراً فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته فلمّا تعلت من نفاسها تجمّلت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل - رجل من بني عبدالدار - فقال لها: مالي أراك متجمّلة؟ لعلك ترجين النكاح، إنك والله! ما أنت بناكح حتى تمرّ عليك أربعة أشهر وعشر.

قالت سبيعه: فلما قال لي ذلك، جمعت ثيابي حين أمسيت فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك؟ فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي، وأمرني بالتزوج إن بدا لي".(٢)

ب - الإحداد:-

يجب على المعتدة من الوفاة أن تجتنب كل مظاهر الزينة والإغراء، كالإكتحال والأصباغ والمساحيق التي يستعملنها النساء اليوم ولا تمس الطيب أو التحلي بالذهب والثياب الزاهية الملفتة للنظر في فترة العدة حداداً على رفيق حياتها، عملاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم عن أم سلمه قالت، جاءت إمرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفتكتحل؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول لا: ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما هي أربعة أشهر وعشر، وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول".(٣)

جـ - المكوث في بيت الزوج:-

ينبغي على المعتدة من الوفاة أن تلزم بيت الزوجية حتى تنقضي عدتها ولها أن تنفق من مال زوجها المتوفى، وإن كانت خارج بيت الزوجية حين الوفاة وجب عليها أن تعود إليه بمجرد علمها(٤) عملاً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفُريعة بنت مالك قالت: فقصصت عليه أمر وفاة زوجي فقال "امكثي في بيتك الذي جاء فيه نعي زوجك حتى يبلغ الكتاب أجله" قالت: فاعتددت فيه أربعة

---

(١) سورة الطلاق الآية: ٤ .

(٢) أخرجه مسلم ج:٢ ك: الطلاق، باب ٨ ، ص: (١١٢٢،١١٢٣) رقم: ٥٦ وأيضا النسائي ج:٦ ، ك: الطلاق، باب (عدة الحامل المتوفى زوجها) ص:١٥٦ ، رقم ٣٥٠٤ ، أبو داود ج:١ ، ك: الطلاق، باب: ٤٧ ، ص: (٥٣٨،٥٣٩).

(٣) فتح الباري ج:٦ ، ك: الطلاق، باب: ٤٥ ، ص:٤٨٤ حديث رقم:٥٣٣٦ النسائي، ج:٦ ، ك: الطلاق، باب: (عدة المتوفى عنها زوجها)، ص: ١٥٥ أبو داود، ج:١ ، ك: الطلاق، باب (إحداد المتوفى زوجها) ص: ٥٣٦ وأيضا المسند ج:٦ ، ص:٣٩١ .(٤) انظر التفسير الواضح، مجلد:١ ، ص: ١٥٢ .

أشهر وعشرا".(١)

ثالثاً: الحيض وحكمه:

الحيض هو مصدر فيقال حاضت المرأة ونساء حُيض وحوائض، وأصل الكلمة يعني السيلان والإنفجار فيقال حاض السيل وفاض، ومنه الحوض، لأن الماء يحوض إليه، أي يسيل إليه.

الحيض في الشرع: عرفه العلماء "بأنه الدم الخارج من رحم المرأة حال صحتها من غير سبب ولادة أو غيره في وقت مخصوص".(٢)

ونهى الله سبحانه عن مباشرة النساء في فترة الحيض وهي التي تسمى بالعادة الشهرية عند النساء لأن في المباشرة أثناء فترة الحيض أذى للرجل والمرأة.

قال تعالى "**ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهّرن فأتوهنّ من حيث أمركم الله إنّ الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**".(٣)

وكان اليهود إذا حاضت المرأة أخرجوها من البيت ولم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها في البيت واستن العرب في الجاهلية بسنّة يهود فتجنبوا مؤاكلة الحائض ومساكنتها ويعتبرون أن من مس الحائض أيام طمثها يصبح نجسا إلى المساء وعليه أن يغتسل بالماء. عن أنس "أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهنّ في البيوت فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله تعالى "يسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض" فقال صلى الله عليه وسلم "اصنعوا كلّ شيء إلا النكاح".(٤)

أما بالنسبة للنصاري فقد تساهلوا في أمر الحائض، وكان أمر الله حلًّا وسطاً بين المبالغين والمفرطين فأمر بإعتزال مباشرة النساء في فترة الحيض أي جماعهن وأنه

---

(١) أخرجه الترمذي ج:٣ ، ك: الطلاق، [باب:٢٣ ، ص:(٥٠٨،٥٠٩) حديث رقم:١٢٠٤، وأخرجه النسائي ج:٦، ك: الطلاق. باب (مقام المتوفى زوجها في بيتها حتى تحل)، الدارمي ج:٢ ، ك: الطلاق، باب: (خروج المتوفى عنها زوجها) ص:٩٠ ، رقم:٢٢٩٢ . وأخرجه ابن ماجه ج:١ ، ك: الطلاق، باب:٨ (أين تعتد المتوفى عنها زوجها) ص:(٦٥٤،٦٥٥) حديث رقم:٢٠٣١ .

(٢) انظر تفسير الكشاف ج:١ ، ص:٣٦١ وايضاً فتح القدير، ج:١ ، ص:٢٢٥ ، وأيضاً تفسير محاسن التأويل، ج:٣ ، ص:٥٦٠ .

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٢٢ .

(٤) أخرجه مسلم: ج:١ ، ك: الحيض، باب:٢ (الإضجاع مع الحائض في لحاف واحد)، ص:٢٤٦ ، رقم:١٦ وأبو داود، ج:١ ، ك: النكاح، باب: اتيان الحائض ومباشرتها، ص:٤٩٩ الدارمي، ج:١ ، ك: الوضوء، باب:١٠٦ (مباشرة الحائض) ص:١٩٦ حديث رقم:١٠٥٨ وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج:٣ ، ص:(١٣٣،٢٤٦).

يحل للرجل من زوجته في الحيض كل شيء إلا الجماع.(١)

خلاصة الأمر في الآية السابقة أنه لا يجوز إتيان النساء في فترة الحيض حتى يطهرن من الدم ويغتسلن بالماء وهذا ما عليه الإمام الشافعي.

وخالف الإمام أبو حنيفة فقال إن للزوج أن يقربها في أكثر الحيض بعد انقطاع الدم وإن لم تغتسل أما في أقل الحيض فلا يقربها حتى تغتسل.

والراجح هو قول الشافعي ويعضده قوله تعالى "فإذا تطهّرن" بالتشديد يعني الإغتسال بالماء بعد إنقاطع الحيض.(٢)

وأما قوله تعالى "*نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم*"(٣) فقد جاء في تفسيرها بإباحة إتيان النساء في الحال والهيئات كلّها إذا كان الوطء في موضع الحرث أما إتيان النساء في غير المأتى فما كان مباحاً ولا يباح قط! لأن لفظ الحرث يعطي الإباحة بالفرج فقط لأنه هو المزدرع.(٤)

وقد ذهب أكثر المفسرين إلى عدم إتيان النساء في أدبارهن للتعليل الآتي:

١- أمر الله سبحانه بإعتزال النساء في الحيض لأنه أذى يتأذى الإنسان بروائح الدم فمن باب أولى أن تكون الحرمة أشد عند إتيانهنّ في ادبارهن لوجودالنتن والرائحة الكريهة.(٥)

٢- ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم تحريم مثل هذا الإتيان وأسماه باللويطة الصغرى حينما سئل عن إتيان النساء في أدبارهن فقال تلك هي اللويطة الصغرى وقال "لا ينظر الله إلى رجل أتى امرأة في الدبر".(٦)

٣- إن مباشرة الرجل لزوجته تعتبر وسيلة وليس هدفاً، وسيلة لتحقيق هدف النسل والإمتداد وتحقيق معنى العبادة لله والمباشرة في المحيض لا تحقق هذا الهدف الأسمى إضافة إلى أنها أذى للرجل والمرأة فحرم سبحانه إتيانهن في فترة الحيض فأولى أن يكون إتيانهن حراماً في غير الموضع الذي أمر الله به لانه لا يحقق الهدف من المباشرة.(٧)

---

(١) انظر تفسير القرطبي، ج:٢ ، ص:٨٩ .

(٢) انظر تفسير "فتح القدير"، ج:١ ، ص:٣٦١ وايضاً تفسير البيضاوي ص:٤٨ .

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٢٣ .

(٤) انظر تفسير القرطبي، مجلد:٢ ، ص:٩٠١ .

(٥) انظر تفسير الفخر الرازي، مجلد:٣ ، ج:٦ ، ص:٧٦ .

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج:٢ ، ص:(٢١٠،١٨٢) وقال: الهيثمي رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح انظر جمع الزوائد ج:٤ ، ص:٢٩٨ .

(٧) انظر في ظلال القرآن، ج:١ ، ص:٢٤١ .

رابعاً- نظام الخُلْع وحكمه:-

الخلع لغة:-

تعني الإزالة والتنحية، فيقال خلع ثوبه عن بدنه ونعله عن قدمه بمعنى أنه نحّاه وأزاله.

فيقال خلع الزوج زوجته ويقال خالعت المرأة زوجها، بمعنى أنها افتدت منه بمالها بمعنى أبانها على نفسه.

وسمي ذلك الفراق خلعاً لأن الله جعل النساء لباساً للرجال وكذلك العكس.(١)

الخلع شرعاً: يعني إزالة ملك النكاح، أي فراق الزوج امرأته مقابل أن تدفع له مبلغاً من المال ليخلي سبيلها".(٢)

الإسلام يقيم الحياة الزوجية على حسن المعاشرة بين الزوجين وأمرهما بأن يصبرا على بعضهما البعض، فإن كره الزوج منها خلقاً عسى أن يرضى بخلق آخر.

عن ابي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر".(٣)

وأحياناً تصل الخلافات بين الزوجين إلى درجة الكراهية والبغضاء التي لا تطاق معها الحياة الزوجية فإن كانت الكراهية من جانب الرجل أباح له أن يطلق وهو حق له أن يستعمله في حدود الشرع.

وإن كانت المرأة هي الكارهة للرجل فقد أجاز لها الشرع أن تخلع نفسها منه في مقابل أن ترد عليه ما دفعه من الصداق وله أن يأخذ ذلك لأنها حطمت بيت الزوجية بلا سبب متعمد منه.

والأصل في ذلك قوله تعالى "**ولا يحلّ لكم أن تأخذو مما أتيتموهنّ شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به**".(٤)

وايضاً ما جاء عن ابن عباس أن جميلة بنت سلول أتت النبي فقالت والله ما أعتب على ثابت في دين ولا خلق ولكني أكره الكفر في الإسلام -المراد بالكفر كفران العشير- ولا أطيقه بغضا فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم أتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ منها حديقته ولا يزداد".(٥)

---

(١) انظر محيط المحيط، ج:١ ، ص:٥٧٩ وايضاً لسان العرب، ج:٨، ص:(٧٦،٧٧) وايضا المعجم الوسيط، ج:١ ، ص:٢٥٠ .

(٢) انظر التعريفات للجرجاني، ص:١٣٥ وأيضاً فقه السنة ج:٢ ، ص:٢٥٣ .

(٣) أخرجه مسلم،ج:٢ ، ك: الرضاع،باب: ١٨ (الوصية بالنساء) ص:١٠٩١ حديث رقم:٦١ . وأخرجه الإمام أحمد في المسند ، ج:٢ ،ص:٢٣٩ .

(٤) سورة البقرة الآية: ٢٢٩ .

(٥) أخرجه ابن ماجه: ج:١ ، ك: الطلاق، باب:٢٣ (عدة المختلعة) ص:٦٦٣ ، رقم ٢٠٥٧ .

وقال صاحب الكشاف أن امرأة نشزت على زوجها فرفعت إلى عمر رضي الله عنه، فأباتها في بيت الزبل ثلاث ليال ثم دعاها فقال: كيف وجدت مبيتك؟ قالت: ما بتّ منذ كنت عنده أقرّ لعيني منهن، فقال: لزوجها: اخلعها ولو بقرطها".

قال قتاده* يعني بمالها كله هذا إن كان النشوز منها فإن كان منه كره له أن يأخذ منها شيئا.(١)

وقال ابن الجوزي** في تفسيره، أنه يجوز للمرأة إذا خافت أن تعصي الله في أمر زوجها ببغضها إياه أن تخلع نفسها ويجوز للزوج إذا خاف أن يعتدي عليها لامتناعها عن طاعته أن يأخذ منها الفدية إذا طلبت ذلك.

وقال العلماء له أن يأخذ أقل أو أكثر مما أعطاها على أقوال في المسألة منها الآتي:

أ- يجوز أن يأخذ أكثر مما أعطاها قال به عمر وعثمان وعلي والشافعي.

ب - لا يجوز أن يأخذ أكثر مما أعطاها قال به ابن المسيب وابن جبير.(٢)

ولكن الراجح في ذلك أن يأخذ ما أعطاها ولا يزيد كما جاء في الحديث أتردين عليه حديقته قالت: نعم وإن قَبِلَ بأقل مما أعطاها فذلك خير له بإذن الله.

عدة المختلعة:-

لقد أوضح صاحب محاسن التأويل أن عدة المختلعة حيضة واحدة، واعتمد ما جاء عن عباده بن الصامت عن الربيع بنت معوّذ قال: قلت لها حدثيني حديثك، قالت: اختلعت من زوجي ثم جئت عثمان فسألت: ماذا عليّ من العدة؟ فقال: لا عدة عليك إلا أن يكون حديث عهد بك، فتمكثين عنده حتى تحيضين حيضة قالت: وإنما تبع في ذلك

---

(١) انظر تفسير الكشاف مجلد:١ ، ص٣٦٧ .

(٢) انظر تفسير زاد المسير، مجلد:١ ، ص:٢٣٦ وايضاً التفسير الواضح مجلد:١ ، ص(١٤١،١٤٢) وأيضاً النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، ص:٤٥٤ .

* قتاده: هو قتاده بن دعامه بن قتاده بن عزيز السدوسي ثقه ثبت عالم في التفسير تتلمذ على يد عبدالله بن سرجس ومن تلاميذه: شعبه وابو عوانه وجماعة من مصنفاته "تفسيره" الذي رواه عن شيبان التميمي توفي بالطاعون سنة ١١٨ هـ وقيل سنة ١١٧ هـ وعمره ٥٧ سنة.

انظر طبقات المفسرين للداودي ٢/(٤٣،٤٤) وتهذيب التهذيب ٣٥١/٨ ترجمة رقم: ٦٣٥ وخلاصة تهذيب الكمال، ٢٥٠/٢ رقم الترجمة:٥٨٣٣ وميزان الإعتدال ٣٨٥/٣ رقم:٦٨٦٤ .

** ابن الجوزي: هو جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي يعد من اعلام عصره في التاريخ والحديث له ما يقرب من ثلاث مائة كتاب أهمها "زاد المسير في التفسير" و "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" و "مناقب بغداد" و "تلبيس إبليس أو نقد العلم والعلماء" ولد ببغداد سنة ٥٠٨ هـ ت فيها سنة ٥٩٧ هـ انظر الأعلام للزركلي ٣/(٣١٦،٣١٧) ط:٦ وانظر البداية والنهاية ٢٨/١٣ .

قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في مريم المغاليّة وكانت تحت ثابت بن قيس فاختلعت منه.(١)

وقال بهذا الرأي الكثير من العلماء، حيث قالوا: إن العدة إنما جعلت ثلاث حيضات ليطول زمن الرجعة فيتمكن الزوج من إرجاعها في مدة العدة.

وإن لم تكن عليها رجعة فالمقصود براءة الرحم من الحمل ويكفي في ذلك حيضة واحدة".(٢)

خامساً: الإيلاء وحكمه:-

الإيلاء لغة: مصدر من آلى، يولى إيلاء ويعني الحلف على عدم إتيان الزوجة.

الإيلاء شرعاً: هو حلف الزوج أن لا يطأ زوجته مدة تزيد على اربعة أشهر، سواء كان حالفاً بالله أو علّق اليمين على فعل يصعب على النفس إتيانه".(٣)

وكان الرجل في الجاهلية يحلف على ترك امرأته السنة والسنتين دون أن يقربها بقصد الإضرار بها فيجعلها كالمعلقة لا هي زوجة، ولا هي مطلقة وأحيانا يحرمها على نفسه التحريم المؤبد.

فأراد الله سبحانه أن يضع حداً لهذه المعضلة الإجتماعية فجعل الإيلاء مؤقتاً بأربعة أشهر بحيث يفكر فيها الرجل جيداً إما أن يرجع فيلامس زوجته ويكفر عن يمينه وإما أن يقع الطلاق.(٤)

قال تعالى *"للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإنّ الله غفور رحيم وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم"*.(٥)

الآية الكريمة لم تحرم الإيلاء لأنه قد يكون علاجاً ناجعاً لبعض الزوجات الناشزات على أزواجهن، بل انها حددت مدة الإيلاء باربعة أشهر، حتى لا تفسد المرأة فتتطلع إلى غيره من الرجال إذا كان يريد الضرر بها.(٦)

حكم الإيلاء:-

قال العلماء أنه يكون محرماً في حالات وفي حالات أخرى يكون جائزاً وهي كالآتي:

أ- الجواز: إذا كان الإيلاء من أجل تأديب الزوجة الناشز بحيث أن يكون أقل

---

(١) أخرجه ابن ماجه ج:١ ، ك: الطلاق،باب:٢٣ (عدة المختلعة) ص:(٦٦٣،٦٦٤) حديث رقم:٢٠٥٨ .

(٢) انظر تفسير محاسن التأويل ج:٣ ، ص:٦٠٥ وانظر زاد المعاد ج:٤ ص:٢١٤ وايضاً فقه السنة ج:٢ ، ص:٢٦٢

(٣) انظر أحكام الأسرة في الإسلام ص:٦٠٧ ، ط:٢ (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) وأيضاً تفسير محاسن التأويل ج:٣، ص:٥٨٠

(٤) انظر تفسير القرطبي، مجلد٢ ، ص:٩١١ وأيضاً تفسير الفخر الرازي مجلد:٣ ، ج:٦ ، ص:٨٦ .

(٥) سورة البقرة الآية: ٢٢٧ .

(٦) انظر في ظلال القرآن مجلد:١ ، ص:٢٤٤ وانظر دستور الأسرة في ظلال القرآن، ص:١٤٧ .

الجواز وقيل أن النبي صلى الله عليه وسلم آلى من نسائه شهراً كاملاً.(١)

ب- التحريم: يصبح الإيلاء محرماً إذا كان من أجل الضرر بالزوجة حيث جاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا ضرر ولا ضرار".(٢)

وقالوا إذا مسّها في الأربعة أشهر ينتهي الإيلاء ويلزم الزوج كفارة اليمين حيث جاء عن عدى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها، فليأت الذي هو خيرٌ وليكفّر عن يمينه".(٣)

وإذا انتهت مدة الأيلاء وهي أربعة أشهر ولم يمسها، فلها الحق حينئذ في مطالبته بالوطء أو الطلاق.

وإن امتنع فللحاكم المسلم أن يطلق دفعاً للضرر اللاحق بالزوجة.

والله سبحانه فضّل الفيئة لأمر الله على الطلاق لأن في إمساك الزوجة الرحمة والمغفرة.(٤)

يتضح من خلال أقوال المفسرين عن الإيلاء أن الله سبحانه رحيم ودود، دائماً يفيض بالرحمة والخير على عباده، فلم يتركهم هملاً هكذا يتخبطون في هذه الحياة بل أنه دوماً يفيض بالعطاء والكرم والجود على عباده.

فأمر بالإحسان إلى الزوجات ومعاشرتهن بالمعروف ثم أنزل حكمه العادل في قضية الإيلاء التي كانت وبالاً وجحيماً على المرأة في الجاهلية.

وهذا من محاسن الشريعة الإسلامية التي دفعت عن كاهل المرأة الظلم فجعلتها شريكة للرجل في صنع الحياة الكريمة.

١- انظر الفتح القدير، مجلد:١ ، ص:٢٣٣ .

٢- أخرجه ابن ماجه ج:٢ ، ك: الأحكام، باب: ١٧ ، ص:٧٨٤ حديث رقم:٢٣٤١ وأخرجه الإمام أحمد في المسند ج:٥ ، ص:٣٢٧ ، ج:١ ، ص:٣١٣ .

٣- أخرجه الدارمي، ج:٢ ، ك: النذور، باب:٨ ، ص:١٠٧ ، حديث رقم:٢٣٥٠ ، وابن ماجه ج:١ ، ك: الكفارات، باب:٧ ،ص:٦٨١ ، حديث رقم ٢١٠٨ وأخرجه أحمد في مسنده، ج:٢ ، ص(١٨٥،٢٠٤) ج:٣ ، ص:٧٦ ، ج:٤ ، ص:٢٥٦،٢٥٧ ،ج:٥ ، ص:(٦١,٦٣).

٤- انظر تفسير الفتح القدير، مجلد١ ، ص:٢٣٣ وايضاً تفسير المنار مجلد:٢ ، ص:٣٦٩ وانظر التفسير الواضح مجلد:١ ، ص:١٣٧ وانظر مختصر إبن كثير، مجلد:١ ، ص:٢٠١ وانظر روائع البيان مجلد:١ ، ص:٣١٣ .

سادساً- أحكام الرّضاعة:-

الرضاعة لغة: هي مصدر من الثلاثي رضع ومضارعه يرضع أمه رَضعاً أو رضاعة، وارتضعت العنز شربت لبن نفسها، واسترضع فلان، أي طلب مرضعه، وراضع اسم فاعل جمعها رضّع.

والرضاع الذي يحرم النكاح: هو في الصغر عند جوع الطفل بحيث يُغذي جسمه ويشبعه من الجوع، أما الكبير فلا ينفعه من جوع ولا يغنيه من طعام.

أما في الشرع: فتعني إلزام الوالدة بإرضاع ولدها إن بقيت في عصمة زوجها، أما إذا تطلقت فلم يلزمهاالشرع بالإرضاع إلا بأجرة ترضاها.(١)

ذكر الله سبحانه في سورة البقرة الزواج وأوضح أحكامه وآدابه ثم ذكر الطلاق وفصّل فيه وبعد ذلك ذكر الرضاعه، لان الزوجين قد يحدث بينهما خلافات تؤدي إلى التفريق وإيقاع الطلاق وبينهما رضيع، فما مصير هذا الطفل في مثل هذه الحالات؟

لقد تجلت حكمة الله ورحمته في كلّ شيء حتى في هذا الطفل الصغير فوضعت له الشريعة الإسلامية الحلول المرضية حتى ينمو ويأخذ دوره الطبيعي في الأسرة والمجتمع إذا حدث الفراق بين الزوجين، فلم يترك الولد هملاً يضيع نهب الخلافات الزوجية بل وضع له من قواعد التشريع ما يصون حياته ويكفلها.

قال تعالى "*والوالدات يُرضعن أُولادهنّ حولين كاملين لمن اراد أن يُتمّ الرضاعة وعلى المولود له رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف لا تُكلّف نفس إلا وسعها لا تُضارّ والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثلُ ذلك فإن ارادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أُردتم أن تسترضعوا أُولادكم فلا جُناح عليكم إذا سلّمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أنّ الله بما تعملون بصير*".(٢)

---

(١) انظر محيط المحيط، مجلد:١ ، ص:(٧٨٦،٧٨٧) وانظر لسان العرب ج:٢ ، ص:(١٢٥،١٢٦) وايضاً المعجم الوسيط ج:١ ، ص:٣٥١ وانظر تفسير الفتح القدير، مجلد:١ ، ص:٢٤٥ .

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٣٣ .

يؤخذ من أقوال المفسرين للآية الأحكام الآتية:

١- أنّ الوالدات عليهن إرضاع أولادهن حولين كاملين ليس حتماً وإنما الكمال في الرضاعة حولين وأنه يجوز الإقتصار على مدة أقل من ذلك تكون برضا الطرفين وتشاورهما في مصلحة الطفل، فلا إثم عليهما حيث أرادا المصلحة العامة.

وقال المفسرون وهذا يدل على جواز الشريعة الإسلامية للإجتهاد لأنه سبحانه وتعالى جعل للوالدين التشاور والتراضي في الفطام.(١)

٢- الرضاعة من المطلقات تكون على سبيل الندب وتُصبح واجبة إذا إمتنع الطفل عن الرضاعة من غيرها أو لم يجد الأب من تُرضع له لفقر أصابه أو لغيره من الأسباب.

٣- لا يجوز للأب استئجار المرضعة ما دامت الأم زوجة أو معتدة من نكاح وقال بذلك أبو حنيفة.

وأجاز الشافعي إستئجار المرضعة إذا انقضت عدتها وفي ذلك إتفاق بين العلماء.(٢)

٤- إن الأولاد ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات بدليل قوله في الآية السابقة "وعلى المولود له رزقهن" والمولود له الأب، وذلك ليخبر النساء أنهن يولدن للرجال.(٣)

٥- يجب على الوالد الذي ينسب إليه الولد أن يقوم بالنفقة والكسوة وأجرة الرضاعة وعليهن بالقبول.(٤)

---

(١) انظر تفسير الفتح القدير، مجلد:١ ، ص:٢٤٥ وانظر التفسير الواضح مجلد:١ ، ص:١٤٦ وانظر أحكام القرآن لإبن العربي ج:١ ، ص:٢٧٧ .

(٢) انظر تفسير أبي السعود مجلد:١ ، ص:٢٦٩ وأيضاً تفسير الكشاف مجلد:١ ، ص:٣٧٠ وأيضاً التفسير الواضح، مجلد:١ ، ص:١٤٦ .

(٣) انظر روائع البيان لتفسير آيات الأحكام مجلد:١ ، ص:٣٤٧ .

(٤) انظر في ظلال القرآن، مجلد:١ ، ص:١٤٧ وأيضاً تفسير ابي السعود ج:١ ، ص(٢٦٩،٢٧٠).

٦- قال تعالى في الآية السابقة "والوالدات يرضعن أولادهن" يؤخذ من النص الأمر الإلهي بإرضاع الأمهات أولادهن لأنه سبحانه يعلم أن لبن الأم أفضل بكثير من أي لبن آخر حيث أثبتت البحوث الصحية والنفسية أن لبن الأم ضروري لنمو الطفل نمواً سليماً وصحيحاً من الناحية الصحية والنفسية. وقال الإمام محمد عبده* بخصوص ذلك "إن لبن المرضع يؤثر في جسم الطفل وفي أخلاقه وسجاياه لذلك يحتاط في انتقاء المراضع ويجتنب استرضاع المريضة والفاسدة الأخلاق".(١)

٧- إذا تعاسر الزوجان ولم يتفقا بشأن الرضاعة وأجرها فالشريعة حفظت للطفل حقوقه "فسترضع له أخرى" ولا يحق للأم أن تعترض أو تُعطل حق الطفل في الرضاعة بسبب تعاسرهما وفشلهما في بناء الحياة الزوجية حسب الوجه الذي فيه الخير والرضى.(٢)

---

(١) انظر تفسير المنار، مجلد:٢ ، ص:٤١٦ .

(٢) انظر في ظلال القرآن، مجلد:١ ، ص:١٤٨ .

* محمد عبده:- هو محمد عبده بن حسن خيرالله من آل التركماني من كبار رجال الإصلاح نشأ في محلة مصر بالبحيرة تعلم بالجامع الأحمدي بطنطا ثم الأزهر، تصوف وتفلسف وعمل في سلك التعليم شارك في الثورة العرابية نفي إلى الشام سنة ١٨٨١ ، وسافر إلى باريس إلتقى مع جمال الدين الأفغاني وأصدرا جريدة "العروة الوثقى".

توفي بالإسكندرية سنة ١٩٠٥ ودفن في القاهرة أشهر مصنفاته "تفسير القرآن الكريم" و "رسالة التوحيد" و "شرح نهج البلاغة" و "الإسلام والرد على منتقديه".

انظر الاعلام للزركلي مجلد:٦ ، ص:(٢٥٢،٢٥٣).

الفصل الثالث

الفصل الثالث
الإصلاح الإجتماعي في الأخلاق

يتكون من أربعة مباحث وهي كالآتي:-

المبحث الأول: الأخلاق وأثرها في الأدب مع الله

المبحث الثاني: الأخلاق وتهذيبها للنفس

المبحث الثالث: الأخلاق وأثرها في التعامل مع الناس

المبحث الرابع: التحذير من مسببات المضار الإجتماعية

الفصل الثالث
الإصلاح الإجتماعي في الأخلاق

الأخلاق في اللغة:

الأخلاق مفردها خُلُق، ويعني المروءة والطبع والعادة والسجيّة، وهو صورة الإنسان الباطنة، وهي عبارة عن النفس الإنسانية وما تحمل من أوصاف، فحينما تقول خَلُقت المرأة أي حسن خُلقها، وخالقهم مخالقة بمعنى عاشرهم بخلق حسن، وتخلّق الرجل تحلّى وتطيب بالأخلاق الفاضلة.

يتضح من التعريف اللغوي أن الأخلاق عند الإنسان هي الأفعال المحمودة التي تظهر في سلوكه الحياتي وتكوّن خلقا له في الحياة.(١)

الأخلاق إصطلاحاً:-

لقد عرّف بعض العلماء الأخلاق بتعاريف متقاربة نستخلص منها وفق المفهوم الإسلامي، بأنها عبارة عن المبادىء والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي تحددها الشريعة لتنظيم حياة الناس وتوضيح علاقتهم مع بعضهم البعض داخل المجتمع.

وعلم الأخلاق، هو العلم الذي يبحث عن الفضائل والقيم والمُثل العليا في السلوك الإنساني من أجل بناء الحياة الخيّرة في المجتمع.(٢)

ولقد جاء العديد من التوجيهات القرآنية في سورة البقرة من أجل إصلاح الجانب الخلقي عند الفرد داخل المجتمع، ولأن الأخلاق هي الأساس الذي يبنى عليه المعاملات اليومية في حياة الأفراد.

لذلك ركّزت السورة على التطبيق العملي لتلك التوجيهات الخُلقية، كما وحذرتنا من عدم التطبيق، وأمرت بالعمل وفق مبادىء الإسلام السامية قال تعالى "*أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون*".(٣)

---

(١) انظر لسان العرب، مجلد: ١٠ ص: (٨٦،٨٧) وأيضاً محيط المحيط مجلد:١ ، ص:(٥٨٤،٥٨٥)، وايضاً المنجد في اللغة ص:(١٩٣،١٩٤).

(٢) انظر الخطابة أصولها وتاريخها عند العرب، ص:١٩٩ ط:٢ (١٩٨٠م) دار الفكر العربي، وانظر التربية الأخلاقية الإسلامية ص:(٧٥).

(٣) سورة البقرة الآية: ٤٤ .

ولندرك أن إصلاح المجتمع إلى الأفضل في جميع مناحي الحياة، لا يتم عن طريق تبني نظريات أخلاقية لا تتجاوز حدود المعرفة في الذهن البشري، ولا تتصل بالواقع العملي في حياة الناس كما أنه لا يتم الإصلاح الإجتماعي بالإنعزال عن الحركة والعمل أو التواكل على أن تمطر السماء على الأرض خيراً وصلاحاً وعدلاً وما كانت السماء لتمطر شيئاً من ذلك.

وإنما يتم إصلاح المجتمع بتبني عقيدة الإسلام التي تربط القيم الأخلاقية والمثل العليا بواقع الناس حتى تظهر أخلاق الإسلام في السلوك اليومي لأبناء المجتمع، فيأمن الإنسان على حياته ويشعر بتنظيم علاقته بالآخرين، تلك العلاقة القائمة على التراحم والتعاون ومنع الاستغلال، فيتحقق المستوى المعيشي اللائق لجميع ابناء المجتمع.

والقيم الأخلاقية المستمدة من المنهج الإسلامي هي قيم ثابتة لا تتغير من فرد إلى آخر أو من مجتمع الى مجتمع أو من زمن الى زمن لأنها ليست نسبية، بل هي تزداد ثباتاً في حياة الناس كلما مرّوا بتجارب في هذه الحياة، ولنعلم أنه لا يمكن ايجاد الحياة الإجتماعية المتزنة والمستقرة في المجتمع إذا لم نحتكم إلى كتاب الله وسنة رسولنا صلى الله عليه وسلم في جميع جوانب الحياة الخلقية والإجتماعية والسياسية والإقتصادية. قال تعالى " *ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون* ".(١)

وإذا نظرنا في آيات سورة البقرة نظرة تفحّص وإمعان وجدنا أن الإسلام بمنهجه القويم جاء ليقيم صرح الأخلاق على أسس روحية ثابتة ضرورية لتكوين الشخصية الإسلامية على ثوابت أخلاقية متينة.

ومما تطرقت إليه السورة لتوضيح الأسس الأخلاقية في المجتمع الآتي:

قال تعالى "*ليس البرّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس*".(٢)

---

(١) سورة الأعراف الآية: ٩٦ .

(٢) سورة البقرة الآية: ١٧٧ .

فقد أوضحت الآية مبدأين أخلاقيين هامين وهما كالآتي:

أ- مبدأ القيام بالواجب تجاه الآخرين، بإعطاء الناس حقوقهم مما يملك الإنسان من مال، وهذا يكون بعد تحقيق الإيمان بالله سبحانه واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين.

ب-مبدأ الثبات في مقاومة الصعاب والتغلب على العقبات التي تواجه الإنسان في حياته العملية أثناء المُضي قدماً نحو تحقيق أهداف الإسلام الكبرى.

وينبغي أن يسبق ذلك قيام الإنسان بواجبه نحو نفسه فيهذبها بإقامة الصلاة واخراج الزكاة والوفاء بالعهد والصبر في البأساء والضراء فأداء هذه الواجبات دليل على طهر النفس ونقائها من شوائب الشح المهلك.

وحينما تشعر نفس المؤمن بالجماعة وما يجب بين أفرادها من تعاون ثم الوفاء بما يرتبط به الإنسان بعهد بينه وبين الله أو بينه وبين غيره من الناس، دليل الثقة والإرتباط الوثيق بين أبناء المجتمع.(١)

ففي ميدان العلم تدعو السورة إلى التعليم واستخدام العلم في منفعة الإنسان ولإعمار الأرض وتحقيق الخلافة قال تعالى "*وعلّم آدم الأسماء كلّها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين*".(٢)

وأول ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات القرآنية في غار حراء كانت تأمر بالقراءة واستخدام القلم في الكتابة، ونحن نعلم أن الإنسان استطاع من خلال تعلمه واستخدامه للقلم، أن يصل إلى القمر ويبني ناطحات السحاب وينشيء الحضارة والعمران قال تعالى "*اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم*".(٣)

وحذرت الشريعة الإسلامية من الجهل وأنه لا يستوي الذي يعلم والذي لايعلم قال تعالى " *قل هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب* ".(٤)

---

(١) انظر غاية البيان في تفسير القرآن المجلد: الاول، ج:٢ ، ص:(٣٥،٣٦) .

(٢) سورة البقرة الآية: ٣١ .

(٣) سورة العلق الآية:(١-٤)

(٤) سورة الزمر الآية: ٩ .

وفي ميدان المعاملة تدعو الشريعة إلى احترام العقود والمواثيق وأداء الأمانات إلى أهلها والنزاهة والصدق في التعامل ونهت عن الإستغلال والمماطلة والغش والكذب وأكل أموال الناس بالباطل قال تعالى "**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكّام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون**"(١). ونهت عن كل الصفات الذميمة التي تفتك بالكيان الإجتماعي وتقطع أوصاله.

أما في السياسة والحكم، فقد دعت الحاكم المسلم إلى العدل والمساواة واحترام العهود والمواثيق واحترام شرع الله في كل صغيرة وكبيرة بالإحتكام إلى شريعة السماء قال تعالى "**ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون**".(٢)

وفي ميدان احترام الإنسان جعلت الشريعة لكل إنسان كرامة وقدر يوزن بميزان الإيمان وتقوى الله فكلما كان الإنسان تقياً كان أفضل عند الله، قال تعالى "**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**".(٣)

وفي مجال الصبر والجهاد فقد أمرت الشريعة بالصبر لأنه الصخرة القوية التي تتحطم عليها قوى الطاغوت والبغي والشر والعدوان قال تعالى "**يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين**".(٤)

وفي ميدان تزكية الأنفس وتطهيرها من دنس الجاهلية والشرور بكافة أنواعها عملت الشريعة الإسلامية على ضبط النفس بمعايير أخلاقية قائمة على تحقيق العبودية الكاملة لله وحده.(٥)

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٨٨ .

(٢) سورة الجاثية الآية: ١٨ .

(٣) سورة الحجرات الآية: ١٣ .

(٤) سورة البقرة الآية: ١٥٣ .

(٥) انظر من توجيهات الإسلام، ص: ٤٥ .

وأوضح المنهج القرآني الحلال والحرام في كل شأن من شئون الحياة فقد جاء في الحديث الشريف عن النعمان* قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإنّ في الجسد مضغة، اذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه ألا وهي القلب".(١)

كما وأمرت السورة بأكل الحلال الطيب المكتسب بالطريق المشروعة قال تعالى "*يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين*".(٢)

وقال تعالى: "*يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون*".(٣)

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأكل الحلال الطيب ونهى عن الحرام الخبيث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ايها الناس إنّ الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإنّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال:" يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا"

---

(١) أخرجه البخاري انظر فتح الباري، ج:١ ، ك: الإيمان، باب:٣٩ (فضل من استبرأ لدينه) ص:١٢٦ رقم ٥٢ وأيضاً فتح الباري، ج:٤ ، ك: البيوع، باب:٢ ، ص:٢٩٠ حديث رقم ٢٠٥١ وأخرجه مسلم، ج:٣ ، ك: المساقاه، باب:٢٠ (أخذ الحلال وترك الحرام) ص:(١٢١٩،١٢٢٠) رقم:١٠٧ والترمذي، ج:٣ ، ك: البيوع، باب:١ ، ص:٥١١ ، رقم:١٢٠٥ وأخرجه الإمام أحمد في المسند مجلد:٤ ، ص(٢٦٧،٢٦٩،٢٧١،٢٧٥).

(٢) سورة البقرة الآية: ١٦٨ .

(٣) سورة البقرة الآية: ١٧٢ .

* النعمان: هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبه الأنصاري الخزرجي أبو عبدالله المدني له صحبه، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن خاله عبدالله بن رواحه وعمر وعائشة وعنه ابنه محمد ومولاه حبيب بن سالم والشعبي وله ١٢٤ حديثا وشهد صفين وقال الواقدي ولد على رأس ١٤ شهراً من الهجرة أصبح والياً على الكوفة في عهد معاوية ثم عزله وولاه حمص قتله خالد الكلاعي سنة ٦٦ هـ بعد أن خرج من حمص انظر تهذيب التهذيب ج:١٠ ، ص:(٤٤٧-٤٤٩). وانظر كشف الثقات وجمهرة الأنساب ص:٣٤٥ . وانظر أسد الغابة، ٥/٢٢ .

وقال "يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم"، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذي بالحرام فأنى يستجاب له".(١)

وإذا التزمنا بشريعة السماء وأصبحت المبادىء الأخلاقية في الإسلام هي طابع وروح النظام العام في المجتمع فإنها تؤدي إلى تماسك الأفراد وترابطهم، فتزول الفتن والقلاقل ويسود الأمن والسلام على ربوع دولة الإسلام.

ولم يكتف الإسلام بإبراز العلاقة الخلقية للإنسان بأخيه الإنسان بل وسع ميادين العلاقات القائمة على الأخلاق حتى شملت عالم الحيوان، وهذا يُعطي دليلاً على شمولية المنهج الإسلامي وتكامله.

فمن أهم المبادىء الخلقية التي تدخل في معاملة الحيوان الرأفة والرحمة والمحافظة على حياته، فقد جاء في الأثر أن امرأة دخلت النار بسبب حبسها لهرة - كديسه - حتى ماتت من الجوع والعطش. عن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "عُذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها، إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض".(٢)

وبيّن صلى الله عليه وسلم أن في كل كبد رطبه يساعدها الإنسان أجراً، إذا قدم لها معروفا عن أبي هريره رضي الله عنه قال "بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ مني، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرا؟ قال في كل كبد رطبة أجر".(٣)

وأمرنا صلى الله عليه وسلم بأن نرحم الحيوان عند ذبحه ونعمل على راحته أثناء الذبح حتى لا يُعذب، عن شداد بن أوس قال "ثِنتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال "إنّ الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليُحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته".(٤)

---

(١) أخرجه مسلم ج:٢ ، :: الزكاة، باب:١٩ (قبول الصدقة من الكسب الطيب) ص:٧٠٣ حديث رقم:٦٥ .

(٢) متفق عليه، فتح الباري ج:٥ ، ك:المساقاه، باب:٩ (فضل مسقي الماء) ص:٤١ ، حديث رقم:٢٣٦٥ ، مسلم، ج:٤ ، ك:السلام، باب:٤٠ (تحريم قتل الهرة) ص:١٧٦٠ رقم:١٥٢،١٥١ مسند الإمام أحمد مجلد:٢، ص(١٥٩،١٨٨،٢٨٦) ج:٣ ص:٣٣٥ .

(٣) أخرجه البخاري، فتح الباري، ج:٥ ، ك: المساقاة، باب:٩ ، ص:(٤٠،٤١) حديث رقم:٢٣٦٣ .

(٤) أخرجه مسلم ج:٣ ، ك: الصيد، باب: ١١ (الأمر بإحسان الذبح) ص:١٥٤٨ ، حديث رقم: ٥٧ وأخرجه الترمذي، ج:٤ ، ك: الديات، باب:١٤(النهي عن المثله)، ص:٢٣، حديث رقم:١٤٠٩، أبو داود، ج:٢ ، ==

وأوضح صلى الله عليه وسلم أن ما نراه من مظاهر رحمة الله في الأرض هو جزء من مائة جزء من رحمته تبارك وتعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تُصيبه".(١)

وبعد الإنتهاء من التقدمة لهذا الفصل قمت بتقسيمه إلى اربعة مباحث رئيسة وهي كالتالي:

١- الأخلاق وأثرها في الأدب مع الله.

٢- الأخلاق وتهذيبها للنفس الإنسانية.

٣- الأخلاق وأثرها في التعامل مع الناس.

٤- التحذير من مسببات المضار الإجتماعية.

== ك: الأضاحي باب (الرفق بالذبيحة) ص:(٩٠،٩١)، الدارمي، ج:٢ ، ك: الأضاحي، باب:١٠ (في حسن الذبيحة) ص:٩ رقم:١٩٧٦ وأخرجه ابن ماجه ج:٢ ، ك: الذبائح باب:٣ ، ص:١٠٥٨ ، رقم:٣١٧٠ .

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ج:١٠ ، ك: الأدب باب:١٩ (جعل الله الرحمة في مائة جزء)، ص:٤٣١،حديث رقم:٦٠٠٠ .

وأخرجه ابن ماجه ج:٢ ، ك: الزهد، باب:٣٥ (ما يُرجى من رحمة الله يوم القيامة) ص:١٤٣٥ ، حديث رقم ٤٢٩٣ .

المبحث الأول
الأخلاق وأثرها في الأدب مع الله

إنّ للأخلاق آثارا عظيمة في الأدب مع الخالق عز وجل، فقد أوضحت سورة البقرة حق الله تبارك وتعالى على عباده، بأن يؤمنوا بذاته وصفاته وأفعاله دون تكييف أو تعطيل أو تأويل، إيماناً كاملاً لا يتزعزع، بأنه الله الواحد الأحد الفرد الصمد، المعز المذل الخافض الرافع له الأسماء الحسنى وليس كمثله شيء وهو السميع العليم.

قال تعالى "وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم".(١)

وقال تعالى "الله لا إله إلا هو الحيّ القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض".(٢)

وأمر سبحانه أن نتأدب مع ذاته العليّة فنتخذه إلهاً ولا نطيع غيره إلا في طاعته سبحانه وأن لا نجعل له نداً لأن الند هو الشريك وتعالى الله عن ذلك علواً كبيرا.

قال تعالى "ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله".(٣)

ومن الأدب مع الله سبحانه أن نذكره في الليل والنهار ولا نغفل عن ذكره قال تعالى "فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون".(٤)

وأن نتوجه إليه وحده في الدعاء قال تعالى "وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعِ إذا دعانِ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون".(٥)

وأن نصبر على مشاق الحياة في الله ونرضى بقضائه ونجاهد في سبيله قال تعالى "ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون، ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون".(٦)

وحق الله سبحانه يتمثل بالوفاء بعهده ووصل ما أمر الله به أن يوصل، ومن نقض ذلك فهو من الفاسقين قال تعالى "الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٦٣ .
(٢) سورة البقرة الآية: ٢٥٥ .
(٣) سورة البقرة الآية: ١٦٥ .
(٤) سورة البقرة الآية: ١٥٢ .
(٥) سورة البقرة الآية: ١٨٦ .
(٦) سورة البقرة الآية: (١٥٤-١٥٦).

أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون".(١)

ومن الأدب في جانب الله سبحانه عدم الإكثار من الحلف به سبحانه قال تعالى "ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم ".(٢)

وأمر تبارك وتعالى باحترام اليمين متى حلف الإنسان قال تعالى "واحفظوا أيمانكم، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون".(٣)

وايضاً المداومة على عبادته في السراء والضراء قال تعالى "يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون".(٤)

وذكرت السورة بعض الجوانب الخلقية وأثرها في التأدب مع الله، جمعتها في هذا المبحث ثم قسمتها إلى خمسة مطالب وهي كالآتي:

المطلب الأول: الولاء لله.

المطلب الثاني: الوفاء بالعهد.

المطلب الثالث: الحلف بالله.

المطلب الرابع: الأنقياد لحكم الله.

المطلب الخامس: الهجرة في سبيل الله.

المطلب الأول "الولاء لله"

الولاء في اللغة:-

كلمةالولاء مشتقة من الفعل الثلاثي "وَلَى" مصدره الولاء ويعني المحبة والصداقة والقرابة والنصرة، فإذا قلت والى فلان فلانا: إذا أحبه واختص به، ومنه المولى والوالي وهو الرب والمالك والسيد والمنعم الناصر.

والولي: يجمع على شكل أوليه وأولياء وهو المحب النصير الحليف وحينما تقول: الله وليّك أي حافظك وناصرك وساهر عليك. والمؤمن وليّ الله، أي مطيع له مطبق ما جاء من عند الله سبحانه.

الولاء اصطلاحاً:-

يتضح مما تقدم أن الولاء عبارة عن الطاعة والخضوع للجهة التي يواليها الإنسان في هذه الحياة.

والولاء في الإسلام يعني الطاعة والنصرة والمحبة والإكرام والخضوع والتسليم ظاهراً وباطناً لله تبارك وتعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين الذين يقيمون حكم

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٧ . (٢) سورة البقرة الآية: ٢٢٤ .

(٣) سورة المائدة الآية: ٨٩ .(٤) سورة البقرة الآية: ٢١ .

الله في الأرض بتطبيق شريعة الإسلام في جميع شؤون الحياة.(١)

الولاء لله:-

إن قضية الولاء قضية هامة في الإسلام يترتب عليها الكفر أو الإيمان لذلك أوضحها القرآن الكريم - في العديد من الآيات - والسنّة النبوية المطهرة من جميع الجوانب لكي يكون المؤمن على بصيرة وهدى من حقيقة العقيدة الإسلامية.

قال تعالى "**الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك اصحاب النار هم فيها خالدون**".(٢)

والولاء لله يكون بالرجوع إلى منهج الله تبارك وتعالى في كل عمل بعد ترسيخ وتمكين العقيدة الإسلامية في النفس ثم العمل بأركان الإسلام وفرائضه والإمتثال لما أنزل الله من أمر أو نهي. قال تعالى "**وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرلهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك**".(٣)

والولاء لله يكون بإعلان حقيقة التوحيد ناصعة بيضاء بأن الله هو الواحد الأحد الفرد الصمد صاحب الصفات السنّية والأسماء الحسنى قال تعالى "**هو الله الخالق البارىء المصوّر له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم**".(٤)

ولا يجوز لمسلم أعلن ولاءه لله خالقا وحاكما ومشرعا أن يتصرف ويبتعد عن تحكيم شريعة الله في أمور حياته، أو يتخذ القوانين الوضعية دستوراً يحتكم اليها فيما يعرض له من قضايا ومشكلات، والله حذر من الإفتتان بذلك قال تعالى "**أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يؤمنون**".(٥)

الولاء للرسول:-

الولاء للرسول يُعتبر الخطوة الثانية بعد الولاء لله، وتكون بإعلان الطاعة الكاملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والإلتزام المطلق بالسنّة النبوية المطهرة التي أُثرت عنه صلى الله عليه وسلم، حيث جاء في الحديث الشريف عن أبي نجيح* رضي الله عنه قال:

---

(١) انظر لسان العرب، مجلد:١٥ ، ص:(٤٠٨-٤١٣) وانظر المنجد في اللغة. ص:٩١٩ وايضاً الولاء والبراء في الإسلام، ص:٩٢ وايضاً مجلة هدي الإسلام عدد:١ ، ص:٧٥ .

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٥٧ . (٣) سورة المائدة الآية: ٤٩ .

(٤) سورة الحشر الآية: ٢٤ . (٥) سورة المائدة الآية: ٥٠ .

* أبو نجيح: هو العرباض بن ساريه السلمي، كنيته أبو نجيح كان من أهل الصفة ونزل حمص، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عبيده بن الجراح وعنه ابنته ام حبيبة وعبد الرحمن السلمي والكلاعي وآخرون، قال أبو مهران مات سنة ٧٥ هـ. انظر تهذيب التهذيب، ج:٧، ص:١٧٤ .

"وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودّع فأوصِنا. قال: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى إختلافاً كثيرا، فعليكم بسنتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين، عضّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومُحدثات الأمور، فإنّ كلّ بدعة ضلالة".(١)

والولاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم يكون بغرس محبته صلى الله عليه وسلم في النفوس أكثر من محبة النفس والولد والمال.(٢)

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين".(٣)

وأوضح صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب أنه لن يتم إيمانه إلا بأن يحب الرسول أكثر من نفسه، عن عبدالله بن هشام قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحبّ إليّ من كل شيء إلا نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم "لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب اليك من نفسك" قال عمر: فأنت الآن والله أحب إليّ من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم "الآن يا عمر".(٤)

والولاء للرسول صلى الله عليه وسلم يكون بإعلان الطاعة والإلتزام بالسنّة المطهرة حيث أنه أقسم سبحانه بأنه لن يتم إيمان العبد إلا بتحكيمه صلى الله عليه وسلم فيما شجر بين العباد.

قال تعالى "**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليما**".(٥)

---

(١) أخرجه الترمذي ج:٥ ، ك:العلم، باب:١٦ (أخذ السنّة واجتناب البدع) ص:٤٤ ، حديث رقم:٢٦٧٦ ، ابن ماجه، ج:١ ، ك:المقدمه، باب:٦ ، ص:١٥ حديث رقم:٤٢ مسند أحمد ج:٤ ، ص:(١٢٦،١٢٧).

(٢) انظر كتاب الإيمان اركانه حقيقته نواقضه، ص:٥٩ ، ط:٢ (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) عمان.

(٣) أخرجه البخاري، فتح الباري، ج:١ ، ك:الإيمان، باب:٨ (حب الرسول) ص:٥٨ ، حديث رقم:١٥ ، وأخرجه مسلم، ج:١ ، ك:الإيمان، باب:١٦ ص:٦٧ ، حديث رقم:(٦٩،٧٠) وابن ماجه، ج:١ ، ك:المقدمة باب:٩ ، ص:٢٦ حديث رقم ٦٧ مسند أحمد ج:٣ ، ص(١٧٧،٢٠٧) ج:٤ ، ص:(٣٣٦).

(٤) أخرجه البخاري، فتح الباري، ج:١ ، ك:الإيمان، باب:٨ ، ص:٥٩ حيث ذكر أنه في ج:١١ أيضاً فتح الباري ج:١١ ك:الإيمان والنذور، باب:٣ ، ص:٥٢٣ حديث رقم:٦٦٣٢ .

(٥) سورة النساء الآية: ٦٥

قال بعض المفسرين أن "ما" في الآية السابقة تعني أن يتحاكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويترافعوا ويرضوا بحكمه في أي قضية يختلفون عليها مهما كانت، ومجيء كلمة "شيء" نكرة لكي تفيد العموم، اي بأنه لا ينبغي لأحد أن يعرض عن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أي أمر من الأمور مهما كان صغيرا أو كبيرا.

وألحقت الآية قيداً آخر وهو "ويسلموا" اي يقبلوا حكم الرسول بحب واستسلام كامل وعن طواعية ورضى.

فالآية فيها تقييد وأنّه لا خيار في الأمر بل يجب الإلتزام والطاعة لما جاء به صلى الله عليه وسلم.(١)

قال تعالى "*وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا*".(٢)

وحينما أعطى المسلمون الأوائل ولاءهم لله ورسوله واستمدوا أحكامهم من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كانوا خير أمة أخرجت للناس وذلك لأنهم تربوا على مائدة القرآن الكريم وترجموه في حياتهم فكانوا شعلة من الإيمان وطاقة حيّة من العمل والنشاط بحيث استطاعوا أن يبنوا أعظم حضارة مشرقة عرفها الإنسان في تاريخه الطويل.

الولاء للمؤمنين:-

ينبغي على المسلم أن يعطي الولاء لله ولرسوله ثم للمسلمين لان الولاء لهم جزء لا يتجزأ عن الولاء والطاعة لله ولرسوله، فقد أوضح تبارك وتعالى هذا الولاء في كثير من الآيات قال تعالى "*والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم*".(٣)

وقال تعالى "*إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون*".(٤)

وأن التجمع على أصرة العقيدة وإعطاء الولاء للمؤمنين يجعل من المجتمع المسلم مجتمعاً قويا حصينا بوحدة أفراده وتلاحمهم وتكاتفهم مع بعضهم البعض.

---

(١) انظر تفسير أبي السعود، مجلد:١ ، ص:٥٤٤ ، وأيضاً مجلة التوحيد، عدد:٢ ، ص:٥٦ ، صفر ١٤٠٨هـ المركز العام القاهرة.

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٣٦ .

(٣) سورة التوبة الآية: ٧١ .

(٤) سورة المائدة الآية: ٥٥ .

قال تعالى "ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإنّ حزب الله هم الغالبون".(١)

ثم أمر بطاعة أولي الأمر من المسلمين فإن طاعتهم من طاعة الله ورسوله قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلا".(٢)

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن طاعة أولي الأمر من المسلمين هي طاعة لله ولرسوله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أطاعني فقد اطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني".(٣)

والناظر إلى واقع المسلمين اليوم يراهم وقد استبدلوا منهج الله بمناهج وقوانين وضعية مستوردة من الغرب أو الشرق يحتكمون اليها في مجالات حياتهم الأخلاقية والإقتصادية والسياسية والإجتماعية، فعادت عليهم بالشقاء والبلاء والتفرقة والضعف وذهاب ريحهم، وواقع المسلمين اليوم يشهد بذلك.

لذلك فنحن اليوم في أمس الحاجة إلى تجديد الولاء لله تبارك وتعالى أنظمة وحكومات وجماعات وأفراد وأن نكون صورة صادقة لقوله صلى الله عليه وسلم "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثمّ شبك بين أصابعه".(٤)

وما أحوجنا إلى نبذ الخلافات والقضاء على بذور الفرقة وأن نكون أمة متماسكة كالبنيان المرصوص القوي الشامخ الذي لا تؤثر في وحدته وقوته كل مكائد الأعداء.

والأحرى بنا ونحن تتجاذبنا قوى الشر والبغي للشرق أو للغرب أن نرجع الى كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم وأن نوحد صفنا لكي نستعيد للأمة الإسلامية أملها ودورها القيادي المنوط بها في هذه الحياة، والعودة بالبشرية المعذبة نحو العدل والإيمان والسلام.(٥)

---

(١) سورة المائدة الآية: ٥٦ .

(٢) سورة النساء الآية: ٥٩ .

(٣) فتح الباري ج:٣ ك:الإمارة، باب:٨ (وجوب طاعة الأمير)، ص:١٤٦٦ رقم:(٣٣،٣٢) فتح الباري ج:١٣ ك:الأحكام، باب: ١ ، ص:١١١ ، رقم:٧١٣٧ وأخرجه ابن ماجه ج:١ ، ك:المقدمة، باب:١ ، ص:٤ رقم:٣، وأخرجه صاحب المسند ج:٢ ، ص:٩٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥٢ ، ٢٧٠ ، ٣١٣ .

(٤) فتح الباري، ج:١٠ ، ك:الأدب، باب:٣٦ ، ص:(٤٤٩،٤٥٠) حديث رقم ٦٠٢٦ وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ج:٤ ، ص:(٤٠٤،٤٠٥،٤٠٩).

(٥) انظر غذاء الروح ص:٢٧٤ ، وايضاً مجلة هدى الإسلام عدد:١ ، ص:(٧٧،٧٨).

المطلب الثاني : الوفاء بالعهد

أمر الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة بالوفاء بالعهد كما أنه ذكر إلتزام العهد والميثاق في السور القرآنية نذكر منها الآتي:

قال تعالى "**والموفون بعهدهم إذا عاهدوا**"(١) ثم حذّر سبحانه من نقض العهد فقال تعالى "**الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الفاسرون**".(٢)

ثم أوضح أن الإنسان يُسأل يوم القيامة عن العهد، قال تعالى "**وأوفوا بالعهد إنّ العهد كان مسؤولا**".(٣)

والتزام العهد والمحافظة عليه هو وصية من الله سبحانه إلى المسلمين قال تعالى "**وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون**".(٤)

ويوحي تفسير الآيات السابقة بأن الوفاء بالعهد هو جزء لا يتجزأ عن الإيمان بالعقيدة الإسلامية، لذلك فالمسلم يلتزم بالعهد سواء كان مُبرما مع عدو أو صديق، ولا يجوز التلاعب به، فليس العهد من باب مصلحة المعاهد متى شاء أوفى به، ومتى شاء نقضه على حسب المصلحة، وإنما العهد يتعلق بالتعامل مع الله، فينبغي الوفاء به متى أبرمه الإنسان دون النظر إلى من عقد معهم العهد طالما هم يستقيمون على العهد.

والوفاء بالعهد يعتبر من مبادىء الإسلام الأخلاقية في التعامل، فهو أولا تعامل مع الله وطلب لمرضاته واجتناب سخطه.

وأوضح صاحب الظلال ذلك فقال "إن الباعث الأخلاقي ليس هو المصلحة، وليس هو عرف الجماعة، ولا مقتضيات ظروفها القائمة، وإنما ينبغي أن نستمد القيم والمقاييس من الله بمعرفة ما يُرضيه من الأخلاق والتطلع إلى رضاه والشعور بتقواه".(٥)

وإذا أبرم المسلمون عهداً فيجب أن يحترموا ويلتزموا عهدهم لان المسلمين عند شروطهم ومواثيقهم قال تعالى "**ومن أوفى بما عاهد عليهُ اللهَ فسيؤتيه أجراً عظيما**".(٦)

اختلف المفسرون في تعيين العهد في الآية السابقة إلى أراء أهمها أنه العهد الذي أخذه الله تبارك وتعالى على بني آدم حين استخرجهم من ظهره قال تعالى "**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم،**

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٧٧ .
(٢) سورة البقرة الآية: ٢٧ .
(٣) سورة الإسراء الآية: ٣٤ .
(٤) سورة الأنعام الآية: ١٥٢ .
(٥) في ظلال القرآن، ج:١ ، ص:٤١٨ .
(٦) سورة الفتح الآية: ١٠ .

ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا".(١)

وقيل أن العهد المقصود هو ما عهده إلى أهل الكتاب من تبيين لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وألا يكتموا أمره، وأن يتبعوا رسالته.

والراجح من هذه الآراء هو ما أوصاه الله تبارك وتعالى الى خلقه، بأن يلتزموا ما أمره؛ وينتهوا عن معصيته، ويشمل كل ما يعاهد به الإنسان الآخرين بشرط أن يكون بعيداً عن المعصية وضمن العهود والمواثيق التي تُرضي الله سبحانه.(٢)

والوفاء بالعهد هو خلق انساني، ومطلب اجتماعي رفيع ومن واخلاق الانبياء والمرسلين، فقد جاء في حق اسماعيل عليه السلام، أنه كان صادق الوعد إذا أوعد أوفى بوعده. قال تعالى: "*واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً*".(٣)

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في الوفاء بالوعد والمحافظة على العهود والمواثيق قبل البعثة وبعدها، فكانت حياته مليئة بالدروس العملية في هذا المجال، نذكر أبرز ما فيها معاهدة الحديبية:-

عقد النبي صلى الله عليه وسلم في السنةالسادسة من الهجرة مع كفار قريش معاهدة صلح تنص على الآتي:-

١- أن ينصرف صلى الله عليه وسلم وأصحابه هذا العام وأن يأتي في العام القابل من عقد المعاهدة بغير سلاح عدا السيوف في قُربها، فيقيم بمكة ثلاثة أيام ويخرج.
٢- ان يُرجع النبي صلى الله عليه وسلم من يأتيه مسلماً إلى قريش.
٣- الذي يذهب من المسلمين إلى كفار قريش مرتداً لم يردوه إلى المسلمين.
٤- مدة الصلح مشروطة بعشر سنين.
٥- إعطاء الفرصة للقبائل العربية، الحرية الكاملة لمن أراد ان يدخل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم او عهد قريش، فقالت قبيلة خزاعة نحن في عقد النبي صلى الله عليه وسلم، وقالت بنو بكر نحن في عقد قريش.

فرأى عمر بن الخطاب وبعض الصحابة رضوان الله عليهم ان شروط هذه المعاهدة مُجحفة في حق المسلمين، فقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: بلى، قال أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قال: ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجعُ، ولمّا يحكم الله بيننا وبينهم؟

فقال:صلى الله عليه وسلم (يابن الخطاب، إني رسول الله ولن يضيعني الله ابداً).

---

(١) سورة الأعراف الآية: ١٧٢ .

(٢) انظر تفسير القرطبي، مجلد:١ ، ج:١ ، ص:٢٤٦ وانظر زاد المسير:٥ ، ص:٣٤ وانظر البيضاوي ص:٢٢٨ وانظر تفسير المنار مجلد:٢ ، ص:(١١٩،١٢٠). (٣) سورة مريم الآية: ٥٤ .

ثم ذهب عمرٌ إلى أبي بكر فقال له نفس الكلام فأجابه الصديق إنه رسول الله ولن يضيعه الله ابداً.

فنزل قوله تعالى "**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**".(١)

فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى عمر بن الخطاب فأقرأه الآيات من سورة الفتح، فقال يا رسول الله أو فتحٌ هو؟!

قال: نعم فطابت نفس عمر ورجع.

وإلتزم صلى الله عليه وسلم بنصوص هذه المعاهدة؛ فقد كان يردّ للمشركين من جاءه مسلما، فردّ أبا جندل بن سهل بن عمرو إليهم، مما جعله يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أأردُّ إلى المشركين يفتنونني في ديني؟!.

فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا جندل إصبر واحتسب، فإن الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنّا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك، وأعطونا عهد الله، وإنا لا نغدر بهم.(٢)

وجعل الله لهم مخرجاً حينما انفلت أبو بصير وخرج إلى ساحل البحر فلحق به أخر وأخر من الصحابة وأخذوا يتعرضون لقوافل قريش التجارية، مما حدا بقريش أن تطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذهم في المدينة.(٣)

هذه أخلاق الإسلام في الإلتزام بالعهود والمواثيق حتى ولو كانت معقودة مع المشركين، فيجب على المسلمين أن يوفوا بالعهد طالما أن الطرف الآخر ملتزم بالمعاهدة حتى ينتهي أجلها قال تعالى "**إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم**

---

(١) سورة الفتح الآية:(١،٢).

(٢) انظر تفسير القرطبي مجلد:٨ ج:١٦ ص:(٢٧٥-٢٧٨) ط:(١٩٨٧) الهيئة المصرية العامة للكتاب وانظر تهذيب سيرة بن هشام، ص:٢٥٩ وانظر فقه السيرة، ص:٣٢٣ .

(٣) انظر الآداب الدينية الإجتماعية، ص:٦ .

يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إنّ الله يحبّ المتقين".(١)

وإذا بدأت منهم الخيانة في نقض العهد، فلنا أن ننبذ إليهم عهدهم عملا بقوله تعالى "وإمّا تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إنّ الله لا يحب الخائنين".(٢)

وعدم الوفاء بالعهد سواء كان مع الله أو مع الناس بدون عذر شرعي فهو خيانة وغدر وهذا حرام في الإسلام، وإنما من أخلاق المسلم الوفاء والصدق ومحاربة الغدر والخيانة.

وأما نقض العهد وإخلاف الوعد فهي من صفات المنافقين عن أبي هريرة رضي الله عنه، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "آية المنافق ثلاث إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان".(٣)

وذكر صلى الله عليه وسلم أربع خصال من كانت فيه فهو منافق خالص النفاق، ومن كانت فيه واحدة، كانت فيه خصلة من خصال النفاق . عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اربع من كُنّ فيه كان منافقا خالصا. ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر".(٤)

يعاني العالم اليوم معاناة شديدة من جراء عدم احترام العهود والمواثيق الدولية على مستوى الأمم والشعوب، وذلك لأن دول الاستعمار الحديث تعمل جادة وبكل الوسائل الماكرة للوصول إلى أهدافها الإستعمارية وأولها السيطرة على موارد البترول والمواد الخام في الوطن العربي والإسلامي، وإمتلاك الأسواق العالمية، فهذه النظرة المحمومة جعلت الكثير من الدول الغربية لا تهتم بمبادىء أو قيم، ولم يوفوا بعهد ولا بوعد.

فقد يتخذ مجلس الأمن قراراته ضد شعب مسلم من شعوب الإسلام فترى التنفيذ الفوري والسريع لكامل القرارات، وخير برهان على ذلك ما حدث ضد العراق الشقيق أثناء حرب الخليج عام ١٩٩١م .

---

(١) سورة التوبة الآية: ٤ .

(٢) سورة الأنفال الآية: ٥٨ .

(٣) أخرجه البخاري، فتح الباري، ج:٥ ، ك: الشهادات، باب:٢٨ (من أمر بإنجاز الوعد) ص:٢٨٩ ، حديث رقم:٢٦٨٢ وأخرجه مسلم، ج:١ ، ك: الإيمان باب:٢٥ (خصال المنافق) ص:٧٨ ، رقم:(١٠٧،١٠٨)، الترمذي، ج:٥ ك: الإيمان، باب:١٤ (علامة المنافق)، ص:١٩ ، رقم:٢٦٣١ .

(٤) متفق عليه، فتح الباري ج:١ ، ك:الإيمان، باب: ٢٤ (علامة المنافق) ص:٨٩ ، حديث رقم٣٤ . مسلم، ج:١ ، ك: الإيمان، باب:٢٥ (بيان خصال المنافق) ص:٧٨ ، حديث رقم ١٠٦ ، مسند أحمد ج:٢ ، ص:(١٩٨ . ٥٣٦).

وإذا كانت القرارات ضد اسرائيل التي طردت المئات من الفلسطينيين من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، ومجلس الأمن يتخذ قراره رقم:٧٩٩ بحق العودة للمبعدين الفلسطينيين إلى وطنهم وأهلهم لم يُنفذ هذا القرار ويماطل في تطبيقه...!! قال تعالى "*أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون*".(١)

يتضح مما سبق أن الإسلام حرص وإعتنى بتكوين الشخصية الإسلامية العادلة القوية السوية التي تلتزم وتنفذ ما تعقده من معاهدات ومواثيق إلتزاماً كاملاً مهما كانت المشاق والصعاب، لان المسلمين عند شروطهم ووعودهم التي يقطعونها على أنفسهم قال تعالى في صدر سورة المائدة "*يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود*".(٢)

المطلب الثالث: الحلف بالله

الحلف بالله، يُطلق على القَسم فحينما تقول حلف، يحلِف حلْفا أي أقسم قسماً.

كما أنه يطلق على الإيلاء وقد أوضحنا ذلك سابقاً، والحلف بالله يعني آداء اليمين، أي الحلف بأسماء الله تعالى أو صفاته كأن يقول الحالف والله لأفعلن كذا أو والذي نفسي بيده لأتركنّ كذا وكذا.

فاليمين شرعاً، هو تحقيق أمر من الأمور أو توكيده بذكر إسم الله تعالى أو صفة من صفاته وبمعنى أصح فهو: "عقد يقوي به الحالف عزمه على الفعل أو الترك لأمر ما".(٣)

وينبغي أن يُلاحظ أنه لا يجوز الحلف بغير أسماء الله وصفاته، لأن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به، والتعظيم والإجلال لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى أو ما يتعلق به من الصفات الحميدة.

لذلك نهى صلى الله عليه وسلم عن الحلف بغير الله عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر وهو في ركب، يحلف بأبيه فقال صلى الله عليه وسلم "إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، ليحلف حالف بالله أو ليصمت".(٤)

وأوصى تبارك وتعالى بعدم الحلف بالله كذبا لأن ذلك يتنافى مع البر والتقوى والصفات الحسنة التي هي من أخلاق المسلم قال تعالى: "*ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم*

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٠٠ .

(٢) سورة المائدة الآية: ١ .

(٣) انظر لسان العرب، ج:٩ ، ص:(٥٣،٥٤) وانظر فقه السنة ج:٣ ، ص:١٠٨ وأيضاً منهاج المسلم، ص:٤٢٧ .

(٤) البخاري، فتح الباري، ج:١١ ، ك: الإيمان، باب:٤ (لاتحلفوا بآبائكم) ص:٥٣٠ ، حديث رقم:٦٦٤٦، الترمذي، ج:٤ ، ك: النذور، باب:٨ ، ص:١١٠ حديث رقم:١٥٣٤ ، وأخرجه الدارمي ج:٢ ، ك:النذور، باب:٦ ، ص:١٠٦ رقم ٢٣٤٦ وأخرجه ابن ماجه ج:١ ، ك:الكفارات باب:٢ ، ص:٦٧٧ مسند أحمد ج:٢ ، ص ٧ .

أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم".(١)

فالآية ترشد إلى ترك الحلف بالله إلا عند الضرورة والحاجة إلى ذلك، لأن الذي يُكثر من الحلف ينطبق عليه قوله تعالى "ولا تطع كل حلاف مهين".(٢)

إن الحلف بالله لا ينبغي أن يكون مانعاً عن فعل الخيرات والبر والإصلاح وإذا حلف إنسان على ترك هذه الأمور الحسنة فعليه أن يُكفّر عن يمينه وليفعل الذي هو خير، لأنه لا عذر لأحد في ترك الإحسان والخيرات والصلاح والإصلاح بين الناس.

وفعل أبو بكر الصديق ذلك حينما أقسم ألا يبرّ مسطحاً، وهو قريبه لانه شارك في حادثة الإفك فنزل قوله تعالى "ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا".(٣)

فرجع أبو بكر عن يمينه وكفّر عنها وأنفق على مسطح.(٤)

وجاء في السنة النبوية المطهرة ما يؤيد فعل أبي بكر رضي الله عنه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير".(٥)

واليمين اللغو، وهو الحلف من غير قصد فهو لا كفارة فيه لقوله تعالى "لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم".(٦)

كفارة اليمين:

كفارة اليمين تكون بفعل واحدة من أربعة أشياء وهي مرتبة حسب الأولوية كما جاء في قوله تعالى "لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقّدتم الأيمان، فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم، واحفظوا أيمانكم كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلكم تشكرون".(٧)

يؤخذ من النص القرآني التفسير الآتي:

أولا: إن كفارة اليمين تكون بإطعام عشرة مساكين من أوسط ما يطعم به الإنسان أهله بعيداً عن الإسراف والتقتير. والمقصود بالوسطية الكمية المقدمة للفقراء والمساكين وقيل المقصود بها جنس الطعام.

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٢٤ . (٢) سورة القلم الآية:٤ .

(٣) سورة النور الآية: ٢٢ .

(٤) انظر تفسير القرطبي مجلد:٢ ، ص:٩٠٥ وأيضاً تفسير المنار ج:٢ ، ص:(٣٦٦،٣٦٧) وايضاً التفسير الواضح مجلد:١ ، ج:٢ ، ص:١٣٥ وأيضاً في ظلال القرآن ج:١ ، ص:٢٤٣ .

(٥) انظر تخريجه في ص:١٤٧ (٦) سورة البقرة الآية: ٢٢٥ (٧) سورة المائدة الآية: ٨٩

ثانيا: وان لم يتوفر الإطعام، تأتي الكسوة لعشرة مساكين وفيها الأقوال الآتية:-
١- قالوا بأنه يجزيء ثوب واحد.
٢- وقيل إزار ورداء وقميص.
٣- قال النخعي* ثوب جامع كالملحفة يستر سائر البدن.
٤- وقيل كسوة تجزيء فيها الصلاة، المرأة تلبس ثوبين درعا وخمارا وهو أدنى ما تجزيء به الصلاة وهذا هو الرأي الراجح.(١)

ثالثا: تحرير رقبة مؤمنة:

إذا لم يستطع الحالف الإطعام أو الكسوة لعشرة مساكين فعليه أن يحرر رقبة مؤمنة والمراد بها جملة الشخص لأنه اطلق الجزء وأراد به الكل.

واشترط الإمام الشافعي إيمان الرقبة في كفارة اليمين من باب حمل الإطلاق الذي جاء في كفارة اليمين على المقيد هناك في كفارة القتل، ولكن أبا حنيفة** وأصحابه جوّزوا تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة سوى القتل. ولكن الراجح هو ما عليه الشافعي لأن خير تفسير للقرآن يكون بالقرآن.(٢)

رابعاً: صيام ثلاثة أيام متتابعات عند أبي حنيفة على قراءة ابي بن كعب*** وابن مسعود رضي الله عنهما.

---

(١) انظر زاد المسير، مجلد:٢ ، ص:٣١٣ وانظر منهاج المسلم ص:٤٢٩ .

(٢) انظر تفسير الكشاف للزمخشري مجلد:١ ، ص:٦٤١ وانظر تفسير زاد المسير مجلد:٢ ، ص:٣١٤ .

* النخعي: هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن ربيعه النخعي، أبو عمران الكوفي الفقيه روى عن خاله الأسود ومسروق وعلقمة وروى عنه الأعمش وخلق وكان رجلاً صالحا فقيها قليل التكلف، ومفتياً للكوفة، قال: الشعبي ما ترك أحداً أعلم منه، وكان من أهل الحديث ووثّقه ابن حبان ولد سنة ٥٠ هـ ومات وهو متخفي من الحجاج سنة ٩٦ هـ وكان عمره ٤٩ سنة وقيل ٥٨ سنة. انظر تهذيب التهذيب ج:١ ، ص:(١٧٧،١٧٨).

** أبو حنيفه:- هو النعمان بن ثابت التيمي ولد بالكوفة وكان فقيهاً ومجتهداً وصاحب المذهب الحنفي في الفقه، وهو من الأئمة الأربعة عند أهل السنة، طلب العلم في صباه وانقطع للتدريس والإفتاء، وقال عنه الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة وله عدة مصنفات منها رسالة الفقه الأكبر، ت ببغداد انظر الأعلام للزركلي، مجلد ٨ ، ص:٣٦ وتاريخ بغداد ١٣/ (٣٢٣-٤٢٣) والبداية والنهاية مجلد:١٠ ، ص:١٠٧ .

*** ابي بن كعب: هو ابي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية يقال له: أبو الطفيل المدني سيد القراء رئيس مدرسة التفسير بالمدينة المنورة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعنه عمر وأنس وخلق، وقال عمر عنه سيد المسلمين، وقيل مات سنة ٣٢ هـ في خلافة عثمان وسكن البصرة، انظر تهذيب التهذيب ج:١ ،ص:(١٨٧،١٨٨)

وأجاز البعض من المفسرين صيامها غير متتابعات، أي متفرقات وينبغي أن يلاحظ أنه لا يجوز أن ينتقل الذي أحنث في يمينه إلى الصيام إلا بعد العجز من الإطعام أو الكسوة أو التحرير لرقبة مؤمنة، وقالوا بذلك إعتماداً على أنها جاءت مرتبة في الآية، هكذا ويفّضل للمسلم أن يبدأ بما بدأ به الله سبحانه.(١)

النهي عن كثرة الحلف:-

إن كثرة الحلف بالله في القليل والكثير من الأمور التي تُميت القلب الحي، ولا يبقى لليمين في القلب أي وَقْعٍ، إذا تعوّد اللسان كثرة الحلف، وبالتالي يصبح الإنسان الحلّاف في غير مأمن من الوقوع في اليمين الكاذبة، التي هي من المنكرات وتشكل ضرراً بالغاً على المجتمعات وتقضي على روح الأُخوة والتعاون.

ونهى صلى الله عليه وسلم عن الكذب وحبب في الصدق عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "عليكم بالصدق فإنّ الصدق يهدي إلى البر، وإنّ البرّ يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا".(٢)

فإذا كان الكذب المحض منهي عنه فمن باب أولى أن يكون الكذب المقرون بالحلف أشد حرمة، وهو الذي سماه صلى الله عليه وسلم باليمين الغموس - لانها تغمس صاحبها في النار - وهي من الكبائر وتأتي في المرتبة الرابعة بعد الإشراك بالله سبحانه وعقوق الوالدين وقتل النفس، عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ما الكبائر؟ قال: "الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس".(٣)

---

(١) انظر تفسير الكشاف ج:١ ، ص:٦٤١ .

(٢) أخرجه مسلم ج:٤ ، ك: البر، باب: ٢٩ (قبح الكذب وحسن الصدق) ص:٢٠٣١ ، رقم:(١٠٤،١٠٥) ابو داود ج:٢ ، ك: الأدب، باب: (التشديد في الكذب)، ص:٥٩٣، وأخرجه الترمذي ج:٤ ، ك: البر باب (في الصدق والكذب) ص:٣٤٧ حديث رقم:١٩٧١ ابن ماجه ج:١ ك: المقدمة، باب:٧ (إجتناب البدع) ص:١٨ حديث رقم:٤٦ .

(٣) فتح الباري ج:١١ ، ك:الاستئذان باب:٣٥ ص:٦٦ وأيضاً فتح الباري ج:١٠ ك: الأدب باب:٦ (عقوق الوالدين من الكبائر" ص:٤٠٥ وأخرجه الترمذي ج:٤ ك: البر باب:٤ (ما جاء في عقوق الوالدين)، ص:٣١٢ وأخرجه أحمد في مسنده ج:٥ ص:(٣٦،٣٨،٤١٣).

التحذير من الغش في الأيمان:-

الأيمان الكاذبة تزعزع العقيدة في الضمائر وتشوه صورة الإيمان عند الآخرين، والذي يقسم وهو يعلم أنه كاذب من أين تثبت له قدم، أو يصبح صاحب خلق وعقيدة لذلك نهى الإسلام عن اتخاذ الأيمان الكاذبة للغش وخداع الناس في المعاملات التجارية كالبيع والشراء أو أي معاملة أخرى، كأن يقسم البعض عند التقاضي ليجعل القضية في صالحه ويتغلب على خصمه بقسم باطل، ويُقنع القاضي بأن الحق في جانبه وهو يعلم أنه كاذب.

بماذا سيلقون الله أمثال هؤلاء الناس يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا خلة ولا شفاعة، إنه موقف محرج رهيب على أمثال هؤلاء غير يسير.(١)

ويا ليت قومي يعلمون ذلك الموقف فيخلصون في البيع والشراء وسائر المعاملات اليومية فيبتعدوا عن الغش وخداع الناس بالأيمان الكاذبة قولا وعملا، لأن من غشنا فليس منا نحن المسلمين.

المطلب الرابع: الإنقياد لحكم الله

أوضحت سورة البقرة وجوب الإنقياد لأمر الله سبحانه، وما نزل من الحق وتحكيم شرع الله في جميع مجالات الحياة المتعددة لكي تستقيم حياة الناس فيشعروا بالأمن والسلام والاستقرار في حياتهم اليومية داخل المجتمع المسلم.

أمر سبحانه وتعالى بإقامة حكم الله في الأرض ونهى عن كتمان ما نزل من الحق المتمثل في كتاب الله، قال تعالى "*إنّ الذين يكتمون ما أُنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون*".(٢)

ونهى تبارك وتعالى عن الإنجرار وراء الشيطان وحذّر من اتباع الآباء فيما يضر ولا ينفع قال تعالى "*ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين، إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وإذا قيل لهم اتبعوا ما أُنزل الله قالوا بل نتبع ما أُلفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون*".(٣)

وأقسم سبحانه أنه لن يتم إيمان الأمة إلا إذا احتكمت إلى شرع الله في حياتها قال تعالى "*فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما*".(٤)

---

(١) انظر في ظلال القرآن مجلد:٤ ، ص:٢١٩٢ وأيضاً غذاء الروح ص:٢٤٢ ، وأيضا الحلال والحرام، ص:٢٥٢ ، وأيضاً المنافقون في القرآن الكريم، ص:٩٧ . (٢) سورة البقرة الآية: ١٥٩ .

(٣) سورة البقرة الآية: (١٦٨-١٧٠) (٤) سورة النساء الآية: ٦٥ .

يتضح من تفسير الآية أن الإسلام لم يأت لإكتنازه في الضمائر وإنما جاء ليظهر في السلوك العملي للأفراد والمجتمع والحكومة والدولة الملتزمة بأحكام الشريعة الإسلامية، قال تعالى "إن الحكم إلا لله أمر الا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون".(١)

وجاء الأمر القرآني بتطبيق شرع الله ومزاولة أحكام الشريعة الإسلامية في حياة الناس قال تعالى "ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون".(٢)

يتضح من هذا العرض لأيات القرآن الكريم، أن العمل للإسلام واجب شرعي من أجل الوصول إلى الحكم بما أنزل الله.

وإن تعطيل حاكمية الله في الأرض وهيمنة النظم والقوانين الوضعية على المجتمعات البشرية في عصرنا الحاضر يفرض علينا العمل للإسلام والإعتصام بمنهج الله، وتسخير كل الطاقات والإمكانيات لإقامة المجتمع الإسلامي الذي يحتكم إلى الإسلام ويتم فيه استئناف الحياة الإسلامية.

وذلك بتعبيد الناس إلى خالقهم في مجالات الحياة المتعددة قال تعالى "يا أيهاالناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون".(٣)

وقال تعالى "قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أوّل المسلمين".(٤)

وحذرت السورة من قطع ما أمر الله به أن يوصل، لأن من حق الله على العباد أن يصلوا ما أمر الله به أن يوصل.

قال تعالى "الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض اولئك هم الفاسرون".(٥)

وفسّر الإمام الألوسي* وصل ما أمر الله به أن يوصل في الآية الكريمة بعدة أقوال(٦) نلخصها في الآتي:

---

(١) سورة يوسف الآية: ٤٠ . (٢) سورة الجاثية الآية: ١٨ .

(٣) سورة البقرة الآية: ٢١ . (٤) سورة الأنعام الآية: (١٦٢،١٦٣)

(٥) سورة البقرة الآية: ٢٧ .

(٦) انظر تفسير الألوسي، مجلد:١ ، ص:٢١١ ، ط(١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) دار الفكر - بيروت.

* الألوسي: هو محمد بن عبدالله بن شهاب الدين محمود الألوسي أبو المعالي مؤرخ وعالم في الدين والأدب ومن دعاة الإصلاح للمجتمع، ترك في المصنفات كثيرا منها "تفسير روح المعاني" وهو تفسير كبير يحتوي على علوم كثيرة وفيه نزعة صوفية، ولد في رصافه ببغداد سنة ١٢٧٣هـ وتوفي فيها سنة ١٣٤٢هـ انظر الاعلام للزركلي ج:٧ ، ص:١٧٣ ، ط:٣ .

١- صلة رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون بتصديق رسالته والعمل بسنته قال تعالى "وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إنّ الله شديد العقاب".(١)

وقال تعالى "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم".(٢)

وحذر القرآن الكريم من عصيانه وتكذيب رسالته قال تعالى "قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإنّ الله لا يحب الكافرين".(٣)

وجاء في سورة النساء ما يفسر ذلك ويعاضده قال تعالى "من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيّت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا".(٤)

٢- يكون بالتطبيق العملي لأوامر الله سبحانه والإنتهاء عما نهى عنه سبحانه، فينبغي أن يشعر المسلم بأنه جندي لله في هذه الأرض يعمل ليلا ونهارا بمقتضى هذا الدين وهو يشعر بأن الإسلام عمل لا ينقطع وجهاد مستمر وكفاح لا يهدأ وتضحية في سبيل الحق واستشهاد في سبيل الله حتى يقام دين الله في أرجاء الأرض.

قال تعالى "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون"(٥). وقال تعالى "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون".(٦)

٣- التصديق بالأنبياء: من ضمن ما أمر الله به أن يوصل أن نؤمن بالأنبياء والمرسلين جميعا بدون تفريق بينهم، فهم مرسلون من الله لهداية البشرية إلى طريق الحق والصواب.

فقد جاء في سورة البقرة قوله تعالى "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله".(٧)

وقوله تعالى "قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا

---

(١) سورة الحشر الآية: ٧
(٢) سورة آل عمران الآية: ٣١ .
(٣) سورة آل عمران الآية:٣٢
(٤) سورة النساء الآية:(٨٠،٨١).
(٥) سورة التوبه الآية: ١١١
(٦) سورة التوبه الآية: ١٠٥ .
(٧) سورة البقرة الآية: ٢٨٣ .

نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون".(١)

ولكن المفسدين في الأرض ومنهم اليهود قطعوا ذلك فكذبوا بعض الأنبياء وصدقوا بالبعض الآخر، والله سبحانه أمر بإقامة الدين ونهى عن التفرق قال تعالى "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب".(٢)

٤- إن صلة ما أمر الله به أن يوصل، تعني الأمر بصلة الرحم والأقارب قال تعالى "والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب"(٣). فهذه الآية فسرت ما جاء في آية البقرة.

وأمر بتقوى الله في صلة الأرحام قال تعالى "واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا".(٤)

وحذّر سبحانه من تقطيع الأرحام وعدم وصلها، قال تعالى "فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم".(٥)

وجاء في الحديث الشريف ما يحث ويشجع على صلة الرحم والأقارب والإحسان إليهم والحلم والتجاوز عن سيئاتهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه "أن رجلا قال: يا رسول الله: إنّ لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إليّ وأحلم عنهم ويجهلون عليّ، فقال "لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهُم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهيرٌ عليهم ما دمت على ذلك".(٦)

٥- الأمر الشامل: أي بتطبيق حكم الله والإمتثال لما أمر في كتابه الكريم والإنتهاء عما نهى الله عنه والإعتصام بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل العزيز الحميد، قال صلى الله عليه وسلم "إني تركت فيكم ما لن تضلوا بعده ابداً، إن اعتصمتم به كتاب الله وسنتي".(٧)

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٣٦ .

(٢) سورة الشورى الآية: ١٣ .

(٣) سورة الرعد الآية: ٢١ .

(٤) سورة النساء الآية: ١ .   (٥) سورة محمد الآية: ٢٢ .

(٦) أخرجه مسلم، ج:٤ ، ك:البر، باب:٦ (صلة الرحم) ص:١٩٨٢ حديث رقم:٢٢ وأخرجه أحمد في مسنده ج:٢ ، ص:(٣٠٠،٤١٢،٤٨٤).

(٧) أخرجه أبو داود في كتابه السنن ج:١ ، ك:المناسك، باب:(صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم)، ص:٤٤٢ (جزء من حديث طويل)، وايضاً ابن ماجه ، ج:٢ ، ك: المناسك، باب:٨٤ ، ص:١٠٢٥ حديث رقم:٣٠٧٤ وأخرجه أحمد في المسند ج:٣ ، ص:٢٦ .

المطلب الخامس: الهجرة في سبيل الله

الهجرة في اللغة:-

كلمة الهجرة مشتقة من الفعل الثلاثي هَجر ويعني الترك ومنها الهجر بمعنى المجافاة والإبتعاد والمقاطعة، والهجرة ضد الوصل، فيقال هجرت الشيء هجراً إذا تركته وأغفلته.

الهجرة في الإصطلاح الشرعي:

الهجرة تعني الخروج والإنتقال من ديار الكفر إلى دار الإسلام، وتكون هذه الهجرة لازمة في حق المسلم عندما لا يستطيع أن يزاول شعائره التعبدية في ظل المجتمع المنحرف عن منهج الله تبارك وتعالى.(١)

لقد أوضحت سورة البقرة أن الكافرين يعلنون حربا لا هوادة فيها على المسلمين حتى يردوهم عن دينهم إن استطاعوا ولكن هيهات هيهات.

قال تعالى "**ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردّوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**".(٢)

والجاهلية تتصدى بكل قواها للمؤمنين حتى لا يكثر عددهم وبالتالي يصبحوا خطراً عليها، فهي تقف لهم بالمرصاد مستخدمة وسائل البطش والإرهاب والطرد، لتعيق من إقامة تجمع للمؤمنين قائم على أصول العقيدة الإسلامية.

ومنطق الطرد والنفي من الأرض أو العودة إلى ملة الكفر والرضى عن الجاهلية هو منطق قديم قال تعالى "**وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكنّ الظالمين**".(٣)

ومستحيل في تصور المؤمن الرجوع إلى الجاهلية بعد أن أيقن روح العقيدة الإسلامية، ومست شعلة الإيمان قلبه فحوّلته إلى حركة وعمل ونشاط لا يعرف الكسل، وأصبح يتحمل الصعاب والأذى في سبيل عقيدته بل ويشعر بلذة وراحة وهو يتحدى قوى الشر والطاغوت والعدوان.

وانظر ماذا كان جواب الذين آمنوا مع شعيب عليه السلام حينما طلبت الجاهلية منهم العودة إلى ملة الكفر.

---

(١) انظر لسان العرب، ج:٥ ، ص:٢٥٠ وانظر المنجد في اللغة ص:٨٥٥ .

(٢) سورة البقرة الآية: ٢١٧ .

(٣) سورة إبراهيم الآية: ١٣ .

قال تعالى "قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنّك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودنّ في ملتنا قال أولو كنا كارهين، قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجّانا الله منها ".(١)

وتآمر المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجمعوا أمرهم على قتله في بيته وحددوا موعداً لتنفيذ عمليتهم البشعة فأخبره جبريل عليه السلام بأن لا ينام في فراشه ثم أمره بالهجرة إلى المدينة المنورة فهاجر صلى الله عليه وسلم مصطحباً أبا بكر الصديق وترك مكة مع أنها أحب أرض الله إلى قلبه وفيها مسقط رأسه.

وهاجر الصحابة رضوان الله عليهم إلى المدينة امتثالاً لأمر رسول الله وهاجر صهيب الرومي الذي هدده المشركون بقولهم له "أتيتنا صعلوكا فكثر مالك وبلغت الذي بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك وبنفسك؟ والله لا يكون ذلك ابدا".

وفضّل رضي الله عنه الهجرة على المال، فبذل ماله وذهب مهاجراً في سبيل الله، فهذه معادلة صعبة عند من لا يعرف حلاوة الإيمان، ولكنها سهلة عند صهيب ومن سار على شاكلته في طريق الإيمان، حتى استحق هذا الصحابي الجليل أن يقول صلى الله عليه وسلم في حقه "ربح البيع أبا يحي ربح البيع أبا يحي".(٢)

وتتضمن الهجرة، هجر المحرمات والأمور المنهي عنها في الإسلام، وهذه الهجرة لها الدور الهام في حياة الناس الإجتماعية، لان هجر المفاسد والرذائل والمحرمات تعود على الإنسان بالنفع والخير وعلى من يتعامل معهم من أبناء المجتمع الإسلامي.

فالمسلم لا يضر إنساناً باللسان أو اليد عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه".(٣)

وبفتح مكة أصبحت خاضعة لحكم الإسلام وارتفع وجوب الهجرة منها إلى المدينة وعاد الأمر إلى الندب والإستحباب فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهجرة؟ فقال "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا".(٤)

---

(١) سورة الأعراف الآية: (٨٨ ، ٨٩).

(٢) انظر مجلة منار الإسلام عدد:١ ، ص:١٩ السنة الخامسة عشرة محرم ١٤١٠ دولة الإمارات العربية، وانظر مسند الإمام أحمد ج:٣ ، ص:١٤٦ .

(٣) فتح الباري، ج:١ ، ك:الإيمان، باب:٤ (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)، ص:٥٣ ، حديث رقم ١٠، وأخرجه أبو داود، ك: الجهاد باب:٢ (الهجرة هل انقطعت) ص:٤ وأخرجه ابن ماجه ج:٢ ك: الفتن، باب:٢ (حرمة دم المؤمن) ص:١٢٩٨ رقم:٣٩٣٤ مسند أحمد ج:٢ ، ص(١٩٣،١٦٣) ج:٣، ص(١٥٤)، ج:٦ ص(٢٢،٢١) .

(٤) فتح الباري ج:٣ ، ك: الزكاة باب:٣٦ ، ص:٣١٦ حديث رقم:١٤٥٢ مسلم، ج:٣ ، ك: الإماره، باب:١٩، ص:١٤٨٨ ، رقم:٨٦ . وأيضا فتح الباري ج:٦ ، ك:الجهاد، باب:١ (فضل الجهاد) ص:٣ ==

وبهـذا النص إنقطعت الهجرة التي هـي على سبيل الفرض، أمـا الهجـرة الباقية فهي على سبيـل الندب والإستحباب لأنه صلى اللـه عليه وسلم أوضـح في مـواطن أخرى أنها باقية إلى يوم القيامة.

قال تعالى "إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم".(١)

== رقـم: ٢٧٨٣ وأخرجه الترمذي ج:٤ ، ك:السير، باب:٣٣ ، ص:(١٤٨،١٤٩) حديث رقـم ١٥٩٠ وأخرجه ابن مـاجه ج:٢ ، ك:الكفـارات باب:١٢ ، ص:(٦٨٣،٦٨٤) رقـم:٢١١٦ الإمام أحمـد في مسنـده ج:٣ ، ص:٢٢ .

(١) سورة البقرة الآية: ٢١٨ .

المبحث الثاني: الأخلاق وتهذيبها للنفس

إن المنهج القرآني يعتني بالنفس الإنسانية ويهتم بها إهتماماً بالغاً، فأمر بتاديب النفس وتزكيتها وتطهيرها وتربيتها التربية السليمة، فأوضح من الأسس والآداب الروحية والاجتماعية الضرورية لبناء صرح أخلاقي متين في المجتمع الإسلامي.

ودعا الإسلام إلى تكوين الشخصية الإسلامية القوية الثابتة، وإبراز هذه الشخصية سلوكاً وتطبيقاً، وهي تستمد قيمها وأخلاقها من منهج الله تبارك وتعالى، تلك القيم والأخلاق التي لا تتغير من زمن إلى زمن أو من مجتمع إلى مجتمع، بل هي ثابتة بثبات القرآن الكريم وتزداد ثباتا كلما مرّت البشرية بتجارب في حياتها على سطح هذه المعمورة.

لذلك كان لزاماً على أي داعية إلى الإسلام ومصلح إجتماعي ينشد بناء حياة اجتماعية متزنة يسودها الإستقرار والسعادة أن يبدأ بإعداد الفرد المسلم خلقاً وروحاً وفكراً وفق تعاليم القرآن الكريم والسنة المطهرة، التي تأمن الأخلاق الفاضلة للأفراد وتكفل لهم مستوى المعيشة اللائق بهم، وتؤمنهم على حياة بعضهم البعض من خلال منعها للإستغلال والظلم الإجتماعي، بل انها تنظم العلاقة بين الفرد والمجتمع بحيث يعمل الفرد لصالح المجتمع، ويعمل المجتمع لخدمة الفرد في حدود الطاقة البشرية دون مشقة أو عنت.(١)

قال تعالى "*لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت*".(٢)

وأوضحت سورة البقرة بأن الله سبحانه يعلم السرّ وأخفى وإذا أدركت النفس الإنسانية ذلك فستصبح على درجة عالية من الأخلاق فتأمر صاحبها بفعل الخيرات واجتناب المنكرات.

قال تعالى "**لله ما في السموات والأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير**".(٣)

وجاء في حق تربية النفس والسمو بها قوله تعالى "**قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها**".(٤)

وقوله تعالى "**وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإنّ الجنة هي المأوى**".(٥)

ثم أرشد القرآن المسلمين إلى أن يُتبعوا السيئة بالحسنة وهذه قمة الأخلاق

---

(١) انظر التربية الأخلاقية الإسلامية ص:٨٨ وانظر التربية ومشكلات المجتمع، ص:٣٣٣ وانظر منهاج المسلم ص:(٨٤،٨٣) ط:٨ (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م) دار افينوس - القاهرة.

(٢) سورة البقرة الآية:٢٨٦

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٨٤ .

(٤) سورة الشمس الآية:(٩،١٠)

(٥) سورة النازعات الآية: (٤٠،٤١).

والتهذيب للنفوس قال تعالى "*ولا تستوي الحسنة ولا السيئة، إدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم* ".(١)

وأمر صلى الله عليه وسلم بتقوى الله والإحسان إلى المسيء لعله يتأثر فيحسن إلى الناس كما يحسنون اليه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم "اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن".(٢)

والمسلم مطالب بمجاهدة نفسه وحملها على فعل الطاعات والخيرات كما أنه مطالب بصرفها عن الشر والفساد، ورسمت السورة طريقاً واضحاً لتهذيب النفوس وتربيتها التربية السليمة لكي تصبح على درجة عالية من حسن الأخلاق.

فذكرت السورة موضوع الذكر وأثره في تهذيب النفس وكذلك الشكر على نِعَم الله التي لا تُعد ولا تحصى والصبر على المحن والابتلاء، والدعاء والتضرع الى الله وطلب العون والمغفرة ثم حثت على فعل العمل الصالح واعتبرته ثمرة لتهذيب النفوس وتزكيتها بروح الإسلام.

المطلب الأول: الذكر

إن لفضيلة الذكر دوراً بارزاً في تقوية النفس وتهذيبها وحملها على اصلاح الناس وإرشادهم إلى كل ما هو مفيد ونافع في هذه الحياة. لأن المسلم عندما يذكر الله يطمئن قلبه، وينتصر على وسوسة الشيطان فيكون بعيداً عن المنكرات والمحرمات.

وإذا ذكر المؤمن ربه تضرعاً وخفية بدون الجهر من القول تنمو في نفسه ملكة المراقبة لله في السراء والضراء وعندئذ تصلح مسلكية الإنسان في المجتمع.

وذكر البصري* أن للذكر حلاوة في النفس لا يتذوقها إلا الذاكرون فقال "تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء في الصلاة وفي الذكر وقراءة القرآن".(٣)

---

(١) سورة فصلت الآية: ٣٤ .

(٢) أخرجه الترمذي، ج:٤ ، ك:البر، باب:٥٥ (ما جاء في معاشرة الناس) ص:٣٥٥ حديث رقم:١٩٨٧ وأيضاً الدارمي، ج:٢ ، ك:الرقاق باب:٧٤ (في حسن الخلق) ص:٢٣١ ، حديث رقم:٢٧٩٤ وأخرجه الإمام أحمد في المسند، ج:٥ ، ص:(١٥٣،١٥٨،١٦٩،١٧٧) وصححه الذهبي.

(٣) مدارج السالكين، ج:٢ ، ص:٤٢٤ .

* البصري: هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري أبو سعد مولى الأنصار وذكر ابن سعد أنه ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ونشأ بوادي القرى وكان فصيحاً رأى علياً وطلحة وعائشة وروى عن ثوبان وعمار وأبي هريرة، وكان إماماً يقتدى به وشيخاً لأهل البصرة وقال العجلي عنه تابعي ثقة ورجل صالح صاحب سنة، أدرك صفين وكان من أفصح أهل البصرة، ت سنة ١١٠ هـ وعمره ٨٨ سنة. انظر تهذيب التهذيب، ج:٢ ، ص:(٢٦٣-٢٧٠).

فضل ذكر الله:-

لأهمية فضيلة الذكر في حياة الفرد والجماعة، ذكرتها سورة البقرة وباقي سور القرآن الكريم في عدة مواطن وجاء الأمر بها على الأشكال الآتية:

١- الأمر المطلق:

جاء الأمر مطلقاً في ذكر هذه الفضيلة قال تعالى "*فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون*".(١)

وذكر القاشاني* في تفسيرها أي اذكروني بالإجابة أذكركم بالمزيد من التولي والرعاية، فجعل سبحانه ذكره للذاكرين جزاء لذكرهم له.(٢)

وقال تعالى "*فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الغافلين*".(٣)

وجاء الأمر به مطلقاً في قوله تعالى "*يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا*".(٤)

ونهى تبارك وتعالى عن إغفال ذكر الله فقال تعالى "*واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخفية ودون الجهر من القول بالغدو والأصال ولا تكن من الغافلين*"(٥). وقال تعالى في سورة الحشر "*ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم* الفاسقون".(٦)

ذكر ابن كثير** في تفسيرها أن الجزاء من جنس العمل فقال لا تنسوا ذكر الله تعالى

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٥٢ .
(٢) انظر تفسير محاسن التأويل، ج:٣ ، ص:٣١٠ .
(٣) سورة البقرة الآية: ١٩٨ .
(٤) سورة الأحزاب الآية: (٤١،٤٢).
(٥) سورة الأعراف الآية: ٢٠٥ .
(٦) سورة الحشر الآية: ١٩ .

* القاشاني: هو محمد بن محمد بن يوسف القاشاني المروزي الحسيني، أبو نصر الفقيه المفتي، كان عالماً بالفقه والتفسير، استفاد من علمه خلق كثير وصنّف اخبار العلماء وسمي بالقاشاني نسبة إلى مدينة قاشان، ت سنة ٥٢٩ هـ. انظر هداية العارفين، ج:٢ ، ص:٨٧ ، ط(لا يوجد) منشورات مكتبة المثنى بغداد، طبعة أوفست وايضاً معجم المؤلفين ٣١٢/١١ وكشف الظنون، ص:٢٧ .

** ابن كثير: هو اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير لحافظ عماد الدين أبو الفداء بن الخطيب شهاب الدين القرشي،البصري الدمشقي الشافعي المذهب، كان عالماً حافظاً فقيها ومحدثا ومفسرا ومؤرخا كبيرا وصاحب علم واسع أشهر مصنفاته "تفسير القرآن العظيم" يقع في أربعة مجلدات، ==

فينسيكم الأعمال التي تنفعكم في معادكم يوم الحساب، كما وأطلق لفظ الفاسقون لانهم بنسيانهم لذكر الله يكونوا قد خرجوا عن طاعة الله وفي الخروج عن طاعة الله هلاك يوم القيامة وذلك هو الخسران المبين.(١)

وحذّر تبارك وتعالى من جعل الأولاد والأموال تُلهي عن ذكر الله، قال تعالى "**يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون**".(٢)

٢- الثناء على الذاكرين:-

اثنى الله سبحانه وتعالى على الذاكرين من الرجال والنساء وأوضح بأن لهم المغفرة من الله والأجر العظيم في الدنيا والآخرة قال تعالى "**والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعدّ الله لهم مغفرة وأجرا عظيما**".(٣)

٣- ذكر الله أكبر من كل عمل:

قال تعالى "**وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**".(٤)

قال بعض المفسرين أن ذكر الله أكبر من أن يبقى معه فاحشة أو منكر لأنه يمحق كلّ خطيئة ومعصية وبالتالي فإنّ ذكر الله فيه صحوة للقلوب وإصلاح للنفوس، وهو حارس من التردي والسقوط في حمئة الرذائل والمحذورات.

وقيل ان الله تبارك وتعالى إذا ذكره العبد في الأرض يذكره الله سبحانه في ملأ أعلى، فيكون ذكر الله أكبر من ذكر البشر له تبارك وتعالى.(٥)

وذكر صاحب مدارج السالكين أن للصلاة فائدتين:

أ- أنها تنهي صاحبها عن الفحشاء والمنكر.

ب - كونها تشتمل على ذكر الله وهو أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر.(٦)

== و "البداية والنهاية" و "طبقات الشافعية" ولد في دمشق سنة٧٠١هـ، ت يوم الخميس ٢٦ شعبان ٧٧٤هـ، انظر طبقات المفسرين ١/(١١٠،١١١) رقم:١٠٣ وشذرات الذهب في أخبار من ذهب ٢٣١/٦ ، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٣٩٩/١ .

(١) انظر تفسير إبن كثير، المجلد:٤ ، ص:٣٦١ طبعة (لا يوجد) دار الأسماء.

(٢) سورة المنافقون الآية: ٩ .

(٣) سورة الأحزاب الآية: ٣٥ .

(٤) سورة العنكبوت الآية: ٤٥ .

(٥) انظر تفسير إبن كثير، مجلد:٣ ، ص:٤٥٧ .

(٦) انظر مدارج السالكين، ج:٢ ، ص:٤٢٦ .

٤- إرتباط الذكر بالأعمال الصالحة:-

لقد جاء الذكر مرتبطاً بكثير من العبادات، نذكر منها الآتي:-

أ - الصيام:-

إختتم الله الآيات التي تتحدث عن الصيام في سورة البقرة بذكر الله قال تعالى "*ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون*".(١)

ب - الحج:

أمر سبحانه وتعالى بذكر الله أثناء مناسك الحج وعند المشعر الحرام ثم أوصى عند ختام مناسك الحج بذكره ذكرا شديدا قال تعالى "*فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا*".(٢)

ج - الصلاة:-

المسلم مطالب بأن يذكر الله عند الإنتهاء من الصلاة عملا بقوله تعالى "*فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعودا وعلى جنوبكم* ".(٣)

وأمر سبحانه بالإكثار من ذكره عقب صلاة الجمعة فقد جاء في معرض السياق الذي يتحدث عن صلاة الجمعة قوله تعالى "*فإذا قُضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون*".(٤)

وأوصت السنة النبوية المطهرة بذكر الله في دُبر كل صلاة، عن أبي هريره قالوا يا رسول الله، قد ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم، قال: كيف ذاك؟ قالوا: صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وأنفقوا من فضول أموالهم، وليست لنا أموال، قال: أفلا أخبركم بأمر تُدركون من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتي أحدٌ بمثل ما جئتم به إلا من جاء بمثله: تُسبحون في دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا".(٥)

وجاء في الحديث الشريف عن أبي هريره قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٨٥ .

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٠٠ .

(٣) سورة النساء الآية: ١٠٣ .

(٤) سورة الجمعة الآية: ١٠ .

(٥) فتح الباري ج:١١ ، ك: الدعوات، باب:١٨ ، ص:(١٣٢،١٣٣) رقم:٦٣٢٩ ايضا فتح الباري ج:٢ ، ك: الأذان باب: ١٥٥ ، ص:٣٢٥ رقم ٨٤٣ مسلم، ج:٤ ، ك:الذكر، باب:١٩ ، ص:٢٠٩١ رقم:٨٠ ، الترمذي ج:٥، ك:الدعوات ، باب:٢٤ ، ص:٤٧٧ رقم:٣٤٠٨ ، ابن ماجه، ج:١ ك:الصلاة، باب:٣٢ ، ص:٢٩٩ رقم:٩٢٧ مسند أحمد ج:١ ، ص:١٠٦ ، ج:٢ ، ص:(٢٣٨،٣٧١) ج:٥ ، ص(١٥٨،١٩٠) .

"من سبّح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبّر الله ثلاثا وثلاثين وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلّ شيء قدير، غُفرت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر".(١)

وكان صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من صلاته يدعو بالدعاء المأثور عن المغيره بن شعبه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من الصلاة وسلّم قال: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلّ شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معط لما منعت، ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ".(٢)

د - إقتران الذكر بالجهاد:

أمر الله سبحانه وتعالى بالإكثار من ذكره عند ملاقاة الأعداء في ساحات القتال قال تعالى "*يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله لعلكم تفلحون*".(٣)

وللذاكرين الله منزلة عظيمة في الدنيا والآخرة، فمجالس الذكر تحفها الملائكة وتنزل على اصحابها الرحمة وتعمهم السكينة عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما، أنهما شهدا على النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده".(٤)

وإذا ذكر العبد خالقه، ذكره الله في الملأ الأعلى فقد روي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن اقترب إليّ شبرا اقتربت منه ذراعا، وإن اقترب إليّ ذراعاً اقتربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هروله".(٥)

ويفضل أن يدعو الإنسان بهذا الدعاء عندما يأوى إلى المبيت حيث جاء في الحديث

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ج:١ ، ك (المساجد ومواضع الصلاة) باب:٢٦ (استحباب الذكر بعد الصلاة)، ص:٤١٨ ، حديث رقم ١٤٦ .

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري فتح الباري ج:١١ ، ك:القدر ، باب:١٢ ، ص(٥١٢،٥١٣) خديث رقم:٦٦١٥ وأخرجه مسلم ج:١ ، ك(مواضع الصلاة)، باب:٢٦ ، ص:(٤١٤،٤١٥) حديث رقم: ١٣٧ .

(٣) سورة الأنفال الآية: ٤٥ .

(٤) أخرجه مسلم ج:٤ ، ك:الذكر، باب:١١ (فضل الذكر) ص:٢٠٧٤ رقم ٣٩ ابن ماجه، ج:١ ، ك:المقدمة باب: ١٧ (فضل العلماء) ص:٨٢ رقم ٢٢٥ مسند أحمد ج:٢ ص(٢٥٢،٤٠٧) ج:٣ ، ص:(٣٣،٤٩،٩٢).

(٥) أخرجه مسلم، ج:٤ ، ك:الذكر، باب:١ حديث رقم:٢ وأخرجه الترمذي ج:٥ ، ك:الدعاء، باب (في حسن الظن بالله) ، ص:٥٨١ حديث رقم:٣٦٠٣ وأخرجه ابن ماجه، ج:٢ ، ك:الأدب باب (فضل العلماء) ص:(١٢٥٥،١٢٥٦) حديث رقم:٣٨٢٢ مسند أحمد ج:٢ ، ص:٢٥١ .

عن البراء أنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل: اللهم إني أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي ارسلت، واجعلهن في آخر كلامك، فإن مُتَّ من ليلتك مُتَّ على الفطرة".(١)

فائدة:-

لقد فهم البعض من الناس أن الذكر ينحصر في الدروشة أي الإهتزاز بالجسم يميناً وشمالا مع البكاء فهذا خطأ يدعو إلى التصويب.

إن الذكر لم يكن منحصراً في جانب معين وإنما يدخل في كل عمل يقوم به الإنسان في هذه الحياة سواء كان صغيراً أم كبيراً فإذا باع الرجل وإذا اقتضى وكان سمحاً ملتزماً بشرع الله فهو من الذاكرين الله في هذا العمل الذي يزاوله ويبتغي مرضاة الله. وذكر النووي كلاماً طيباً بخصوص ذلك فقال: اعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوهما بل تشمل أيضاً كل عامل لله تعالى بطاعة، فهو ذاكر لله تعالى.

وايده ابن جبير* وغيره من العلماء في ذلك التعريف وقال عطاء** إن مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام، كيف تشتري وتبيع وتصلي وتصوم وتنكح وتطلق وغير ذلك.(٢)

---

(١) فتح الباري ج:١ ، ك:الوضوء، باب:٧٥ ، ص:٢٣٣ رقم:٢٤٧ وأخرجه مسلم ج:٤ ، ك:الذكر باب:١٧ (ما يقول عند النوم) ص:٢٠٨٢ رقم:٥٦ ابن ماجه، ج:٢ ، ك:الدعاء، باب:١٥ ، ص:(١٢٧٥،١٢٧٦) حديث رقم:٣٨٧٦ ، الدارمي ج:٢،ك: الاستئذان، باب:٥١ ، ص:٢٠١ حديث رقم:٢٦٨٦ ، مسند أحمد ج:٤ ، ص:(٢٨٥،٢٩٠،٢٩٣،٢٩٩).

(٢) انظر تفسير محاسن التأويل، ج:٢ ، ص:(٣١١،٣١٢).

* ابن جبير: هو سعيد بن جُبير بن هشام الأسدي، يكنى بأبي عبدالله الكوفي كان رحمه الله فقيها وزاهداً وصاحب ورع وتقوى من أعلام التابعين قرأ القرآن على ابن عباس وحدّث عنه وعن أبي هريره وابن مسعود الإنصاري وحدث عنه أولاده والأعمش والحاكم، قتله الحجاج صبراً سنة٩٥هـ وكان عمره ٥٩ سنة. انظر تهذيب التهذيب ٤/(١١-١٤) وطبقات المفسرين ١٨١/١ ، ١٨٢ رقم:١٨١ وحلية الأولياء ٤/(٢٧٢ - ٣٠٩) رقم: ٢٧٥، تذكرة الحفاظ١/ ٧٦ .

** عطاء: هو عطاء بن أبي رباح روى عن ابن عباس وابن عمرو ومعاوية وعنه ابنه يعقوب وأبو اسحاق السبيعي نشأ في مكة وانتهت إليه الفتوى فيها وكان ثقة فقيها عالما كثير الحديث، ولد سنة ٢٧ هـ ت سنة ١١٤ هـ انظر تهذب التهذيب ج:٧ ، ص:(١٩٩-٢٠٣).

المطلب الثاني: الشكر

الشكر في اللغة:-

الشكــر: مـأخوذ من الفعل الثلاثي شَكَـر ومضارعه يشكر والمصـدر شُكراً ويجمع على شكور قال تعالى "*لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا*".(١)

والشكـر: هـو ظهور أثر النعمـة ظهـوراً واضحاً، فحينما تقـول شَكَـرتْ الـدابة، أي سمنت من أثر الأكل والعلف.

والشكـر عبارة عن معروف يقابل النعمـة سواء كان باللسان أم بالبـدن أم بالقلـب.

وقيـل هـو الثناء على المحسن بذكـر إحسانه، فالعبد يشكر اللـه أي يثني عليـه بذكر إحسانه، الذي هو نعمته التي أنعم بها على العباد، والله يشكر العبد أي يُثني عليه بقبول إحسانه الذي هو طاعته التي يقوم بها تقرباً إلى الله.(٢)

وعـرّف الشبلي* الشكـر "بأنه رؤية المنعـم لا رؤية النعمــة" وفسـر ذلـك إبن القيم بأمرين:

أ- أن يفني المريد نفسه برؤية المنعم عن رؤية النعمة.

ب- ألا تحجبـه رؤية النعم ومشاهـدتها عن رؤية المُنعم، والثـاني أولى لأن أكمل الإيمان أن يعبـد الإنسان الله حبًا له تبارك وتعالى وليس من أجل النعـم، لأن النعم تزول ويبقى وجه الله صاحب الجلال والإكرام.(٣)

قـال الإمام ابن الجوزيه، ليكـون العبد من الشاكرين لا بد أن تظهـر آثار نعمـة الله على لسانه وقلبه وجوارحه ثم فسّر كيف يكون ذلك بالآتي:

أ- أن يشكـر اللـه على نعمه التي لا تُعـدّ ولا تحصى بلسانه ثنـاءً واعترافـاً، بالتحميدات والتسبيحات والتكبيرات الدالة عليه سبحانه، ثم يُظهر الرضى عما أمر الله به ونهى عنه في كتابه الكريم وسنة نبيه العطرة.

ب-أن تظهـر نعم الله على قلبه بالحـب لله ولرسوله وللمؤمنين وأن يضمـر الخير لكـافة الخلق.

ج-أن تظهـر على جوارحه انقياداً وطـاعة، فإذا تحكّم في جوارحه وفـق ما أمر الله كان من الشاكرين.

---

(١) سورة الإنسان الآية:٩ .

(٢) انظر محيط المحيط، ج:١ ، ص:١١١٠ .

(٣) انظر مدارج السالكين ج: ٢،ص:٢٤٥،

*أبو بكر الشبلي: اسمه جعفر بن يونس خراساني الأصل بغدادي المنشأ والمولد صحـب الجنيد وكان عالماً فقيها على مذهب الإمام مالك عاش ٨٧ سنة مات في ذي الحجة سنة ٣٣٤ وكتب الحديث ورواه وله باع في التصوف والزهد والتوكل. انظر طبقـات الصوفية ص(٣٣٧-٣٤٨) حلية الأوليـاء ج:١٠ ص(٣٦٦-٣٧٥) وصفـة الصفـوة ٢/(٢٥٨-٢٦٠) وفيـات الأعيـان ج:١ ص:(١٢١) وشـذرات الـذهب ج:٢ ص:٣٣٨ الأعلام ٣١٠/١ البـداية والنهـاية ٢١٥/١١ .

وقيل أن شكر العينين أن تستر كل عيب تراه لمسلم وشكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه وشكر الرجلين أن لا تمش إلى معصية، وشكر اليد أن لا تظلم أحداً بالبطش فتسبب له ضرراً.

وفضيلة الشكر تعتبر من الركائز الهامة في إصلاح النفوس والمجتمع بشكل عام، لان الشاكر يفعل الخيرات ويبتعد عن الآفات الضارة بالنفس والناس أجمعين.(١)

وذكرت سورة البقرة هذه الفضيلة حيث أمر تبارك وتعالى بشكره بعد تناول الرزق الحلال من المأكل والمشرب التي هي من نعم الله قال تعالى "*يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون*".(٢)

وقال تعالى "*كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدةٌ طيبةٌ ورب غفور*".(٣)

منزلة الشكر:-

١- لأهمية هذه الفضيلة جاءت مرتبطة بذكر الله تبارك وتعالى في قوله " *فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون*".(٤)

٢- الشكر خلق من أخلاق الربوبية، واسم سمى به نفسه تبارك وتعالى في القرآن الكريم "الشكور" قال تعالى "*فإنّ الله شاكر عليم*"(٥) وقال تعالى "*إنّ ربنا لغفور شكور*".(٦)

٣- الشكر من أخلاق الأنبياء:

الشكر من أخلاق ابراهيم عليه السلام قال تعالى "*إن ابراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفا ولم يك من المشركين، شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم*".(٧)

وجاء في حق نوح عليه السلام، أنه كان عبداً شكورا قال تعالى "*ذرية من حملنا مع نوح، إنه كان عبداً شكورا*".(٨)

---

(١) انظر مدارج السالكين، ج:٢ ، ص:٢٤٤ وانظر مكاشفة القلوب ص:٢١٤ .
(٢) سورة البقرة الآية: ١٧٢ .
(٣) سورة سبأ الآية: ١٥ .
(٤) سورة البقرة الآية:١٥٢ .
(٥) سورة البقرة الآية: ١٥٨ .
(٦) سورة فاطر الآية: ٣٤ .
(٧) سورة النحل الآية: (١٢٠،١٢١).
(٨) سورة الإسراء الآية: ٣ .

ووصية الله للقمان عليه السلام قال تعالى "ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله، ومن يشكر فإنّما يشكر لنفسه ومن كفر فإنّ الله غني حميد".(١)

٤- وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه:كان صلى الله عليه وسلم يوصي أصحابه بالتزام فضيلة الشكر لكي تظهر آثارها الحميدة في أخلاقهم وتعاملهم. عن معاذ – رضي الله عنه – أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم – أخذ بيده وقال: يا معاذ والله إني لأحبّك، فقال: "أوصيك يا معاذ لا تدعنّ في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك".(٢)

فائدة:

يأمر الإسلام بالتزام فضيلة الشكر، وأن نكون من الشاكرين، وأن نجعل ألسنتنا رطبة بذكر هذه الفضيلة، ومع ذلك فقليل من العباد ما يكون من الشاكرين، وأوضح تبارك وتعالى أن الشكر يكون بالفعل والعمل كما يكون باللسان.

قال تعالى "اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور".(٣)

المطلب الثالث: الصبر

الصبر في اللغة:-

أساس الكلمة من الفعل الثلاثي صَبَرَ ومضارعه يصبر ومصدره صبراً واسم الفاعل صابر وصيغة المبالغة صبور وصبيّر، والصبر نقيض الجزع، ويعني الحبس والكف، لأن الصابر يحبس نفسه عن اللذات والشهوات فهو مبتعد عن المنكرات والمحرمات.

وصبر عن الشيء أمسك، وقُتل فلان صبرا إذا حُبس وأمسك حتى فارقت روحه الجسد.

ومنه قوله تعالى "واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي"(٤). أي احبس نفسك معهم ولا تبتعد عنهم إلى غيرهم وقوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا"(٥) أي غالبوا أعداء الله في الصبر على شدائد الحرب.

والصبر يكون بالنفس وهو حبسها عن الجزع والتسخط، وبحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن الظلم والإعتداء على الآخرين.(٦)

---

(١) سورة لقمان الآية: ١٢ .

(٢) أخرجه أبو داود ج:٢ ، ص:(١٩٩،٢٢٠) رقم:١٥٢٢ مختصر سنن أبي داود تهذيب ابن القيم ط (١٣٨٥هـ – ١٩٦١م) تحقيق أحمد شاكر ومحمد الفقي.

(٣) سورة سبأ الآية:١٣ .   (٤) سورة الكهف الآية: ٢٨ .

(٥) سورة آل عمران الآية: ٢٠٠ .

(٦) انظر محيط المحيط، المجلد:٢ ، ص:١١٥٥ وانظر تفسير الفخر الرازي، مجلد:٢ ، ج:٣ ، ص:٥٢ وانظر مدارج السالكين، ج:٢ ص:١٥٦ .

نستطيع أن نحدد المعنى الإصطلاحي للصبر من خلال تعريفه اللغوي: بأنه قوة خُلقية من قوى الإرادة عند الإنسان تمكنه من القدرة على احتمال المتاعب والمشاق والآلام من أجل الوصول الى الهدف السامي النبيل الذي يرتبط بعقيدته في الله تبارك وتعالى.

فالصبر على المحن والمصاعب فيه صقل للشخصية المؤمنة وتمحيص لها في طريق الإيمان، فإن هي صبرت وصابرت واجتازت الإبتلاءات كانت على هدى ونور وصلاح في الحياة.

وصدق الجنيد البغدادي* حينما ذكر أن الصبر فيه صلاح للمؤمنين حيث قال "البلاء سراج العارفين ويقظة للمريدين وصلاح للمؤمنين، وهلاك للغافلين، ولن يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يأتيه البلاء ويرضى ويصبر".(١)

والصبر عامل اساسي في كشف معادن الرجال لأن أثقال الحياة وأعباء الإصلاح في المجتمع وهداية الناس وتوحيد صفوف المسلمين، لا يطيقها المهازيل من الناس، ولا ينهض برسالة المجتمع إلا الرجال العمالقة الأفذاذ، الصابرون على ما أصابهم.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أوضح ان البلاء يكون بقدر الإيمان، عن سعد بن أبي وقاص قال: قلت يا رسول الله! أيّ الناس أشدّ بلاء؟ قال: "الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى العبد على حسب دينه، فإن كان في دينه صَلْبا إشتدّ بلاؤه، وإن كان في دينه رقّة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة".(٢)

الأمر بالصبر:

أمر الله المؤمنين بالتزام فضيلة الصبر فخاطبهم بقوله تعالى "***واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين***".(٣)

---

(١) مكاشفة القلوب المقرّب الى حضرة علام الغيوب، ص:٢٥ .

(٢) أخرجه الترمذي ج:٤ ، ك:الزهد، باب: ٥٦ (الصبر على البلاء) ص:(٦٠١،٦٠٢) حديث رقم:٢٣٩٨ ، الدارمي، ج:٢ ، ك:الرقاق، باب: ٦٧ (أشدالناس بلاء) ص:٢٢٨ ، رقم:٢٧٨٦ ، ابن ماجه ج:٢ ك:الفتن، باب:١٣ (الصبر على البلاء) ص:١٣٣٤ ، رقم:٤٠٢٣ مسند أحمد ج:١ ، ص:(١٧٢،١٧٤،١٨٠،١٨٥).

(٣) سورة البقرة الآية: ٤٥ .

* الجنيد: هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز القواريري، شيخ وقته، أصله من نهاوند ولد في بغداد، درس الفقه على أبي ثور، وكان يفتي في درس العلم بحضرته وهو ابن عشرين سنة. وكان صوفياً زاهداً ورعاً ومولعا بالتصوف حيث قال: لكل أمة صفوة وصفوة هذه الأمة الصوفية. انظر طبقات الصوفية ص(١٥٥-١٦٣) وحلية الأولياء ج:١٠ ، ص:(٢٥٥-٢٨٧) وصفة الصفوة ج:٢ ، ص:(٢٣٥ - ٢٤٠) وطبقات الشعراء ١/(٩٨-١٠١) ، والرسالة القشيرية ص:٢٤ .

وتكرر نفس الأمر بالصبر مرتبطا بالصلاة في نفس سورة البقرة بقوله تعالى "*يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين*".(١)

وجاء الأمر الإلهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر والحكمة والمُضي قدما في طريق الدعوة الى الله مهما تآمر أعداء الله وكادوا ومكروا بالإسلام والمسلمين قال تعالى "*واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون*".(٢)

ثم أمر المؤمنين بالصبر والمصابرة قال تعالى "*يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون*".(٣)

وقال المفسرون أن الصبر في الآية يعني مع نفسك والمصابرة بينك وبين عدوك، وأما المرابطة فتعني الثبات على الحق وإعداد العدة قبل المواجهة مع الأعداء كما أن الرباط هو لزوم الثغر حتى لا يستطيع العدو الهجوم من خلاله.(٤)

أنواع الصبر:-

إنّ الحياة الدنيا مليئة بالمصاعب والمتاعب والشدائد التي تواجه المؤمنين، ومن هنا كان الصبر أنواعاً على حسب الإبتلاءات التي تواجه الدعاة وهي كالآتي:

١- الصبر على الطاعة:

أمر الله سبحانه المؤمنين بكثير من الأوامر، كما ونهاهم عن كثير من الأمور، ويجب على المسلم أن يلتزم أمر الله ولا يعدل عنه، وهذا الإلتزام يحتاج إلى صبر ومصابرة لكي تستقيم النفس على منهج الله وطاعته في الشعائر التعبدية وسائر شؤون الحياة.

قال تعالى "*وأمُر أهلك بالصلاة واصطبر عليها*".(٥)

فالطاعة تحتاج إلى صبر، وأقسم سبحانه بأن العلاج للبشر منوط بالصبر والتواصي بالحق قال تعالى "*والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر*".(٦)

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٥٣ .
(٢) سورة النحل الآية: ١٢٧ .
(٣) سورة آل عمران الآية: ٢٠٠ .
(٤) انظر مدارج السالكين، ج:٢ ، ص:١٥٩ .
(٥) سورة طه الآية:١٣٢ .
(٦) سورة العصر الآية: (١-٣).

وأركان الإسلام الخمس وسائر العبادات تحتاج لكي يقوم بها المسلم على أكمل وجه إلى تحمل ومعاناة تتطلب الصبر للمضي إلى الأمام في طريق الإسلام والثبات على الإيمان حتى يأتي أمر الله.(١)

٢- الصبر على المعاصي:

إن الحياة الدنيا مليئة بالإغراءات الكثيرة، والإبتعاد عن هذه المغريات يتطلب التزود بالصبر فهو سلاح المؤمن في معركته مع الشيطان، والإدبار عن الشهوات والفرار منها لا يقدر عليه إلا الصبور، والصبر خلق نبيل فيه روح العفاف الذي يُبعد المسلم عن دنايا الأمور ومكروهاتها.(٢)

فالجنة لا تأتي للمؤمن بسهولة وإنما بعد بذل الجهد في الصبر والمصابرة في طريق الإيمان عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "حفّت الجنة بالمكاره وحفّت النار بالشهوات".(٣)

٣- الصبر على المصائب:

إن الإنسان غير معصوم من الإصابة بالمصائب في حياته كالخوف أو الجوع أو فقده للأصحاب أو بالمرض، فعليه أن يواجه هذه المصائب بصدر واسع رحب وبدون وجل أو ملل أو انعطاف عن طريق الحق.

لأن في الصبر والمصابرة على المصائب ربحاً للمؤمن في دينه ودنياه وآخرته عن صهيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "عجباً لأمر المؤمن إنّ أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له".(٤)

---

(١) انظر خلق المسلم، ص: ١٣٣ .

(٢) انظر مجلة هدى الإسلام، ص:٨٣ ، السنة الثالثة عددان (٥ ، ٦) المسلسل (٢٤ ، ٢٥).

(٣) أخرجه مسلم ج:٤ ، ك:الجنة، باب:١ ، ص:٢١٧٤ حديث رقم:١، الترمذي ج:٤ ، ك:الجنة، باب:٢١ ، ص:٦٩٣ رقم:٢٥٥٩، الدارمي ج:٢ ، ك:الرقاق، باب:١٠٧ (حفّت الجنة بالمكاره) ص:٢٤٥ رقم:٢٨٤٦ ، فتح الباري ج:١١ ، ك:الرقاق، باب:٢٨ ص:٣٢٠ رقم:٦٤٨٧ ، مسند أحمد ج:٢ ، ص:٢٦٠ .

(٤) أخرجه مسلم ج:٤ ، ك:الزهد، باب:١٣ (المؤمن أمره كله خير) ص:٢٢٩٥ رقم:٦٤ وأخرجه الدارمي، ج:٢ ، ك:الرقاق، باب:٦١ ، ص:٢٢٦ ، رقم:٢٧٨٠ ، مسند أحمد ج:٤ ، ص:(٣٣٢،٣٣٣) ج:٦ ، ص:١٥ .

وقد يصاب المؤمن في ماله أو نفسه أو وظيفته أو أهله فعليه بالصبر فإنه يؤجر على ذلك قال تعالى "ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون، اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون".(١)

٤- الصبر على الفقر والجوع:-

إن الإنسان مطالب في الحياة بأن يعمل ويأخذ بالأسباب لكسب الرزق وإذا كان الرزق شحيحاً فعليه أن يصبر على الكفاف والفقر والجوع، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة في ذلك، حيث كان بيت رسول الله صلى الله وسلم متواضعاً، أحيانا يمرّ الشهر والشهران ولم يوقد في بيته ناراً وكان يعيش هو وأهل بيته على التمر والماء.

عن عائشة أنها كانت تقول: والله يا ابن أختي! إن كنا للنظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال: قلت يا خالة: فما كان يعيّشكم؟ قالت: الأسودان التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح، فكانوا يرسلون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البانها فيسقيناه".(٢)

وكان صلى الله عليه وسلم يدعو الله أن يحييه مسكينا وأن يحشره في زمرة المساكين لما لهم من الأجر لصبرهم على ما أصابهم من الفقر والحرمان.

عن أبي سعيد الخدري قال: أحبّوا المساكين فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه "اللهم أحييني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين".(٣)

---

(١) سورة البقرة الآية: (١٥٥-١٥٧).

(٢) فتح الباري، ك الرقاق، باب:١٧ ، ص:٢٨٣ ، رقم:٦٤٥٩ وأخرجه مسلم، ج:٤ ، ك:الزهد، ص:٢٢٨٣ حديث رقم ٢٨ ، مسند أحمد، ج:٦ ، ص:(٧١،٨٦).

(٣) أخرجه الترمذي، ج:٤ ، ك:الزهد، باب:٣٧ ، ص(٥٧٧،٥٧٨) حديث رقم:٢٣٥٢ وأخرجه ابن ماجه، ج:٢ ، ك:الزهد باب:٧ (مجالسة الفقراء)، ص:(١٣٨١،١٣٨٢) حديث رقم:٤١٢٦ .

وكان صلى الله عليه وسلم يطلب أن يجوع يوماً ويشبع آخر ليعلّم الأمة كيف تتضرع إلى الله وتحمده، وتشكره في حالة الغني والفقر.

وكان يُشجع أزواجه على الرضى بالدار الآخرة قال تعالى "**يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتنّ تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أُمتعكنّ وأُسرحكن سراحا جميلا، وإن كنتنّ تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أُعد للمحسنات منكنّ أجراً عظيماً**".(١)

٥- الصبر على مشاق الدعوة:-

ينبغي على المسلم أن يدعو إلى الله على هدى وبصيرة بما حفظ من كتاب الله وسنّة نبيه صلى الله عليه وسلم، امتثالاً لأمر الله سبحانه. قال تعالى "**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**".(٢)

فطريق الدعوة تحتاج إلى عمل وكد وجهاد ولا تعرف النوم والخمول والكسل قال تعالى "**يا ايها المدثر قم فأُنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر**".(٣)

وصبر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق الدعوة حتى بلغ العذاب منهم أشد مبلغ وفي نهاية المطاف كان النصر حليفهم بأن ظهر هذا الدين في مشارق الأرض ومغاربها وتحطمت الأصنام وسقطت الجاهلية واندثرت برمتها.

عن خبّاب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى

---

(١) سورة الأحزاب الآية: (٢٩،٢٨).

(٢) سورة النحل الآية: ١٢٥ .

(٣) سورة المدثر الآية: (١-٧).

بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصدّه ذلك عن دينه، والله ليُتمّنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون".(١)

منزلة الصابرين:

١- الثناء على الصابرين:

أثنى الله سبحانه وتعالى على الصابرين في السورة بقوله تعالى "**والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون**".(٢)

خصت الآية ثلاث حالات من أبرز وأقوى ما يحتاج فيها الإنسان إلى الصبر وهي البأساء وتعني شدة الفقر والثانية الضراء: وتعني المرض أو فقد الولد أو المال أو البيت. والثالثة وحين البأس، أي وقت الحرب وإشتدادها.

وإذا إعتاد الإنسان على الصبر في هذه المواطن الثلاث يكون في غيرها أصبر وأقوى وأشدّ تحملا وأكثر عملا وإنتاجا في المجتمع الذي ينتمي إليه(٣). قال تعالى "**والصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين بالأسحار**".(٤)

٢- محبة الله ومعيته للصابرين:-

الله سبحانه يحب الصابرين لأنهم لا يعرفون الضعف والإستكانة أمام ما يواجهون في هذه الحياة،لأنهم من الصابرين قال تعالى "**وكأين من نبيّ قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين**".(٥)

---

(١) فتح الباري، ج:١٢ ، ك: الإكراه، باب:١ ، ص:(٣١٥،٣١٦) حديث رقم:٦٩٤٣ ، مسند أحمد، ج:٤ ، ص:٢٦٣ . ج:٥ ، ص:(١٠٨،١١٠،١١١) ، ج:٦ ، ص:٣٩٥ .

(٢) سورة البقرة الآية: ١٧٧ .

(٣) انظر من توجيهات الإسلام ص:٤٦ .

(٤) سورة آل عمران الآية: ١٧ .

(٥) سورة آل عمران الآية: ١٤٦ .

وأيدهـم الله بمعيته وهي معيـة خاصة تتضمن حفظهم ونصـرهـم وتأييدهم قال تعالى "فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منك ألف يغلبوا الفين بإذن الله والله مع الصابرين".(١)

٣- وعدهم البشرى:-

إن المـؤمن الصابر المحتسب أمـره إلى الله، ويتحدى الأهوال والشـدائد بقـوة إيمانه أولئـك لهم البشرى ويجزون الغرفة بصبرهـم، قـال تعالى "ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين".(٢)

وقـال تعـالى "أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقّون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقراً ومُقاما".(٣)

٤- استحقاقهم الإمامة:

قال تعالى "وجعلنا منهم أئمةً يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون".(٤)

فـالذي يصبر على مشـاق الدعوة ويتحمـل المشـاق في سبيل اللـه هـو الإنسان المؤتمن على القيادة وتوجيه شؤون المؤمنين في الأرض وصدق القائل بالصبر واليقين تنـال الإمامة في الدين.

فوائد الصبر:

للصبر فـوائد كثيرة في حيـاة الأمـة الإجتمـاعية، فالصابر يظفـر بالهـدف ويصـل إلى مبتغـاه، وأما من يلج ولم يصبر فحليفه الفشل الذريع، وفرق بين مـن يصبر ويحقق نتائج ملمـوسة تعـود بالنفع على الأمـة، ومـن ينثني وينعطف في الطـريق ولا يصـل إلى هدفه.

وقـال محـب الدين الخطيب* كلامـا طيبـا في الصبر على الإبتلاء وأوضـح أنهـا تصنع

---

(١) سورة الأنفال الآية: ٦٦ .

(٢) سورة البقرة الآية: ١٥٥ .

(٣) سورة الفرقان الآية: (٧٥،٧٦).

(٤) سورة السجدة الآية: ٢٤ .

* الشيخ محـب الـدين: هو محب الدين بن أبي الفتح محـمد بن عبدالقادر بن صـالح الخطيـب مـن كبار الكتاب الإسلاميين ولـد سنة ١٣٠٥هـ بدمشق شـارك في جمعية النهضة سنة ١٣٢٤هـ وزار الأسـتانة والقاهرة ١٩٠٩م اعتقله الإنجليز في البصرة سبعة أشهر شارك في الثورة العربية سنة ١٩١٦ وحرر جريدة "القبلـة" وحكم عليه الأتراك بالإعدام غيابياً، عاد إلى دمشق سنة ١٩١٨ وفرّ إلى القاهرة وعمل محرراً لجريدة الأهرام وأصدر مجلة "الزهراء" و "الفتح" وتولى تحرير مجلة الأزهر ست سنوات مؤلفاته "تاريخ مدينة الزهراء بالأندلس" "ذكرى موقعة حطين" "الرعيل الأول في الإسلام" انظر الأعلام للزركلي، مجلد:٥ ، ص:٢٨٢ .

الرجال الذين هم عماد المجتمع وصانعي المستقبل للأمة فقال "يجدر بنا ونحن نلقي النظرة على شئوننا العامة في حياتنا الإجتماعية، ألا يفوتنا الكلام على عامل كبير من عوامل إيقاظنا وإنهاضنا وأعني به المصائب فهي موضع سر الله في تهذيب الناس وإعدادهم لكل خير، ومغزى حكمته في استكمال أسباب وقايتهم من كل شر".(١)

وأحياناً تكون المصائب والإبتلاءات نتائج متحتمة لذنوب ارتكبها الناس في حياتهم، فحينما ينتبهوا بعدها إلى سوء مسلكيتهم وتصرفاتهم، فإن اصلحوا من حالهم، أصبحوا أمة خير وتعاون وبر وإحسان وابتعدوا عن الشرور والآثام فيخفف عنهم العذاب.

بهذا تكون المصائب علاجاً لأمراض الناس الخُلقية والإجتماعية إذا عرفنا أسبابها وعالجنا أنفسنا ورجعنا إلى الله.(٢)

والمصائب التي تصيب الإنسان يؤجر عليها مهما كانت حتى الشوكة التي يشاكها فله عليها من الأجر.

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما يُصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا همّ ولا حزن ولا أذى ولا غمّ حتى الشوكة يُشاكها إلا كفّر الله بها عن خطاياه".(٣)

المطلب الرابع: الدعاء

جاء الأمر بالدعاء والتضرع إلى الله في السراء والضراء في سورة البقرة ومعظم سور القرآن الكريم، لما للدعاء من أهمية في إحياء القلوب وإيقاظ ملكة الضمير بمراقبة الله سبحانه في السراء والضراء.

قال تعالى "*وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أُجيب دعوة الداع إذا دعان، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون*".(٤)

قال المفسرون، أن الله سبحانه وتعالى قريب من الإنسان يسمع دعاءه إذا دعاه، وهذا يعني كمال علمه سبحانه بأفعال العباد وأقوالهم، وأنه مطّلع على أحوالهم، فهو سبحانه يعلم السرّ وما أخفى.

وجاء في سبب نزول الآية، أن أعرابياً قال: يا رسول الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه، فنزلت الآية السابقة.(٥)

---

(١) انظر غذاء الروح، ص:٧٣ .

(٢) انظر مجلة هدى الإسلام، عدد(٩،٨)، ص:٤٧ لسنة ١٤٠٦ ه‍ ١٩٨٦م ، شعبان ورمضان.

(٣) أخرجه البخاري، فتح الباري ج:١٠ ، ك:المرضى، باب:١ ، ص:١٠٣ حديث رقم: (٥٦٤٢،٥٦٤١). مسند أحمد ج:٢ ، ص:(٣٣٥،٣٠٣)، ج:٣ ، ص:٤٨ ج:٤ ، ص:٩٨ ، ج:٦ ، ص:(١٢٠،١١٤،٨٨) .

(٤) سورة البقرة الآية: ١٨٦ .

(٥) انظر روح المعاني مجلد:١ ، ج:٢ ، ص:٦٣ ، وانظر تفسير البيضاوي ص:٣٩ .

وروى أن ابا بكر كان يخفّف في دعائه ويقول: أناجي ربي وقد علم بحاجتي، أما عمر فكان يجهر ويقول أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان وعندما نزل قوله تعالى "**قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا**".(١)

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع صوته قليلا في الدعاء وأمر عمر أن يخفض قليلا.(٢)

والله سبحانه، أقرب الى الإنسان من حبل الوريد، يعلم ما يلفظ من قول أو ما يعمل من عمل، قال تعالى "**ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد، اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**".(٣)

فهو سبحانه يجيب دعوة الداع إذا دعاه وعلى الداع أن يستجيب إلى دعوة الرسل الكرام، فيؤمن بوحدانية الله في الألوهية والربوبية وفي توحيد الأسماء والصفات، وأن يعمل بشرع الله ويبتغي الحلال ويبتعد عن الحرام، فحينئذ يستجيب الله الدعاء، ويقضي الحوائج وإن تأخرت الإجابة فلحكمة يعلمها سبحانه.(٤)

وخلاصة الأمر في ذلك أن الله سبحانه لا يخيب دعاء داع ولا يشغله عنه شيء فهو سميع الدعاء قريب من المؤمنين وفي ذلك ترغيب للمؤمنين بالدعاء والتضرع إليه سبحانه، فإنه يغيّر من حال إلى حال وخاصة إذا التزمنا بآداب الدعاء التي نلخصها في الآتي:

١- أن يقبل الإنسان على الدعاء بقلب طاهر وهو مكثر من الطاعات وفعل الخيرات والإحسان إلى الناس حتى يستجاب منه الدعاء، ولنا الأسوة الحسنة في زكريا عليه السلام حينما دعا ربه بأن يرزقه الذرية الصالحة، توجه إلى المحراب بقلب مفعم بالخشوع والتضرع والرغبة والرهبة قال تعالى "**هنالك دعا زكريا ربه، قال ربّ هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء، فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشّرك بيحيى مصدّقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيّا من الصالحين**".(٥)

وتكرر هذا الموقف في سورة الإنبياء قال تعال "**وزكريا إذ نادى ربه، ربّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين، فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين**".(٦)

---

(١) سورة الإسراء الآية:١١٠ .

(٢) انظر الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، مجلد:٢ ، ص:٤٨٤ للمنذري ط:(١٤٠١ ه - ١٩٨١م) دار الفكر.

(٣) سورة ق الآية: (١٦-١٨).

(٤) انظر تفسير الكشاف مجلد:١ ، ص:٣٣٧ وأيضاً تفسير ابن كثير مجلد:١ ، ص:٢٣٣ .

(٥) سورة آل عمران الآية: (٣٨-٣٩). (٦) سورة الأنبياء الآية: (٨٩-٩٠).

فالآية ترشد أن استجابة الدعاء مرتبطة بالمسارعة في الخيرات والتضرع إلى الله رغبا ورهباً في خشوع كامل.

٢- هجر المعاصي والإبتعاد عن المنكرات والفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا يقترب من الحرام ولا يُدخله على نفسه وأهل بيته، بل عليه أن يكسب الطيب ويأكل من الحلال.

قال تعالى "**يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوٌ مبين**".(١)

٣- أن يرتقب لدعائه الأوقات الشريفة المحبوبة كيوم عرفه وأيام شهر رمضان ويوم الجمعة ووقت السحر من سائر الأيام قال تعالى "**كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون**".(٢)

وقال تعالى "**الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار**".(٣)

٤- يستحب الدعاء والتضرع الى الله أثناء الجهاد، وقت إلتحام الصفوف ولنا الأسوة الحسنة في رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان يجأر بالدعاء إلى الله أثناء موقعة بدر مساء ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان ويقول "اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تُجادلك وتكذّب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم أحنهم الغداة، فظل يناشد متضرعا وخاشعا وهو يبسط كفيه إلى السماء حتى أشفق عليه أبو بكر فالتزمه من ورائه وقال له: يا رسول الله! أبشر فوالذي نفسي بيده لينجزنّ الله لك ما وعدك".(٤)

٥- أن يجزم في الدعاء ويكثر من تكراره ولا يعجل بالإجابة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يستجاب لأحدكم ما لم يعْجل" قيل: وكيف يعجل؟ يا رسول الله؟ قال: يقول: قد دعوت الله فلم يستجب لي".(٥)

فوائد الدعاء:-

إن للدعاء فوائد كثيرة تعود على النفس الإنسانية والمجتمع بأسره نوجزها في الآتي:

١- إن الدعاء إلى الله والتضرع إليه يُلزم المسلم بإصلاح نفسه وتهذيبها بأخلاق الإسلام، لأن الدعاء يسكب اليقين الجازم بأن الله مطلع على ما تكنه النفوس، عالم بأسرارها فتشعر النفس بقربها من الله لحظة المناجاة وربما لا يتمالك الإنسان نفسه فيبكي من شدة الخشوع.

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٦٨ .(٢) سورة الذاريات الآية: (١٧،١٨).

(٣) سورة آل عمران الآية:١٧ . (٤) فقه السيره، ص:٢١٦ طبعة دار الفكر.

(٥) أخرجه ابن ماجه، ج:٢ ، ك:الدعاء، باب:٧ (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل)، ص:١٢٦٦ ، حديث رقم:٣٨٥٣ . مسند الإمام أحمد، ج:٥ ، ص:١٢١ .

قال تعالى "***لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء***".(١)

وبإصلاح النفوس وتهذيبها تصلح أعمال الإنسان في المجتمع، فلا يسمح لجوارحه بإذاء الأخرين .

سئل الجنيد رحمه الله بم يستعان على غض البصر؟ فأجاب بعلمك أن نظر الناظر إليك أسبق من نظرك إلى المنظور له.

وجاء عن ابن دينار قال: خرجت مع عمر بن الخطاب إلى مكة فأقمنا ببعض الطريق، فانحدر علينا راع من الجبل فقال له عمر: يا راعي بعنا شاة من هذه الغنم، فقال الراعي: إنه مملوك، فقال له عمر: قل لسيدك أكلها الذئب، فقال العبد أين الله؟. فبكى عمر، وغدا على سيد الراعي فاشتراه منه وأعتقه.(٢)

٢- الدعاء النابع من القلب بإخلاص يخفف القَدر ويزيد من العمر، قال تعالى "***يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب***".(٣)

فسّرها بعض المفسرين، أن الله يمحو ما يشاء من القدر إذا استجاب للدعاء، ويُثبت منها ما يشاء إنه على كل شيء قدير(٤)، ولعلهم استأنسوا بالأحاديث الآتية.

عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يزيد في العُمر إلا البرُّ ولا يردّ القدر إلا الدعاء، وإنّ الرجل ليُحرم الرزق بخطيئة يعملها".(٥)

وثبت في الصحيحين، أن صلة الأرحام تزيد في العمر عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أحبّ أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصلْ رحمه".(٦)

والدعاء بصالح الأعمال يخفف من المصائب في الدنيا والدليل على ذلك حديث الثلاثة نفر الذين أواهم المبيت في غار فوقعت صخرة عظيمة فسدت فم الغار عليهم فدعوا الله بصالح أعمالهم فاستجاب لهم فانفرجت الصخرة وخرجوا سالمين معافين من الخطر الذي هددهم بالموت، فأيّ منفعة أعظم من تلك

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٨٤ .

(٢) انظر منهاج المسلم، ص:٨٥ .

(٣) سورةالرعد الآية: ٣٩ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير، مجلد:٢ ، ج:١٣ ، ص:٥٧٠ ط (لا يوجد) دار الكتب المصرية.

(٥) أخرجه الترمذي، ج:٤ ، ك:القدر، باب:٦ ، ص:٤٤٨ رقم ٢١٣٩ ، ابن ماجه، ج:١ ، ك:المقدمة، باب:١٠ (في القدر) ص:٣٥ حديث رقم:٩٠ مسند أحمد ج:٥ ، ص:(٢٧٧،٢٨٠،٢٨٢).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري، فتح الباري، ج:١٠ ، ك:الأدب باب:١٢ ، ص:٤١٥ ، رقم:(٥٩٨٥،٥٩٨٦) وأخرجه مسلم، ج:٤ ، ك:البر، باب:١٦ ، ص:١٩٨٢ ، حديث رقم: (٢٠،٢١) مسند أحمد، ج:٣ ، ص:(١٠٦،٢٤٧،٢٦٦) ، ج:٥ ص:٢٧٩ .

التي حصلت ببركة الدعاء، وأيّ خطر أعظم من هذا الخطر الذي دفع ضرره الدعاء المصحوب بالتضرع الخالص إلى الله فاعتبروا يا أولي الأبصار.(١)

٣- الدعاء فيه قمة الخضوع للواحد القهار ومصدر لعطف الله ورحمته وهو دليل الإخلاص من العبد إلى خالقه. لذلك كان الدعاء مخّ العبادة عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الدعاء هو العبادة، ثم قرأ، وقال ربكم ادعوني أستجب لكم".(٢)

وجاءت اطول سورة من سور القرآن مُختتمة بالدعاء قال تعالى "**ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربّنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين**".(٣)

المطلب الخامس "إتّباع القول بالعمل"

لقد حثّت الشريعةالإسلامية المسلمين على فعل العمل الصالح، الذي يقرب العبد من الله ويحبب الناس بعضهم ببعض قال تعالى "**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**".(٤)

والعمل الصالح هو ثمرة من ثمار التخلق بأخلاق الإسلام، التي ينبغي على المسلم أن يدعو إليها الناس جميعاً.

قال تعالى " **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا و قال إنني من المسلمين** ".(٥)

والمسلم مطالب بأن يفعل الخيرات ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فعليه أن يبدأ بنفسه أولا ثم بأهله ومن له ولاية عليهم، فيُصلح شأن أهل بيته قبل التوجه لنصح الآخرين. لأنّ من أسوأ الأخلاق أن يدعو الإنسان إلى خلق وهو بعيد عن فعله، فقد أخبر الإسلام أنّ ذلك القول ممقوت صاحبه ويسبب الضرر البالغ عند الآخرين، لأنهم لا يجدون من هو قدوة لهم في التطبيق العملي لما يسمعونه، قال تعالى "**أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**".(٦)

فهذه الآية نزلت في أحبار يهود المدينة كانوا يأمرون سراً من نصحوه بإتباع النبي صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه طمعاً فيما كان يصل إليهم من أتباعهم، وقيل أنها نزلت فيهم لأنهم كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون.

---

(١) انظر فضيلة التوكل في القرآن والسنة، ص:٢٣٦ .

(٢) أخرجه ابن ماجه، ج:٢ ، ك:الدعاء، باب:١ (فضل الدعاء) ص:١٢٥٨ ، حديث رقم ٣٨٢٨ ، مسند أحمد، ج:٤ ، ص:(٢٧٦،٢٧١،١٦٧).

(٣) سورة البقرة الآية:٢٨٦ .(٤) سورة التوبة الآية: ١٠٥ .

(٥) سورة فصلت الآية: ٣٣ .(٦) سورة البقرة الآية: ٤٤ .

وقال البعض من المفسرين أن أحبار يهود كانوا يأمرون الناس بالطاعة لله، وينهونهم عن معصيته، وهم يتركون الطاعة ويقدمون على المعصية، كأن يأمرون الناس بالصلاة والزكاة وهم يتركونها.

وملخص الأمر أن الآية السابقة تنعي كل من يعظ غيره بفعل العمل الصالح ولا يتعظ ولا يتأثر هو في نفسه، فإنّ من يفعل ذلك فدعوتُه ستصل إلى الآخرين ميتة لا حياة فيها، لأن فعله ينافي ما يقوله إلى الناس، كما أنها تحث على تزكية النفس والإقبال عليها بالتهذيب والتكميل والعمل الصالح لكي تكون قدوة للناس في القول والعمل.(١)

ولقد صور الحديث الشريف حالة من يأمر الناس بالمعروف ولا يأتيه بالحمار الذي يدور حول الرحى يوم القيامة وهي صورة ممقوتة، ممقوت صاحبها، لكي يبتعد الناس عن مثل هذا المرض.

عن أسامه بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "يؤتى بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار، فتندلق أُقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرّحى، فيجتمع اليه أهل النار فيقولون: يا فلان! مالك! ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه".(٢)

يؤخذ من الحديث أنه يجب على المسلم أن يأمر غيره بالمعروف وينهاهم عن المنكر شريطة أن يبدأ بنفسه وإلا أساء من جانبين:

١- أنه يسيء لتعاليم الإسلام من ناحية إستخفافه بما يأمر به وينهى عنه.

٢- يوقع في نفوس من يعظهم الشك وعدم إهتمامهم على أخذ الأمر بجد في التطبيق العملي لتعاليم الإسلام.

---

(١) انظر تفسير أبي السعود، مجلد:١ ، ص:١١٩ ، طبعة دار الفكر وايضاً انظر تفسير القاسمي ج:٢ ، ص:١١٨ وانظر ابن كثير، مجلد:١ ، ص:٩١ .

(٢) فتح الباري ج:١٣ ، ك: الفتن، باب:١٧ ، ص:٤٨ ، رقم:٧٠٩٨ ، مسلم ج:٤ ، ك:الزهد، باب:٧ ، ص:(٢٢٩١،٢٢٩٢) ، حديث رقم:٥١ .

وصدق المعري* حينما قال:

إذا فعل الفتى ما عنه ينهى فمن جهتين لا جهة أساءَ

لذلك ينبغي على الداعية أن يكون صورة صادقة إلى ما يدعو إليه حتى يكون قدوة للآخرين وعوناً لهم على ترجمة وتطبيق مبادىء الإسلام إلى أعمال صالحة.(١)

كما أنه ينبغي على المؤمن مجالسة أهل الخير والصلاح لأن المرء على دين خليله.

عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إمّا أن يحذيك، وإمّا أن تبتاع منه، وإمّا أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير، إمّا أن يحرق ثيابك وإمّا أن تجد منه ريحاً خبيثة".(٢)

خلاصة القول: يتضح من خلال هذا المبحث أن الإسلام يهتم بإصلاح النفوس وتهذيبها بأخلاق الإسلام، لانه إذا صلحت صلح المجتمع بأسره وصلحت الدنيا، لأنّ الإسلام يبني الحياة الإجتماعية القائمة على الطهارة والنقاء في التعامل بين الناس المنبثقة من عقيدة الإيمان الراسخة في النفوس.

تلك العقيدة التي ان تمكنت من القلوب تجعل منها طاقة قوية في البناء والإعمار وفعل الخيرات، وذلك حباً في الله وابتغاء مرضاته فيبتعد الناس عن الرذائل والشرور، ويُصبح المجتمع نظيفاً في تعامل أفراده فيما بينهم، وذلك لأن الإسلام يربي

---

(١) انظر تفسير القاسمي، ج:١ ، ص:١٥٤ ، وانظر النكت والعيون تفسير الماوردي، مجلد:١ ص:١١٤ ، ط:١ (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

(٢) أخرجه البخاري: فتح الباري، ج:٤ ، ك:البيوع، باب:٣٨ (في العطار وبيع المسك) ص:٣٢٣ حديث رقم:٢١٠١ ، مسلم، ج:٤ ،ك: البر، باب:٤٥ ، ص:٢٠٢٦ رقم:١٤٦ ، أبو داود، ج:٢ ، ك الأدب باب (من يؤمر أن يجالس) ص:٥٥٨ مسند أحمد، ج:٤ ، ص:(٤٠٥،٤٠٨).

* المّعري: هو أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي، أبو العلاء المعري شاعر وفيلسوف، ولد سنة ٣٦٣هـ في معرة النعمان، أصيب بالجدري صغيراً، فعمي في السنة الرابعة من عمره وقال الشعر وهو إبن إحدى عشرة سنة، رحل إلى بغداد سنة ٣٩٨هـ أشهر كتبه (رسالة الغفران) و (خطبة الفصيح) و (اللامع العزيزي) مخطوط في جامعة الرياض، مات سنة ٤٤٩هـ ووقف على قبره ٨٤ شاعراً يرثونه، انظر الأعلام ١٥٧/١ ولسان الميزان ٢٠٣/١ وأعلام النبلاء ج:٤ ، ص:١٧٧-١٨٠ .

الناس على معاني الخير، كتقوى الله وذكره في السراء والضراء، والشكر على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، والتضرع إليه بالدعاء، والصبر على الآلام والشدائد والمحن وحين البأس، وترجمة الأقوال إلى أفعال صالحة تعود بالنفع على الجميع.

وبذلك يصبح المسلم سليم العقيدة يقظ الضمير صادق الحس والوجدان، وعلى خلق عظيم، مما يجعله عنصر خير وبركة يسعد المجتمع به ويُستنار برأيه النابع من ضميره الحي وعاطفته الشريفة.

وبأمثال هؤلاء يتكون المجتمع الصالح الذي يعم فيه الخير ويسوده العمل الصالح قال تعالى **"من كان يريد العزّة فلله العزة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه"**.(١)

---

(١) سورة فاطر الآية: ١٠ .

المبحث الثالث
الأخلاق وأثرها في التعامل مع الناس

مقدمة:

إن تهذيب الأخلاق في المجتمع الإسلامي تعتبر من أصول النظام الإجتماعي في الإسلام، لأن بناء الفرد على الخلق الصالح النبيل يجعله عنصراً إيجابياً في الأسرة الصالحة التي تتسم بالعلاقات الطيبة، وكل معاني الودّ والتراحم والتحابب لان علاقتهم تقوم في الأساس على تقوى الله.

وكذلك تصلح علاقات الناس بعضهم مع بعض في أماكن العمل وأثناء التعامل في البيع والشراء أو المشاركة الوجدانية والفعلية، وإذا أصاب الأمة جائحة أو أي مصيبة من المصائب فترى الجميع يهب لإنقاذ الأمة ورفع البلاء والتخفيف من المصاب.

هذه أخلاق القرآن الكريم، وخير مثال وصورة صادقة وترجمة حيّة لما في القرآن الكريم من مبادىء اخلاقية، هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم حيث كانوا مصاحف متحركة في واقع الحياة في مجال العبادة والأخلاق والمعاملات.

فقد شهد سبحانه وتعالى لرسوله الكريم بحسن مكارم الأخلاق قال تعالى "**وإنك لعلى خلق عظيم**".(١) وكان صلى الله عليه وسلم عطوفاً ودوداً رحيما بالمؤمنين قال تعالى "**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**".(٢)

وكان صلى الله عليه وسلم ليّن الجانب مع المؤمنين يشاورهم فيما يواجه الأمة من أمور ويستمع إلى آرائهم قال تعالى "**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**".(٣)

وجاء في أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين قوله تعالى "**محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشدّاء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركّعاً سجّداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا**".(٤)

أما بالنسبة للسنة النبوية المطهرة فقد تحدثت كثيراً عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاق المؤمنين، فحينما سُئلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: فإنّ خلق نبي الله كان القرآن".(٥)

---

(١) سورة القلم الآية: ٣ .

(٢) سورة التوبة الآية: ١٢٨ .

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٥٩ .

(٤) سورة الفتح لآية: ٢٩ .

(٥) أخرجه مسلم، ج:١ ، ك:المسافرين، باب:١٨ ، ص:٥١٣ وهو جزء من حديث طويل، الترمذي ج:٤، ==

ويشهد لذلك ما جاء في حديث هرقل قيصر الروم حينما سأل أبا سفيان عن رسول الله وما يأمر به فأجاب أبو سفيان "إنه يأمرنا بصدق الحديث والوفاء بالعهد وصلة الأرحام وحسن الجوار ونبذ الأصنام، فقال له هرقل: إن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين".

ويشهد لحسن خلقه صلى الله عليه وسلم ما جاء في كتب السيرة النبوية عندما هاجر المسلمون إلى الحبشة فارسلت قريش مبعوثيها عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعه في طلبهم، فأحضر النجاشي المسلمين وسألهم عن دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتكلم جعفر فقال: "أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القويّ منّا الضعيف حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى عبادة الله وحده وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم ونهانا عن الفواحش، فصدقناه واتبعناه".(١)

وجاءت أخبار كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم تحث على التحلي بالفضيلة ومحاسن الأفعال والأقوال وتنهى عن سوء الخلق. عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم "اتّق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن".(٢)

وأوضح صلى الله عليه وسلم أنّ أقرب الناس منه مجلساً يوم القيامة هم أصحاب الأخلاق الحسنة، فقال صلى الله عليه وسلم "إنّ أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون".(٣)

وبيّن صلى الله عليه وسلم سبع خصال حسنة من حقوق الناس بعضهم على بعض، عن البراء رضي الله عنه قال: أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع، أمرنا بإتباع الجنازة وعيادة المريض وتشميت العاطس وإجابة الداعي ونصر المظلوم وإبرار القسم وردّ السلام ونهانا عن سبع، نهى عن

== ك:البر، باب:٦٩ ، ص:٣٦٨ رقم:٢٠١٥، الدارمي ج:١ ، ك:الصلاة، باب: (صفة صلاة الرسول) ص:٢٨٤ رقم:١٤٨٣ وهو جزء من حديث طويل، إبن ماجه: ج:٢ ، ك:الأحكام، باب:١٤ ، ص:٧٨٢ ، رقم:٢٣٣٣ جزء من حديث طويل، مسند أحمد ج:٦ ، ص:٩١،٥٤ .

(١) انظر فقه السيره، ص:١٢٥ ، وانظر تهذيب سيرة ابن هشام، ص:٨٤ .

(٢) انظر تخريجه في ص:١٨٠

(٣) أخرجه البخاري، فتح الباري، ج:٧ ، ك:فضائل الصحابة، باب:٢٧ ص:١٠٢ حديث رقم ٣٧٥٩ بنحوه، وأخرجه الترمذي ، ج:٤ ك:البر ، باب:٧١ (في معالي الأخلاق) ص:٣٧٠ ، حديث رقم:٢٠١٨ مسند أحمد، ج:٤ ، ص:(١٩٣،١٩٤).

خاتم الذهب، أو حلقة الذهب وآنية الفضة، ولبس الحرير والديباج والاستبرق والقسّي".(١)

وفي حديث آخر أوضح أن حق المسلم على المسلم يتمثل في خمس خصال عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "خمسٌ تجب للمسلم على أخيه المسلم: ردّ السلام، وتشميت العاطس وإجابة الدعوة وعيادة المريض، وإتباع الجنائز".(٢)

ومن حق المسلم على أخيه أن يقدم له النصيحة، وجاء في كلام العرب أن المراد بالنصيحة إرادة جملة الخير للمنصوح له فهي كلمة جامعة لخيري الدنيا والآخرة.(٣)

عن أبي رقية تميم بن اوس الداري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الدين النصيحة" قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم".(٤)

ومن حق المسلم على أخيه المسلم أن يطرح السلام عليه عندما يراه لأن في افشاء السلام يحدث التحابب والتراحم بين الناس وإذا تحابب الناس لم يكن بينهم مغبوناً ولا مهضوما ولا مظلوماً.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم".(٥)

وعلّمنا صلى الله عليه وسلم، أن من حق المسلم أن نظن به خيراً وألّا نتجسس عليه ولا نحسده ولا نبغضه، وأن ندعوه بأحب الألقاب إليه، ولا نضره في ماله ودمه أو عرضه بأي نوع من الأذى.

فقد جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تحاسدوا ولا تفاحشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولايحقره، التقوى هاهنا ويُشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب

---

(١) اخرجه البخاري فتح الباري ج:،٧،ك: النكاح، باب :٧١،ص:٢٤ حديث رقم:٢١٧٥ والترمذي ج:٥ ك:الادب، باب،٤٥ص:١١٧ حديث رقم:٢٨٠٩ .

(٢) أخرجه مسلم، ج:٤ ، ك:السلام، باب:٣ ، ص:(١٧٠٤) حديث رقم:٤ ، ابن ماجه، ج:١ ، ك:الجنائز، باب:١ ، ص:(٤٦٢،٤٦١)، حديث رقم:١٤٣٥ .

(٣) انظر شرح الأربعين النووية، ص:٣١ ط (لا يوجد) الخليل مكتبة دنديس.

(٤) متفق عليه، اخرجه البخاري في الصحيح، ج:١ ، ك:الإيمان، باب:٤١ (الدين النصيحة) ص:٣٨ حديث رقم ٥٦ ، ط:٤ (١٤٠٥ه – ١٩٨٥م). عالم الكتب، بيروت، وأخرجه مسلم ج:١ ، باب:٢٣ ، ص:٧٤ حديث رقم:٥٥ .

(٥) أخرجه مسلم، ج:١ ، ك:الإيمان، باب:٢٢ ، ص:٧٤ ، حديث رقم:٦٣ وأخرجه الدارمي، ج:١ ، ك:الصلاة، باب:١٥٦ ص:٢٨٠ ، حديث رقم:١٤٦٨ بألفاظ متقاربة. مسند أحمد ج:١ ، ص:(١٦٥،١٦٧)، ج:٢ ، ص:٤٧٧ ج:٥ ، ص:٤٥١ .

امرىء من الشرّ أن يحقر أخاه المسلم، كلّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه".(١) وينبغي على المسلم أن يعاون أخاه المسلم إذا أصابته مصيبة وأن ينصره ويقف بجانبه وأن يواسيه ويفرّج عنه الكربات الدنيوية، ويجب على المسلم أن يستر على أخيه في الدنيا، فمن ستر مسلماً كان حقاً على الله أن يستره في الدنيا والآخرة.

عن أبي هريره، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من نفّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر في الدنيا يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه".(٢)

وذكرت الشريعة الإسلامية الإحسان إلى الناس عامة والمحافظة على حقوقهم، وبناء العلاقات الإجتماعية الطيبة مع الناس وخصصت البعض منهم كاليتامى والفقراء والجيران والمساكين وذوي القربى.

وسيأتي الحديث عن هؤلاء في ثلاثة مطالب وهي كالآتي:-

المطلب الأول: الإحسان الى اليتيم

اليتيم لغة:-

يقال أيتمت المرأة، إذا صار لها ولداً يتيماً عندما تفقد زوجها، واليتيم هو من فقد اباه قبل أن يصل إلى الحلم، وعند بلوغه الحلم لا يسمى يتيما، وإذا أطلق عليه اسم اليتيم يكون من باب المجاز لا الحقيقة، واليتيم تجمع على ايتام ويتامى.

ونقل القرطبي عن الماوردي أن اليتيم بفقد الأم ثم قال: اليتيم بفقد الأب في عالم الإنس، ويكون بفقد الأم في البهائم.(٣)

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري، ج:١٢ ، ك:الإكراه، باب:٧ ، ص:٣٢٣ حديث رقم:٦٩٥ وهو جزء من حديث طويل، وأخرجه مسلم، ج:٤ ك:البر، باب:١٠ ، ص:١٩٨٦ رقم:٣٢ ، الترمذي ج:٤ ، ك: الحدود، باب٣، ص:(٣٥،٣٤) رقم:١٤٢٦ بألفاظ متقاربة. ابو داود، ج:٢ ، ك:الأدب، باب (في الغيبه) ص:٥٦٨ جزء من الحديث، مسند أحمد ج:٢ ، ص(٦،٨،١١،٢٧٧) ، ج:٣ ص:٤٩١ ، ج:٤ ، ص(٦٦،٦٩،٧٩) ج:٥ ، ص(٢٤،٢٥) .

(٢) مسلم، ج:٤ ، ك:الذكر، باب:١١ ، ص:٢٠٧٤ ، حديث رقم:٣٨ الترمذي، ج:٤ ، ك:البر، باب:١٩ (الستر على المسلم) ص:٣٢٦ رقم:١٩٣٠، ابن ماجه ج:١ ، ك:المقدمه، باب:١٧ مسند أحمد، ج:٢ ، ص:(٢٥٢،٤١٤،٥٠٠).

(٣) انظر الإفصاح في اللغة، ج:١ ، ص:٦ ، ط:٢ ، دار الفكر العربي وانظر تفسير القرطبي، مجلد:١، ج:٢ ، ص:١٤ .

التكافل الإجتماعي مع اليتيم:-

لقد أمرت الشريعة الإسلامية برعاية اليتامى وإكرامهم بحيث أن يوفر لهم كل سبل العيش الكريم في المجتمع حتى يصبحوا رجالا ينفعون أنفسهم والمجتمع.

قال تعالى "*وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا*".(١)

الآية الكريمة ربطت حقوق اليتامى والمساكين بحق الله تبارك وتعالى مع حقوق ذوي الأرحام وحق الوالدين وأوجبت الإحسان إليهم جميعاً.

فالإحسان إلى اليتامى واجب لكي يتحقق التكافل والرعاية له، وهو بحاجة ماسة إلى الرعاية والكفالة، وَعِلمَ الله سبحانه، أن من يعول اليتيم سيلاقي منه شدة وعنتاً ومضايقة وألماً يحتاج إلى صبر في تربيته والعناية به، فأمرت الشريعة بمعاملته مثل الأولاد في الأسرة أو أشد لذلك جاء التخصيص لذكره في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة.

ولذلك أراد صلى الله عليه وسلم أن يدفع الأمة إلى التسابق في تربية اليتيم، فجاء عن سهل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرّج بينهما شيئاً".(٢)

وكما يجب الإحسان الى اليتيم في المعاملة وعدم إهانته وتحقيق الضمان الإجتماعي له، أيضاً ينبغي المحافظة على ماله قال تعالى "*فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلاتنهر وأما بنعمة ربك فحدث*".(٣)

وإذا كفِل القوى الضعيف، وساعد الغني الفقير وأعطى القادر المحتاج وسد جوعة الجوعان وتكفل برعاية الأيتام، حينئذ لا يصبح في المجتمع الإسلامي مشردون ولا متروكون، وبذلك يتم القضاء على المشكلات الاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات اليوم إذا طبّقنا شريعة السماء.(٤)

---

(١) سورة البقرة الآية: ٨٣ .

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري، ج:٩ ، ك:الطلاق، باب:٢٥ ، ص:٤٣٩ حديث رقم:٥٣٠٤ وايضاً مسلم، ج:٤ ، ك: الزهد، باب:٢ ، ص:٢٢٨٧ ، حديث رقم:٤٢ ، الترمذي، ج:٤ ، ك:البر ، باب:١٤ ص:٣٢١ حديث رقم:١٩١٨ ، أبو داود ج:٢ ، ك:الأدب، باب: (من ضمّ اليتيم)، ص:٦٣١ ، مسند أحمد، ج:٢ ، ص:٣٧٥ ، ج:٥ ، ص:٣٣٣ .

(٣) سورة الضحى الآية: (٩-١١).

(٤) انظر غذاء الروح، ص:١٦٣ وانظر السلوك الإجتماعي في الإسلام، ص:٢٧٤ .

إكرام اليتيم:-

إن القرآن الكريم حضّ على اكرام اليتامى في آيات متعددة منها قوله تعالى "كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلاً لمّا وتحبون المال حبّاً جمّا".(١)

قال بعض المفسرين أن الآية تحض من أوتي مالا أن يخرج حق الله من ماله الذي رزقه الله إياه، ومن هذه الحقوق إكرام اليتيم وإنعامه لانه لا معيل له.

وإكرام اليتيم يكون بإعطائه ما يكفيه، ويسد حاجته من الطعام والملبس والتعليم، كما يُطعم أيضاً المساكين والفقراء حتى تُسد حاجتهم.

وإنّ خير الإنفاق يكون على أمثال هؤلاء قال تعالى "يسألونك ماذا ينفقون، قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإنّ الله به عليم".(٢)

وحينما أمرت الشريعة بالإحسان إلى اليتامى وحمّلت مسؤولية اليتيم الصغير الضعيف الحال إلى الغني الميسور الحال صاحب المال، يكون فعلاً أن المجتمع الإسلامي أرقى المجتمعات خلقاً وروحاً وتعاوناً، لأن في ظله يتكافل الأغنياء مع الفقراء والأيتام وذوي الحاجات، بل ان الاغنياء يمنحونهم العطف والحنان كما يعطفون على ابنائهم، بينما هذا العطف لا يتوفر في المجتمعات المادية اليوم.

النهي عن ظلم اليتيم:-

لقد نهت الشريعة الإسلامية عن ظلم اليتامى، وأمرت بعدم أكل أموالهم ظلما، قال تعالى "إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً.(٣)

جاء في سبب نزولها، أن رجلاً من غطفان ولّي مال ابن اخيه وهو صغير يتيم فأكله ظلماً وعدوانا، فنزلت الآية لتنهى عن هذا الخلق السيء، لانه يضر بمصلحة اليتامى في المجتمع.(٤)

وحينما نزلت إنطلق من كان عنده أموال لليتامى، فعزل طعام اليتيم عن طعامه وشرابه عن شرابه الخاص فاشتد ذلك الأمر عليهم، فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الآية "يسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير، وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح".(٥)

---

(١) سورة الفجر الآية: (١٧-٢٠). (٢) سورة البقرة الآية: ٢١٥ .

(٣) سورة النساء الآية: ١٠ . (٤) انظر مكاشفة القلوب: ص:٢٧٧ . (٥) سورة البقرة الآية: ٢٢٠ .

وتعني الآية الأمر بمخالطتهم، إذا كان في المخالطة لهم إصلاح لأموالهم ومنفعة تعود عليهم بالخير، فلا مانع من مخالطتهم لأنهم إخوانكم في الدين فعليكم أن تراعوا أموالهم بالإحسان، وإن كان التجنب فيه إصلاح لأموالهم فذلك خير. والله يعلم المحسن من المسيء في التصرف بأموال اليتامى وسيجازي كلا على عمله.(١)

عن عائشة رضي الله عنها قالت: [أُنزلت الآية "ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف" في والي اليتيم أن يصيب من ماله إذا كان محتاجاً بالمعروف].(٢)

وأجاز صلى الله عليه وسلم لوالي اليتيم أن يأكل من ماله بقدر الحاجة الماسة لذلك وعند الضرورة بدون إسراف. فقد جاء في الحديث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء رجل إلى النبي فقال: "لا أجد شيئاً، وليس لي مال ولي يتيم له مال: قال "كُلْ من مال يتيمك غير مُسرف ولا متأثّل مالا - أي لا تتخذ منه أصل مال للتجارة - قال: وأحسبه قال "ولا تقي مالك بماله"(٣). أي لا تحفظ مالك بصرف ماله.

وقال صاحب المنار إن تنكير كلمة "إصلاح" في الآية تُفيد العموم أي لا تتركوا شيئاً فيه الصلاح لهم سواء في الأموال أو الأحوال من تربية وتهذيب لنفوسهم أو إصلاح أموالهم بالتنمية والتثمير لأنهم إخوانكم في الدين ومن شأن الأخوة أن يكونوا خلطاء وشركاء في الملك والمعاش، بحيث يكون اليتيم في البيت كالأخ الصغير في رعاية مصلحته وكفالته.(٤)

يتضح من خلال ذلك العرض مدى إهتمام القرآن والسنّة برعاية اليتيم وكفالته والعناية بشأنه إهتماماً لا يخطر ببال فيلسوف، فالإسلام حثّ المسلمين على القيام بحق اليتامى تقرباً إلى الله، ولنيل أعظم الدرجات بسبب البذل لهم والعطاء والقيام على مصلحتهم، وحسن تربيتهم والمسح على رؤوسهم والحدب عليهم بتفقد شؤونهم. ويشعر اليتيم وإن فقد أباه، فإنّ الرحماء من الأمة آباء يعطفون عليه ويتولون أمر رعايته فيعيش آمنا كريما مطمئناً في هذه الحياة.

عن ابن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء".(٥)

---

(١) انظر تفسير زاد المسير، مجلد:١ ، ص:٢٢٠ وأيضاً تفسير الواضح مجلد:١ ، ص:١٣١ .

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري، ج:٥ ، ك:الوصايا، باب:٣٢ ، ص:٣٩٢ حديث رقم:٢٧٦٥ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند، ج:٢ ، ص:(١٨٦،٢١٦).

(٤) تفسير المنار، مجلد:٢ ، ص:٣٤٣ .

(٥) أخرجه الترمذي، ج:٤ ، ك:البر، باب:١٦ (ما جاء في رحمة المسلمين)، ص:(٣٢٣،٣٢٤) حديث رقم:١٩٢٤ .

المطلب الثاني: الإحسان إلى الفقراء

لقد تحدثت سورة البقرة عن الفقراء، وجاء الحديث فيها عنهم في معرض المدح قال تعالى "*للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم، لا يسألون الناس إلحافا*".(١)

جاء في تفسيرها أن المقصود بالفقراء هم المهاجرون في سبيل الله الذين انقطعوا إلى الله ورسوله وسكنوا المدينة وليس لهم سبب يردون به على أنفسهم ما يغنيهم ولا يستطيعون ضرباً في الأرض أي سفراً للتسبب في طلب المعاش، يحسبهم الجاهل بحالهم هذا أغنياء من تعففهم في لباسهم ومقالهم.(٢)

كما أن حكم الآية ينطبق على كل فقير يتصف بنفس صفاتهم من الفقر والتعفف عن سؤال الناس والظهور بمظهر المستور الحال .

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليس المسكين الذي تردُّه التمرة والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان، إنما المسكين المتعفف، اقرأوا إن شئتم، لا يسألون الناس إلحافا".(٣)

وجاء ذكر الفقراء في معرض المدح أيضاً في قوله تعالى: "*للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون*".(٤)

وينبغي على الفقير أن لا يفتر من الطاعات وفعل الخيرات بسبب فقره، فهي حالة ذاهبة إلى زوال طالما أن الإنسان يسعى لكسب الحلال، ومهما بلغ الفقر بالإنسان فعليه أن يفعل الخير، وإن كان حقيراً في نظره فله الأجر الكبير ما دام أنه يبتغي مرضات الله ويبذل رغم ما أصابه من الإقلال.

جاء في الحديث الشريف عن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله أيّ الصدقة أفضل؟ قال "جهد من مقلٍ إلى فقير في السر".(٥)

---

(١) سورة البقرة الآية:٢٧٣ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير، مجلد:١ ، ص:٣٤٨ ط (لا يوجد) دار الأسماء.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري، فتح الباري ج:٣ ، ك:الزكاة، باب:٥٣ ص:٣٤٠ حديث رقم ١٤٧٦ ، مسلم، ج:٢ ، ك:الزكاة، باب:٣٤ ص:٧١٩ ، رقم:١٠٢ ، الدارمي، ج:١ ، ك:الزكاة، باب:٢ ، ص:٣١٨ رقم:١٦٢٣ بألفاظ متقاربة.

(٤) سورة الحشر الآية:٨ .

(٥) الترمذي ج:٣ ، ك:الزكاة، باب:٢٨ ، ص:(٥١،٥٢) حديث رقم:٦٦٣ بعيد الألفاظ، مسند أحمد ج:١ ص:٤٦٣ ، ج:٢ ص:(٢٥٠،٣٥٨) ، ج:٥ ، ص:(١٧٨،١٧٩،٢٦٥).

سؤال الفقير:

الإسلام يرفض الذلة والمهانة والمسكنة، وما أسوأها من ذلة عندما يمد الإنسان يده على قارعة الطريق للناس هذا يعطيه وذاك يمنعه وخاصة إذا كان قادراً على العمل والكسب، والأسوأ من ذلك إذا إدعى أنه متوكل على الله ولا يعمل من أجل الكسب، أو أنه مشتغل بالعلم وحاله يخالف ذلك.

فأمثال هؤلاء لا يفقهون حقيقة الإسلام ولو أدركوا روح الإسلام لعملوا وسعوا في هذه الحياة لنفع أنفسهم والناس من حولهم وخدمة بلادهم بدلاً من أن يكونوا عالة على المجتمع.(١)

ولقد نهى صلى الله عليه وسلم عن المسألة لأنها تذهب مروءة الإيمان عند الإنسان ولا مروءة لمن يسأل الناس وليس له عذر يدفعه إلى المسألة.

وجاء في الحديث الشريف، أن المسألة تذهب حياء الوجه وبهاء الإيمان عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعه لحم".(٢)

وجوّز بعض العلماء السؤال في حالة الضرورة القصوى مع إظهار الشكر لله تعالى، فيسأل أباه أو قريبه أو صديقه الذي لا ينقص في عينه أو السخي الذي أعدّ ماله للمكارم، فيخرج بذلك من الذل، ولا يجوز للفقير أن يسأل إلا مقدار ما يحتاج إليه من ثوب أو طعام أو مال.

وقال بشر الحافي* الفقراء ثلاثة: فقير لا يسأل وإن أعطي لا يأخذ فهذا من الروحانيين، وفقير لا يسأل وإن أعطي أخذ فذاك من أهل حظيرة القدس، وفقير إذا احتاج سأل فكفارة مسألته صِدقه في السؤال.

إذا فالسؤال مباح وتركه فضيلة وقال بذلك الثوري** واضاف أن من جاع فلم يسأل حتى مات دخل الجنة.(٣)

---

(١) انظر فضيلة التوكل في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ص:١٢٤ .

(٢) متفق عليه، أخرجه مسلم ج:٢ ، باب:٣٥ (كراهية المساءلة للناس) ص:٧٢٠ .

(٣) انظر مختصر منهاج القاصدين، ص(٣٢٣،٣٢٤).

* بشر الحافي: هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء المروزي الزاهد المعروف بالحافي، روى عن حماد بن زيد وإبراهيم بن سعد وعنه أحمد بن حنبل والحربي، قال ابن سعد عنه: طلب الحديث وسمع الكثير وأقبل على العبادة وكان من أبناء خراسان فاق أهل عصره في الورع والزهد وكان ثوري المذهب في الفقه ت سنة ٢٢٧ هـ وكان عمره ٧٦ سنة.

انظر تهذيب التهذيب ج:١ ، ص(٤٤٤،٤٤٥).

** الثوري: هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبدالله الكوفي روى عنه ابن المبارك ويحي القطان وخلق، وقيل عنه أمير المؤمنين في الحديث وكان ثقة وفقيهاً وزاهداً وعابدا، ساد الناس بالورع والعلم ولد سنة ٩٧ هـ وتوفي بالبصرة سنة ١٦١ هـ انظر تهذيب التهذيب، ج:٤ ، ص:(١١١-١١٥).

وطالما أن السؤال مباح فينبغي السؤال، إذا كان يمنع من موت الإنسان، لأنه إذا مات الفقير جوعاً يأثم المجتمع.

التكافل الإجتماعي مع الفقراء:-

أمرت الشريعة الإسلامية بالتراحم مع الفقراء، والعمل على سدّ حاجاتهم وفك كرباتهم في الحياة.

قال صلى الله عليه وسلم "من يسّر على معسر في الدنيا يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه".(١)

ولو عمل المجتمع بهذا الحديث لما وجدنا فقيراً ولا سائلاً، لأن الناس يصبحون متكافلين متراحمين بين بعضهم البعض، ويسود بينهم روح التعاون والإخاء.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من فرّج عن مسلم كربةً من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً في الدنيا ستره الله في الدنيا والآخرة".(٢)

وجاءت توجيهات القرآن تأمر بالرأفة والرحمة وخاصة بالفقراء قال تعالى "*وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة*"(٣). وقال تعالى "*محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركّعا سجّدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا*".(٤)

وأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه بأن يتراحموا بينهم وأن يصلوا الفقير صاحب الحاجة وأن يصلوا ارحامهم. عن ابن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرحم شُجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله".(٥)

المطلب الثالث: الإحسان إلى الجار

لقد جاء الأمر الإلهي بالإحسان إلى الجار مرتبطاً مع الإحسان إلى اليتامى والمساكين وذلك لأهمية الجوار ولما للجار من الحقوق الإجتماعية على جيرانه.

---

(١) أخرجه مسلم ج:٤ ، ك:الذكر، باب:١١ ، ص:٢٠٧٤ ، حديث رقم:(٣٨)، أخرجه الترمذي ج:٤ ، ك:البر، باب:١٩ ، ص:٣٢٦ حديث رقم:١٩٣ وهو جزء من حديث طويل، ابن ماجه، ج:٢ ك الصدقات ، باب:١٤ (إنظار المعسر) ص:٨٠٨ ، حديث رقم:٢٤١٧ بألفاظ متقاربة.

(٢) أخرجه الترمذي، ج:٤ ك:الحدود باب:٣ (ما جاء في الستر على المسلم)، ص:٣٤ ، حديث رقم:١٤٢٥ متقارب الألفاظ.

(٣) سورة الحديد الآية: ٢٧ .

(٤) سورة الفتح الآية: ٢٩ .

(٥) أخرجه الترمذي ج:٤ ، ك:البر، باب:١٦ (ما جاء في رحمة المسلمين) ص:(٣٢٣،٣٢٤)، حديث رقم١٩٢٤

لقد جاء النهي عن التقليد الأعمى لانه يُعتبر من أقوى العوامل التي تفتك بالإنسان الكريم الذي امتاز بالنفحة الإلهية والتي بها يعقل ويفكر ويتدبر، فأصبح خير البرية على الإطلاق، ولأن التقليد الأعمى يقتل الذاكرة ويضعفها، ويحطم الشخصية الإيجابية الفعالة في المجتمع، ويعمل على تمييع الخُلق وقتل الرجولة، وإذا ضاعت الرجولة انتشر الفساد وعمّ البلاد، وضاعت الفضيلة والعفاف والشرف.(١)

لأجل ذلك حارب المنهج القرآني التقليد لأنه سبب في تلك الأمراض الاجتماعية القاتلة، ولكي يتم النهوض بالفرد والمجتمع إلى مستوى المسؤولية والأمانة، دعا إلى استعمال العقل في حدود الشريعة الإسلامية.

ولا عجب حينما نرى الآية القرآنية في سورة البقرة تنهى وتزجر عن إتباع الشيطان، ثم تعقب عليه بالنهي عن متابعة التقليد الأعمى وذلك للتنبيه على شدة خطورتهما.

قال تعالى *"ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين، إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون، وإذا قيل لهم اتبعوا ما أُنزل الله قالوا بل نتّبع ما أُلفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون"*.(٢)

وذكر الراغب في تفسيرها، أن الله سبحانه ذمهم لأنهم ابطلوا ما خصّ الله به الإنسان من الفكر والرويّة، وركّب فيه من المعارف، وميّز الإنسان بالفكر، ليعرف به الحق من الباطل والصدق من الكذب سواء في الإعتقادات أو الأفعال والأقوال.

ثم بيّنت حال الكفار في اتباع الآباء والأجداد عندما طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم اتباع ما أنزل الله فعطلوا تفكيرهم والنظر والتدبر وأخلدوا إلى التقليد الممقوت في اتباع الآباء فيما يضر، ويعود على الإنسان بأسوأ العواقب في الدنيا والآخرة.(٣)

ثم جاء المثل القرآني للتنبيه على مدى خطورة عملهم حينما تركوا الإصغاء والإستماع إلى أمر الدين فأصبحوا بمنزلة الأنعام بل هم أضل سبيلا.

قال تعالى *"ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون"*.(٤)

== الغيب" و "شرح الأسماء الحسنى" ولد سنة ٥٤٤هـ ت سنة ٦٠٦هـ. انظر البداية والنهاية ٥٥/١٣ والاعلام للزركلي ٣١٣/٦ ، ط:٦ ، تذكرة الحفاظ للذهبي ٩٥٩/٣ ط:٧ دار إحياء التراث العربي، وشذرات الذهب ٢١/٥ منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

(١) انظر محاسن التأويل مجلد:٢ ، ج:٣ ، ص ٣٦٧ .

(٢) سورة البقرة الآية: (١٦٨-١٧٠).

(٣) انظر تفسير محاسن التأويل ج:٣ ، ص:٣٧٤ .

(٤) سورة البقرة الآية: ١٧١ .

شبههم بهذا التشبيه المزري، لأن التقليد أفضى إلى هزيمة داخلية في نفوسهم، فلم يؤمنوا بذواتهم لذوبان الشخصية في بوتقة الآباء والأجداد، ومن يحبون تقليدهم تقليداً أعمى دون النظر إلى النتائج والعواقب المترتبة على ذلك، وجاء الحديث عنهم في قوله تعالى "بل قالوا إنّا وجدنا آباءنا على أمة وإنّا علي آثارهم مهتدون، وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون".(١)

وكشف القرآن الستار عنهم في مشهد آخر وهم يتبرأون من ساداتهم وكبرائهم يوم القيامة عندما أدركوا سوء العاقبة، ولكن هيهات هيهات أن تنفعهم الذكرى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، قال تعالى " إذ تبرأ الذين اُتّبعوا من الذين اتّبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب، وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ".(٢)

ونهى صلى الله عليه وسلم أبناء الامة من الوقوع في آفة التقليد عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنّا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا".(٣)

وحذّر صلى الله عليه وسلم أبناء الامة الإسلامية من اتباع اليهود والنصارى في عاداتهم السيئة أو الجري خلفهم في سياساتهم المعادية للإسلام وأنظمتهم الإقتصادية القائمة على التعامل بالربا و الإجتماعية المنافية لتعاليم ديننا الحنيف.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "لتتبعنّ سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جُحر ضبّ لسلكتموه، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟".(٤)

وخلاصة القول أن المنهج القرآني ينهى نهياً قاطعاً عن تقليد الآباء والأجداد فيما يضر الشخص والجماعة، كما ينهى عن تقليد اليهود والنصارى، لأن التقليد يقتل العقل والفكر ويفضي إلى جريمة نكراء بضياع الشخصية الإيجابية في المجتمع التي من شأنها الإبداع والإبتكار والتطوير.

---

(١) سورة الزخرف الآية: (٢٢،٢٣).

(٢) سورة البقرة الآية: (١٦٦،١٦٧).

(٣) أخرجه الترمذي، ج:٤ ، ك:البر، باب:٦٣ (الإحسان والعفو) ص:٣٦٤ حديث رقم:٢٠٠٧ .

(٤) أخرجه البخاري فتح الباري، ج:٦ ، ك: الانبياء، باب:٥ (ما ذكر عن بني اسرائيل) ص:٤٩٥ ، رقم:٣٤٥٦ ، مسند أحمد، ج:٥ ، ص:(٢١٨ ، ٣٤٠) ج:٢ ، ص:٣٢٧ ، ج:٣ ، ص:(٨٤،٨٩).

أما تقليد الآباء والسلف الصالح بما ينفع الأمة علمياً وينهض بها ماديا وحضاريا كالإنتفاع مما خلّفوه لنا من العلوم والمعارف النافعة في مجال الطب والهندسة والكيمياء وعلوم الفضاء وأسرار الذرة ووسائل الحرب فهذا جائز أن نأخذه ونطوره بإضافة صفحات عليه بعد دراسته والإستفادة منه، عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريره "الكلمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها".(١)

المطلب الثاني: التحذير من الخمر والميسر

أولاً- التحذير من الخمر:-

الخمر في اللغة:-

هي لفظ يدل على المصدر من الفعل خَمَرَ، وخمر الشيء بمعنى ستره وغطاه، ويقال تخمرت الجارية بالخمار إذا لبست النصيف الذي تُغطي به وجهها.

قال الشاعر:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه   فتناولته واتقتنا باليد

والنصيف هو الخمار الذي تغطي به الجارية وجهها وكان العرب يقولون خامري أم عامر أي استتري. وسميت الخمر خمراً لأنها تغطي العقل وتُحجبه إذا خالطته.

الخمر شرعاً: الخمر تطلق على كل مسكر يذهب العقل فهي عبارة عن المادة الكحولية التي تحدث الإسكار، أي تستر العقل وتغطيه.(٢)

تحريم الخمر:-

حرّم الله سبحانه الخمر على الأمة الإسلامية بالتدريج على مراحل لحكم يعلمها تبارك وتعالى منها ما استأثر به في علم الغيب ومنها ما أطلع عليه البشر.

وقد علل صاحب التفسير الكبير تلك الحكمة في التدرج لتحريم الخمر فقال "إن الله سبحانه قد علم أن القوم قد الفوا شرب الخمر في الحياة الجاهلية، وكان إنتفاعهم بها كثيراً فعلم سبحانه أنه لو منعهم دفعة واحدة لشق عليهم"(٣)، لذلك إستعمل التدرج في التحريم وكان كالآتي:

المرحلة الأولى:

أخبر سبحانه وتعالى أن الإنسان يستطيع أن يتخذ من ثمرات النخيل والأعناب سكراً وأيضاً رزقاً حسنا، وبذلك أراد أن يشعر الأمة أن الرزق الحسن شيء طيب جميل مباح، وأن السكر شيء آخر منافي للرزق الحسن. قال تعالى "***ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إنّ في ذلك***

---

(١) أخرجه الترمذي ج:٥ ، ك:العلم، باب:١٩ (فضل الفقه على العبادة) ص:٥١ ، حديث رقم:٢٦٨٧ ، ابن ماجه ج:٢ ، ك:الزهد، باب:١٥ (الحكمة) ص:١٣٩٥ حديث رقم:٤١٦٩ .

(٢) انظر لسان العرب، ج:٤ ، ص:(٢٥٤-٢٥٦) وايضاً تفسير القرطبي مجلد:٢ ، ص:٨٥٩ وتفسير زاد المسير، مجلد:١ ، ص:٢١٦ وأيضا تفسير المنار، مجلد:١ ، ص:٣٢٣ .

(٣) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، مجلد:٣ ، ج:٦ ، ص:٤٣ .

لآية لقوم يعقلون".(١)

المرحلة الثانية:

تسمى هذه المرحلة بمرحلة يقظة الضمير الإنساني وتحريك الوجدان الديني من خلال استعمال المنطق التشريعي لتربية المسلمين، عندما أوضح سبحانه أن في الخمر إثماً ونفعاً، ولكن الإثم فيها أكبر من النفع وما دام الأمر كذلك فمن باب أولى تركها؛ ونزل في سورة البقرة قوله تعالى "**يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما**".(٢)

المرحلة الثالثة:-

أمر سبحانه في هذه المرحلة بعدم الإقتراب منها في أوقات الصلاة، وأوقات الصلاة الخمس شاملة لمعظم النهار وفي ذلك كسر لعادة شرب الخمر عند الناس حتى يسهل تحريمها في المرحلة القادمة، والخمر بينها وبين الصلاة تنافر كلي، وأوقات الصلاة متقاربة بحيث لا يكفي ما بينهما من وقت للسكر ثم الإفاقة وفي ذلك تضييق لعادة الشرب والإدمان.(٣)

قال تعالى "**يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون**".(٤)

المرحلة الرابعة:

نزلت الآيات القرآنية بتحريم الخمر نهائياً وكان ذلك في العام الثالث من الهجرة بعد معركة أحد، حيث نزل قوله تعالى "**إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه**"(٥). حيث كانت النفوس مهيئة تماماً لتحريم الخمر، والكل يقول اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً، والناس يرتقبون من ينادي في المدينة "أن الخمر حرّمت" . وعند سماع هذا النداء استجابوا لتحريمها فمن كان في يده كأساً من الخمر سكبها ومن كان في فمه جرعة مجّها وأصبح الأمر كأن لم يكن سكر ولا خمر.

هكذا حُرّمت الخمر في المجتمع الإسلامي بآيات من القرآن، بينما المجتمعات الهاربة عن الله حاولت تحريم الخمر بوسائل دعائية وقضائية ولم تفلح في تحريمها وعلى رأس تلك المجتمعات المجتمع الأمريكي والسويدي.

---

(١) سورة النحل الآية: ٦٧ .

(٢) سورة البقرة الآية: ٢١٩ .

(٣) انظر تفسير القرطبي، مجلد:٢ ، ص:٨٦٠ وأيضاً في ظلال القرآن، مجلد:١ ، ص:(٥٦٩) و ص:(٢٢٩).

(٤) سورة النساء الآية: ٤٣ .

(٥) سورة المائدة الآية: ٩٠ .

ولخص عمر بن الخطاب مراحل تحريم الخمر بما رُوي عنه حيث قال: لما نزلت تحريم الخمر قال عمر: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت الآية التي في البقرة "يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير" قال: فَدعي عمر فقرئت عليه قال: اللهم بيّن لنا في الخمر بيانا شفاءً فنزلت الآية التي في النساء "يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى" فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقيمت الصلاة ينادي، ألا لا يقربنّ الصلاة سكران، فدُعي عمر فقرئت عليه، فقال اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شفاءً، فنزلت الآية فهل أنتم منتهون قال: عمر انتهينا".(١)

حد شارب الخمر:

الحد على شارب الخمر ثابت بسنّة النبي صلى الله عليه وسلم وبإجماع المسلمين فقد جاء في الحديث الشريف عن ابن عمر ونفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من شرب الخمر فاجلدوه، ثم إن شرب فاجلدوه ثم إن شرب فاجلدوه".(٢)

وثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب في الخمر أربعين جلدة وعمل بذلك أبو بكر في خلافته، وضرب عمر في خلافته ثمانين جلدة، وضرب أخرى أربعين وإزاء ذلك اختلف العلماء، فمنهم من قال بضرب الثمانين ومنهم من قال الواجب أربعون جلدة والزيادة تكون من باب التعزير يفعلها الإمام حسب ما يراه مناسباً.

والراجح في هذه القضية ما عليه الإمام الشافعي وأحمد رضي الله عنهما، أن حدّ شارب الخمر أربعون جلدة والزيادة تكون عقوبة تعزيرية.(٣)

ويقاس على شُرب الخمر، شُرب الحشيشة بالجلد، لأن الحشيشة أخبث من الخمر في إفسادها للعقل وتعكيرها مزاج شاربها حتى أنه يفقد المروءة والرجولة وتظهر عليه علامات التخنث والجبن والدياثة وفيها صدٌ عن ذكر الله كما في الخمر.(٤)

---

(١) أخرجه الترمذي ج:٥ ، ك:تفسير القرآن ، باب:٦ (من سورة المائدة) ص:٢٥٣ حديث رقم ٣٠٢٩ وأبو داود ج:٢ ، ك: الأشربة،باب:١ (في تحريم الخمر) ص: (٢٩١ ، ٢٩٢).

(٢) أخرجه النسائي ج:٨، ك:(الشرب) باب:٤٤ (ذكر الروايات المغلظات في شرب الخمر)،ص:٨١، جزء من حديث.

(٣) انظر السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص:(٩١،٩٢).

(٤) انظر الضياء اللامع، ص:٢٨٣ وأيضاً السياسة الشرعية، ص:٩٤ .

شروط إقامة الحد:-

إشترط العلماء لإقامة الحد على شارب الخمر والمخدرات الشروط الآتية:

أ- أن يكون الشارب مسلماً بالغاً عاقلاً.

ب- أن يكون الشارب مختاراً غير مكره على شربها قال تعالى "*فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه*.(١)

ج - أن يكون الشارب للخمر عالماً بتحريمها في الشرع.

عدم التداوي بالخمر:

التداوي بالخمر حرام في الشرع وقال بذلك الأئمة الأربعة وذلك لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة، النهي عن التداوي بما حرّمه الله علينا والخمر من المحرمات ولا يجوز التداوي بها.

ذكر طارق بن سويد أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه، ثم سأله فنهاه فقال له يانبيّ الله، إنها دواء، قال: صلى الله عليه وسلم "لا ولكنها داء".(٢)

وجاء النهي في حديث أم الدرداء عن أبي الدرداء* قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكلّ داء دواء، فتداووا ولا تداووا بحرام".(٣)

مضار الخمر:-

للخمر مضار عديدة وتدخل أضرارها في جوانب متفرقة نوضحها في الآتي:

أ- مضار الخمر النفسية والإجتماعية والخلقية:-

إن الخمر والإدمان عليها يسبب صفات ذميمة وعادات قبيحة عند المدمن عليها، لأن شارب الخمر من السهل عليه الكذب والإستهانة بالقيم والأخلاق والمثل العليا، وسرعان ما يندفع إلى ارتكاب الجرائم، كالقتل والسرقة وارتكاب الفواحش كالزنا وغيره، كما أنه يُصاب بتمييع الخُلق وضعف في الإرادة والذاكرة ولا يشعر بالمسؤولية والواجب نحو خالقه تبارك وتعالى أو نفسه وأهله ووطنه الذي يعيش فيه ويأكل من خيراته.(٤)

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٧٣ .

(٢) الدارمي ج:٢ ، ك:الأشربة، باب:٦ ، ص:٣٨ ، رقم:٢١٠١ ،إبن ماجة ج:٢ ك:الطب، باب:٢٧ ص١١٥٧ رقم:٣٥٠٠

(٣) ابو داود، ج:٢ ، ك:الطب ، باب:(الأدوية المكروهة) ص:٣٣٥ .

(٤) انظر تفسير محاسن التأويل، ج:٣ ، ص:٥٥٣ .

* أبو الدرداء: هو عويمر بن عامر بن مالك بن يزيد بن أمية من الخزرج، كان فقيهاً عاقلا حكيما، آخى رسول الله بينه وبين سلمان الفارسي شهد ما بعد أحد من المشاهد، وشهد له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله "عويمر حكيم أمتي" روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وولى قضاء دمشق اثناء خلافة عثمان وتوفي قبل مقتل عثمان بسنتين. انظر الإصابة ٤/(٧٤٧،٧٤٨) رقم:٦١٢١ ، وأسد الغابه ٦/٩٧،٩٨ ترجمة رقم: ٥٨٥٨ وحلية الأولياء، ١/(٢٠٨،٢٢٧) رقم: ٣٥ .

ب - أضرار صحية وعقلية:-

لقد إعترف العديد من الأطباء أن للمخدرات مضاراً على عقل الإنسان فتضعف الذاكرة كما أنها تضعف ملكة الضمير وتذهب حياء الإنسان وهذا من أخطر الأمراض الإجتماعية، فما قيمة الإنسان إذا مات ضميره وذهب منه الحياء، فحينئذ من السهل أن يقع شارب الخمر في الزنا واللواط وكبائر الفواحش والإثم.

اضافة الى ذلك فإنها تفقد شاربها الشهية إلى الطعام، وتسبب آلاماً خطيرة في الجهاز الهضمي، كما أنها تؤدي إلى تصلب في الأنسجة الجسمية والشرايين، وتفسد خلقة الإنسان الخارجية حيث تجحظ العيون وتتمدد البطون عند مدمنيها وتسرع في ظهور السل الرئوي وتقرح الأمعاء.(١)

وجاء في مجلة هدي الإسلام، أن معهد الإحصاء القومي في فرنسا قرر "أن الخمور تقتل من الفرنسيين أكثر مما يقتل مرض السل ففي عام ١٩٥٥ مات سبعة عشر ألفاً من الفرنسيين من شرب الخمر وتأثيراتها، بينما لم يمت في العام نفسه من السل سوى اثني عشر ألفا.(٢)

وأوضح المفسرون بعض المضار الأخرى للخمر نجملها في الآتي:.(٣)

١- أنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، لأن قلب صاحبها معلق بها ودوماً يفكر فيها وبالتالي ينسى ذكر الله والصلاة.

٢- تفسد العقل والإدراك عند السكر، فيقوم شاربها بأعمال مخلة للأداب ولا تليق بآدمية الإنسان.

٣- توقع العداوة والبغضاء بين شاربيها والمعاشرين لهم في البيت أو في مكان العمل.

٤- شارب الخمر قد يبوح بأسراره، وهذا يولد مضرات كثيرة، ولا سيما إذا كان السر يتعلق بالحكومة وسياسة الدولة ومصالحها الأمنية والعسكرية، ويعتمد عليها الجواسيس لإفساد أخلاق الشباب وتنظيمهم لصالح الأعداء، أعداء الله والأمة والوطن.

٥- مهلكة للنقود، ومدمرة للبيوت، فالخمر تستهلك المال وتُنهي الثروة، وذلك لكثرة أنواعها ومسمياتها فمنها الغالي الثمن ورغم ذلك تعج بها بيوت الفسق، فترى بيوت الخمر تجمع فيها النساء والراقصات والمغنيات ويدخلها الشباب زرافات حتى ليخسر الواحد منهم المئات والألوف في الليلة الواحدة.

---

(١) انظر نماذج تربوية من القرآن الكريم، ص:٣٩ وايضاً الضياء اللامع من الخطب الجوامع، ص:٢٨٢، وانظر الإسلام، ص:٦٥٥ .

(٢) انظر مجلة هدى الإسلام، عدد:١ ، ص:٨ .

(٣) انظر تفسير المنار، مجلد:٢ ، ص:(٣٢٧،٣٢٨) وأيضاً في ظلال القرآن مجلد:٢ ، ص:٩٧٦ وايضاً تفسير محاسن التأويل ج:٣ ، ص:٥٥٣ وأيضاً مجلة الوعي الإسلامي، عدد:٣١٠ ، ص:٩٥ .

لكل ذلك كان تحريم الخمر نعمة كبرى، أنعم الله بها على العباد ويا ليت قومي يفقهون حقائق التشريع الإسلامي.

ثانياً- الميسر:-

الميسر في اللغة،مصدر يعني القمار وهو مشتق من الثلاثي يَسَر ويعني اليُسر والسهولة، وأطلق على القمار لأنه كسب بلا مشقة يأخذه المقامر من غيره بدون بذل الجهد والتعب. وقيل ان الميسر مشتقة من اليسر بمعنى التجزئة فيقال، يَسروا الشيء إذا اقتسموه بينهم فأصبح أجزاء وتفاريق.(١)

حُكم الميسر:

الميسر حرام في الشرع كتحريم الخمر والأنصاب والأزلام لأنه جاء مرتبطاً معها في الآية الكريمة، فهي جميعها على حد السواء في التسبب بالفساد الاجتماعي في المجتمع.

قال تعالى "*يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون*".(٢)

الحكمة في تحريم الميسر:-

١- حرم الله الميسر لكي يعتاد الإنسان على الكسب الحلال الطيب ويبتعد عن الحرام في الكسب.

٢- إن مال المسلم له حرمة فلا ينبغي للآخرين أن يأخذوه إلا بحقه وبالطرق المشروعة وعن طيب نفس وأخذه بالحرام باطل.

٣- القمار يورث العداوة والبغضاء كالخمر بين المتقامرين وإن أظهروا الرضى باللسان فهم حاقدون على بعضهم البعض.

٤- الميسر مضيعة للوقت حيث يسهر المتقامرون الليالي الطوال على موائد القمار.

٥- الميسر خطر على المجتمع لأن المتقامرين يتعطلون عن العمل والإنتاج.(٣)

المطلب الثالث: التحذير من تناول الميتة والدم ولحم الخنزير

تضمّن المنهج القرآني الحلال والحرام في الأطعمة حينما وجه النداء إلى الناس كافة بأن يأكلوا مما في الأرض حلالا طيبا. قال تعالى "*يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين*".(٤)

---

(١) انظر لسان العرب، ج:٥ ، ص:(٢٩٨،٢٩٩) وايضاً تفسير القرطبي مجلد:٢ ، ص:٨٦١ وايضاً تفسير المنار، مجلد:٢ ، ص:٣٢٤ وايضاً محاسن التأويل ج:٣ ، ص:٥٥١ وأيضاً تفسير الرازي مجلد:٣ ج:٦ ص:٤٨ .

(٢) سورة المائدة الآية: ٩٠ .

(٣) انظر الإسلام في حياة المسلم ص:٣٦٩ والحلال والحرام في الإسلام، ص٢٩٦ .

(٤) سورة البقرة الآية: ١٦٨ .

ثم خاطب المؤمنين بصفة خاصة بأن يأكلوا من طيبات ما رزقهم الله، و يشكروا الله على ما رزقهم من النعم التي لا تعد ولا تحصى.

قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون".(١)

وأوضح القرآن الكريم بعض المحرمات من الأطعمة رحمة بالأمة لأنه سبحانه أعلم بما يضر وينفع بمصلحة الناس قال تعالى "إنما حرّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ به لغير الله فمن اضطرّ غير باغ ولا عادٍ فلا إثم عليه إنّ الله غفور رحيم".(٢)

ثم جاء في سورة الأنعام التأكيد على حرمة هذه الأصناف لأن في تناولها ضرراً بالغاً بحياة الإنسان، قال تعالى "قل لا أجد فيما أوحي إليّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أُهلّ لغير الله به، فمن اضطرّ غير باغ ولا عاد فإنّ ربك غفور رحيم".(٣)

وأخيراً فصّل القرآن الكريم في توضيح أنواع الميتة في سورة المائدة فقال تعالى "حُرّمت عليكم الميتةُ والدمُ ولحمُ الخنزير وما أُهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكّيتم وما ذُبح على النُصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلاتخشوهم واخشون، اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً".(٤)

إزاء ذلك ينبغي على المسلم أن يلتزم في مأكله ومشربه الآداب الإسلامية التي تنبع من روح الشريعة، لكي يصلح حاله وحال من يعولهم، وأهم هذه الآداب الآتي:-

١- أن يستطيب طعامه وشرابه، بأن يحضرهما من الحلال الطيب الخالي من شوائب الحرام أو مما فيه شبه الحرام.

٢- أن يجعل الهدف الأساسي من مأكله ومشربه التقوية على عبادة الله، لكي يُثاب على ما يأكله ويشربه إذا إبتغى به التقوية على الطاعات.

٣- أن يلتزم الحلال والحرام في المأكل والمشرب فما أحلته الشريعة الإسلامية فهو حلال وما حرمته فهو الحرام.

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٧٢ .

(٢) سورة البقرة الآية: ١٧٣ .

(٣) سورة الأنعام الآية: ١٤٥ .

(٤) سورة المائدة الآية: ٣ .

الحكمة من تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير:-

أولا- الميتة، تعريفها:

الميتة هي ما أدركه الموت من الحيوانات والطيور، ويعني إصابته بالذبول وذهاب القوة منه وفناء الحياة، وإصابتها بالعفن وفساد التركيب.

فهي خبيثة لنزع الروح منها بلا مطهّر من الذبح على إسم الله، واستثنى الشارع الحكيم منها ميتة البحر لأن أصله الماء المطهر، الذي لا يؤثر فيه النجاسة، وقالوا أيضاً لا يؤثر نزع الروح فيما حصل منه، وكذلك الجراد لأنه حصل بدون توالد ولا يخبث في ذاته كسائر الحيوانات.(١)

الحكمة من تحريمها:-

١- حرمت الميتة على المسلم لأنه يغلب عليها المرض المزمن أو علة طارئة أدت إلى فسادها، كأن أكلت نباتاً ساماً ففي هذه الحالة تناولها يُضر بالصحة ويفتك بجسم الإنسان.

٢- حرمت الميتة لكي يتعود المسلم القصد والإرادة والنية في أفعاله فحينما يذكي على الذبيحة يكون أحرز كل ذلك.

٣- ليحرص الإنسان على ما يملكه من حيوان فلا يدعه فريسة للمرض حتى يموت فلا ينتفع به بل عليه أن يسرع في معالجته وتوفير سبل العيش له.

٤- تحريمها فيه إتاحة للحيوانات الأخرى أن تعيش عليها عندما تقتات عليها.

ثانياً: الدم:

أ- الدم المسفوح - السائل - تعافه النفس الإنسانية وتستقذره لأنه مكان تجمع للجراثيم التي تسبب الأمراض العديدة.

ب-تناوله يزيد القوة الغضبية والشهوية في النفس البشرية فتصبح لا فرق بينها وبين الحيوانات المفترسة.(٢)

ثالثاً: لحم الخنزير:

يعتبر لحم الخنزير من أشد المحرمات للحكم الآتية:

أ- حرم لحم الخنزير لأن النفس لا ترغبه، ولأنه يتغذى على القذورات والنجاسات، وأثبت الطب الحديث أنه يسبب الدودة الشريطية عند الإنسان التي تُسبب له أعراضاً كثيرة كالمغص المعوي والإسهال الشديد والقيء، وتُفقده الشهية إلى الطعام وتُسبب آلاماً في الرأس، واضطراباً في التفكير.

---

(١) انظر محاسن التأويل للقاسمي ج:٣ ، ص:٣٨١ . (٢) انظر محاسن التأويل ج:٣ ، ص ٣٨٢ .

ب - قال بعض الباحثين أن المداومة على أكل لحم الخنزير يورث ضعف الغيرة على الأعراض، لان الأطعمة والأشربة لها التأثير القوي على نفس الإنسان، فمن طبائع الخنزير أنه يمتاز بالبلادة وغلظة الطبع فلحمه يؤثر على آكليه بتلك الطباع.(١)

لكل هذه الحكم مجتمعة حرمت هذه الأطعمة، لان تناولها يعود بالمضار الإجتماعية على الفرد والمجتمع، وأكد صلى الله عليه وسلم تحريمها، حيث جاء في الحديث الشريف عن جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح وهو بمكة "إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، فقيل يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس؟ قال: لا هو حرام، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قاتل الله اليهود، ان الله حرّم عليهم الشحوم فأجملوه، ثم باعوه فأكلوا ثمنه".(٢)

فائدة:-

١- يؤخذ من ذلك التحريم أن الإسلام لم يأت لإصلاح الروح فقط بل لإصلاح الروح والجسم معاً، فلم يترك ضاراً لأحدهما إلا نبّه عليه حتى يتم الابتعاد عنه واجتناب ما يسبب من الضرر.

٢- نقل صاحب تربية الأولاد في الإسلام عن مجلة طبيبك الآتي:-

لقد أثبت الباحثون أن اللحوم تحتوي على مواد من شأنها أن تنقل إلى آكليها صفات الحيوانات نفسها فقالوا أن الأنجليز مغرمون بأكل الأسماك الباردة ولهذا طباعهم باردة، والفرنسيون مغرمون بلحم الخنزير، فهم متصفون بعدم الغيرة على أعراضهم، أما عرب البادية التي تعتاش على لحوم الجمال فهم يتصفون بالصبر والحقد على أعدائهم، وأهل المدن الذين يعتادون على أكل لحوم الغنم فمن السهل قيادتهم.(٣)

٣- يؤخذ من النصوص السابقة أن الإسلام دين يسر لا عسر فيه ولا حرج حيث أنه رفع حكم التحريم عن المضطر إذا ألجأته الضرورة لتناول ذلك.

فقال تعالى "*فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه*".(٤)

وقال المفسرون غير باغ أي غير طالب له وغير راغب فيه، ولا عاد أي في حدود سد الرمق ورفع الضرر.(٥)

---

(١) انظر جامع العلوم والحكم، ص:٥٠٢ وأيضاً الإسلام، ص:٦٥٧ والحلال والحرام في الإسلام ص:٤٦ وأيضاً تربية الأولاد، ج:٢ ، ص:٩٥٣ .

(٢) فتح الباري ج:٦ ، ك: الأنبياء، باب ٥٠ (ما ذكر عن بني اسرائيل) ص:٤٩٦ حديث رقم: ٣٤٦٠ وأخرجه مسلم ج:٣ ك:المساقاه باب ١٣ ص:١٢٠٧ رقم:(٧٢،٧٤).

(٣) انظر تربية الأولاد في الإسلام، ج:٢ ، ص:٩٥٤ .

(٤) سورة البقرة الآية: ١٧٣ . (٥) انظر تفسير محاسن التأويل ج:٣ ، ص:٣٨٣ .

المطلب الرابع: التحذير من المنافقين ومفاسدهم الإجتماعية

جاء التحذير من المنافقين في سورة البقرة بصفة خاصة وسور القرآن بشكل عام، لأنهم يشكلون خطراً على المجتمع الإسلامي بحربهم للإسلام من الداخل، فهم اشد خطورة من الكافرين.

قال تعالى "*هم العدوّ فاحذرهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون*"(١). فهم العدو الخطير لأنهم اشتركوا مع الكافرين في العداوة والكيد لله ولرسوله وللمؤمنين، وزادوا عليهم الكذب والنفاق لذلك فهم اشد خطورة علينا من الكفار.(٢)

ونبّه القرآن إلى خطورتهم قال تعالى "*إنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار*"(٣). فهم في أسفل النار لشدة ضررهم على المجتمع.

وهم مصابون بمرض الكيد والحسد للشرفاء والأبرار من أبناء المجتمع قال تعالى "*في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون*".(٤)

يظهر المنافقون مع بداية إقامة السلطة للإسلام في المجتمع، أي مع ميلاد المجتمع الإسلامي، وهو أمر معهود من أصحاب النفوس الضعيفة التي تخاف وتخشى من سلطة الإسلام، فيظهرون الإسلام ولكنهم في قرارة أنفسهم يبطنون الكفر والعداء ولا يجرؤون على المصارحة في إظهار ما تخبيء نفوسهم.(٥)

وهذا يعطي مؤشرا على مدى خطورة المرض الإجتماعي الذي جبلت عليه نفوسهم فذكرتهم السورة في العديد من الآيات ليجتنبهم المؤمنون ويحذروا من مفاسدهم وشرورهم التي تؤدي إلى تفريق وحدة المجتمع وإضعافه وذهاب قوته.

وطالب القرآن الكريم المؤمنين في بداية الأمر بأن يتريثوا مع المنافقين ويكتفوا بما يُعلنه القرآن عليهم من الحرب المشحونة بالتهديد والوعيد بالعذاب الأليم، لانهم يحاربون الإسلام ويؤذون الله ورسوله والمؤمنين بأقوالهم وأفعالهم التي هي التجسيد الحي لما في نفوسهم من مرض خطير.

مفاسدهم الإجتماعية:

١- الإدعاء بالصلاح والإيمان:-

المنافقون ديدنهم التزين بالصلاح والإيمان وباقي الصفات الحسنة في اي عصر من العصور، لكي ينفوا عن أنفسهم الصفات القبيحة التي جبلوا عليها.

---

(١) سورة المنافقون الآية: ٤ .
(٢) انظر الولاء والبراء ، ص:٢٠٦ .
(٣) سورة النساء الآية: ١٤٥ .
(٤) سورة البقرة الآية: ١٠ .
(٥) انظر الدين والدولة من توجيه القرآن، ص:٣٥٠ .

ولكن السورة كشفت الغطاء عنهم وأظهرت حقيقتهم أمام الناس بنزول الآيات القرآنية التي تتلى إلى يوم القيامة قال تعالى "*وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون*".(١)

فإذا نهوا عن الفساد في المجتمع، زعموا أنهم هم المصلحون والسابقون على غيرهم في مجال الإصلاح، فردّ القرآن الكريم عليهم دعواهم الباطلة الكاذبة بأسلوب يحصر فيهم الفساد وحدهم لما جمعوا من الصفات الذميمة كالإستهزاء والخداع والتغرير بالمؤمنين.(٢)

فهم خواء من الإيمان، ولو عَمر الإيمانُ قلوبَهم حقاً لما كانت مواقفهم سلبية، تُعيق عجلة تقدم المجتمع وإزدهاره في مجالات الحياة، وخاصة في مجال الدعوة والفتوحات.

قال تعالى "*وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون، وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنما نحن مستهزئون*".(٣)

٢- موالاتهم لأهل الكتاب:

لقد طعن المنافقون الإسلام الطعنة النجلاء بموالاتهم لليهود والنصارى في المدينة المنورة والتنسيق معهم ضد المسلمين، وكشف الله صنيعهم الفاحش في عدة مواطن من آيات القرآن الكريم نذكر منها الآتي:-

قال تعالى "*ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا، وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون*".(٤)

ونهى تبارك وتعالى المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى فخالف المنافقون الأمر الإلهي، قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين".(٥)

وقال تعالى "*يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور*".(٦)

وأوضح تبارك وتعالى عن عدم الموالاة لأهل الكتاب لانهم يتخذون الإسلام هزواً ولعباً.

---

(١) سورة البقرة الآية: (١١،١٢).

(٢) انظر المنافقون في القرآن الكريم، ص:(٥١،٥٢).

(٣) سورة البقرة الآية: (١٣،١٤). (٤) سورة الحشر الآية: ١١ .

(٥) سورة المائدة الآية: ٥١ . (٦) سورة الممتحنة الآية: ١٣ .

قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين".(١)

٣- العمل على إضعاف الصف المسلم:-

لقد نزلت سورة بكاملها تتحدث عن المنافقين وتكشف كيدهم المُبيت ليلا ونهارا لإضعاف المؤمنين وتخذيلهم، قال تعالى "هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضّوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لايفقهون".(٢)

وخذلوا المسلمين في مواقع متعددة منها معركة أحد حيث انسحبوا من الصف الإسلامي بثلث الجيش لإضعافه أمام الأعداء، وكشفوا أسرار المسلمين للمشركين، وجاء ذلك واضحاً في قوله تعالى "وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضّوا عليكم الأنامل من الغيظ، قل موتوا بغيظكم إنّ الله عليم بذات الصدور، وإن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم".(٣)

وجاء التآمر الخطير منهم لإضعاف المسلمين واضحاً في سورة التوبة قال تعالى: "لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة، وفيكم سمّاعون لهم والله عليم بالظالمين. لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلّبوا لك الأمور، حتى جاء الحق، وظهر أمر الله وهم كارهون".(٤)

٤- تحاكمهم إلى الطاغوت:-

إن المنافقين يرفضون التحاكم إلى شرع الله ويحتكمون إلى الطاغوت في حياتهم، لأنه يحقق رغباتهم وينسجم مع أهوائهم ونفوسهم المريضة.

قال تعالى "ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أُمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أُنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا".(٥)

٥- الإفساد في الأرض:-

إن المنافقين يسعون في الأرض فساداً عن طريق بث الشر، وإيقاذ الفتن بين الناس والحروب المدمرة وخاصة إذا تولى الأمر واحد منهم فأصبح يملك من وسائل الهدم والتخريب بدلا من البناء والإعمار.

---

(١) سورة المائدة الآية: ٥٧ .
(٢) سورة المنافقون الآية: ٧ .
(٣) سورة آل عمران الآية: (١١٩،١٢٠).
(٤) سورة التوبة الآية: (٤٧،٤٨).
(٥) سورة النساء الآية: (٦٠،٦١).

قال تعالى "ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهد الله على ما في قلبه وهو ألدّ الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد".(١)

جاء في سبب نزول هذه الآيات أنها نزلت في الأخنس بن شريق حيث أنه أعلن اسلامه وأنه من المخلصين ويحلف بالله على ذلك إلا أنه كان منافقاً يجيد حسن العلانية وباطنه خبيث يضمر الفساد والإيقاع بالمسلمين.(٢)

وقال صاحب المنار في تفسيره للآيات أن المراد بالحرث والنسل النساء واستشهد بقوله "نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم"(٣). والنسل هم الأولاد، وهل المراد نساء الناس عامة أم نساء المفسدين وأولادهم خاصة؟

الراجح أن المفسدين يطمحون بأبصارهم الى نساء الناس ويسعون في الأرض بإفساد البيوت وإشعال نار الفتن بإهلاكهم الحرث والنسل عن طريق سفك الدماء والبطش بالمؤمنين وتعذيبهم في السجون أو التضييق عليهم في سبل العيش بمصادرتهم للأموال أو قطع آمال العاملين، فلا يحصلون على ثمرات عملهم وفوائد مكاسبهم في هذه الحياة.(٤)

ونقرر أن الآيات تتحدث عن المنافق بصورة خاصة ونجزم بذلك، لأنها جمعت خمس خصال من صفات المنافقين وهي كالآتي:

١- يعجبك قوله إذا تحدث وتشعر أنه يدخل إلى القلب لما فيه من التأكيد بأنه صادق وهو في حقيقة الأمر كاذب إلا أنه يجيد طريقة الكذب.

٢- "يشهد الله على ما في قلبه"، جاء في تفسيرها أنه يحلف ويشدد في الأيمان على صدق دعواه، قال تعالى "إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون".(٥)

٣- ألدّ الخصام للمؤمنين:

والمقصود به الذي يجيد الجدال بالباطل ويفعل المعاصي بدون وجل أو خوف فهو جاهل في عمله عالم بلسانه وينطبق ذلك على المنافقين.

٤- يوقع الفتن بين الناس: يعمل جاهداً على نشر الخلاف والفرقة بين الناس، فيفرق كلمتهم ووحدتهم وبالتالي تنقطع الأرحام وتسفك الدماء.

---

(١) سورة البقرة الآية: (٢٠٤،٢٠٥)

(٢) انظر تفسير الرازي، مجلد:٣ ج:٥ ، ص:٢١٣ .

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٢٣ .

(٤) انظر تفسير المنار مجلد:٢ ، ص:٢٤٨ .

(٥) سورة المنافقون الآية:١ .

٥- لا يسمع النصيحة:- إذا قيل له اتق الله يتكبر بغير الحق ويلازمه الكذب وذلك لأن المرض استحوذ على قلبه نتيجة الكفر والجهل والنفاق.(١)

هدف المنافقين السعي لتدمير العلاقات الاجتماعية بين الناس بنشر الفساد لكي يصبح المجتمع في حيرة واضطراب وتفكك لذلك ذكرت السورة هذا الفريق من الناس ومساوئهم الاجتماعية العائدة على المجتمع بالخراب والدمار، لكي نحذرهم ولا يكون لهم أيّ سبيل على المؤمنين.

المطلب الخامس :التحذير من المفاسد الإجتماعية لأهل الكتاب

إن اليهود من طبيعتهم الخداع والغدر بالمسلمين منذ زمن بعيد وإلى يومنا هذا، فهم يحادون الله ورسوله ويكيدون للإسلام منذ أن ظهرت دعوة الإسلام في الجزيرة العربية وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ونفوسهم خربة وطبيعتهم ملتوية ولن تستقيم أبداً لأنها جُبلت على الذلة والمهانة والعداء للمسلمين، وكان ذلك بسبب الفساد الإعتقادي عند يهود، لأنهم لم يثبتوا يوماً على حقيقة التعاليم الإلهية التي جاءت في التوراة، فحرفوها وفق ما تستحسنه طبيعتهم الملتوية ونفوسهم المريضة.

قال تعالى "**فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيدهم وويل لهم مما يكسبون**".(٢)

النص واضح كل الوضوح في الكشف عن سوء أدبهم مع الله حيث يحرفون كلام الله عن مضمونه الأساسي في التوراة، لينفوا ما جاء فيها من دلائل قاطعة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة رسالته إلى الناس جميعاً.

وأوضح القرآن الكريم إلى جانب تحريفهم لكتاب الله سوء أدبهم مع النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا سمعنا يا محمد ما تقول ولكننا عصينا! فلا نطيعك في معروف.

قال تعالى "**من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مُسمع وراعنا ليّا بألسنتهم وطعنا في الدين، ولو أنهم قالوا سمعنا وأُطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم**".(٣)

---

(١) انظر تفسير الرازي مجلد:٣ ، ج:٥ ، ص:٢١٥ وأيضاً تفسير القرطبي،مجلد:٢ ، ص:٨٢٥ وأيضاً تفسير المنار، مجلد:٢ ، ص:(٢٥٠،٢٥١) وأيضاً في ظلال القرآن، مجلد:٢ ، ص:٧٨١ .

(٢) سورة البقرة الآية: ٧٩ .

(٣) سورة النساء الآية: ٤٦ .

موقفهم من دعوة الإسلام:-

أراد صلى الله عليه وسلم لهم الهداية والخير بأن يتبعوا دين الله، فخاطبهم بقوله تعالى "قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً اربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون".(١)

رغم الوضوح في دعوة الإسلام لهم إلى الشريعة السمحاء إلا أنهم أرادوا إقناع المؤمنين باليهودية أو النصرانية قال تعالى "وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين".(٢)

ويجيبهم القرآن الكريم بأن يلتزموا صبغة الله ودعوة الأنبياء والمرسلين، دعوة الإسلام منذ آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى "قولوا آمنّا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون".(٣)

وعتوا في أنفسهم عتوا كبيرا، وادّعوا أن ابراهيم وما جاء من نسله من الأنبياء كانوا يهودا أو نصارى، فردّ عليهم القرآن الكريم هذا الإدعاء والإفتراء الباطل بقوله تعالى "أم تقولون إن ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى، قل أأنتم أعلم أم الله، ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عمّا تعملون".(٤)

ويناقشهم القرآن في حقيقة نبوة إبراهيم واسماعيل ويوضح أنهما يدعوان إلى الإسلام، قال تعالى "وإذ يرفع ابراهيمُ القواعد من البيت واسماعيلُ ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمةً مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم".(٥)

وكانت وصية ابراهيم ويعقوب إلى ذراريهم أن يلتزموا دعوة الإسلام.

قال تعالى "ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنيّ إنّ الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون، أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت، إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الهاً واحداً ونحن له مسلمون".(٦)

ولكن يهود الماضي والحاضر لم يلتزموا بهذه الوصية وأبَوْا على أنفسهم إلّا أن يعادوا الإسلام والمسلمين ويحرفوا تلك الوصايا التي هي من أنبيائهم.

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٦٤ . (٢) سورة البقرة الآية: ١٣٥ .(٣) سورة البقرة الآية: ١٣٦ .
(٤) سورة البقرة الآية: ١٤٠ .(٥) سورة البقرة الآية:(١٢٨،١٢٧) (٦) سورة البقرة الآية: (١٣٢،١٣٣).

مفاسد بني اسرائيل الإجتماعية:-

تطرقت سورة البقرة الى ذكر قصة بني اسرائيل فأطالت الحديث عنهم، وركّزت على شرح مفاسدهم الإجتماعية التي غرقوا بها، وذلك ليتسنى للمسلمين معرفتها لكي يبتعدوا عنها، لأن القصص القرآني جاء للعبرة والعظة والإستفادة مما حدث مع الأنبياء وأقوامهم، وقصة بني اسرائيل من تلك القصص وكان التركيز عليها في سورة البقرة أكثر من سور القرآن الأخرى لأنهم عاشوا وسط المجتمع الإسلامي في المدينة، ولعلم الله سبحانه المطلق بأن بني اسرائيل يستفحل عداءهم للإسلام في ارض فلسطين ارض الإسراء والمعراج وأولى القبلتين وثالث الحرمين، فهم الآن يقتلون ويبطشون ويشردون الشعب الفلسطيني من أرضه بلا هواده، تلك الأرض المقدسة المباركة قال تعالى "*سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنُريه من آياتنا إنه هو السميع البصير*".(١)

وصورت سورة البقرة مفاسدهم وعددتها وأسهبت فيها ولضيق المكان نوجزها في الآتي:

١- إفتراؤهم على الله الكذب:-

إن يهود ديدنهم الكذب والإفتراء الذي يؤدي إلى فساد اجتماعي خطير في المجتمع لأنه يقطع العلاقة والرابطة التي تربط بين الكاذب والمكذوب عليه، وبنو اسرائيل تضلعوا في الكذب حتى أصبح خلقاً لهم في تعاملهم مع الخالق عز وجل ومع الناس. فأول إفترائهم على الله قالوا بأنه اتخذ ولدا وتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. قال تعالى "*وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السموات والأرض كلٌ له قانتون*".(٢)

ثانيا – وصفوه سبحانه بالبخل والنقص وأن يده مغلولة فرّد عليهم القرآن هذا الإفتراء قال تعالى "*وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أُيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء*".(٣)

وأخيرا طلبوا بأن يروا الله جهرة حتى يؤمنوا، وقال صاحب الظلال، إن الذين طلبوا ذلك هم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام من بينهم لميقات ربه ورفضوا الإيمان إلا أن يشاهدوا الله عياناً.(٤)

قال تعالى "*وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون*".(٥)

---

(١) سورة الإسراء الآية: ١ .
(٢) سورة البقرة الآية: ١١٦ .
(٣) سورة المائدة الآية: ٦٤ .
(٤) انظر في ظلال القرآن ، مجلد:١ ، ص:٧٢ .
(٥) سورة البقرة الآية: ٥٥ .

٢- نقضهم الميثاق:-

لقد أخذ الله العهد على بني آدم منذ أن خلق آدم عليه السلام بأن يؤمنوا بالتوحيد المطلق لله فقال تعالى "**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم، ألست بربكم؟ قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة، إنّا كنا عن هذا غافلين**".(١)

ولكن بني اسرائيل نقضوا الميثاق كعادتهم لفساد نفوسهم وانحراف تصوراتهم، قال تعالى "**فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرّفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم**".(٢)

وبنقضهم الميثاق مع الله جعلهم يتجرأون بنقض الميثاق مع أنفسهم ومع الناس وبالتالي يسفكون الدماء بغير الحق وإلى اليوم يطلقون الرصاص الحي إلى صدور الأطفال العزل إلا من الإيمان والحجر الذي يقاومون به العدو المحتل للشعب والوطن.

وقال صاحب الظلال: "بأن نقض العهد والنكث بالوعد والتفلت من الطاعة سواء مع الله أو مع الناس هي سمة من سمات بني اسرائيل وذلك لأنهم اعتادوا التولي عن الحق المبين لأن نفوسهم لم تعرف التربية الإيمانية الصادقة".(٣)

٣- قتلهم الأنبياء:-

إنهم يهود الذين ضُربت عليهم الذلة والمسكنة، فعاشوا حياة الذل والعبودية والمهانة فترة طويلة إبان حكم فرعون الطاغي، الذي أنزل بهم أشد العذاب والتنكيل فكان يقتل أبناءهم ويستحي نساءهم وعندما أنجاهم الله من هذا البلاء والكرب العظيم، وفَرَق لهم البحر فكان كل فِرق كالطود العظيم، فدخلوا إلى سيناء بسلام آمنين، وبدلاً من أن يقابلوا تلك النعمة بالشكر والطاعة، فسارعوا إلى البطش بأنبيائهم وسعوا في الأرض فساداً والله لا يحب عمل المفسدين.

قال تعالى "**وضُربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**".(٤)

٤ - الكيد والحسد للمؤمنين:

لقد اعتنى القرآن المدني بصفة خاصة وسورة البقرة من أوائل ما نزل منه، بكشف ما يدفنه يهود في صدورهم من غلّ وحقد وكيد للمسلمين منذ أن نشأ المجتمع الإسلامي في المدينة وأصبحت له قوة وكيان سياسي.

---

(١) سورة الأعراف الآية: ١٧٢ . (٢) سورة المائدةالآية: ١٣ .
(٣) في ظلال القرآن، مجلد:١ ، ص:٢٦٦ . (٤) سورة البقرة الآية: ٦١ .

قال تعالى "ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردّونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق".(١)

جاء في تفسيرها: أن ودّ بمعنى تمنى، ورغب الكثير من أهل الكتاب وهم يهود المدينة ونصارى نجران الحسد للمؤمنين والحسد الذي تمنوه هو الحسد المذموم الذي يعني تمني زوال النعمة التي أنعم الله بها على المسلمين، بأن بعث فيهم رسولاً من أنفسهم، وأنزل إليهم خير كتاب وهو القرآن الكريم.

وجاء الحسد منهم بغياً وظلما فاستحقوا غضب الله عليهم الذي ينتظرهم في الدنيا والآخرة، جزاء استكبارهم وحسدهم وبغيهم على شعب فلسطين المسلم بقتلهم الشيوخ والنساء واطفال إنتفاضة الحجارة،وحصارهم للمساجد ونفيهم للأئمة والوعّاظ والخطباء والعلماء، فهو بغي ذميم وفساد كبير من يهود.(٢)

قال تعالى "ما يودّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختصّ برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم".(٣)

وما يحدث من يهود اليوم، اخبرنا به سبحانه وتعالى فلنصبر ولنحتسب إلى الله ولنعمل بمقتضى الإسلام فإنّ النصر قريب قال تعالى "لتبلونّ في أموالكم وأنفسكم ولتسمعنّ من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذىً كثيرا".(٤)

ومهما حاول المتهاونون أن يكسبوا ودّ يهود فلن يفلحوا بشيء من ذلك لأنهم لن يرضوا عن مسلم ابداً حتى يتبع ملتهم .

قال تعالى "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من وليّ ولا نصير".(٥)

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٠٩ .

(٢) انظر تفسير القرطبي ج:٢ ، ص:٧١ ،وانظر تفسير زاد المسير في علم التفسير، مجلد:١ ، ص:١١٣ وانظر في ظلال القرآن، مجلد:١ ، ص:٩٠ .

(٣) سورة البقرة الآية: ١٠٥ .

(٤) سورة آل عمران الآية: ١٨٦ .

(٥) سورة البقرة الآية: ١٢٠ .

٥- الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم:

إن التاريخ عرف بني اسرائيل بالغدر والخيانة ونقض العهود، فغدروا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونقضوا العهد معه.

هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد بيعة العقبة الثانية فوجد فيها ثلاث قبائل من يهود فعقد معهم المعاهدات ليأمن شرهم ولكي يتفرغ لمشركي قريش لأن القبائل في أنحاء الجزيرة العربية كانت تنتظر ما هو مصير محمد صلى الله عليه وسلم مع أهل قريش.

ولكن يهود خانوا العهود والمواثيق التي أبرموها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما خانوا عهودهم مع أنبيائهم من قبل وذلك لان طبعهم اللئيم وسجيتهم الماكرة جبلت على الغدر والخداع وإشعال الفتن والحروب في الأرض.

قال تعالى *"وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحبّ المفسدين"*.(١)

أ- يهود بني قَينقاع:

تآمر بنو قينقاع على رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما علموا أنه انتصر في معركة بدر على مشركي قريش، وغاظهم ذلك النصر المظفر فنكثوا العهد وغدروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وخاصة عندما قدمت امرأة من المسلمين إلى سوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ منهم فجعلوا يريدونها على كشف وجهها وهي تأبى فجاء يهودي من خلفها في سرّ منها فأثبت طرف ثوبها بشوكة إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا بها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وشدّت اليهود على المسلم فقتلوه، فطلب منهم محمد صلى الله عليه وسلم أن يكفوا عن أذى المسلمين وأن يلتزموا العهد، وإلا نزل بهم ما نزل بقريش، فاستخفّوا بوعيده وقالوا "لا يغرّنك يا محمد أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربناك لتعلمنّ أنا نحن الناس".(٢)

---

(١) سورة المائدة الآية: ٦٤ .

(٢) انظر الصارم المسلول على شاتم الرسول لأبن تيمية، ص:٦٥ ، ط:(١٣٩٨ه - ١٩٧٨م) بيروت دار الكتب العلمية وانظر، حياة محمد، ص:(٢٧٩،٢٨٠) ط:٩ (١٩٦٥) مكتبة النهضة المصرية.

فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم خمسة عشر يوماً وأجلاهم عن المدينة على أن يأخذوا النساء والذرية ولرسول الله اسلحتهم وأموالهم.

ب - يهود بني قريظة:-

تآمر يهود بني قريظة مع المشركين يوم الأحزاب بعد نقضهم العهد مع النبي صلى الله عليه وسلم، مما شجعه إلى أن يضرب عليهم الحصار فحاصرهم حتى نزلوا إلى حكم سعد بن معاذ، فكان حكمه فيهم رضي الله عنه قتل رجالهم وتقسيم أموالهم وسبي نسائهم وذرياتهم وذلك لأنهم ألّبوا الأحزاب على المدينة، ولأنهم تآمروا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم بتقديم السمّ له في إبط الشاة المطبوخة فأكل منها صلى الله عليه وسلم ولم يحصل ما أرادوا، لأن الله سبحانه أبطل كيدهم إلى نحورهم، فأخبره جبريل عليه السلام بما فيها من السمّ القاتل فامتنع عن الأكل، وتمّ حصارهم ونفذ فيهم حكم سعد، وكان صلى الله عليه وسلم يقول في مرض الموت: "ما زلت أحلمنّ الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر وهذا أوان انقطاع أبهري".(١)

ج- يهود بني النضير:-

غدروا بالمسلمين بعد معركة أحد فساعدوا المشركين ونقضوا بذلك عهدهم مع النبي صلى الله عليه وسلم فحاصرهم في عقر دارهم، وقذف الله في قلوبهم الوهن والرعب فخافوا وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم عن المدينة شريطة أنّ لهم ما تحمله إبلهم من المتاع بإستثناء آلة الحرب فأجابهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك فخرجوا من المدينة إلى بلاد الشام والبعض منهم ذهب إلى خيبر ونزل القرآن الكريم يصف ذلك المشهد بقوله تعالى "*هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار، ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار*".(٢)

---

(١) انظر الضياء اللامع، ص:٢١١ .

(٢) سورة الحشر الآية: (٢، ٣).

واستفحل عداء يهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ ذروته عندما جاءه الأمر الإلهي بالتوجه في صلاته الى المسجد الحرام وفور نزول قوله تعالى "**فلنولينك قبلة ترضاها فولّ وجهك شطر المسجدالحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإنّ الذين أُوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما تعملون**".(١)

تأثر يهود من ذلك وأخذوا بتضليل الرأي العام وإشاعة السوء بين المسلمين(٢) فرد عليهم القرآن يصفهم بالسفهاء قال تعالى "**سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**".(٣)

خلاصة القول، أن يهود يزعجهم إيجاد الدولة الإسلامية التي تحتكم إلى شرع الله، لذلك أصابهم الغيظ والذهول والإحباط عندما هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة ووضع الأسس الأولى لبناء المجتمع الإسلامي، فقام ببناء المسجد لكي يتزود المسلمون منه بتقوى الله ثم عقد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ثم عقد الوثيقة التي توضح علاقة المسلمين فيما بينهم وعلاقتهم مع غيرهم وخاصة من أهل الكتاب.

ولم يرتح يهود لذلك الإستقرار والهدوء الذي ساد المجتمع الإسلامي الجديد في المدينة وللمبادىء الإسلامية التي أعلنها صلى الله عليه وسلم فور وصوله المدينة.

فاغتاظ يهود وكظموا غيظهم وأخفوه في بداية الأمر فقبلوا بالعهود التي عقدوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسرعان ما أخذوا بنقضها كما رأينا، لان من شيمة يهود الغدر والخيانة ونشر الفتن والدسائس وإشعال نيران الحرب.

فهم لن يرضوا عن المسلمين طالما أنهم متمسكون بدينهم وما دمنا نعمل بما أُنزل إلينا من القرآن وهو الحق من ربنا.

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٤٤ .

(٢) انظر التفسير الواضح مجلد:١ ، ص:٧٩ وانظر تفسير زاد المسير مجلد:١ ، ص:١٣٦ .

(٣) سورة البقرة الآية: ١٤٢ .

قال تعالى "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إنّ هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من وليّ ولا نصير".(١)

ويا ليت قومي يعلمون، وخاصة الذين يلهثون وراء سلام مزعوم يتم فيه التنازل عن معظم فلسطين وهي أرض الإسلام التي لا يجوز لأي إنسان أن يتصرف فيها لأنها أرض وقف للمسلمين عامة.

فهل هؤلاء الأعداء للإسلام والمسلمين منذ القدم سيصبحون في أمن وسلام معنا بعدما قرر الله سبحانه تلك الحقائق القرآنية عنهم؟!!.

هل سيسمحون للمسلمين بإقامة دولتهم التي تحكم بما أنزل الله؟! وهم الذين حرفوا ما أنزل على أنبيائهم ليشتروا به ثمناً قليلاً.

كيف سيعقدون سلاماً مع المسلمين وهم يؤمنون بأنهم شعب الله المختار وأنهم أهدى الأمم قال تعالى "وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه، قل فلِمَ يعذّبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء".(٢)

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٢٠ .

(٢) سورة المائدة الآية: ١٨ .

الفصل الرابع

الفصل الرابع

المعاملات الماليه وأثرها الإجتماعي

يتكون من مقدمة وأربعة مباحث كالآتي:-

مقدمة الفصل:

المبحث الأول: جمعُ المال وإنفاقه

المبحث الثاني: المعاملات الربوية

المبحث الثالث: الوصّية

المبحث الرابع: البيع ومتعلقاته

الفصل الرابع
المعاملات المالية وأثرها الإجتماعي

مقدمة:-

أوضحت سورةُ البقرةِ أن البشر مستخلفون في الأرض، أي أن الله سبحانه خلق آدم عليه السلام ليكون خليفة لله في هذه الأرض، قال تعالى "*وإذ قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسدُ فيها ويسفكُ الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدسُ لك قال إني أعلمُ ما لا تعلمون*".(١)

وهذه الخلافةُ لا تكون ولا تتحقق إلاّ إذا تقيد الإنسانُ بمنهج الله سبحانه، وعمل على تطبيق شرع الله بالتزام ما فيه من أوامر والانتهاء عمّا نهى في جميع جوانب حياة المجتمع سواء السياسية أو الإجتماعية أو الأخلاقية أو الإقتصادية، لأنه لا يمكن فصل جانب من هذه الجوانب عن الإحتكام فيه إلى كتاب الله، فالشريعة الإسلامية جاءت متكاملة لتضبط حركة الفرد والمجتمع كما أراد سبحانه وتعالى، وذلك لتحقيق الإستقامة والأمن والسلام في حياة الناس.

قال تعالى "*قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم من هدىً فمن تَبِعَ هُدَايَ فلا خوفٌ عليهم ولا هُم يحزنون*".(٢)

ووعد الله سبحانه المؤمنين الذين يعملون الصالحات بالاستخلاف في الأرض، لأنَّ فعل الصالحات والصلاح في الأرض شرط أساسي لتحقيق معنى الخلافة في الأرض.

قال تعالى "*وعد اللهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدِّلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني ولا يُشركونَ بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هُمُ الفاسقون*".(٣)

ثم حذّر المنهجُ القرآني الناس من اتباع الشيطان، لأنه عدوٌ مُضلٌ مبين للإنسان، يأمره بالسوء والفحشاء قال تعالى "*ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوٌ مبين، إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون*".(٤)

وقال تعالى "*ألم أعهد إليكم يا بني آدمٍ أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدوٌ مبين، وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم، ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون*".(٥)

---

(١) سورة البقرة الآية: ٣٠ (٢) سورة البقرة الآية: ٣٨
(٣) سورة النور الآية: ٥٥ (٤) سورة البقرة الآية: (١٦٨، ١٦٩)
(٥) سورة يس الآية: ٦١

كما أن الشيطان يعدُ الإنسان بالفقر ويأمره بالفحشاء وفعل المنكر، فالله سبحانه في كتابه الكريم يعد الإنسان بالمغفرة والفضل العظيم.

قال تعالى "*الشيطانُ يَعِدُكُمُ الفقر ويأمركم بالفحشاء واللهُ يعدكم مغفرة منه وفضلاً واللهُ واسعٌ عليم*".(١)

وإذا تحققت خلافة الإنسان في الأرض، فهذا يعني أن يعمل وفق ما أمر سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، فلا يحل له أن يبذّر الأموال في أمور غير نافعة كما أنه لا يجوز أن يكتسب بالطرق الغير مشروعة، لأن ذلك معصية للخالق، بل يجب عليه الألتزام الكامل في كسب الحلال واجتناب الحرام والإنفاق بالطرق المشروعة التي أحلها الله في كتابه الكريم.

قال تعالى "*يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان*".(٢)

وقررت السورة حقائق ثابتة ومعاني سامية لتحقيق روح التضامن الإجتماعي والعدالة التي تكفل للجميع العيش بسعادة ضمن حرية مرتبطة بالقيم الإسلامية والأخلاق والمثل العليا التي حث عليها المنهج القرآني.

ورسمت السورة ملامح للنظام الإقتصادي بصفتها من أوائل ما نزل من القرآن المدني، نوجزها في النقاط الآتية:-

١- قررت أن الله سبحانه هو خالق كلِّ شيء، والمنطق الإنساني يقتضي أن خالق الشيء هو مالكه الحقيقي. قال تعالى "*هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثمّ استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سموات وهو بكل شيء عليم*".(٣)

فالله هو المالك لكل شيء في هذه الحياة والبشر مستخلفون فيها لذلك ينبغي عليهم أن يتصرفوا كما أوضح الله لهم في منهجه الكريم.

قال تعالى"*ولله مُلك السموات والأرض والله على كلّ شيءٍ قدير*".(٤)

٢- الناس مكلفون بالإنفاق مما رزقهم الله:-

إنّ الرزق بيد الله، يرزق من يشاء بغير حساب قال تعالى "*قال يا مريمُ أنّى لكِ هذا قالت هوَ من عندِ اللهِ إنّ الله يرزقُ من يشاء بغير حساب*".(٥)

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٦٨

(٢) سورة البقرة الآية: ١٦٨

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٩

(٤) سورة آل عمران الآية: ١٨٩

(٥) سورة آل عمران الآية: ٣٧

وقال تعالى : *قُلْ من يرزقكم من السموات والأرض قل اللهُ*".(١)

ثم أمر بالإنفاق من الرزق الحلال الطيب، وأن نبتعد عن الخبيث قال تعالى "*يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيثَ مِنهُ*" .(٢)

٣- جعلت للفقراء حقاً في مال الأغنياء:-

إنَّ المال لله سبحانه والبشر مستخلفون في هذا المال، فعليهم أن يعطوا الفقراء حقهم من هذا المال المستخلفون فيه، قال تعالى "*وآتوهم من مال الله الذي آتاكم*" (٣) وقال تعالى "*وفي أموالهم حقٌ معلوم للسائل والمحروم*".(٤)

ثم أوضح المنهج القرآني الفئات المحتاجة لأموال الأغنياء في قوله تعالى "*وآتى المال على حُبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب*" (٥)

٤- الإنفاق مما يحبه الإنسان لنفسه:-

أمر سبحانه بالإنفاق من الطيب والجيد أي مما يحبه الإنسان لنفسه لأنه ينبغي على المسلم أن يحب لأخيه كما يحب لنفسه قال تعالى "*لن تنالوا البرَ حتى تنفقوا مما تُحبُّونَ وما تنفقوا من شيءٍ فإنَّ الله به عليمٌ*".(٦)

وأمر بالإعتدال في الإنفاق على النفس، قال تعالى "*ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلَّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً*".(٧)

٥- حرمت الكسب الخبيث:-

حرمت السورة طرق الكسب الخبيثة الغير مشروعة، وهي الأموال التي تأتي عن طريق الحرام، كالربا والقمار أو السرقة أو الغش والإحتيال أو ما يُسمى اليوم "اليانصيب" أو الأموال التي تكسب عن الإتجار بالمحّرمات كالخمر والمخدرات أو لحم الخنزير.

قال تعالى "*ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون*".(٨)

---

(١) سورة سبأ الآية: ٢٤
(٢) سورة البقرة الآية: ٢٦٧
(٣) سورة النور الآية: ٣٣
(٤) سورة المعارج الآية: (٢٤، ٢٥)
(٥) سورة البقرة الآية: ١٧٧
(٦) سورة آل عمران الآية: ٩٢
(٧) سورة الإسراء الآية: ٢٩
(٨) سورة البقرة الآية: ١٨٨

٦- نظّمت العقود المالية وطالبت باحترامها:-

شرعت السورة بتنظيم العقود المالية، لتحفظ مصلحة الفرد والمجتمع، وأمرت باحترام هذه العقود بالوفاء بها والإشهاد عليها وكتابة عقود الدين، حتى يتم الرضى والإطمئنان، وبالتالي تسود عوامل الإخاء والمحبة بين المتعاقدين في المعاملات التجارية والبيع والشراء، قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمّى فاكتبوه، وليكتب بينكم كاتبٌ بالعدل، ولا يأب كاتبٌ أن يكتُبَ كما علّمهُ الله فليكتب وليملل الذي عليه الحقُّ وليتق الله ربّهُ ولا يبخس منهُ شيئاً، فإن كان الذي عليه الحقُّ سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يُملَّ هو فليُملِلْ وَليّهُ بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجلٌ وامرأتان ممن ترضون من الشهداء.(١)

(١) سورة البقرة الآية: ٢٨٢

المبحث الأول

جمع المال وإنفاقه

إن الإسلام لا يسمح للمسلمين أن يجمعوا المال والثروات حسبما شاءوا وبأي طريقة أرادوا، بل فرّق المنهج القرآني بين الطرق المشروعة لإكتساب الرزق والطرق الغير مشروعة في كثير من الآيات القرآنية.

قال تعالى "**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلاَّ أن تكون تجارةً عن تراضٍ منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً**".(١)

فنهت الآية عن أكل الأموال بالباطل، وأوضحت الطريق المشروع بجمع المال وهي التجارة أي البيع والشراء عن تراضٍ بين الناس.

ونهت السورة عن الغش في جمع الأموال قال تعالى "**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وانتم تعلمون**".(٢)

ليس من صفة المؤمنين أكل أموال الناس بالباطل، وإنما الأكل للأموال بالباطل، هي من صفة الأحبار والرهبان الذين يصدون عن سبيل الله قال تعالى "**يا أيها الذين آمنوا إنَّ كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموالَ الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله**".(٣)

وحرّم الله سبحانه الكسب عن طريق الربا، لأنه أخذ لأموال الناس بالإثم، وبدون بذل أي جهد أو مشاركة في الربح والخسارة قال تعالى "**وأحلَّ الله البيع وحرّم الربا فمن جاءه موعظةٌ من ربه فانتهى فله ما سلف وأمرُهُ إلى الله**".(٤)

وأمر سبحانه بالإنفاق من المال الطيب الحلال على الفقراء واليتامى والمساكين وذوي الحاجة والمعوزين من أبناء المجتمع لسد حاجتهم، والنهوض بهم إلى مستوى الأغنياء حتى يتحقق التكافل والتضامن الإجتماعي بين أبناء الأمة جميعاً ولكي يتاح للجميع أن يعمل ويكتسب ليتم القضاء على البطالة والفقر.

وإذا التزم الناس بمنهج الله عامة وجمعوا المال وأنفقوه بالطرق المشروعة، لأكلوا من بين أيديهم ومن تحت أرجلهم وبالتالي تحفظ الثروات الإقتصادية من الضياع ويصبح المجتمع قوياً متماسكاً يسوده التراحم والترابط والوحدة.(٥)

---

(١) سورة النساء الآية" ٢٩

(٢) سورة البقرة الآية: ١٨٨

(٣) سورة التوبة الآية: ٣٤

(٤) سورة البقرة الآية: ٢٧٥

(٥) انظر تفسير المنار، مجلد: ٢، ص: ٢٠١

ولكي يسود المجتمع عوامل الإستقرار لا بد أن يبتغي الناس مرضات الله في جمع المال وإنفاقه، ولتوضيح ذلك تمّ تقسيم هذا المبحث إلى المطالب الآتية:-

المطلب الأول الكسب الحلال، المطلب الثاني النهي عن الكسب الحرام، المطلب الثالث: الإنفاق.

المطلب الأول: الكسب الحلال

إنّ المال له أهمية كبرى في رقي الحياة وتقدم المجتمع ويعتبرُ عصب الحياة وزينتها وهو مقدمٌ في الآيات القرآنية على حب الأولاد رغم ما لهم من الحب في نفوس الآباء.

قال تعالى "*المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقياتُ الصالحاتُ خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ أملاً*".(١)

والإنسان سرعان ما يُفتتن بالمال والأولاد إلاّ من عصم الله، لذلك حذّر سبحانه المؤمنين من هذه الفتنة قال تعالى "*إنما أُموالكم وأُولادكم فتنةٌ والله عِنْدَهُ أُجرٌ عظيم*".(٢)

وقال تعالى "*يا أيها الذين آمنوا لا تُلهكم أُموالكم ولا أُولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأُولئك هم الخاسرون*".(٣)

إن الإسلام يطلب من المسلم أن يجمع ماله بالطرق المشروعة والحلال عن طريق العمل باعتباره الوسيلة الصحيحة والشريفة للكسب الحلال، وفتح أبواباً متعددة أمام المسلمين لكسب الرزق الحلال منها الآتي:-

١- الكسب عن طريق العمل:-

إن الإسلام يأمر المسلمين بالكسب عن طريق العمل لأن له أهمية كبرى في نماء المجتمع وازدهاره قال تعالى "*وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون*".(٤)

وقال تعالى "*هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور*"(٥)

وجاء الأمر الإلهي بتخفيف قيام الليل عن المسلمين لأن فيهم من يسعى في الأرض من أجل كسب رزقه ورزق عياله، مما يجعل العمل في حد ذاته عبادة يُتقرب بها إلى الله تبارك وتعالى.

---

(١) سورة الكهف الآية: ٤٦
(٢) سورة التغابن الآية: ١٥
(٣) سورة المنافقون الآية:٩
(٤) سورة التوبة الآية: ١٠٥
(٥) سورة الملك الآية: ١٥

فقد جاء في سورة المزمل قوله تعالى "والله يُقدّرُ الليل والنهار عَلِمَ أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرأوا ما تيسَّرَ من القرآن علم أن سيكونُ منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضلِ الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله".(١)

ولنا أسوة حسنة في رسل الله صلوات الله عليهم أجمعين حيث أنهم عملوا من أجل الكسب الحلال، فنبيُّ الله داود عليه السلام منحه الله من الملك، فسخر له الجبال والطير وألنَّا له الحديد فكان يصنع منه الدروع ويبيعها فيعتاش من ثمنها.

قال تعالى "واذكر عبدنا داودَ ذا الأيدِ إنَّهُ أوّاب، إنّا سخرنا الجبال معهُ يُسبحن بالعشي والإشراق والطيرَ محشورةً كلٌ له أواب".(٢)

وقال تعالى "ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبالُ أوّبي معه والطيرَ وألنّا له الحديد أن اعمل سابغات وقَدّرْ في السرد واعملوا صالحاً، إني بما تعملون بصير".(٣)

ونوح عليه السلام كان متعلماً لصناعة السفن قال تعالى "ويصنع الفلك وكلما مرّ عليه ملأٌ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منّا فإنّا نسخرُ منكم كما تسخرون".(٤)

وكان زكريا نجاراً حيث جاء في الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "كان زكريا عليه السلام نجاراً".(٥)

واشتغل صلى الله عليه وسلم برعي الغنم، وكان يرعى غنم أهله ويرعى غنم أهل مكة على قراريط يأخذها أجراً منهم على رعايته لغنمهم.(٦)

وكان صلى الله عليه وسلم يحث على العمل ويُرغب فيه من خلال توجيهاته للصحابة رضوان الله عليهم، عن المقدام رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "ما أكلَ أحدٌ طعاماً قطُّ خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإنّ نبيَّ الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده".(٧)

---

(١) سورة المزمل الآية: ٢٠

(٢) سورة ص الآية: (١٧ - ١٩)

(٣) سورة سبأ الآية: (١٠، ١١)

(٤) سورة هود الآية: ٣٨

(٥) أخرجه مسلم، ج: ٤، باب: ٤٥، ص: ١٨٤٧، حديث رقم: ٢٣٧٩ وأخرجه أحمد في المسند، مجلد: ٢، ص: (٢٩٦، ٤٠٥، ٤٨٥)

(٦) انظر حياة محمد، ص: ١١٨ ط:٩ (١٩٦٥م) مكتبة النهضة المصرية

(٧) أخرجه البخاري، فتح الباري، ج: ٤، ك: البيوع، باب: ١٥ (كسب الرجل من عمل يده) ص: ٣٠٣، حديث رقم: ٢٠٧٢

ورغب في العمل الحر وشجّع عليه حيث جاء في الخبر عن الزبير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لإن يأخذ أحَدُكم أحبلهُ ثم يأتي الجبل فيأتي بحُزمةٍ من حطب على ظهره فيبيعها فيكفَّ الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه".(١)

ونهى الإسلام القادرين على العمل عن القعود عنه بحجة التوكل على الله فهذا فهم خاطىء لمفهوم التوكل، فإن فضيلة التوكل خلق رفيع تدفع الإنسان في هذه الحياة ليعمل بكلتا يديه لينفع نفسه وأسرته ومجتمعه الإسلامي، الذي يعتز بالإنتماء إليه، ويحمل هويته.

وأمر الإسلامُ بالعمل والأخذ بالأسباب، حيث جاء في الحديث الشريف عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم "أنه كان في جنازةٍ فأخذ عوداً فجعل ينكت في الأرض فقال: ما منكم من أحد إلاَّ كُتبَ مقعده من الجنة أو من النار قالوا ألا نتكل؟ قال: اعملوا فكلٌّ ميسرٌ (*فأما من أعطى واتقى*)".(٢)

وينهى المنهج الإسلامي عن البطالة لأنه كلما كثر العاطلون عن العمل كان الضرر أشمل والخطر أشد على المجتمع، فلا تجد الأمة من يرعى شؤونها الزراعية والصناعية والتجارية والتعليمية، فتتعطل عجلة المجتمع وتقدمه، ولا يجد الناس ما يسد حاجتهم من المنتوجات وضرورات الحياة، ويعم الغلاء ويكثر النهب وتنتشر السرقات والجرائم ويصبح المجتمع أقرب إلى الفناء والضياع.

ولكي يتم إصلاح المجتمع والقضاء على تلك الشرور والمفاسد أمر سبحانه بالعمل والسعي لكسب الرزق والتوكل على الله، ونهى عن البطالة والرهبنة والتواكل والتسول، الذي يذهب حياء الوجه ويخدش كرامة الإنسان.(٣)

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "لا تزالُ المسألةُ بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحمٍ".(٤)

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري، ج: ٤، ك: البيوع ، باب: ١٥، ص: (٣٠٣، ٣٠٤)، حديث رقم: ٢٠٧٤

(٢) أخرجه البخاري، ج: ٢ ك: الجنائز باب: ٨٣، ص: ٩٩ وأيضا ج: ٧، ك التوحيد باب: ٥٤، ص: ٢١٥ المكتبة الإسلامية، وأخرجه الترمذي ج: ٤ ك: القدر، باب ٣، ص: ٤٤٥، رقم ٢١٣٦ وابن ماجه، ج:١، ك: المقدمة، باب: ١٠ ص: (٣٠-٣١) رقم: ٧٨

(٣) انظر فضيلة التوكل، ص: ١١٢

(٤) أخرجه مسلم، ج: ٢، ك: الزكاة، باب: ٣٥ (كراهة المسألة للناس) ص: ٧٢٠ حديث رقم: ١٠٣، مسند أحمد ج:٢، ص: (١٥، ٨٨).

٢- الكسب عن طريق التجارة:-

التجارة من المصادر التي شرعها الإسلام لكسب المال الحلال فحث عليها وأمر بالإعتناء بها، وأوضح أن للتجّار منزلة عظيمة إن هم ابتغوا مرضات الله وتعاملوا بالصدق والأمانة في تحصيل أرزاقهم وأرزاق أهلهم، ويكفيهم أن جعل الله التجارة ابتغاء من فضل الله سبحانه فأمر بها بعد الصلاة المكتوبة من يوم الجمعة ثم أتبعها بذكر الله وعلق عليها الخير والفلاح في الدنيا والآخرة.(١)

قال تعالى "*فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون*".(٢)

ثم قرن الضاربين في الأرض للتجارة من أجل كسب القوت الحلال بالمجاهدين في سبيل الله، إنها منزلة عظيمة للمخلصين من التجّار، قال تعالى "*وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله، وآخرون يقاتلون في سبيل الله*".(٣)

وأرشدت السورة الناس في نقل بضاعتهم التجارية الى طرق المواصلات البحرية التي تعد من أكبر وسائل النقل للتجارة بين الدول في العصر الحديث.(٤)

قال تعالى "*والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزلَ الله من السماء من ماءٍ فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون*".(٥)

وقال تعالى "*ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام إن يشأ يُسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إنَّ في ذلك لآيات لكل صبار شكور*".(٦)

وتكشف عن أهمية التجارة ومنزلتها من خلال تذكير القرآن الكريم لقريش برحلتين تجاريتين وهما رحلة الشتاء إلى بلاد اليمن ورحلة الصيف الى بلاد الشام.

وامتنَّ الله سبحانه على أهل مكة، بأن جُعلت مركزاً تجاريا هاماً في منتصف الجزيرة العربية، استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام، قال تعالى "*ربنا إني أُسكنتُ من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرّم، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدةً من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون*".(٧)

---

(١) انظر تفسير البيضاوي، ص: ٧٢٦

(٢) سورة الجمعة الآية: ١١ (٣) سورة المزمل الآية: ٢٠

(٤) انظر الحلال والحرام في الإسلام، ص: ١٣٢

(٥) سورة البقرة الآية: ١٦٤

(٦) سورة الشورى الآية: (٣٢، ٣٣)

(٧) سورة ابراهيم الآية: ٣٧

وقال تعالى "*وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهلهُ من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر*".(١)

وخلاصة الأمر أنه يتضح مما سبق أن التجارة مصدرٌ لكسب الرزق الحلال، وأن التجار يساهمون في دفع عجلة المجتمع إلى الأمام نحو البناء والإعمار والرقي الحضاري كما أن لهم دوراً عظيماً في نشر دعوة الإسلام خارج المجتمع الإسلامي، ويساهمون في خلق جو من التعاون الإجتماعي بين الناس في حياتهم اليومية.

قال تعالى "*وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان*".(٢)

لذلك أعد الله لهم الجزاء الأوفى يوم القيامة إذا خلصت نياتهم مع الله وصدقت ألسنتهم في تجارتهم.(٣)

جاء في الحديث الشريف عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "التاجرُ الصدوقُ الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء".(٤)

المطلب الثاني: النهي عن الكسب الحرام

لقد نهت السورة عن جمع المال بالباطل، أي بالطرق الغير مشروعه وهي الطرق المحرمة، فكل كسب فيه إضرار بالفرد والمجتمع يعتبر غير مشروع، لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الضرر بالناس وجاء في الحديث الشريف عن عبادة بن الصامت * أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى أن "لا ضرر ولا ضرار".(٥)

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٢٦

(٢) سورة المائدة الآية: ٢

(٣) انظر من توجيهات الإسلام، ص: ١٨٩

(٤) أخرجه الترمذي، ج: ٣، ك: البيوع، باب: ٤، ص: ٥١٥ حديث رقم: ١٢٠٩، وأخرجه الدارمي ج: ٢، ك: البيوع، باب: ١٨ (التاجر الصدوق) ص: ١٦٣، رقم: ٢٥٤٢،ابن ماجه ج: ٢، ك:التجارات، باب:١، ص:٧٢٤ رقم: ٢١٣٩ .

(٥) اخرجه ابن ماجه، ج:،٢ ك: الأحكام، باب: ١٧٠، ص: ٧٨٤ رقم: ٢٣٤٠ ، مسند احمد ج:،١ص: ٣١٣ ، ج:٥، ص: ٣٢٧

* ابن الصامت: هو عبادة بن الصامت بن قيس بن أحرَم بن فهر بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي ابو الوليد، شهد بيعة العقبة الأولى والثانية وكان نقيباً على القوافل - شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها، كان من الخمسة الذين جمعوا القرآن في عهد النبي وهم معاذ بن جبل وعباده بن الصامت وأبي بن كعب وابو أيوب الأنصاري وأبو الدرداء، أرسله عمر ليعلم الناس بالشام وأقام بحمص، وأبو الدرداء بدمشق، ومعاذ في فلسطين، ثم أتى عباده إلى فلسطين وهو أول من ولى قضاء فلسطين، وكان لا يخاف في الله لومة لائم ، روى عنه أنس وجابر وفضاله بن عبيده وجماعه من التابعين توفي في فلسطين بمدينة الرملة وقيل ببيت المقدس وعمره ٧٢ سنة وقيل ت سنة ٤٥، أيام معاوية، والأول أصح انظر أسد الغابة، ج: ٣، ص: (١٦٠، ١٦١) ترجمة رقم: ٢٧٨٩

وقال تعالى "*ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون*".(١)

قال المفسرون أنه يندرج تحت هذه الآية الكثير من الأمور التي يجمع المال عن طريقها وهي محرمة، فينبغي الحذر منها لكي لا نقع في آثامها، لأنها تؤدي الى مفاسد اجتماعية خطيرة ولها اثار

مرذولة تعود على الناس بالدمار والخراب.(٢)

وتتمثل في الآتي:-

اولاً:- القمار "الميسر":-

لا يجوز للمسلم أن يغمس يده في الميسر لأنه وسيلة محرمة في الكسب تصل إلى درجة تحريم الخمر والأنصاب والأزلام قال تعالى "*إنما الخمرُ والميسرُ والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه*".(٣)

وذكر صاحب الحلال والحرام حكماً جليلة ومفيدة من وراء تحريم القمار(٤) نوجزها في الآتي:-

١- حرم الله الميسر على المسلمين لكي يعتادوا الطرق الحلال المشروعة في الكسب للأرزاق.

٢- جعل الإسلام حرمة لمال المسلم فلا يؤخذ بطريق القمار لأن هذه الطريقة تعتبر من أكل أموال الناس بالباطل.

٣- الميسر يعتبر من أخطر الأمراض الإجتماعية التي تضر بالفرد والمجتمع من خلال إبعاد الناس عن واجبهم نحو خالقهم وأنفسهم وأهليهم ومجتمعهم، كما ويسبب العداوة والبغضاء بينهم.

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٨٨

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن مجلد: ١ ج:٢، ص: ٣٣٨، وأيضاً تفسير زاد المسير مجلد: ١،ص: ١٧٧، وأيضاً تفسير المنار ج: ٢، ص: ١٩٨

(٣) سورة المائدة الآية: ٩٠

(٤) انظر الحلال والحرام ص: ٢٩٦

ثانيا: بيع الأشياء المحرمة:-

إذا حرم الله سبحانه شيئاً فإنه لا يجوز ثمنه بأي حال من الأحوال لأنه لا يحل بيع المحرمات كالخمر والخنزير والتماثيل ذوات الأرواح او أوراق اليانصيب وغير ذلك من المسميات التي تندرج تحت الأشياء المحرمة في الشرع.

قال تعالى "إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهِل به لغير الله".(١)

ثالثاً:- الإحتيال على القضاء:-

إذا قضى القاضي لإنسان بمال أخيه لأنه ألحن في حجته فهو حرام، لأن الحرام لا يصير حلالاً بقضاء القاضي، وإنما يقضي القاضي بظاهر الأمور وبما يسمع من الطرفين، فمن أخذ حق أخيه بهذه الصورة عليه أن يرجعه وإلاّ فهو قطعة من النار عن أُمِّ سلمه رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إنما أنا بشرٌ وإنكم تختصمون إليّ ولعلَّ بعضكم أن يكونَ ألحَنَ بحجته من بعضٍ فأقضي على نحو ما أسمع، فمن قضيتُ له بحقّ أخيه شيئاً فلا يأخذه، فإنما أقطعُ له قطعةً من النار".(٢)

رابعاً: جمع المال عن طريق الرشوة:-

الرشوة تعتبر من ضمن أكل أموال الناس بالباطل وهي عبارة عن الأموال التي تدفع لذوي السلطان ليحققوا منفعة ذاتية تعود على من أرشاهم.

فهذه الأموال حرام ولا يجوز للأنسان أن يأكل مال أخيه بالإثم والزور والبهتان والرشوة، وحُرمت الرشوة لمنع الظلم والفساد من المجتمع، لأن بشيوعها تكثر النفعية ويتخلى الإنسان عن روح الواجب نحو الأمة والوطن.(٣)

---

(١) سورة البقرة الآية" ١٧٣

(٢) فتح الباري: ج: ١٣، ك: الأحكام، باب: ٢٠، ص: ١٥٧ رقم ٧١٦٩ وأيضاً باب ٢٩، ص: ١٧٢ رقم ٧١٨١ وأيضاً باب: ٣١، ص: ١٧٨، رقم: ٧١٨٥ . مسلم، ج:٣ ك:: الأقضية باب: ٣ (الحكم بالظاهر واللحن بالحجة) ص (١٣٣٧، ١٣٣٨) رقم:٥

(٣) انظر تفسير القرطبي مجلد :١، ج: ٢، ص: ٣٤٠ وانظر تفسير الرازي، مجلد: ٣ ج: ٥، ص: ١١٤ وانظر الكشاف، مجلد: ١، ص: ٣٤٠ وأيضا التفسير الواضح مجلد:١، ص: ١٠٦

خامساً: النهي عن الغش في الكسب:-

لقد نهى الإسلام عن الغش في المعاملات، لأنه يعني خداع الآخرين عن طريق إخفاء عيوب المشتريات وإظهار محاسنها أمام الناظرين لتعجبهم فيشترونها على أنها بضاعة جيدة مع أنها في حقيقة الأمر من الداخل رديئة.

ولنا أسوة حسنة في رسول الله حينما رأى صبرة طعام فأعجبته وحينما أدخل يده فيها وجد بها بللاً فنهى صاحب الطعام عن ذلك الغش بأسلوب فيه الحدة.(١)

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ على صُبرة طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً ، فقال "ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله! قال: "أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس من غشَّ فليس منّي".(٢)

جاءت كلمة "الغشّ" في الحديث غير محدده لتفيد العموم أن من غش المسلمين في أي أمر من الأمور يعتبر غاشّاً لهم، ومن غشنا فليس منا.

ويؤخذ من الحديث أن من غش واحداً من المسلمين يعتبر غاشاً للأمة كلها وللمجتمع لأن المؤمنين كالجسد الواحد ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم.

ونظير ذلك قوله تعالى "*ولا تلمزوا أنفسكم*"(٣) فالذي يلمز الناس في اعراضهم كأنما يلمز نفسه لأن المؤمنين إخوة في العقيدة والإيمان تجمعهم آصرة واحدة في دين الله.(٤)

خلاصة المطلب أن الكسب الذي فيه ضرر بالفرد والمجتمع هو كسب غير مشروع ومرفوض وباطل فعلينا أن نحذر الوقوع فيه بل علينا أن نحاربه حتى نقتلع جذوره من المجتمع، لأنه يسبب أضرارا اجتماعية خطيرة، ينتج عنها الضياع لمقدرات الأمة وبالتالي ذهاب لقوتها وتفريق لوحدتها.

والكسب الحرام يدخل إلى المجتمع من الطرق التي اوضحناها سابقاً ومن طرق أخرى كثيرة منها على سبيل المثال، التلاعب بالأسعار، وبيع الناس بأكثر من التسعيرة المحددة استغلالاً للحاجة واستكثاراً للربح، أو عن طريق خلط السلع بغيرها كأن يخلط الشعير بالذرة أو السكر بالملح أو اللبن بالماء.

---

(١) انظر من توجيهات الإسلام ص: ١٩١

(٢) أخرجه مسلم ج: ١، ك: الإيمان، باب: ٤٣، ص: ٩٩ حديث رقم: ١٦٤ وأخرجه الترمذي، ج:٣، ك:البيوع، باب: ٧٤ (كراهية الغش في البيوع) ص: ٦٠٦، حديث رقم ١٣١٥

(٣) سورة الحجرات الآية: ١١

(٤) انظر تفسير محاسن التأويل ج:٣، ص: ٤٦٥

كما أن الفساد يكون في الغش بالكيل والميزان وهذه الآفة مدعاة إلى فساد المجتمع إذا تفشت بين الناس، وقد نهى الإسلام عن ذلك، قال تعالى "ويلٌ للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون".(١)

وجاء حكاية على لسان شعيب عليه السلام قوله تعالى "وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله، ما لكم من إله غيره، قد جاءتكم بينةٌ من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين".(٢)

ويدخل عن طريق الإتجار بالمخدرات والخمور التي تغلب على عقل الإنسان فتدفعه إلى كل فاحشة ورذيلة إذا خمر عقله وأصبح ثملاً.

كما ويدخل الفساد والفجور عن طريق التجارة بالأعراض وإثارة الشهوات وإغراء الإنسان ومن ثم دفعه إلى ارتكاب الفاحشة في المواخير وبيوت الفساد، كما يحدث في البلاد الأوروبية التي تدعي التقدم والحضارة، وهي غارقة في الفساد وضياع الأخلاق.

حارب الإسلام كل عوامل الفساد ليبني المجتمع المسلم على الطهر والنظافة والقيم والأخلاق وتحفظ الحقوق وتقام العدالة ويتساوى الناس فلا تمييز إلاّ بالتقوى.(٣)

المطلب الثالث:الإنفاق

الإنفاق يعني بذل المال ونحوه في وجه من وجوه الخير، ومنه نفق الشيء نَفَاقاً أي نفد ونقص فيقال نفق الزادُ ونقصت الدراهم، ونفق المبيع نفاقاً، إذا كثر المشترون له ورغبوا في شرائه.

ورجلٌ مِنفاق أي كثير النفقة، والنفقة ما أنفقه الإنسان على نفسه وعياله.

ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى "قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق(٤) أي لأمسكتم خشية الفناء والنفاد للأموال .(٥)

وجاء الأمر في السورة بالإنفاق في سبيل الله قال تعالى "مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبةٍ أنبتت سبع سنابل في كلِّ سنبلةٍ مائةُ حبةٍ واللهُ يضاعفُ لمن يشاء والله واسعٌ عليم".(٦)

---

(١) سورة المطففين الآية: (١-٣)
(٢) سورة الأعراف الآية: ٨٥
(٣) انظر منهج القرآن في تربية المجتمع، ص: ٤١٦
(٤) سورة الإسراء الآية: ١٠٠
(٥) انظر تفسير الفخر الرازي، مجلد١، ج:٢، ص: ٣٤ وأيضا لسان العرب، ج: ١٠ ص: ٣٥٨ ومحيط المحيط، ج:٢، ص: ٢١١٢ والمعجم الوسيط ج:٢، ص: ٩٤٢
(٦) سورة البقرة الآية: ٢٦١

وشجع المنهج القرآني على الإنفاق وحث عليه لأن المنفق من ماله ابتغاء مرضات الله يضاعف ما أنفقه إلى أضعاف كثيرة والله واسعٌ عليم.

وقال العلماء إنَّ الإنفاق ينقسم إلى قسمين، إنفاقٌ واجب على من يملك والآخر غير واجب وهما كالآتي:

١- الإنفاق الواجب:-

يتمثل في الآتي:-

أ- الزكاة فهي فريضة فرضها الله سبحانه على من يملك النصاب من أبناء المجتمع الإسلامي في قوله تعالى "*وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة*"(١) وقوله تعالى "*خذ من أموالهم صدقةً تطهرهم وتزكيهم بها وصلِّ عليهم إن صلاتك سكنٌ لهم والله سميع عليم*"(٢) ثم أمر سبحانه بأن توزّع في مصارفها الثمانية التي حددتها أية في سورة التوبة وأوضحناها في ا لفصل الأول.

وهذه الفريضة تُجمع من الناس بعد مرور سنة كاملة على النقود والمواشي والتجارة مِنْ تملكهم لها، أما الزروع والثمار فتؤخذ منها الزكاة بحصول نضوجها، قال تعالى "*كلوا من ثمرهُ إذا أثمرَ وآتوا حقهُ يوم حصادهِ ولا تسرفوا إنه لا يحبُّ المسرفين*".(٣)

ب-الإنفاق يكون واجباً من الإنسان على الوالدين وزوجته وأولاده الغير قادرين، وكذلك على الأقارب الغير قادرين على العمل وتحصيل الكسب.

٢- الإنفاق غير الواجب:-

يجوز للإنسان أن يبذل من ماله لمساعدة المحتاجين من أبناء مجتمعه، ويشجّع الإسلام على هذا البذل والعطاء لأن فيه تفريجاً عن كربات المكروبين، ولذلك ينبغي الإكثار من هذا العطاء إذا أصابت المجتمع جائحة فسببت بخسارة مالية عظيمة كالزلازل والبراكين والفيضانات التي تحدث في بعض الدول، وأيضاً عند الحروب، وإعلان حالة الطوارىء في المجتمع ينبغي على الموسرين من أبناء المجتمع أن يشاركوا إخوانهم بأنفسهم وأموالهم، فإن لهم على ذلك أجراً كثيراً(٤) وصوّر القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ذلك التلاحم والتعاطف قال تعالى "*والذين تبوّأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أُوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصةٌ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون*.(٥)

---

(١) سورة المزمل الآية: ٢٠ ، وسورة الحج الآية: ٧٨

(٢) سورة التوبة الآية: ١٠٣

(٣) سورة الأنعام الآية: ١٤١

(٤) انظر دراسات في الثقافة الإسلامية لهندي ص: ١٣٠

(٥) سورة الحشر الآية: ٩

عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".(١)

الإنفاق والشيطان:

لقد حارب الإسلام الشيطان وأعوانه لأنهم سببٌ في إثارة الحسد والشح والعداوة والبغضاء بين الناس، وهذه الآفات جميعها تُفرّق الأمة وتعمل على ذهاب ريحها، وتزعزع تماسكها لذلك جاء التحذير من الشيطان في آياتٍ عديدة منها قوله تعالى "***ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوٌ مبين***".(٢)

واخبر سبحانه أن الشيطان يوقع العداوة والبغضاء بين الناس عن طريق الخمر والميسر، ويقف لهم في طريق الصلاة ليمنعهم عن ذكر الله قال تعالى "***إنما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون***"(٣) ثم يتبرأ من أتباعه يوم القيامة.

قال تعالى "***وقال الشيطان لما قُضيَ الأمرُ إنَّ اللهَ وعدَكم وَعْدَ الحقّ ووعدتُكمْ فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلاّ أن دعوتكم فاستجبتُم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيَ إني كفرتُ بما أشركتمونِ من قبلُ إنّ الظالمين لهم عذابٌ أليم***".(٤)

والشيطان يقف للناس في طريق الإنفاق فيوسوس لهم بأن كثرة الإنفاق تجلب الفقر، قال تعالى "***الشيطانُ يَعِدُكُمُ الفقر ويأمُرُكُمْ بالفحشاء واللهُ يَعِدُكُمْ مغفرة منه وفضلاً والله واسعٌ عليم***.(٥)

جاء في تفسيرها أن الشيطان يقف للناس في طريق الإنفاق، ليوسوس لهم أن الإنفاق يورث الفقر والجوع والحاجة ويعدهم بالفقر ويأمرهم بالفحشاء.

وقال العلماء إن الفحشاء في القرآن حينما تذكر، تعني الزنا إلا في هذا الموضع من سورة البقرة فهي تعني البخل، وكان العرب يعتبرون البخل من أفحش الفحشاء.(٦)

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري، ج: ١٠، ك: الأدب، باب: ٢٧، ص: ٤٣٨ حديث رقم: ٦٠١١

(٢) سورة البقرة الآية: ١٦٨

(٣) سورة المائدة الآية: ٩١

(٤) سورة ابراهيم الآية: ٢٢

(٥) سورة البقرة الآية: ٢٦٨

(٦) انظر تفسير القرطبي مجلد: ١ج: ٢، ص: ٢٠٩ وأيضاً التفسير القيم ص: ١٦٧ وأيضاً انظر إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ج:١ ص: ٨٦

ويؤيد هذا المعنى ما قاله طرفه*

أرى الموت يعتامُ الكرام ويصطفي   عقيلة مال الفاحش المتشدد

فهو يعني أن الموت يأتي على كرام الناس ويصطفي خيار أموال البخلاء المتشددين في الإمساك والبخل والحرص.(١)

إن الشيطان يدعو إلى الشح والفقر ويخوف الناس بالفقر، فعندما يهم الإنسان بالصدقة والبذل يجد في قلبه هاتفاً يقول له إذا أخرجت هذه الصدقة فإنك ستحتاج إليها بعد أيام فامسكها خيرٌ لك، فليعلم كل من يجد مثل هذه الوسوسة أنها من الشيطان ليصده عن فعل الخير والإحسان الى الناس.

ويا ليت من يُسوّلُ لهم الشيطان بذلك أن يحاربوه ويقاوموه ولا يجعلوا له عليهم سبيلاً في هذا الطريق وغيره من طرق الإسلام، وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن الشح فإنه يؤدي الى هلاك الأمة. عن جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشُح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم".(٢)

وجاء في الخبر الصادق أن الملائكة تنزل في كل يوم فتدعوا للمنفقين بالخير وتدعوا على الممسكين بالإتلاف.

عن أبي هريره رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال "ما من يوم يصبح العبادُ فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدُهما اللهمّ أعطِ منفقاً خلفاً، ويقولُ الآخرُ: اللهمّ أعطِ ممسكاً تلفاً".(٣)

---

(١) انظر تفسير المنار، مجلد: ٣، ص: ٧٤

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب السنن ج: ٤، ك: البر، باب: ٨٣ (ما جاء في الظلم)، ص: ٣٧٧، حديث رقم: ٢٠٣٠ .﴿انظر الأعلام للزركلي ج: ٣، ص: ٢٢٥ وأيضاً جمهرة أشعار العرب ص: ٣٢ وص: ٨٣ وفيها اسمه عمرو بن العبد﴾

(٣) فتح الباري، ج٣، ك: الزكاة، باب: ٢٧، ص: ٣٠٤ حديث رقم ١٤٤٢ وأخرجه مسلم ج:٢، ك: الزكاة، باب: ١٧ (في المنفق والممسك)، ص: ٧٠٠ حديث رقم ٥٧ ، مسند أحمد ج:٢، ص: (٣٠٦، ٣٤٧)، ج: ٥، ص: ١٩٧

* طَرَفة: هو طرفه بن العبد بن سفيان بن سعد البكري، أبو عمرو شاعر جاهلي من الطبقة الأولى ولد في بادية البحرين، وتنقل في بقاع نجد، وكانت تفيض الحكمة على لسانه في أكثر شعره. قال ابن قتيبة قُتل وهو ابن ست وعشرين سنة على يد المكعبر، انظر الأعلام للزركلي ج:،٣ ص:٢٢٥، وأيضاً جمهرة أشعار العرب ص:٣٢، ٨٣ وفيها أسمه عمرو بن العبد.

ثم أوضح صلى الله عليه وسلم أن البخل وسوء الخلق لا يكونان في المؤمن، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "خصلتان لا تجتمعان في مؤمنٍ، البخلُ وسوءُ الخُلقِ".(١)

شروط الإنفاق:-

١- أن يكون من أجل مرضات الله:-

إن الإيمان الصادق يحث صاحبه على الإنفاق في سبيل الله لتقوية دعائم المجتمع المسلم وتثبيت كيان الأمة بين الأمم والشعوب الأخرى.

ويشمل الإنفاق في سبيل الله الإنفاق في وجوه الخير التي تعود بالنفع والبركة على المسلمين كبناء المساجد والمدارس والمستشفيات ونشر العلم وإزالة الجهل ومساعدة الضعفاء وتقدم الصناعات المفيدة ومن أجل إعلاء كلمة الله في الأرض لتكون هي العليا، وذلك بإقامة أحكام الدين لرفع مستوى المسلمين في جوانب الحياة.(٢)

وصوّر القرآن الكريم الإنفاق من أجل مرضات الله بجنة تقع على ربوةٍ فنزل عليها المطر الغزير فأنتجت الثمار الطيبة قال تعالى "*ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنةٍ بربوة أصابها وابلٌ فأتت أُكُلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطلٌ والله بما تعملون بصير*".(٣)

٢- **أن يكون الإنفاق من المال الحلال الطيب**، والابتعاد عن الخبيث الرديء كما جاء في قوله تعالى "*يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيثَ منهُ تنفقونَ ولستُمْ بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه، واعلموا أن الله غنيٌ حميد*"(٤)

جاء في سبب نزولها أن البعض من الناس كان يتصدق من حشف التمر أي النوع الرديء فنزلت الآية فيهم لكي ينفقوا من الطيب والجيد.

وفسرها قوله تعالى "*لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإنّ الله به عليم*".(٥)

---

(١) أخرجه الترمذي ج:٤، ك: البر، باب: ٤١ (ما جاء في البخل)، ص: ٣٤٣، حديث رقم ١٩٦٢

(٢) انظر تفسير زاد المسير ج: ١، ص: ٢٧٥، التفسير الواضح مجلد: ١ج :٣ ص: ١٢

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٦٥

(٤) سورة البقرة الآية: ٢٦٧

(٥) سورة آل عمران الآية: ٩٢

فينبغي أن يكون الإنفاق من الطيب الجيد المحبب إلى نفس المنفق، فكما تحب لنفسك ينبغي أن تحب لمن تنفق عليهم من إخوانك في المجتمع.(١)

واوضح صلى الله عليه وسلم ان المنفق من الكسب الطيب له من الأجر العظيم أضعاف ما يتصوره الإنسان ولو كان إنفاقه قليلاً.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبلُ الله إلاّ الطيب فإنَّ اللهَ يقبلها بيمينه، ثم يُربيها لصاحبها كما يُربّي أحدكم فلوّه حتى تكون مثل الجبل".(٢)

٣- عدم المن والأذى في الإنفاق:-

إخراج الصدقة يثاب عليها فاعلها عند الله أجراً عظيماً، ولكي تكون مقبولة وتتحقق الثمرة من ورائها اشترط سبحانه ترك المن والأذى في إخراجها.

قال تعالى "*يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفقُ مالَهُ رئاءَ الناس ولا يؤمنُ باللهِ واليوم الآخر، فمثلُهُ كمثل صفوانٍ عليه ترابٌ فأصابَهُ وابلٌ فتركَهُ صلداً لا يقدرون على شيءٍ مما كسبوا والله لا يهدي القومَ الكافرين*"(٣)

ذكر ابن الأنباري في تفسيرها بأن المنَّ هو ذكرُ المحسنُ إحسانه إلى الفقير، كأن يقول له أحسنتُ إليك، وأنعشتك بصدقتي أو أن يستكثر إنفاقه في سبيل الله.

ويتبادر سؤال إلى الأذهان، كيف مدحهم الله بترك المن وهو سبحانه من أسمائه المنّان؟.

يجابُ على ذلك بأن المنُّ إذا كان يعني البذل والعطاء فلا ضرر فيه، أما الوجه المذموم فالمرادُ به استعظام العطية والافتخار بها على الفقير.

أما الأذى فهو أن يتكلّم المتصدق بكلام جارح لمشاعر الفقير كأن يقول له أنت فقير باستمرار، أو أن يخبر بصدقته لمن يكره الفقير اطلاعه على ذلك، فهذا يؤذي الفقراء

---

(١) انظر تفسير المنار، مجلد:٣ ص: ٧١ وأيضاً التفسير الواضح، مجلد: ١، ج: ٣، ص: ١٦ وأيضاً الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر ص: ٣٨

(٢) متفق عليه، فتح الباري، ج: ١٣، ك: التوحيد. باب: ٢٣، ص: ٤١٥ رقم: ٧٤٣٠ وأيضاً فتح الباري ج: ٣، ك: الزكاة، باب: ٨، ص: ٢٧٨ رقم: ١٤١٠، مسلم ج:٢، ك: الزكاة، باب: ٩، ص: ٧٠٢، رقم: ٦٤، الترمذي ج:٣ ك: الزكاة، باب: ٢٨، ص: ٤٩ رقم: ٦٦١ ابن ماجه ج:١، ك: الزكاة، باب: ٢٨، ص:٥٩ رقم: ١٨٤٢ الدارمي ،ج:١،ك:الزكاة، باب : ٣٥(فضل الصدقة) ص:٣٣٣ رقم:١٦٨٢ مسند أحمد ج: ٢، ص: (٢٦٨، ٣٣١، ٣٨١، ٤١٨)، ج:٦، ص: (٢٣، ٢٨)

(٣) سورة البقرة: ٢٦٤

كما أنه ليس من صفات المخلصين في أعمالهم الذين يبتغون مرضات الله.(١)

٤- لا يطلب أجراً على إنفاقه:-

يبتغي المنفق الأجر من الله سبحانه، وأن مال المنفق ينمو ويزداد أضعافاً كثيرة كمثل الحبة التي تُزرع في الأرض فتنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، قال تعالى "**مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبةٍ أنبتت سبع سنابلَ في كلِّ سنبلة مائة حبةٍ والله يضاعف لمن يشاء والله واسعٌ عليم**"(٢) وقال تعالى "**مَنْ ذا الذي يُقرضُ اللهَ قرضاً حسناً فيضاعفهُ لهُ وله أجرٌ كريم**".(٣)

وإذا قدّم الإنسان الصدقة فإنه يجدها عند الله أعظم أجراً قال تعالى "**وأُقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً**"(٤)

ولخص ابن القيم في تفسيره القيم(٥) صفات القرض الحسن في ثلاثة أمور وهي كالآتي:

أ- أن يكون الإنفاق من المال الطيب الحلال وليس من الرديء أو الخبيث.

ب- أن يخرجه بنفس طيبه ثابتة يبتغي الأجر من الله تبارك وتعالى.

ج- ألا يتبع النفقة بالمن والأذى.

٥- لا يطلب الثناء من الناس:-

إنَّ المسلم يجتهد دائمًا في اخفاء أعماله، لذلك فهو يجتهد في اخفاء صدقته عن أعين الناس، لكي تُقبل عند الله ويثاب عليها الجزاء الأوفى قال تعالى "**الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانيةً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون**"(٦)

ويعاضد هذه الآية ما جاء في سورة ابراهيم عليه السلام قال تعالى "**قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتيَ يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خلال**".(٧)

---

(١) انظر تفسير زاد المسير، مجلد: ١، ص (٢٧٥، ٢٧٦) وأيضاً من كنوز الإسلام ص: (١٩٥، ١٩٦)
(٢) سورة البقرة الآية: ٢٦١
(٣) سورة الحديد الآية: ١١
(٤) سورة المزمل الآية: ٢٠
(٥) انظر التفسير القيم، ص: ١٤٩
(٦) سورة البقرة الآية: ٢٧٤
(٧) سورة ابراهيم الآية: ٣١

وقال القاسمي* أن تقديم الليل على النهار والسر على العلانية إيذان بتفضيل الإخفاء على الإظهار بالنسبة للصدقة.

وأوضح صلى الله عليه وسلم فضل إخفاء الصدقات، فالذي تنفق يمينه ما لا تعلم شماله فهو من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله".(١)

وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "سبعةٌ يُظّلهمُ اللهُ تعالى في ظله يومَ لا ظلَّ إلا ظلهُ: إمامٌ عدلٌ وشابٌ نشأ في عبادة الله، ورجلٌ قلبُهُ مُعلّقٌ في المساجد ورجلان تحابّا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجلٌ دعتهُ امرأةٌ ذاتُ منصب وجمالٍ قال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلمَ شمالهُ ما تنفقُ يمينهُ، ورجلٌ ذكر الله خالياً ففاضت عيناه".(٢)

آداب الإنفاق:-

لقد ذكر الرازي صاحب التفسير الكبير(٣) آداباً للإنفاق نلخصها في الآتي:-

أ- الإنفاق بالترتيب على المذكورين في السورة لأنه ينبغي أن نبدأ بما بدأ اللهُ به قال تعالى "*وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب*".(٤)

ب-أن يكون الإنفاق وسطاً بين الإسراف والتقتير أو بسط اليد وإمساكها، فإن خير الأمور أوسطها.

---

(١) انظر تفسير القاسمي محاسن التأويل،ج: ٣، ص: ٦٩٣ وأيضاً انظر مكاشفة القلوب للغزالي ص: (٢٢٣، ٢٣٤)

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري، ج: ٣، ك: الزكاة، باب: ١٦، ص: (٢٩٢، ٢٩٣) حديث رقم: ١٤٢٣، الترمذي ج: ٤، ك: الزهد باب: ٥٣، ص: ٥٩٨ حديث رقم: ٢٣٩١ مسند أحمد ج:٢ ص: ٤٣٩

(٣) انظر تفسير الفخر الرازي، مجلد: ٣، ج:٦، ص: (٥١،٥٢)

(٤) سورة البقرة الآية: ١٧٧

* القاسمي: أبو محمد جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم الحلاق بن سلاله الحسين السبط، مولده ١٢٨٣ هـ في دمشق وكان سلفي العقيدة وإمام الشام في عصره، اتهمه حسدته بأنه صاحب مذهب جديد (المذهب الجمالي) فقبضت عليه الحكومة سنة ١٣١٣هـ فرد التهمة فأخلي سبيله، ثم انقطع إلى التأليف في التفسير وعلوم الشريعة الإسلامية والأدب، أشهر مصنفاته، تفسير (محاسن التأويل) و (دلائل التوحيد) و (الفتوى في الإسلام) و (مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام) و (موعظة المؤمنين) توفي بدمشق سنة ١٣٣٢هـ ١٩١٤م، انظر الأعلام للزركلي ج:٢ ص: ١٣٥ وحلية البشر ١/(٢٣٥-٤٣٨)

قــال تعـالى "*ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً*".(١)

وأوضح سبحانه أن من صفات المؤمنين في الإنفاق عدم التبـذير والإمساك قال تعالى" *والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً*".(٢)

ج- يُفَضـل الإنفـاق على النفـس ثم على الأهـل ثم على الأقـرب فـالأقرب كمـا جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رســول الله صلى الله عليه وسلم "دينـارٌ أنفقتـه في سبيل اللـه، ودينـارٌ أنفقتهُ في رقبـة، ودينـارٌ تصدقت به على مسكين، ودينــارٌ أنفقتـهُ على أهلــكَ أعظمُهـا أجراً الـذي أنفقتــه على أهلـكَ".(٣)

وجاء عـن ثوبان* مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أفضل دينار ينفقه الرجل، دينارٌ ينفقه على عياله، ودينارٌ ينفقه على دابته في سبيل الله، ودينارٌ ينفقهُ على أصحابه في سبيل الله".(٤)

الصحابةُ والإنفاق:-

كـان صلى الله عليه وسلم أجود النـاس في فعل الخير وخاصـة في العطاء والبذل من طعـامه ومـا يملكه من مال، فيعطـي السائل والمحتاج بنفس طيبـة، وكـان صلى الله عليه وسلم أجود ما يكون في شهر رمضان.

عـن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود النـاس وكان أجود مـا يكـون في رمضان حين يلقاهُ جبريلُ، وكـان يلقـاه في كلِّ ليلـةٍ مـن رمضان فيدارسُه

---

(١) سورة الإسراء الآية: ٢٩

(٢) سورة الفرقان الآية: ٦٧

(٣) مسلم، ج: ٢، ك: الـــزكاة، باب: ١٢، ص: ٦٩٠ رقـــم ٣٩، مسنـــد أحمـــد ج: ٢، ص (٤٧٢، ٤٧٣)

(٤) مسند أحمد، ج: ٥، ص: ٢٧٧

* ثوبان: ثوبان بن بجدد يقال ابن جحدر، أبو عبدالله وأبو عبدالرحمن الهاشمي أصله من اليمن اشتراه النبي وأعتقه، خرج إلى الشام ونزل مدينة الرملة بفلسطين ثم ذهب إلى حمص وتوفي بها أثناء إمارة عبدالله بن قرط. روى عن النبي وعنه أبو أسماء الرحبي ومعدان بن أبي طلحة اليعمري وأبو إدريس الخولاني وخلق، ت بحمص سنة ٥٤هـ وأيد ذلك ابن سعد. انظر تهذيب التهذيب ج:٢، ص: ٣١ .

القرآن، فلرسولُ الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة".(١)

وكان صلى الله عليه وسلم كثير الصدقة فتصدق بشاة ذبحها لأهله ولم يُبق منها إلاّ الكتف، وقال لنسائه بقيَ لنا في الآخرة ما أنفقناه.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أنهم ذبحوا شاةً، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم، ما بقي منها؟ قالت: ما بقيَ مِنها إلا كتِفُها، قال: بقي كُلُّها غيرَ كَتِفَها".(٢)

ونساء النبي صلى الله عليه وسلم كُنَّ أجود النساء وذلك لأنهنَّ عِشنَّ في بيت النبوة فتأثرن بأخلاقه صلى الله عليه وسلم فأصبحن معلمات للمؤمنين والمؤمنات.

فجاء عن عائشة رضي الله عنها "أن مسكيناً سألها و هي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف، فقالت لمولاة لها: أعطيها إياه فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه، فقالت أعطيها إياه، قالت ففعلتُ فلما أمسينا أَهْدَى لنا أهلُ بيتٍ شاةً مطبوخة للأكل، فدعتني عائشة فقالت: كلي من هذا، هذا خيرٌ من قُرصك".(٣)

ولقد روت أسماء بنت أبي بكر فقالت: لما خرج صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر إلى الهجرة، احتمل أبو بكر ماله كله معه خمسة آلاف درهم او ستة آلاف فانطلق بها معه، قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصرة فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه، قلتُ: كلا يا أبت إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً، قالت فأخذتُ أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع مالهُ فيها، ثم وضعتُ عليها ثوباً، ثم أخذتُ بيده فقلتُ يا أبت ضع يدك على هذا المال، قالت: فوضع يده عليه، قال: لا بأس إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم، ولا والله ما ترك لنا شيئا ولكني أردت أن أسكت الشيخ بذلك.(٤)

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يتنافسون في فعل الخير والإنفاق في سبيل الله، فقد كان لهم في رسول الله أسوة حسنة عندما كان يُرّغب أهله وصحابته في الإنفاق

---

(١) متفق عليه فتح الباري ج:١، ك: بدء الوحي، باب: ٥، ص: ٣٠ رقم: ٦، مسلم ج: ٤، ك: الفضائل، باب: ١٢، ص: ١٨٠٣، رقم: ٥٠، ابن ماجه ج: ٢، ك: الجهاد باب: ٩، ص: ٩٢٦ حديث رقم ٢٧٧٢ بألفاظ مختلفة، مسند أحمد ج:١ ، ص: (٢٣١، ٢٨٨، ٣٢٦، ٣٦٣) ج: ٦،ص: ١٣٠

(٢) أخرجه الترمذي، ج: ٤، ك: (صفة القيامة) باب: ٣٣، ص: ٦٤٤ حديث رقم: ٢٤٧٠ مسند احمد ج: ٦، ص: ٥٠ .

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، ج: ٢، باب الترغيب في الصدقة، ص: ٢٨٦، حديث رقم: ٢١٦

(٤) سيرة ابن هشام ج:١، ص: ٤٨٨، فقه السيرة. ص: ١٧٩ .

والجود على الفقراء والمساكين وابن السبيل والسائلين والمحتاجين.(١)

جاء في الحديث عن زيد بن أسلم عن أبيه قال سمعتُ عمر بن الخطاب يقول أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدّق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبقُ أبا بكر إنْ سبقتُهُ يوماً، قال فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله: ما أبقيتَ لأهلِك؟ قلتُ مِثلهُ، وأتى أبو بكر بكُلِّ ما عندهُ فقال: يا أبا بكر ما أبقيتَ لأهلك؟ قال: أبقيتُ لهُمُ اللهَ ورسولَهُ، قلت: والله لا أسْبِقُهُ إلى شيء أبداً.(٢)

وكان عثمان رضي الله عنه كثير الإنفاق في سبيل الله حيث جهّز جيش العسرة بمائة بعير بأحلاسها وأقتابها، وجاء بمالٍ كثير فوضعه في حجر النبي صلى الله عليه وسلم لينفقه على غزوة تبوك.

عن أبي عبدالرحمن أن عثمان - رضي الله عنه- حيثُ حوصرَ أشرفَ عليهم وقال أنشُدُكم اللهَ ولا أنشُدُ إلاّ أصحابَ النبي صلى الله عليه وسلم: ألستم تعلمون انَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من حَفَر رومةَ فله الجنة فحفرتُها؟ ألستم تعلمون أنه قال: من جهّز جيش العُسرة فلهُ الجنة فجهّزتهُ؟ قال فصدقوهُ بما قال".(٣)

وروى الإمام مسلم* قصة رجل من الأنصار في إنفاقه فقال عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال "إني مجهودٌ فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحقّ ما عندي إلاّ ماءٌ، ثم أرسلَ إلى أخرى فقالت مثلُ ذلك، حتى قلْن كُلّهُنّ مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحقّ: ما عندي إلاّ ماءٌ، فقال: "من يُضيّفُ هذا الليلةَ رحمهُ اللهُ" فقام رجلٌ من الأنصارِ فقال: أنا يا رسول الله! فانطلق به إلى رحلِهِ، فقال لإمرأته: هل عندَكِ شيءٌ؟ قالتْ: لا، الاَّ قوتُ صبياني. قال: فعلليهمِ

(١) انظر من وصايا القرآن الكريم، ص: ٦٣٨

(٢) أخرجه الترمذي، ج: ٥، ك: المناقب، باب: ١٦، ص:(٦١٤، ٦١٥) حديث رقم ٣٦٧٥، الدارمي ج: ١، ك: الزكاة ، باب: ٢٦ (الرجل يتصدق بجميع ما عنده) ص: ٣٢٩، حديث رقم: ١٦٦٧

(٣) أخرجه البخاري، فتح الباري ج:٥، ك: الوصايا، باب: ٣٣، ص: (٤٠٦، ٤٠٧) رقم ٢٧٧٨ بألفاظ مختلفة، أخرجه الإمام أحمد في المسند ج: ١، ص: (٥٩، ٧٠، ٧٥) ج: ٤، ص: (٧٥، ٢٢٤)

* مسلم- هو الإمام الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري أحد أركان الحديث النبوي وصاحب الصحيح، ارتحل إلى العراق والحجاز والشام ومصر سمع من ابن حنبل واسحق بن راهوية ويحي النيسابوري وغيرهم، قدم بغداد وروى عنه أهلها، صنّف في صحيحه الأحاديث الصحيحة ويأتي بعد صحيح البخاري وقال بعض العلماء أن صحيح مسلم أحسن سياقاً للروايات توفي سنة ٢٦١هـ، انظر مرآة الجنان وعبرة اليقظان ج: ٢، ص(١٧٤، ١٧٥)

بشـيء فإذا دخَلَ ضيفُنا فأطفئي السـراج وأريهِ أنّا نأكلُ، فـإذا أهوى ليأكُلَ فقومي إلى السـراج حتى تُطفئيهِ قال: فقعدوا وأكـل الضيف، فلما أصبح وغـدا على النبي صلى اللـه عليه وسلم فقال: "قد عَجِبَ اللهُ من صنيعكما بضيفِكُما الليلة".(١)

---

(١) مسلم، ج: ٣، ك: الأشربة، باب: ٣٢، ص: ١٦٢٤، رقم: ١٧٢

المبحث الثاني
المعاملات الربوية

مقدمة المبحث:

لقد تحدث الكثيرُ من العلماء في هذا العصر عن موضوع الربا والتعامل به وأفاضوا الحديث فيه لأن التعامل الربوي هو السائد والطاغي على الإقتصاد العالمي في الشرق والغرب.

وهذا دليلٌ واضح على أن هذه الأنظمة العالمية والبنوك الربوية تسير في عصيان الله ومخالفة أمره، لأنه سبحانه وتعالى حارب الربا وتوعد المرابين بحرب من الله ورسوله.

قال تعالى "*يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللهَ وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوسُ أموالِكمْ لا تظلمون ولا تُظلمون*".(١)

ولأنهم تعاملوا بالربا وقد نهوا عنه، أصاب الأنظمة الضالعة فيه الكثير من الشرور والمفاسد والبلايا في جميع مناحي الحياة، فأصابهم الشرُّ في اخلاقهم واقتصادهم وسائر أمورهم الحياتية.

وأنّى لهم أن يعتبروا وقد ران على قلوبهم، وطمس الشيطان على عقولهم فزين لهم الحرام بسيطرته عليهم وساد التعامل الربوي، وفرض المرابون هيمنتهم على العالم كله فانخرفت بعض الأنظمة في بلاد المسلمين مع هذا التيار العالمي الجارف، فأصبح عليهم من الديون الباهظة وما تحمله من فوائد ربوية، العامل الأساسي في اسقاطهم تحت بارثن الإستعمار وتنفيذ سياساته الإستعمارية في منطقة الشرق الإسلامي.

وإذا حاولت أي دولة من الدول المديونة للغرب أن تفرض سلطانها وإرادتها الذاتية على قرارها السياسي، تُشن عليها الحرب في السرّ والعلن ويلوح لها بالحرمان والجوع، كما يحدث في الدول النامية او ما يسمى بدول العالم الثالث.

وعندما ننظر إلى الشيوعية المنهارة فيما كان يسمى بالإتحاد السوفيتي او الصين حاليا ندرك أن سبب الإنهيار هو إفلاس هذه الأنظمة فكرياً واقتصاديا وعجزها عن تحقيق الإكتفاء الذاتي لشعوبها.

والآن أصبحت روسيا دمية تحركها أصابع امريكا فلا تستطيع ان تعترض على شيء في السياسة العالمية، وذلك لأنها أصبحت تستجدي لقمة العيش من الدول الرأسمالية.

ويا ليت قومي يعتبرون لما يجري اليوم على الساحة الدولية بشكل عام والوطن الإسلامي بشكل خاص فنبتعد عن التعامل الربوي الذي زرعه الإستعمار ونجتنب كلّ

---

(١) سورة البقرة الآية: (٢٧٨، ٢٧٩)

ما حرّم اللهُ في كتابه الكريم ونلجأ إلى تطبيق منهج الله في حياتنا السياسية والإقتصادية والأخلاقية حتى نصبح خير أمة أخرجت للناس وفي مقدمة الأمم والشعوب من أجل البناء والإعمار وتحقيق الأمن والسلام.

تعريف الربا:-

الربا في اللغة يعني الزيادة والنماء، وَرَبا المالُ: إذا زاد وارتفع وعلا، ورَبا الفرس إذا انتفخ من عَدْوٍ أو فزع، وحينما تقول أربى فلانٌ على فلان أي زاد عليه، وقوله تعالى "*وترى الأرض هامدةً فإذا أنزلنا عليها الماءَ اهتزت وربت*"(١) أي زادت وانتفخت وعلت لما يتداخلها من الماء والنبات.

وأربى تعني أكثر عدداً كما أوضح المفسرون في قوله تعالى :""*أن تكون أمةٌ هي أربى من أمةٍ*"(٢) تعني أكثر من أمة وأقوى وجاء نفس المعنى في قوله تعالى "*وما أتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله*"(٣) أي فلا يكثر عند الله.

ويربي تعني أيضاً القبول "ويربي الصدقات" أي يقبلها، والربوة هي المكان المرتفع المستوي.

الربا في الشرع:-

عرفه بعض العلماء بأنه الزيادة على أصل المال من غير عقد تبايع، وقال آخرون يقصد به كل بيع ربوي بآخر بتفاضل بينهما في القيمة أو الكيل.(٤)

أقسام الربا:-

ينقسم الربا إلى قسمين رئيسيين هما:-

أولاً: ربا الفضل:-

عرفه العلماء بأنه بيع الشيء بنظيره مع زيادة أحد العوضين على الآخر، أو بيع الجنس الواحد مما يجري فيه الربا بجنسه متفاضلاً أي بزيادة، كأن يبيع رطلاً من القمح برطلٍ ونصف من قمح آخر او صاع تمر بصاع وربع من تمر آخر أو رطلاً من العسل برطل وربع من عسلٍ آخر. أو يبيع أوقية فضةٍ باوقيةٍ ودرهم من فضة مثلها.

ولوجود التفاضل أي الزيادة في الجنس الواحد كان التحريم لأن ذلك عين الربا الذي حرمه الكتاب والسنة النبوية المطهرة.(٥)

---

(١) سورة الحج الآية: ٥ (٢) سورة النحل الآية: ٩٢ (٣) سورة الروم الآية: ٣٩

(٤) انظر لسان العرب ج: ١٤، ص:(٣٠٤، ٣٠٥)، والمعجم الوسيط ج:١ ص: ٣٢٦وانظر تفسير زاد المسير مجلد: ١، ص: ٢٨٦ والرازي مجلد: ٤ ج: ٧، ص: ٩٢ والقرطبي مجلد: ٢، ص: ١١٥٦ وقاموس القرآن ص: ١٩٠ ومحيط المحيط ج: ١، ص: ٧٤٨ (٥) انظر مجموع فتاوي ابن تيمية مجلد: ٢٠، ص: ٣٤٧ وانظر روح الدين الإسلامي ص: ٣٣٠

واوضح صلى الله عليه وسلم هذا القسم من الربا حيث قال "الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبُرُّ بالبر والشعير بالشعير والتمرُ بالتمر والملحُ بالملح مِثْلاً بِمِثلٍ ويداً بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى والآخذ والمعطي فيه سواء".(١)

ثانياً: ربا النسيئة:-

هذا النوع من الربا يتعامل به العرب في الجاهلية بكثرة وصورته، أن يقرض الرجلُ قدراً معيناً من المال إلى أجلٍ محدود كشهر او سنة على سبيل المثال مع أخذ الزيادة بدلاً من امتداد الأجل.(٢)

وسماه ابن هيثم بالربا الجلي فقال "الجلي ربا النسيئة وهو الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية، مثل أن يؤخر دَيْنَه ويزيده في المال، وكلما أخره زاد المال حتى تصير المائة عنده آلافا مؤلفة.(٣)

وذكر الطبري هذا النوع في تفسيره فقال "إن الرجل في الجاهلية يكون له على الرجل مال إلى أجل فإذا حلَّ الأجل طلبه من صاحبه فيقول الذي عليه الدين، أخّر عني دينك وأزيدك على مالِك، فيفعلان ذلك.

وهذا هو عين الربا أضعافا مضاعفة، فنهاهم الله عز وجل في إسلامهم عنه".(٤)

وربا النسيئة الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية القديمة هو نفسه الربا الذي تتعامل به البنوك في عصرنا الحاضر، حيث يأخذ البنك نسبة معنية من الربح كخمسة أو عشرة في المائة من المستدين سواء كان المستدين فرداً او شركةً، وكلما طالت الفترة التي لم يسدد فيها المستدين الدين للبنك تزداد أرباح البنك إلى أن تصل إلى أضعاف مضاعفة.

حُكم الربا:-

إنّ الشريعة الإسلامية حرمت الربا بنوعيه قليله وكثيره فهما على حدِّ السواء في التحريم، وهما ربا الفضل وربا النسيئة، وجاء التحريمُ في قوله تعالى "**وأَحلَّ الله البيع وحرّم الربا**"(٥) وقوله تعالى "**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين**".(٦)

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في الصحيح، ج: ٣، ك: المساقاه، حديث رقم: (٨٢) ورقمه العام (١٥٨٤)ط (١٩٨١م-١٤٠١هـ) دار الدعوة استانبول، وأخرجه الإمام أحمد في المسند مجلد: ٣، ص: ٩٧

(٢) انظر فتاوي ابن تيمية مجلد: ٢٠، ص: ٣٤٩

(٣) اعلام الموقعين، ج :٢، ص: ٩٩

(٤) جامع البيان للطبري، ج: ٤، ص: ٩٠

(٥) سورة البقرة الآية: ٢٧٥

(٦) سورة البقرة الآية: ٢٧٨

الآيات القرآنية واضحة وقاطعة في تحريم الربا، وفيها الوعيد والتهديد من الله سبحانه للناس إذا لم يتركوا الربا فهم في حرب مع الله ورسوله وذلك لعصيانهم وهروبهم عن أمر الله تبارك وتعالى.

كما أنه لا يجوز التحايل على الربا تحت أي صورة من الصور، كأن يتفقا على ربح بسيط، فيرجع العشرة آلاف درهم، عشرة آلاف وعشرة دراهم، فهذا حرام وخداع لله ورسوله.(١)

ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا ومن يشهد عليه أو يكتبه عن ابن مسعود قال: "لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الرّبا وموكله وشاهديه وكاتبيه".(٢)

واعتبره صلى الله عليه وسلم من السبع الموبقات التي أمر باجتنابها، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هُنَّ؟ قال: الشركُ بالله، والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلاّ بالحق وأكل الربّا، وأكلُ مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات".(٣)

الحكمة من تحريم الربا:-

١- أنزل الله سبحانه القرآن الكريم ليخرج الناس من الظلمات الى النور ومن الجاهلية الآسنة إلى عدالة الإسلام فهو دين التراحم والتعاطف والبر والإحسان والإخوة والمساعدة التي بها تقوى العلاقات الإجتماعية بين الناس، لإنها تقوم على آصرة العقيدة الإسلامية التي توجب تعاطف القوي الغني مع الضعيف الفقير. وبهذا يسود التكافل الإجتماعي الوثيق في المجتمع المسلم، إضافة إلى ذلك أن الكرامة والأموال والدماء والأعراض تصان وتحفظ من الضياع، وللحفاظ على ذلك كان تحريم الربا لأنه يؤدي إلى أخذ مال المسلم بغير حق وعن غير طيب نفس، كما أنه يؤدي إلى تكديس الثروة في يد جماعة من المرابين وهذا خسران للفرد والجماعة.

٢- الربا يعمل على قطع صلات المودة بين الناس، ويقتل الروح الإجتماعية في المجتمع ويورث الحقد والبغضاء والعداوة في النفوس مما يجعل الناس يتعاملون مع بعضهم في المجتمع الربوي وكأنهم ذئاب جائعة كلٌ منهم ينتهز الفرصة السانحة ويتربص بأخيه الدائرة.

---

(١) انظر مجموع فتاوي ابن تيمية مجلد: ٢٠، ص: ٣٤٧ وانظر تفسير آيات الأحكام للصابوني، مجلد: ١، ص: ٣٩١، والضياء اللامع القسم الأول، ص: ٢٣٩

(٢) أخرجه أبو داود في كتابه السنن، ج: ٢، ك: البيوع، باب (آكل الربا وموكله) ص: ٢١٩

(٣) متفق عليه، فتح الباري، ج:٥، ك: الوصايا، باب: ٢٣، ص: ٣٩٣، حديث رقم: ٢٧٦٦، وأخرجه مسلم، ج:١، ك: الإيمان، باب: ٣٨، ص: ٩٢، حديث رقم: ١٤٥، وأيضاً فتح الباري، ج:١٢، ك:الحدود، باب: ٤٤، ص:١٨١ حديث رقم: ٦٨٥٧

وهـذا بلا شـك يؤدي إلى هلاك المجتمـع وقطـع اواصر المـؤاخاة بين النـاس وينهـي العلاقات الإجتماعية القائمة على التعاون.(١)

قـال تعالى "*وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان*".(٢)

٣- التعـامل بالـربا يقضي على الجانب الإقتصـادي في المجتمع لأن التعـامل بالـربا يجعل النـاس يتكاسلون عن العمل مـن أجل الكسب الحلال، لأن المـرابي لا يستطيع تحمل مشقـة الكسـب الحلال عن طريق بذل الجهـد، وبالتالي فالتعـامل الـربوي يقضي على منافع الناس التجارية والصناعية.

٤- قـال صـاحب المنار وأيده القـرضاوي، فيمـا نقله عن الفخـر الـرازي أنّ الربا يمحق العلاقـات الإجتمـاعية بين النـاس مـن خلال أن المُقرض هـو الغني والمستقـرض هو الفقير والـربا يُمكّـن الغنيُّ مـن الفقير الضعيـف فيزداد الغني غنـاً والفقير فقـراً. وبمرور فترة من الزمن على تعامل الناس بالربا تُصبح الثروة ورؤوس الأموال مكدسة في يد فئة قليلة من الناس وباقي عامة أبناء المجتمع فقراء يشكـون الفاقة، وهذا ينافي تعـاليم الإسلام التي تأمـر بالـرحمة والتراحم مـع المعسـرين في المجتمـع المسلم.(٣)

٥- إن تحـريم التعـامل الربوي في المجتمـع يفتح أبواب البر والخير بين النـاس فيقـرض المسلم أخاه المسلم بلا فـائدة ويداينـه وينتظـر ميسرته، فيكـون بذلـك يسّـر على أخيه وتراحم معـه حُبـاً في اللـه، وهـذا يؤدي إلى زيادة الألفـة والإخاء والتضامن بين الناس.(٤)

٦- حرّم اللـه الربا ليتم القضاء على الظلم والغبن الذي يحدث بسبـب التعامل بالربا، لأن المـرابي يأخذ فضلاً محققـاً مـن محتـاج بدون أي مقـابل لما يأخذه وهـذا عين الحـرام والظلم، وهذا أشد في الحرمة من القمار، لأن المقامر قد يحصـل له فضل وقد يخسر في بعض الأحيان.(٥)

وأخبر صلى اللـه عليـه وسلم أن لـدماء وأمـوال المسلمين حرمـة فجـاء عـن سليمان الأحوص عـن أبيه قال: سمعَ النبيَّ صلى اللـه عليه وسلم يقـول في حجة الوداع "يا أيها الناسُ، إنّ دماءكُم وأموالكُمْ وأعراضَكُمْ بينكم حرام، كمحـرمةِ يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا لا يجني جانٍ إلاّ على نفسه".(٦)

---

(١) انظر التفسير الواضح مجلد: ١، ج: ٣ ص:(٢٤، ٢٥)

(٢) سورة المائدة الآية: ٢

(٣) انظر تفسير المنار مجلد: ٣، ص: ١٠٩ وأيضا الحلال والحرام ص: ٢٥٥

(٤) انظر منهاج المسلم، ص: ٣٩٠

(٥) انظر مجموع فتاوي ابن تيمية مجلد:٢٠، ص: ٣٤١

(٦) الترمـذي ج:٤، ك: الفتن، باب: ٢، ص: (٤٦١، ٤٦٢) رقـم: ٢١٥٩، الـدارمـي ج:١، ك: المناسك، باب: ٧٢ "الخطبـة يوم النحر" ص:٣٩٣، ٣٩٤، رقـم:١٩٢٢، ابن ماجه ج:٢، ك:المناسك، باب:٧٦ ص:١٠١٥ رقم:٣٠٥٥

الضرر الإجتماعي للربا:-

حرّم الله سبحانه الربا لأنه يسبب كارثة اجتماعية خطيرة بعيدة الأثر على المجتمع الذي يتعامل ربوياً، فهو مصدرٌ للجشع والإستغلال والنصب والإحتيال ومعاملة دنيئة تتنافى مع مبادىء الإسلام العادلة السامية من الإخوة والسلام والرحمة والتعاون، الذي دعت إليه الشريعة الإسلامية السمحاء.

إضافة إلى ذلك أنه يؤدي إلى أن تتكدس الأموال وتتضخم في أيدي الطبقة المترفة بدون عناء ولا بذل جهد في عمل شريف، وبالتالي فإن هذا يفسد الحياة الخلقية والنفسية عند الأفراد كما يفسد الحياة الإقتصادية والسياسية.(١)

وأنه وسيلة للإستعمار كما ألمحنا في مقدمة هذا المبحث، وقد ثبت أن الغزو الإقتصادي القائم على الربا كان تمهيداً للإحتلال العسكري لدول العالم الثالث.

فعندما اقترضت الحكومات في الشرق الإسلامي قروضاً ربوية وفتحت بلادها للمرابين الأجانب وبعد سنوات معدودة كانت النتيجة أن تسربت ثروة البلاد ومصادر الإنتاج في عالمنا الإسلامي إلى المرابين الأجانب.

وحينما استيقظ الشرفاء من أبناء الأمة لحقيقة ذلك بإعلان الثورة الشاملة وإحداث التغيير الإجتماعي لتحرير العباد والبلاد من المُرابين الأجانب تدخلت حكوماتهم الربوية تحت اسم الوصاية والرعاية والحماية الدولية، وهذا ما حدث في الماضي القريب وما يحدث في زمننا الحاضر ونشاهده واضحاً في فلسطين والصومال والعراق والبوسنة والهرسك وأغلب بلاد المسلمين.(٢)

الخلاصة في ذلك، أن التعامل بالربا يؤدي إلى خلخلة في النظام الإقتصادي والإجتماعي والسياسي في المجتمع، ومن ثم يحطم إمكانيات وطاقات الأمة كلما أرادت أن تنهض، وفي نهاية المطاف يؤثر على القرار السياسي للأمة فتصبح غير قادرة على إدارة نفسها ذاتياً وحينئذٍ تستكين للغرب وتتخلى عن إرادتها من أجل جلب بضع قروش لإنعاش مستواها الإقتصادي الذي انهار نتيجة التعامل الربوي.

وحينما نتعامل بمبادىء الإسلام ونحتكم إلى شريعة السماء في جميع أمور حياتنا فإن المعضلات التي نشاهدها في ظل الأنظمة الربوية ستزول ويقوى الإقتصاد، ويتحقق الأمن والسلام.

قال تعالى "ولو أنّ أهلَ القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكنْ كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون".(٣)

---

(١) انظر في ظلال القرآن، مجلد: ١، ص: ٤٧٣

(٢) انظر التفسير الواضح، مجلد: ١،ج: ٣، ص: (٢٣)

(٣) سورة الأعراف الآية: ٩٦

المبحث الثالث

الوصية

الوصية في اللغة:-

تقول أوصى توصية، وأوصاه، ووصاه توصية وهي إسم من الإيصاء، وتجمع على وصايا، وهي عبارة عن الموصى به.

وأوصى فلانٌ لفلان، أي عهد إليه بالتصرف في الشيء الموصى له بعد موته وأوصيتُ بالشيء إذا أوصلته وكأنه وصل ما كان في حياته بعد موته.

الوصية شرعاً، هي تمليك مضاف الى ما بعد الموت، يُقصد بذلك إيجاب شيءٍ من مال أو منفعة لأحد بعد الموت.

ونستطيع أن نقول بأنها تبرع أو هبة الرجل مما يملكه في حياته سواء كان عيناً أم منفعة لشخص آخر أو لإشخاص من بعد موته.(١)

مشروعية الوصية:-

١- الكتاب:

جاء ذكر الوصية في كتاب الله في ثلاث سور من سور القرآن الكريم، أول هذه الآيات التي في سورة البقرة قال تعالى "*كُتب عليكم إذا حضر أحدكم الموتُ إن ترك خيراً الوصيةُ للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين*".(٢)

ثم جاءت التي في سورة النساء قال تعالى "*من بعد وصية يوصى بها أو دين*"(٣) ثم نزلت التي في المائدة قال تعالى "*يا أيها الذين آمنوا شهادةُ بينكم إذا حضر أحدكُم الموتُ حين الوصية إثنان ذوا عدلٍ منكم أو آخرانِ من غيركم*".(٤)

٢- السنة النبوية المطهرة:-

جاء في الحديث الشريف عن أبن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "ما حق امرىء مسلم له شيء يوصي فيه يبيتُ ليلتين إلاّ ووصيّتُهُ مكتوبة عنده".(٥)

---

(١) انظر محيط المحيط، ج: ٢، ص: ٢٢٥٩ وأيضاً المعجم الوسيط ج: ٢، ص: ١٠٣٨ والمصباح المنير ج: ٢، ص: ١٠٢٧

(٢) سورة البقرة الآية: ١٨٠

(٣) سورة النساء الآية: ١١

(٤) سورة المائدة الآية: ١٠٦

(٥) فتح الباري ج: ٥، ك: الوصايا، باب: ١، ص: ٣٥٥، رقم: ٢٧٣٨، الترمذي ج: ٤، ك: الوصايا، باب: ٣ (الحث على الوصية) ص: ٤٣٢ رقم: ٢١١٨ أبو داود، ج:٢، ك: الوصايا، باب: ١، ص: ١٠١

الحديث الشريف يدل على الحزم في أمر الوصية لأن الموت قد يأتي فجأة للإنسان من حيث لا يشعر، وينبغي على المسلم أن يتحرى العدل في وصيته، ولا يسبب ضرراً لأي من الورثة وغيرهم.

عن أبي هريرة أنهُ حُدِّثَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إن الرجلَ ليعملُ والمرأة بطاعةِ الله ستين سنةً ثم يحضرهُما الموتُ فيُضارّان في الوصيّةِ فتجبُ لهما النارُ، ثمّ قرأ أبو هريرة "من بعد وصيةٍ يُوصى بها أو دينٍ".(١)

الإجماع:-

لقد تمّ اجماع الأمة على مشروعية الوصية من عهد المسلمين الأوائل إلى يومنا هذا ولم يخالف في ذلك أحد.(٢)

المال الذي تقع به الوصية:-

لقد اختلفت أقوال العلماء في مقدار المال الذي تقع به الوصية من خلال تفسيرهم لقوله تعالى "*إن ترك خيراً الوصية للوالدين*"(٣) فقالوا: أن خيراً تعني المال الذي ينبغي أن يوصي منه، وجاءت كلمة الخير بهذا المعنى في آيات متعددة منها قوله تعالى "*وما تنفقوا من خيرٍ فلأنفسكم*"(٤) وقوله تعالى "*قال ربِّ إني لما أُنزلت إليّ من خير فقير*"(٥) وقوله تعالى "*إنه لحب الخير لشديد*".(٦)

وقالوا أن الوصية تقع في المال الكثير الفائض عن نفقة العيال، وقيل أنها تكون في القليل أيضاً، ولكنهم اختلفوا في تحديد مقدار القليل من المال الذي تقع فيه الوصية.

فقد ورد عن ابن عباس، أنّ من لم يترك ستين ديناراً لم يترك خيراً، وقيل ثمانين ديناراً وقال قتادة ألفًا فما فوقها.(٧)

ونرجّح أن يكون مقدار المال الذي تقع به الوصية متروكاً لحسب أحوال الناس وزمانهم الذي يعيشون فيه بحيث أن يترك ورثته أغنياء من بعد الوصية ويؤيد ذلك ما جاء في الحديث الشريف.

---

(١) أخرجه الترمذي ج:٤، ك: الوصايا، باب: ٢، ص: ٤٣١، حديث رقم: ٢١١٧، أبو داود، ج: ٢، ك: الوصايا، باب: (كراهية الإضرار في الوصية) ص: ١٠٢

(٢) انظر تفسير القرطبي مجلد: ١، ج: ٢، ص: ٢٥٩ وأيضاً الميراث في الشريعة الإسلامية، ص: ٩٨

(٣) سورة البقرة الآية: ١٨٠

(٤) سورة البقرة الآية: ٢٧٢

(٥) سورة القصص الآية: ٢٤

(٦) سورة العاديات الآية: ٨

(٧) انظر تفسير زاد المسير مجلد: ١، ص: ١٦٥ وانظر تفسير القرطبي، مجلد: ١، ج:٢، ص: ٢٦١

عن عائشة رضي الله عنها حيث قالت: لرجل سألها إني أريد أن أوصي من مالي فقالت له: كم مالك؟ قال ثلاثة آلاف درهم قالت: كم عيالك؟ قال: أربعة، قالت هذا شيء يسير فدعه لعيالك".(١)

الوصية بالثلث:-

الوصية تكون في ثلث المال المتبقي من بعد تجهيز الميت وسداد الدين الذي عليه وقالوا أنها لا تجوز بأكثر من الثلث مع أنها ممكن ان تكون بأقل من الثلث.

ويؤيد ذلك ما جاء عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال جاء النبي صلى الله عليه وسلم يعودني في مرض مرضته بمكة، فقلت يا رسول الله، إنَّ لي مالاً كثيراً وليس يرثني إلا ابنتي، أفأوصي بمالي كُلّهُ؟ قال: لا قلتُ فثُلُثي مالي؟ قال: لا، قلتُ فالشطرُ قال: لا قلتُ فالثلُثُ؟ قال: الثلثُ والثلثُ كثير؟ إنك إنْ تدعْ ورثتَكَ أغنياء خيرٌ من أن تدعهم عالة يتكففون الناس وإنك لن تُنفق نفقةً إلاّ أُجرتَ فيها حتى اللقمة ترفعُها إلى فيِّ امرأتِكَ".(٢)

واتفق الأحناف والحنابلة والشافعية على جواز الوصية بأكثر من الثلث بشرط موافقة الورثة عليها، وإن لم يوافقوا بطلت.

وخالفهم المالكية فقالوا، إن الوصية بأكثر من الثلث باطلة وإذا أجازها الورثة، واعتبروها بجواز الورثة تصبح عطية من الورثة وليست وصية.(٣)

هل تجوز الوصية للوارث؟

ذكر بعض العلماء أن الوصية للوالدين والأقربين كانت واجبة بقوله تعالى "كُتب عليكم إذا حضر أحدكم الموتُ إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين".(٤)

ثم نُسخ هذا الحكم بآية المواريث التي في النساء قال تعالى "يوصيكمُ اللهُ في أولادِكمْ للذكر مثلُ حظ الأنثيين فإن كُنَّ نساءً فوق اثنتين فلهُنَّ ثلثا ما ترك، وإن كانت واحدة فلها النصفُ.(٥)

---

(١) مسند الإمام أحمد ج: ٥، ص: ٦٧

(٢) متفق عليه، فتح الباري ج: ٥، ك: الوصايا، باب: ٢، ص: ٣٦٣ رقم: ٢٧٤٢ مسلم، ج:٣، ك: الوصية، باب: ١، ص: ١٢٥٠ رقم: (٥، ٨) ص: ١٢٥٣، الترمذي ج: ٣،٤ ك: الوصايا، باب: ١، ص: ٤٣٠ رقم: ٢١١٦، سنن الدارمي ج:٢ ك: الوصايا، باب: ٧ (الوصية بالثلث) ص: ٢٩٣ حديث رقم: ٣١٩٩ مسند أحمد ج:١، ص: (١٦٨، ١٧٢، ١٧٣، ١٨١) ج: ٤، ص: ٦٠

(٣) انظر تفسير القرطبي مجلد: ١، ج: ٢، ص: ٢٦٥ وأيضاً الميراث في الشريعة الإسلامية ص: ١٠٣

(٤) سورة البقرة الآية: ١٨٠

(٥) سورة النساء الآية: ١١

وأيد النسخ ما ورد عن عمرو بن خارجه* قال: كنت تحت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم وسمعته يقول "ألا إنَّ اللهَ أعطى كلَّ ذي حق حقهُ، فلا يجوز وصية لوارث.(١)

ونقل القاسمي عن الشافعي أن هذا الحديث متواتر حيث ذكره النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح ونقله كافة عن كافة يبلغ عددهم حد التواتر ولذلك يجوز أن ينسخ هذا الحديث الآية التي في سورة البقرة، ويكون الحكم النهائي انه لا وصية لوارث.(٢)

وأيد ذلك ابن حزم** فأوضح أنه لا تجوز الوصية لوارث سواء وافق الورثة عليها أم لم يوافقوا(٣)

وخالفه البعض فقالوا بإجازتها إذا أجازها جميع الورثة، ولكن الذين لم يجيزوها عللوا عدم جوازها بالآتي:-

١- أن الله سبحانه وتعالى منع ذلك في الحديث الشريف السابق فليس لاحدٍ من البشر أن يجيز ما أبطله الله على لسان نبيه الحبيب.

٢- أن الوصية للوارث تؤذي باقي الورثة، حيث فيها إيثار لبعضهم على بعض، ومن الإنصاف والعدل أن يأخذ كل واحد من الورثة نصيبه غير منقوص كما هو مبين في الفرائض.

---

(١) أخرجه الدارمي ج: ٢، ك: الوصايا، باب: ٢٨ ص: (٣٠١،٣٠٢)، رقم: ٣٢٦٣

(٢) انظر تفسير القاسمي محاسن التأويل ج: ٣، ص: ٤١٢ وانظر تفسير القرطبي مجلد: ١ ج:٢، ص: ٢٦٣ وانظر احكام القرآن لابن العربي القسم الأول، ص: ١٠٣

(٣) انظر المحلى لابن حزم ج: ٩، ص (٣١٦، ٣١٧)

* ابن خارجه: هو عمرو بن خارجه بن المنتفق الأشعري الأنصاري حليف أبي سفيان . روى عن النبي "أن الله أعطى كل ذي حق حقه" من طريق ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن عمرو بن خارجه، وذكر العسكري والطبراني حديثاً آخر عنه فيه الشعبي. انظر تهذيب التهذيب ج: ٨، ص: ٢٥

** ابن حزم:- هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الأموي الأندلسي القرطبي، كان حافظاً عالماً زاهداً في الدنيا مستنبطاً للأحكام، وكان شافعي المذهب ثم انتقل إلى مذهب أهل الظاهر. قال في حقه الغزالي، وجدت في أسماء الله كتاباً لابن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه، وكان أجمع أهل الأندلس لعلوم الإسلام وأوسعهم في علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار. وقال ابن العريف، كان لسانه وسيف الحجاج شقيقين حيث كان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين ولا يكاد أحد يسلم من لسانه، أشهر مصنفاته: "الإيصال إلى الفهم"، "الخصال الجامعة"، " وكتاب التقريب"، وكتاب "آظهار وتبديل اليهود والنصارى"، انظر شذرات الذهب في اخبار من ذهب ج: ٣، ص: (٢٩٩ - ٣٠٠)

٣- إجازة الوصية للوارث تقطع الرحم بين الورثة لوجود المحاباة والتمايز بينهم.
ونقول بعدم إجازة الوصية للورثة لأنها تسبب بعض المضار من الناحية الإجتماعية وهي كالآتي:

أ- الإسلامُ حينما شرّع الوصية لم يجعلها مطلقة وعامّة بل ضبطها بضوابط لتحقيق الخير والعدل في المجتمع، وحرّمها على الورثة لكي لا يظفر الوارث بنصيبين، نصيب من الإرث ونصيب من الوصية وهذا فيه الجور والظلم، ومنعاً لهذا الضرر على الورثة حرمت الوصية على الوارث.

ب- الوصية للوارث تُنقص حق الورثة الآخرين من الميراث وطالما، أن الوارث يأخذ حقه العادل كباقي الورثة، فلماذا يأخذ الزيادة عليهم، أليس هذا يعني الظلم الذي حرّمه الله؟.

ج- إن الوصية لبعض الورثة دون الآخرين، يؤدي إلى إلقاء العداوة والبغضاء بين نفوسهم وينتج عنها الخصومة والتقاطع بين أبناء العائلة الواحدة.

د- إن الوصية للوارث تجعل بعض الورثة، أن ينظر الى المورّث نظرة غضب، لأنه غير عادل وقد يُخاصموه في حياته قبل موته.(١)

الحكمة الإجتماعية للوصية:-

١- الإسلام يقيم نظامه الإقتصادي على توزيع الثروة والتركات إلى أكبر عدد من الناس، حتى لا تتكدس الأموال في يد فئة من أبناء المجتمع، لذلك شرع الإسلام نظام المواريث لكي يتم توزيع وتقسيم الثروة التي يجمعها الإنسان في حياته على الأقارب. ثم قرر الوصية لغير الورثة من الأقارب حتى يأخذوا نصيباً من ذلك وهذا يجعل الأموال متداولة بين الناس قال تعالى *كَي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم*:.(٢)

٢- الوصيةُ لغير الوارث تزيد صلة القرابة بين الأقارب وخاصة الذين لا تُوّرثهم آيات الميراث بسبب الحجب وفي هذا لون من ألوان التكافل العائلي العام. ولذلك نجد الآيات تُذكّر الموصي بالمعروف وبتقوى الله، ليتحقق العدل فلا يَظلمُ الورثة ولا يهمل غير الورثة من التركة.(٣)

---

(١) انظر الضياء اللامع ج: ١، ص: (٢٤٤، ٢٤٥)

(٢) سورة الحشر الآية: ٧

(٣) انظر في ظلال القرآن، مجلد: ١، ص: ١٦٧

المبحث الرابع

البيع ومتعلقاته

لقد ذكرت السورة بعض الموضوعات التي تتعلق بالبنية الإقتصادية لكي ينضبط الجانب الإقتصادي في المجتمع ويتحقق التكافل الإجتماعي الوثيق بين الناس، وتسودهم روح الإخوة والتعاون، وحب الإنسان لأخيه كما يحب لنفسه، فلا يظلمه ولا يخذله ولا يسلبه حقه في بيع أو شراء أو غير ذلك من الأمور التي تتعلق بتعامل الإنسان مع أخيه في المجتمع.

فذكرت الإنفاق في سبيل الله، ورأينا فيه منتهى الرحمة والشفقة والعطف من الأغنياء على الفقراء، فحثت القادرين على الإنفاق والبذل مما يملكون عن طواعية وحب، لسد حاجة المعوزين وفك كربة المكروبين.

ثم ذكرت الربا وحرمته لما فيه من القسوة والغلظة في التعامل بين الناس، وفيه من الظلم والجور الذي يقضي على وحدة الأمة وتماسكها ثم إضعافها وإفلاسها إقتصاديا.

وذكرت أحكام البيع والدين والرهان والتجارة وأوضحت الأسس السليمة التي ينبغي أن يتعامل عليها الناس في هذه الأمور، التي تتعلق بالتعامل اليومي في المجتمع، وذلك لتنمو الحياة وتتجه نحو البناء والإعمار، وتزدهر في ظل الكسب الحلال ومحاربة الغش والفساد.

وباستقراء موضوعات السورة يتضح لكل ذي عقل وبصيرة أن الإسلام دين ودولة، عقيدة ونظام، وفكرة ومنهاج حياة، يتم من خلاله ضبط علاقة الإنسان بخالقه وبالكون والحياة، ومن ثم ضبط علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، فهو مضطر إلى التعامل مع إخوانه، فجاءت السورة لتهدينا في الكسب والإنفاق، وتحرّم الغش والربا، وترشدنا في البيع والشراء، والدين والرهان حتى لا يحدث الشقاق والخصام، بل تسود كل معاني الخير والحب والوئام والأمن والسلام قال تعالى "*والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم*"(١) وقال تعالى "*وإنه لكتابٌ عزيزٌ، لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد*".(٢)

المطلب الأول: البيع

البيع في اللغة:-

البيع مصدرٌ من الفعل الثلاثي باع ومضارعه يبيعُ وجمعه بيوع، واسم الفاعل بائع ويطلق على الماهر في البيع وباع الشيء إذا سلّم السلعة للمشتري وقبض منه ثمنها، وأصل

---

(١) سورة يونس الآية: ٢٥ (٢) سورة فصلت الآية: (٤١، ٤٢)

الكلمة مأخوذ من مدِّ الباع الذي يعرف بالذراع، لأن كُلًا من المتبايعين يُمُدُّ باعه للآخر، الأول معطي وهو البائع والثاني آخذ وهو المشتري ولهذا يسمى البيع في اللغة بمطلق المبادلة.

البيع في الشرع: هو نقل ملك من شخص لآخر بعوض معيّن على الوجه المسرح فيه، وممكن ان تقول هو مبادلة مال بمال، على سبيل التراضي بين البائع والمشتري.

وعرّفه بعض العلماء فقال "هو عقد معاوضة على عين أو منفعة بشرط القبول والإيجاب، فيقول البائع بعتك ويقول المشتري قبلتُ، ولكل منهما الخيار في تسيير البيع أو فسخه طالما في المجلس ولم يتفرقا، وإذا تفرقا وقع البيع، وأيضاً ممكن تعريفه بجملة مصغرة تعطي المعنى وهي "مبادلة المال المتقَّوم بالمال المتقِوم عن تراضٍ بين البائع والمشتري.(١)

أوجه "البيع" في القرآن الكريم:-

جاء البيع في آيات القرآن الكريم يتضمن أربعة أوجه تحدث عنها البيضاوي في تفسيره وذكرها صاحب الوجوه والنظائر(٢) وهي كالآتي:-

١- البيع بمعنى الفداء، قال تعالى في السورة "*يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خلةٌ ولا شفاعةٌ والكافرون هُمُ الظالمون*".(٣)

وجاء نفس المعنى في سورة ابراهيم قال تعالى :*قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتي يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خلال*".(٤)

٢- البيع بمعنى العهد وأخذ المواثيق، قال تعالى "*إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكثُ على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليهُ اللهَ فسيؤتيه أجراً عظيماً*".(٥)

٣- البيعة، ويقصد بها بيع النصارى وهي أماكن العبادة عندهم، قال تعالى "*لهُدمت صوامعُ وبيعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يُذكرُ فيها اسمُ الله كثيراً*".(٦)

٤- البيع بعينه، هو الذي سيتم الحديث عنه في هذ المطلب قال تعالى "*قالوا إنما البيعُ مثلُ الربا وأحلَّ اللهُ البيعَ وحرّم الربا*".(٧)

---

(١) انظر محيط المحيط، ج: ١، : ١٤٩ وأيضاً لسان العرب ج: ٨ ص ٢٣ والمعجم الوسيط ج: ١، ص: ٧٩، وأيضاً التعريفات للجرجاني ص: ٦٨ وانظر سبل السلام مجلد: ٢ ج: ٣، ص:٣

(٢) انظر إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ص:(٨٣، ٨٤) وانظر تفسير البيضاوي، ص: ٤٤٥

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٥٤ (٤) سورة ابراهيم الآية: ٣١

(٥) سورة الفتح الآية: ١٠ (٦) سورة الحج الآية: ٤١ (٧) سورة البقرة الآية: ٢٧٥

وهـذه الآية دليل على مشروعيـة البيع في كتاب الله كما وأنَّ مشـروعية البيـع قائمة بسنة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وبإجماع الأمة.

عـن ابن عمـر رضي الله عنه كـان يقول "نهى النبي صلى اللـه عليـه وسلم أن يبيع بعضكـم على بيـع بعض، ولا يخطـب الرجلُ على خطبةِ أخيه حتى يترك الخـاطب قبلـه أو يأذن له الخاطب".(١)

وجاء في حديث آخر توضيـح مشـروعية البيع عن رفاعه* أن النبي صلى اللـه عليـه وسلم سئـل أي الكسـب أطيـب؟ قـال عمـل الـرجل بيده، وكـل بيـع مبرور".(٢)

وذكر صاحب فقه السنة إجماع الأمة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم وإلى يومنا هذا على حِلِّ مشروعية البيع والتعامل به.(٣)

أركان البيع:-

لقد ذكر العلماء، أن للبيع أربعة أركان(٤) نلخصها في الآتي:-

١- البـائع:- وهو المالك لما يبيـع أو وكيل المالك المأذون لـه بالبيع، بحيث يكون عاقلاً غير سفيه.

٢- المشتري:- وهـو العـاقل الـذي يجـوز له التصرف في مالـه، أي ليـس صبياً صغيراً لم يؤذن له، وليس سفيهاً لأن ا لسفيه لا يجوز له التصرف.

٣- المبيـع: وهي السلعة - المُثمـن - ويشترط فيه أن يكون مبـاحاً طـاهراً معلوماً لدى المشتري قادراً على تسلمه من البائع إذا وقع البيع.

٤- الصيغة:- وهي عبارة عن الإيجاب والقبول من البائع والمشتري.

---

(١) متفـق عليه أخرجه البخاري، فتح البـاري ج:٤ك: البيوع، باب: ٥٨، ص: ٣٥٣ رقـم (٢١٣٩، ٢١٤٠) بألفاظ مختلفـة، فتـح الباري ج: ٩، ك: النكـاح باب: ٤٥ ص: ١٩٨، رقـم ٥١٤٢ مسلم ج: ٢، ك: النكـاح، باب: ٦، ص: ١٠٣٢ رقم: (٤٩، ٥٠)، الترمذي، ج:٣، ك: النكاح، باب: ٣٨ ص: ٤٤٠ رقم ١١٣٤ أيضاً الترمذي ج:٣، ك: البيـوع باب: ٥٧ ص: ٥٨٧، رقم: ١٢٩٢، أبو داود ج: ١، ك: النكاح، باب (كـراهية خطبة الرجل على خطبـة أخيـه) ص: ٤٨٠ ابن ماجه ج:٢ ك: التجـارات باب: ١٣، ص: ٧٣٤ رقـم: ٢١٧٢ الـدارمي ج:٢: ك النكاح، باب: ٧، ص: ٦٠ حديث رقم ٢١٨٢

(٢) مسند أحمد، ج:٤، ص: ١٤١، سبل السلام، مجلد: ٢، ج:٣، ص:٤

(٣) انظر فقه السنة مجلد: ٣، ص: ١٢٧

(٤) انظر المهذب في فقه الإمام الشافعي، ج:١، ص: (٣٥٦، ٣٥٧)

* رفـاعه بن رافع: هو صحابي من الأنصار وهـو من النقباء الإثني عشر في بيعـة العقبـة الثانية شهد بدراً ومعظم المشاهد مع رسول الله صلى الله عليـه وسلم وشهد مع عليّ الجمل وصفين، وتوفي أوّل زمـن معاوية، انظر تهذيب التهذيب ج: ٣، ص: ٢٨١

شروط البيع:-

إن للبيع شروطاً ينبغي أن تتوفر فيه حتى يكون البيع مقبولا ومن هذه الشروط الآتي:-

١- أن لا يشتمل البيع على الغرر:-

كأن يكون الثمن مجهولاً غير معلوم لدى المشتري أو البائع أو تكون السلعة مجهولة فلا يجوز بيع السمك وهو في البحر أو بيع دكان كُلِّ صنفٍ منها بدينار فيصبح كيس السكر بدينار فهذا عين الغرر ويترتب عليه خسارة كبيرة للبائع أو المشتري ويتولد عنه العداوة والبغضاء بين الناس لأنه قرين الميسر الذي نهى الله سبحانه عن التعامل به في الحياة الإجتماعية بين الناس.(١)

٢- التراضي:-

ينبغي أن يتم الرضا أثناء البيع والشراء من الطرفين لأن البيع لا يتم بدون التراضي من البائع والمشتري عن المبيع وثمنه.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "البيعان كلُّ واحدٍ منهما بالخيار على صاحبه ما لم يتفرّقا إلاّ بيع الخيار".(٢)

فمن أخذ مال أخيه بغير رضاً منه ببيع أو إجاره أو غير ذلك فالعقد باطل وحرام، ونهى تبارك وتعالى عن ذلك قال تعالى "***ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام***"(٣)

الأثر الإجتماعي للبيع والشراء:-

إن للبيع أثراً إجتماعياً هاماً في حياة المجتمع المسلم، وهو من الأمور الأساسية لأنه يتضمن الوفاء بالعقود وحفظ المواثيق وأداء الحقوق إلى اصحابها، وعدم كتم الشهادة عند ايقاع البيع والشراء.

وإذا تحققت هذه المعاني السامية المرتبطة بالبيع والشراء ورُبطت بالعقيدة الإسلامية، يشعر الأفراد بصدق التعامل والإخلاص، فتكون وسيلة لزيادة الحب والتآلف بين ابناء المجتمع المسلم.

---

(١) انتظر الضياء اللامع القسم الأول. ص: (٢٣٥، ٢٣٦)

(٢) متفق عليه، فتح الباري، ج: ٤، ك: البيوع، باب: ١٩، ص: ٣٠٩، رقم: ٢٠٧٩ وأيضا باب ٢٢، ص: ٣١٢ رقم: ٢٠٨٢ وأخرجه مسلم ج:٣، ك: البيوع باب: ١٠، ص: ١١٦٣، رقم (٤٣، ٤٥)، وأخرجه الترمذي ج: ٣، ك: البيوع، باب: ٢٦، ص: ٥٤٧،حديث رقم: ١٢٤٥، الدارمي ج:٢، ك: البيوع باب: ١٥، ص: (١٦٥، ١٦٦) رقم: ٢٥٥٠، ابن ماجه ج: ٢، ك: التجارات باب: ١٧، ص: ٧٣٦، رقم ٢١٨٢، ٢١٨٣، مسند أحمد، ج: ٢، ص: (٤، ٩، ٥٢، ٥٤)، ج: ٣، ص: (٤٠٢، ٤٠٣، ٤٢٥)، ج: ٥، ص: (١٢، ١٧، ٢١، ٢٢، ٢٣)

(٣) سورة البقرة الآية: ١٨٨

وحرّم الإسلام الغش والخداع والأيمان الكاذبة أثناء البيع، وأن من يفعل ذلك يكون ممقوتاً من الله ورسوله والمؤمنين .

عن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، مرّ على صُبرة طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً، فقال "ما هذا يا صاحبَ الطعام؟ قال: اصابتهُ السماءُ يا رسول الله: قال: "أفلا جعلتَهُ فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غشّ فليس منيّ".(١)

الحديث يدل دلالة قاطعة على مبدأ الإسلام في البيع والشراء بأنه يقوم على أساس تجنب الضرر وتحريم الغش الذي يسبب الضرر بالآخرين.

وكره سفيان بن عييَه* تفسير هذا الحديث ليكون أوقع في نفس المستمع فيبتعد كلياً عن الغش والفساد في التعامل مع الناس.(٢)

وأمر صلى الله عليه وسلم التجار بالتزام الصدق والتقوى لينالوا الأجر الأوفى يوم القيامة.

فقد أخرج الترمذي** عن رفاعه عن أبيه عن جده، أنه خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المصلّى فرأى الناس يتبايعون فقال "يا معشر التجار فاستجابوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه فقال: "إن التجار يُبعثون يومَ

---

(١) انظر تخريجه في ص: ٢٥٤

(٢) انظر سبيل السلام، مجلد: ٢، ج: ٣، ص: ٢٩

* ابن عيينه: هو سفيان بين عينيه بن أبي عمران روى عن عبدالملك بن عمير وأبي اسحق السبيعي وأبان بن تغلبْ وخلق، وعنه الأعمش وابن جريج وشعبه والثوري وهم من شيوخه، ومحمد بن ادريس الشافعي وابن وهب ويحيى القطان وأبن حنبل وعلى بن المديني.

ولد في ليلة النصف من شعبان سنة ١٠٧هـ

وكان ثقة ثبتاً ورعاً ومن الحفاظ المتقنين للحديث وحجة، وقال أحمد ما رأيت أحداً من الفقهاء اعلم بالقرآن والسنن منه، وقال الشافعي، لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز.

ت يوم السبت في أول رجب سنة ١٩٨ هـ في مكة المكرمة

انظر حلية الأولياء ج: ٧، ص:(٢٧٠-٣٩٠) وتهذيب التهذيب ج: ٤ ص: (١١٧-١٢٢)

** الترمذي: هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي الترمذي ابو عيسى من أئمة علماء الحديث وحفاظه، من أهل ترمذ على نهر جيحون تتلمذ على يد البخاري وارتحل إلى خراسان والعراق والحجاز وفقد بصره في آخر عمره وتوفي بترمذ، أشهر مصنفاته (الجامع الكبير) باسم صحيح الترمذي خمسة مجلدات، وله (الشمائل النبوية) و (التاريخ) و (العلل في الحديث) انظر تذكرة الحفاظ ١٨٧/٢ وتهذيب الكمال ٣٨٧/٩ والأعلام ٣٢٢/٦

القيامةِ فجاراً إلاّ من اتقى الله وبرّ وصدق".(١)

ودعا الإسلام إلى المسامحة بين البائع والمشتري وهذا أدبٌ إجتماعي رفيع ووسيلة تعمل على تقريب الناس من بعضهم البعض بإثارة الراحة والإطمئنان في النفوس.

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "رحمَ الله رجلاً سمحاً إذا باعَ وإذا اشترى وإذا اقتضى".(٢)

ويوجد عادة سيئة عند بعض الناس وهي المساومة الشديدة في الأخذ والرد من المشتري لتحديد ثمن السلعة والحط من قيمتها ليأخذها بثمن بخس، فهي عادة سيئة، إذا كانت نابعة من الجشع والأنانية وللقضاء على هذه الظاهرة السيئة ينبغي على التاجر أن يكون أميناً وصادقاً في بيعه وأن يربح ربحاً متواضعاً، ويلتزم الأمانة في التعامل حتى ينال مرتبةَ الصديقين والشهداء.

عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "التاجرُ الأمين الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء".(٣)

المطلب الثاني: الدَّيْنُ والإشهادُ عليه

الدين في اللغة

كلمة الدين مصدرٌ مشتق من الفعل، دانَهُ أو يدينه ديناً، بمعنى أعطاه مالاً إلى أجل معلوم.

وأدان إقترض فصار مديناً او مديوناً، وأقرض فصار دائناً، وداينه مداينه، أي عاملهُ بالدين، واستدان الرجلُ استدانه، أخذ ديناً.

اصطلاحاً: قال بعض العلماء هو ما ثبت من شيء في الذمة بسبب من الأسباب الموجبه للدين(٤)

وثبتت مشروعية الدين بالكتاب والسنة، أما بالنسبة للكتاب فقد جاء في سورة البقرة قوله تعالى"**يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مُسمّى فاكتبوه**

---

(١) أخرجه الترمذي، ج: ٣، ك: البيوع، باب: ٤، ص: (٥١٥، ٥١٦) حديث رقم: ١٢١٠ وأخرجه الدارمي، ج:٢ ،ك: البيوع، باب: ٧، ص: ١٦٣ حديث رقم ٢٥٤١، ابن ماجه، ج: ٢، ك: التجارات، باب: ٣، ص: ٧٢٦ حديث رقم ٢١٤٦، مسند أحمد ج: ٣، ص: (٤٢٨، ٤٤٤)

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري، ج: ٤، ك: البيوع، باب: ١٦، ص: ٣٠٦ رقم: ٢٠٧٦، ابن ماجه ج:٢، ك: التجارات باب: ٢٨ (السماحة في البيع) ص ٧٤٢ حديث رقم ٢٢٠٣، مسند أحمد ج: ٣ص: ٣٤٠

(٣) أخرجه الترمذي ج: ٣، ك: البيوع، باب: ٤، ص: ٥١٥ حديث رقم: ١٢٠٩ والدارمي، ج: ٢، ك: البيوع، باب: ٨، ص: ١٦٣ حديث رقم: ٢٥٤٢

(٤) انظر محيط المحيط، ج:١، ص:٧٠٢، وأيضاً المعجم الوسيط، ج: ١ ص:٣٠٧، والميراث في الشريعة الإسلامية ص:٩٢

وليكتب بينكُمْ كاتبٌ بالعدل ولا يأبَ كاتبٌ أن يكْتبَ كما علّمَهُ اللهُ فليكْتُبْ وليُملِلْ الذي عليه الحقُ وليتقِ اللهَ ربَهُ ولا يبخسْ منهُ شيئاً".(١)

السنة المطهره:-

أمر صلى الله عليه وسلم المسلمين عامة بسداد الدين، إذا تداينوا من بعضهم البعض، وإذا مات المدين أمر وليّه أن يقوم بسداد الدين عنه، لأن نفس المؤمن تكون معلقة بالدين الذي عليه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "نفسُ المؤمن معلقةٌ بديْنِهِ حتى يُقضى عنه".(٢)

وأوضح صلى الله عليه وسلم أن الله سبحانه يتجاوز يوم القيامة عن الذين يعفون الدّيْنَ عن الغير قادرين على سداده.

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "كان الرجل يدائِنُ الناس، فكان يقولُ لفتاهُ: إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه، لعلّ اللهَ يتجاوز عنّا، قال: فلقي اللهَ فتجاوز عنه"(٣)

أنواع الديون:-

تنقسم الديون إلى نوعين هامين وهما كالآتي:-

١- دَيْنُ الله:-

وهو المتعلق بالله تبارك وتعالى أي ما كان حقاً له كالزكاة والكفارات والنذور أو الحج للقادر المستطيع أو الصيام الواجب كصيام شهر رمضان.

وجاء في الأحاديث الشريفة الأمرُ بالوفاء بالدين المتعلق بالله تبارك وتعالى، عن ابن عباس رضي الله عنه أن امرأة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إنّ أمي نذرت أن تحُجّ فماتت قبل أن تحجّ افأحُجّ عنها؟ قال: نعم حُجّي عنها، أرأيت لو كان

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٨٢

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتابه السنن، ج: ٢، ك: الصدقات، باب: ١٢ (التشديد في الدين)، ص: ٨٠٦ رقم: ٢٤١٣

(٣) متفق عليه أخرجه البخاري، فتح الباري، ج:٦، ك: الأنبياء، باب: ٥٤ ص: ٥١٤ حديث رقم: ٣٤٨٠، مسلم، ج: ٣، ك: المساقاة باب: ٦ [فضل انظار المسعر]، ص: ١١٩٦ حديث رقم: ٣١، مسند أحمد ج: ٢، ص: (٢٦٣، ٣٣٢، ٣٣٩)

على أمك دينٌ أكنتِ قاضيتهُ؟ قالت نعم:قال فاقضوا الذي له فـإنّ اللهَ أحقَ بالوفاء".(١)

وأجازت السنـة الصيام عن الأباء إذا حصلت لهم الوفاه وعليهـم شيء من الصيام، عـن إبن عباس أن امرأة أتت رسـول الله صلى الله عليه وسلم فقـالت: إنَّ أمـي ماتت وعليهـا صـوم شهرٍ فقال "أرأيتِ لـو كـان عليها دينٌ، أكنتِ تقضينَـهُ؟ قـالت: نعم قال: "فدينُ اللهُ أحقُّ بالقضاء".(٢)

٢- دينُ العباد:-

هـو المتعلـقُ بالعبـاد أنفسهم أثنـاء تعـاملهم في حيـاتهم اليـومية بعضهـم مـع بعض، كـالقرض أو المهر الذي هو حق للزوجة أو دين مثمن في الـذمة أو الأجرة وغير ذلك.

ولكـن العلماء اختلفوا في ترتيـب الديون بالنسبة لأولويتهـا فمنهم من قدم الديون التي هـي لله سبحانه كالكفارات والزكاة وغيرها على الديون التي للعبـاد واعتمدوا قوله تعالى "من بعد وصيةٍ يوصي بها أو دين".(٣)

الآيةُ قـدمت الـوصية على الدين، وقـد علمنـا سابقا أن الـدين مقـدم عليها، فأجاب المفسـرون عـن سرّ تقديم الوصية على الـدين في الآية لانهـا مظنـه للتفـريط بها من قبل الورثة بعكس الدين فإنّ النفوسَ تطمئن إلى إدائه، لذلك كان تقـديمها في الآية للإهتمام بها وإخراجها كما تخرج الدين.

أما الفريق الثاني،وعلى رأسهم الأحناف فقالوا بتقديم دين العبـاد لأنهم يطالبون به، أما دين الله الذي هو للفقراء والمساكين وغيرهم ليس له مطـالب ولا يصبحُ ديناً إلاّ إذا أوصى الميتُ بإخراجه.(٤)

الـراجح من الأمر أن دَيْنَ العبـاد مقدمٌ على دَيْن الله لأن الـدَّيْنَ الذي لله لا يصبح دينـاً إلا إذا اوصى الميتُ بإخراجه، واتضح لدينا في المبحـث الثالث من هذا الفصل أن الدين الذي في الذمة للعباد مقدمٌ على الوصنية.

---

(١) متفـق عليـه، فتـح البـاري ج: ١٣، ك: الإعتصـام، باب: ١٢، ص: ٢٩٦ حديث رقـم: ٧٣١٥، مسلم، ج٢، ك: الصيـام باب: ٢٧، ص: ٨٠٤ حديق رقـم: ١٥٦، الـدارمي، ج: ١ ك: المناسك، باب: ٢٣، ص: ٣٧١، حديث رقـم: ١٨٤٠ بألفـاظ مختلفـة، ابن ماجه، ج: ١، ك: الصيـام، باب: ٥١، ص: ٥٥٩، حديث رقـم: ١٧٥٩ مسنـد أحمد ج: ١ ص: (٢١٢، ٢٢٤) ج: ٦، ص: (٤، ٥)

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري، فتح الباري، ج: ٤، ك: الصوم باب: ٤٢، ص: ١٩٢ حديث رقم: ١٩٥٣، مسلم، ج: ٢، ك: الصيام، باب: ٢٧، ص: ٨٠٤ حديث رقم: (١٥٤، ١٥٥)

(٣) سورة النساء الآية: ١١

(٤) انظر تفسير الكشاف، مجلد: ١، ص: ٥٠٩

كتابة الدَّيْنِ والإشهاد عليه:-

أمر اللهُ سبحانه المُقرض والمقترض بكتابة الدين، بقوله تعالى "واستشهدوا شهيدينِ من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجلٌ وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضلَّ إحداهما فتذكِّرَ إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداءُ إذا ما دعوا ولا تسئموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ذلكمْ أقسطُ عندَ اللهِ وأقومُ للشهادةِ وأدنى ألا ترتابوا".(١)

يؤخذ من النص الإرشادات الآتية:-

١- أنه ينبغي على المسلمين إذا تعاملوا بالدين المؤجل إلى تاريخ معين أن يكتبوه وليكتب بينهم كاتبٌ يتصف بالعدل، عالمٌ بشروط الكتابة وأحكام الشريعة الإسلامية.

٢- يقوم بإملاء الكاتب، الذي عليه الحق، أي المدين ليكون إملاؤه حجةً عليه واعترافاً منه بلسانه بالحق الذي عليه.

٣- الإستشهاد بشهيدين من الرجال العدول أو رجلٍ وامرأتين ممن حضروا كتابة وثيقة الدين بعد الإنتهاء من كتابتها.

٤- إذا طلب الشهودُ إلى الشهادة فعليهم ألا يكتموها لأنه من كتمها فقد أثم قلبه، وأن الشهادة العادلة تمنع الظلم والجور، وتساعد في إرجاع الحقوق إلى أصحابها.

٥- عدم السأم من كتابة الدين صغيراً أو كبيراً منعاً من حدوث الخلافات والمشاحنات بين الدائن والمدين.(٢)

جاء الأمر بكتابة الدين والإشهاد عليه حتى لا يسول الشيطان للمقترض جحود الحق الذي عليه لأخيه، وهذا يمنع فساد ذات البين، وفيه إصلاح بين الناس.

وكانت كتابة الدين والإشهاد عليه خوفاً من النسيان الذي قد يصيب الإنسان مع مرور الزمن وحفظاً للأموال من الجانبين، فصاحب الدين إذا علم أن حقه مكتوبٌ وعليه شهود يبتعد عن طلب الزيادة وعن المطالبة قبل حلول الأجل.(٣)

والعصر الحديث أثبت فائدة كتابة الدين وسائر العقود المالية لكي يعلم طرفا التعاقد أو ورثتهما بحقيقة هذا العقد في الحاضر والمستقبل، لأن موت الشهداء مدعاة للإنكار والنسيان، ومدعاة لعدم فهم حقيقة العقد.

لكل هذه الأسباب مجتمعة كان الأمر بكتابة الدين والإشهاد عليه برجلين أو رجل وامرأتين ممن ترضون من الشهداء، ويقاس على ذلك جميع العقود المالية حيث أنها لا تقل في أهميتها عن الدَّين.(٤)

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٨٢

(٢) انظر التفسير الواضح مجلد: ١ ج:٣، ص: ٢٧ وأيضاً روح الدين الإسلامي ص: ٣٢٨

(٣) انظر تفسير القرطبي، مجلد:٢، ص: ١٢٢٤ وانظر تفسير الفخر الرازي، مجلد: ٤،ج ٧، ص: ١١٩

(٤) انظر تفسير محاسن التأويل ج: ٣، ص: ٧٢٢

الأثر الإجتماعي للدَّيْن:-

جاءت الشريعة الإسلامية لتبني مجتمعاً متعاوناً في كل صغيرة وكبيرة ولتمنع الخصام والمشاحنة من بين الناس فأمرت بإصلاح ذات البين في مواطـن متعددة وخاصة في سورة البقـرة، حيث أمرت بكتابة الدين والإشهاد عليه حتى تمنع الظلم والجور وطغيـان إنسان على آخر.

قال تعالى "*يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فكتبوه*".(١)

لقد حرّم الله الربا في السورة، لأنه يسبب المضار الإجتماعيـة المتعددة ثم أعقب هذا التحـريم بالبديل عنه وهو التعامل بالقروض بدون فوائد، وللمقرض الأجر على ذلك، لأنه قدّم القـرض للمحتاج ليتقـرب به إلى الله، وفي ذلك رفـقٌ ورحمـة بالناس وتيسيرٌ لأمورهم وتفريجٌ لكرباتهم.

عن ابي هريره رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من نفّس عن مسلم كربةً من كُرب الدنيا نفّس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة ومن يسّر على معسر يسّر اللـهُ عليـه في الـدنيا والآخرة واللـه في عـون العبد ما دام العبـدُ في عـون أخيـه".(٢)

وأمـر صلى اللـه عليـه وسلم بالـرفق والـرحمة بالمعسـرين وانتظـار غنـاهم .

عن عبدالله بن أبي قتادة أن أبا قتادة طلب غريماً له فتوارى عنـه ثم وجده فقال: إنّي مُعسِرٌ فقال فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولُ "مـن سرّهُ أنْ ينجيَهُ اللهُ من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسرٍ أو يضعْ عنه".(٣)

والدَينُ ليس من باب المسألة المكروهة لأن المقترض يأخذ المـال لينتفع به في التفريج عن كربه ثم يرده إلى صاحبه كاملاً غير منقوص .

عـن أبي هريره رضي الله عنه عـن النبي صلى الله عليه وسلم قـال "من أخذ أموال النـاس يُريدُ آداءهـا أدّى اللـه عنـه، ومـن أخذ يريدُ إتلافهـا أتلفَـهُ اللـه".(٤)

وكان صلى الله عليه وسلم يطلب في دعائه تفريج الدين وغلبة الرجال عن أنس قال كان صلى الله عليه وسلم يقول "اللهم إني أعوذ بك من الهمّ والحزن، والعجز والكسل

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٨٢

(٢) انظر تخريجه في ص:٢٠٧

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ج:٣، ك: المساقاه، باب: ٦، ص: ١١٩٦ حديث رقم: ٣٢، مسند الإمام أحمد ج: ٢، ص: ٢٣

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، فتح الباري ج: ٥، ك: الإستقراض، باب: ٢، ص: (٥٣، ٥٤) حديث رقم: ٢٣٨٧، ابن ماجه ج: ٢، ك: الصدقات، باب: ١١، ص: ٨٠٦، حديث رقم: ٢٤١١، مسند أحمد ج: ٢، ص: (٣٦١، ٤١٧)

والجبن والبخل وضَلَعَ الدين وغلبة الرجال"(١)

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسد الدين عن المدينين لأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا توفي المؤمنُ في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه الدينُ، فيسأل هل ترك لدينه من قضاء؟ فإن قالوا: نعم صلى عليه، وإن قالوا لا قال "صلوا على صاحبكم" فلمّا فتح اللهُ على رسوله الفتوح قال "أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن تُوُفِّي وعليه دين فأنا أولى به"

المطلب الثالث: الرهن:

تعريف الرهن في اللغة:-

كلمة الرهن مصدرٌ من الفعل الثلاثي رَهَنَ ومضارعه يرهن وتعني الحبس والدوام والثبوت، وحينما تقول رهنته لساني أي كففته وحبستُهُ، ومنه قولهم هذه نعمةٌ راهنة أي دائمة وثابتة.

وقوله تعالى "كل نفس بما كسبت رهينةٌ"(٢) جاء في تفسيرها أي أنها محبوسة ومعتلقة ومتوقفة بعملها وكسبها في هذه الحياة.

جمعها رهانٌ كما جاء في الآية الكريمة "فرهان مقبوضة" وتجمع أيضاً على رُهُون ورُهُنٌ، وعندما تقول أنا رهنٌ لك بكذا: أي كفيل وضامن.

وخلاصة التعريف أن الرهن هو ما وضع عندك ليقوم مقام ما أخذ منك.

الرهن في الإصطلاح:

عرفه بعض العلماء بالآتي:

أن الرهن عبارة عن حبس الشيء بحقٍّ ليُستوفى منه عند تعذّر المدين بالوفاء.

أو يمكن أن تقول حبس مال متقدّم بحقٍّ من الممكن أخذه من المال المرهون.

أما التعريف الشامل الواضح للرهن فهو توثيق دَيْنٍ بعين لها قيمة مالية بحيث يمكن أخذ ذلك الدين أو بعضه منها.(٣)

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري ج: ١١، ك: الدعوات، باب: ٤٠، ص: ١٧٨، حديث رقم: ٦٣٦٩، مسند الإمام احمد ج: ٢ ص: ١٧٣، ج: ٣، ص: (١٢٢، ١٥٩، ٢٢٠)

(٢) سورة المدثر الآية: ٣٨

(٣) انظر لسان العرب. ج: ١٣، ص: ١٨٨ وأيضاً المعجم الوسيط ج: ١، ص: (٣٧٨، ٣٧٩) وأيضاً محيط المحيط، ج:١، ص: (٨٢٨، ٨٢٩) وانظر تفسير القرطبي، مجلد: ٢، ص:١٢١٧ والتفسير الواضح مجلد: ١ ج:٣، ص: ٢٨ وأيضاً تفسير مختصر ابن كثير مجلد: ٣، ص: ٥٧٣

مشروعية الرهن:-

لقد ثبتت مشروعية الرهن بالكتاب والسنة، أما بالنسبة للكتاب، قال تعالى "وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهانٌ مقبوضةٌ فإن أمِنَ بعضكم بعضاً فليؤدِّ الذي اؤتمن أمانتهُ وليتقِ الله ربَّهُ".(١)

وحمل بعض العلماء الآية على جواز الرهن في حالة السفر فقط، وهذا غيرُ صحيح، وإنما نصت الآية على حالة السفر لأنها من جملة الأحوال التي يُتعذر فيها وجود كاتب، فحكم الآية عام ينطبق على كل عذر يقوم مقام السفر وهذا هو التفسير الصحيح للآية.

ويؤيد هذا التفسير فعلُ النبي صلى الله عليه وسلم حيث أنه رهن درعاً كان عنده ليهودي في المدينة المنورة، وفي هذا دليلٌ على جواز السنة النبوية المطهرة للرهن!.(٢)

ولقد استقر رأيُ العلماء على مشروعية الرهن في السفر والحضر وقالوا أن التقييد الذي جاء في الآية بالسفر كان من باب التغليب، وتمّ إجماع العلماء على جواز الرهن ولم ينكره منهم أحد.(٣)

معنى الرهن في الآية:-

قال تعالى "وإن كنتم على سفرٍ ولم تجدوا كاتباً فرهانٌ مقبوضةٌ فإنْ أمِنَ بعضُكُمْ بعضاً فليؤدِّ الذي اؤتُمِنَ أمانتهُ وليتقِّ اللهَ ربَّهُ ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنَّهُ آثمٌ قلبُهُ والله بما تعملون عليم".(٤)

قال المفسرون في تفسيرها، أنها خطابٌ للمؤمنين على مدار الأزمان في المجتمع الإسلامي إنهم إذا كانوا في سفرٍ ولم يستطيعوا كتابة الدين، لعدم توفر أدوات الكتابة أو لأي سبب آخر فيجوز للدائن أن يأخذ الرهن ليستوثق به حقه، لأن الرهن في هذه الحالة يقوم مقام الكتابة، ويحمل هذا الحكم في الحضر كما اتضح سابقاً.

وإن كان الذي عليه الحق أميناً عند صاحب الحق لحسن ظنه به، لما عليه من الأمانه والخلق والدين، فاستكفى بأمانته عن الإرتهان، فيجب على المديون أن يُعطي الدين الذي عليه لصاحبه في أجله، ولا ينقص منه شيئاً، لأن الديْن في هذه الحالة يكون بمثابة أمانة، والله أمرنا بإرجاع الأمانات إلى أهلها كاملة غير منقوصة.

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٨٣

(٢) انظر تفسير فتح القدير، مجلد: ١، ص: ٣٠٣ وأيضاً أحكام القرآن لابن العربي قسم: ١، ص: ٣٤٣

(٣) انظر فقه السنة مجلد: ٣، ص: ١٨٨

(٤) سورة البقرة الآية: ٢٨٣

قال تعالى "*إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إنّ اللهَ نعمّا يعظكم به إنّ الله كان سميعاً بصيراً*".(١)

والإنسانُ يجب عليه أن يتقي اللهَ ربهُ في هذه الأمانة ولا يكتم من الحق شيئاً، فالله هو الشاهد وهو الرقيب عليه، وكفى بالله شهيداً، ومن يكتم الشهادة فإنه آثم قلبه، وخص القلب بالذكر، لأنه رئيس الأعضاء في جسم الإنسان، والكتم من أفعاله، وهو المضغة التي إذا صلحت في الجسد صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله.

وما ينبغي لإنسان يتصف بالإيمان والتقوى أن يكتم الحق بعد أن جعل الله عليه كفيلاً ورقيباً وشهيداً.(٢)

خلاصة الحديث أن الإنسان إذا توكل على الله وجعل منه رقيباً وكفيلاً وشهيداً، فإن الله سبحانه ييسر عليه أمور حياته ويرزقه من حيث لا يحتسب، واليك هذه القصة التي توضح الإخلاص في إرجاع الدَين إلى صاحبه كما جاءت في صحيح البخاري.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم "أن رجلاً من بني اسرائيل سأل بعض بني اسرائيل، أن يُسلفه ألف دينار، فقال ائتني بالشهداء اشهدهم، فقال كفى بالله شهيداً، قال فائتني بالكفيل، قال كفى بالله وكيلاً، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركباً يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله، ولم يجد مركباً، فأخذ خشبةً فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر فقال: اللهم إنك تعلم أني تسلفتُ فلاناً ألف دينار، فيسألني كفيلاً فقلت كفى بالله وكيلاً، فرضي بك، وسألني شهيداً، فقلتُ كفى بالله شهيداً، فرضي بك، وإني جهدتُ أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أجد، وإني استودعتكها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرجُ إلى بلده.

فخرج الرجلُ الذي كان أسلفه ينظرُ لعلّ مركباً قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المالُ، فأخذها لأهله حطباً، فلما نشرها وجد المالَ والصحيفة، ثم قَدِمَ الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار، وقال: والله ما زلتُ جاهداً في طلب مركب لأتيك بمالك فما وجدتُ مركباً قبل الذي أتيت فيه.

قال: هل كنتُ بعثتُ إليَّ شيئاً؟

---

(١) سورة النساء الآية: ٥٨

(٢) انظر تفسير زاد المسير، مجلد:١ ، ص: (٢٨٩، ٢٩٠) وأيضاً تفسير الكشاف، مجلد: ١، ص: (٤٠٥، ٤٠٦) وأيضاً ابن كثير، مجلد:١ ص: ٣٣٤ وأيضا تفسير فتح القدير، مجلد: ١، ص: ٣٠٣ وانظر أحكام القرآن لإبن العربي ج: ١، ص: ٣٤٥

قال: أخبرك أني لم أجد مركباً، قبل الذي جئتُ فيه قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بُعث في الخشبة فانصرف بالألف دينار راشداً.(١)

الحكمة من الرهن:-

١- الرهن ضمان للدين بحيث يستطيع من خلاله المرتهن أن يستوفي حقه من العين المرهونة.

٢- يساعد الرهن ويشجع على أن يقرض الإنسان أخيه المسلم عن طيب نفس وبرضى كامل، ويوفر حسن النية بينهما في التعامل وذلك لإطمئنان النفس من استيفاء الدين في أجله الذي اتفق الطرفان عليه.

٣- قال بعض العلماء، أن أمر الله سبحانه بكتابة الدَيْن والإشهاد عليه أو أخذ العين المرهونة، لهو دليلٌ على محافظة الإسلام على أموال الناس من الضياع(٢) ويعاضد ذلك ما جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكمْ أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكمْ، قيلَ وقال وكثرةُ السؤال وإضاعة المال".(٣)

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري، ج: ٣، ك: الزكاة، باب: ٦٥ ص: ٣٦٢، حديث رقم: ١٤٩٨

(٢) انظر أحكام القرآن لابن العربي ج: ١، ص: ٣٤٧

(٣) أخرجه البخاري، فتح الباري ج: ٣، ك: الزكاة باب: ٥٣، ص: ٣٤٠ حديث رقم: ١٤٧٧ وأيضاً فتح الباري ج: ٥، ك: الاستقراض، باب: ١٩، ص: ٦٨، حديث رقم: ٢٤٠٨ بألفاظ متقاربة وأخرجه مسلم، ج: ٣، ك: الأقضية، باب: ٥، ص: ١٣٤٠، حديث رقم: (١٠، ١٣).

الفصل الخامس

الفصل الخامس
القصاص في القتلى

يتكون من مقدمة وثلاثة مباحث وهي كالآتي :-

المبحث الأول: مشروعية القصاص وشروطه وأنواعه

المبحث الثاني: العفو في القصاص

المبحث الثالث: الحكمة من تشريع القصاص

الفصل الخامس
القصاص في القتلى

مقدمة:-

إن المُتبصر في أحكام الشريعة الإسلامية يجدها قائمة على العدل والشمولية، فهي تحقق العدل المطلق بين الناس في المجتمع وتقضي على الظلم والفساد، كما أنها شاملة لحياة الإنسان من جميع جوانبها، فتعمل على صيانة الضرورات الأساسية التي لا يستطيع الإنسان أن يستغني عنها في الحياة، ولا تقوم الحياة إلّا بالمحافظة عليها.

وحصرها العلماء في خمسة أمور أسموها بالكليات الخمس، حفظ الدين، والنفس، والعرض، والعقل، والمال، وقالواأن ما جاء في الشريعة الإسلامية من مبادىء يهدف إلى حفظ هذه الكليات الأساسية في حياة المجتمع.

وجاءت الشريعة الإسلامية لصيانة هذه الكليات وحفظها بعقوبات زاجرة ورادعة لمن يحاول أن ينتهك حرمتها، فشرعت الحدود ونظام القصاص، وأقرت نظام التعزير في الإسلام.

وركّزت السورة على صيانة الإسلام لحرمة النفوس من الاعتداء عليها فذكرت عقوبة القصاص في القتل أو إحداث الجروح وإتلاف بعض الأعضاء الجسمية للأنسان.

قال تعالى "*يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحُرّ بالحُرّ والعبدُ بالعبد والأنثى بالأنثى فمَنْ عُفِيَ لهُ مِنْ أخيه شيئٌ فاتباعٌ بالمعروف وأداءٌ إليه بإحسان ذلك تخفيفٌ من ربكم ورحمةٌ فمن اعتدى بعد ذلك فلَهُ عذابٌ أليم*:(١)

وجاء التركيز على عقوبة القتل بالقصاص، لأن الإعتداء على النفس من أكبر الجرائم عند الله بعد الإشراك به، فقتل النفس هو قتلٌ للناس جميعاً، وإحياؤها هو إحياءٌ للناس جميعاً، قال تعالى "*أنّهُ من قتل نفساً بغير نفس أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتَلَ الناسَ جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناسَ جميعا*".(٢)

وتشتد الحرمة إذا كان المقتول من المؤمنين بالله، وقُتِلَ بغير حق، قال تعالى "*ومن يقْتلْ مؤمناً متعمداً فجزاؤُهُ جهنّمُ خالداً فيها وغضِبَ اللهُ عليه ولعنَهُ وأُعدّ له عذاباً عظيماً*".(٣)

يتضح أن الإسلام شرّع عقوبة القصاص في القتل لأجلِ تحقيق الحياة الهانئة السعيدة

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٧٨

(٢) سورة المائدة الآية: ٣٢

(٣) سورة النساء الآية: ٩٣

التي يظللها الأمن والإستقرار والسلام، فلا يعتدي أحدٌ على أحدٍ ولا يستبد قوي بضعيف ولا يتحكم غني بفقير، لأن الكل على قدم المساواة أمام احكام الشريعة الإسلامية، لا فضل لعربي على عجمي ولا أبيض على أسودٍ إلاّ بتقوى الله تبارك وتعالى، فتشريع القصاص في القتلى فيه حياةٌ للناس وأمنٌ وسلامٌ قال تعالى "**ولكم في القصاص حياةٌيا أولي الألباب لعلكم تتقون**".(١)

وعقوبة القصاص علاجٌ حاسم وحازم في معالجة حوادث القتل التي تحدث في المجتمع، وهي إصلاح للأمة وتثبيتٌ لدعائم أمن وسلامة المجتمع.

والأمة التي تعيش بلا عقوبة لمجرميها، فهي أمةٌ متميعةٌ منحلةٌ ومفككةُ الأوصال والكيان منقطعة الروابط لأنها تعيش في فوضى اجتماعية وفي تخبط واضطراب من الإجرام المستمر. وأوضح مثال على ذلك ما نشاهده في الدول الغربية اليوم، التي تحكم بالسجن مدة من الزمن على مرتكبي جريمة القتل على سبيل المثال، ثم يخرج القاتل من السجن بعد انقضاء محكوميته مُتحرّفاً للقتل ونشر الذعر والخوف بالإعتداء على الأنفس والأموال والأعراض عن طريق تكوين عصابات تحترف فن الجريمة وإخفائها، فتزعزع أمن وإستقرار المواطنين.

وتحدث تلك الزعزعة والإضطراب في المجتمعات التي تحتكم إلى القوانين الوضعية المتهاونة في نظام العقوبات، فلا تأخذ على يد المجرمين بالعقوبة الرادعة التي تمنعهم عن ظلم الآخرين.

وعقوبة القصاص في الشريعة الإسلامية وسائر العقوبات التي رسمتها الشريعة فيها الأمن للفرد والمجتمع على حد السواء، وهي بلسم وعلاج ناجح لكسر شوكة الجرائم فتقضي على إجرام المجرمين وغدر الخائنين وظلم المتجبرين في الأرض بغير الحق.

ولقد أوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن زوال الدنيا أهون من قتل المؤمن بغير حق، عن البراء* أن النبي صلى الله عليه قال: "لزوال الدنيا أهونُ على الله من قتل مؤمن بغير حقّ".(٢)

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٧٩

(٢) أخرجه الترمذي، ج: ٤، ك: الديات، باب: ٧(ما جاء في تشديد قتل المؤمن)، ص: ١٦، حديث رقم: ١٣٩٥، وأخرجه ابن ماجه، ج: ٢، ك: الديات، باب: ١ (التغليظ في قتل المسلم ظلماً)، ص:٢١، حديث رقم: ٢٦١٩

* البراء: هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن مجدعه بن حارثة الأوسي، أبو عماره ويقال أبو عمرو وهو صحابي ابن صحابي، روى عن النبي وعن أبي بكر وعمر وعلى وبلال وغيرهم، استصغره النبي يوم بدر هو وابن عمر، وقيل غزا مع النبي "١٥" غزوة وقال العسكري: أول مشاهده الخندق وشهد مع علي بن أبي طالب الجمل وصفين والنهروان ت سنة ٧٢ هـ انظر تهذيب التهذيب، ج: ١، ص: (٤٢٥، ٤٢٦)

وبعد هذه التقدمة تم تقسيم الفصل الى ثلاثة مباحث رئيسة وهي كالتالي:-
المبحث الأول: يتحدث عن مشروعية القصاص وشروطه وأنواعه.
والمبحث الثاني: يتناول العفو عن القصاص والفرق بينه وبين الحدود أما المبحث الثالث: فتحدث عن الحكمة من تشريع القصاص في القتل.

المبحث الأول

مشروعية القصاص وشروطه وأنواعه:-

القصاص في اللغة:-

القصاصُ مصدرٌ مشتق من الفعل قصَّ، يقصُّ، وقصَّ الشيء إذا تتبع أثره، ويؤيد ذلك قوله تعالى حكاية على لسان أم موسى، عليه السلام، "*وقالت لأخته قُصيه فبصُرتْ بهِ عن جُنب وهم لا يشعرون*".(١) أي اتبعي أثره لتعلمين مصيره.

وأيضاً قوله تعالى "*فارتدا على آثارهما قصصاً*"(٢) أي رجعا في الطريق التي سلكاها يقصّان الأثر، بمعنى يتبعانه، ونُقل هذا المعنى إلى القصاص في القتل، وكأن القاتل سلك طريقاً من القتل، فقُصَّ أثره فيها حتى تمَّ التعرُّف على طريقته في ارتكاب الجريمة التي قام بها.

وقيل أن القصَّ بمعنى القطع، ومنه قولُك قصَّ فلانٌ الشجرة، بمعنى قطعها، وسمِّي المقراضُ مقصاً لكونه تقطع به الأشياء من أقمشة وغيرها.

وأُخذ منه القصاص، لأنه يعني أن يُفعل بالفاعل مثل ما فعل من القتل أو الجرح، فعندما تقول أقصّ الحاكمُ فلاناً من فلان، إذا اقتصَّ له منه فجرحه مثل جرحه أو قتله قوداً.

القصاص في الشرع:-

عرفه العلماء بعدة تعريفات كلها تدور في محور واحد، نستخلص منها التعريف الجامع، "بأنه عقوبةٌ مشروعةٌ تعني معاقبة الجاني بمثل ما جنى حقاً لله ولعباده، سواء أدت جنايتهُ إلى القتل أو غيره، فالقتل بالقتل والجرح بالجرح وقطع العضو بقطع ما يماثله".(٣)

مشروعية القصاص:-

جاءت نصوصٌ متعددة في الكتاب والسنة النبوية المطهرة، تدل دلالة قاطعة على مشروعية القصاص في القتل والجروح التي ما دون القتل، وأنه حق متقررٌ لأولياء الدم، فلهم أن يأخذوا بحقه أو يصفحوا ويعفوا عن الجاني، والأدلة تتمثل في الآتي:-

---

(١) سورة القصص الآية: ١١

(٢) سورة الكهف الآية: ٦٤

(٣) انظر لسان العرب ج: ٧، ص: ٧٦ وأيضاً المعجم الوسيط، ج: ٢، ص: (٧٣٩، ٧٤٠) ومحيط المحيط، ج:٢، ص: ١٧٢٠ وأيضاً الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ج:٣، ص: ١٠٥٢ وتفسير القرطبي مجلد: ١ ج:٢، ص: ٢٤٥ ط: ٢(١٣٧٢هـ-١٩٥٢م) دار الكتب المصرية القاهرة وأيضا التفسير القيم لإبن القيم، ص: ١٤٤

أولا: الكتاب

١- قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاصُ في القتلى الحُرُّ بالحرِّ والعبدُ بالعبدِ والأنثى بالأنثى".(١)

وكُتب عليكم معناه فُرض وأُثبت فأصبح واجباً، وجاء نظيره في شأن فرض الصيام قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام:(٢) وأيضاً في شأن الصلاة المفروضة قوله تعالى "إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً".(٣)

وأضاف القرطبي في تفسيره، أن كُتب تعني في الآيات الإخبار عما كتب في اللوح المحفوظ وهو أم الكتاب على جهة الفرض.

ومنه قولُ ابن أبي ربيعة*

كتب القتلُ والقتال علينا   وعلى الغانيات جرّ الذّيول.(٤)

٢- وذكرت السورة القصاص في قوله تعالى "الشهرُ الحرامُ بالشهرِ الحرام والحُرُماتٌ قصاصٌ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا اللهَ واعلموا أن الله مع المتقين".(٥)

٣- وجاء حكايةً عن بني إسرائيل قوله تعالى "وكتبنا عليهم فيها أنّ النفسَ بالنفسِ والعينَ بالعين والأنفَ بالأنفِ والأذن بالأذنِ والسّنَّ بالسّنِّ والجروحَ قصاصٌ، فمن تصدق به فهو كفارةٌ له".(٦)

والآية تتحدث عن بني اسرائيل فالخطاب فيها عام يشمل الأمة الإسلامية، لأن شرع ما قبلنا شرعٌ لنا ما لم يرد فيه نسخ من الشارع الحكيم، ولم يأت نسخٌ لذلك، بل جاء التأكيد على إثبات القصاص، فأصبح واجباً فيما هو ضد القتل الخطأ وهو القتل العمد.(٧)

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٧٨

(٢) سورة البقرة الآية: ١٨٣

(٣) سورة النساء الآية: ١٠٣

(٤) انظر تفسير القرطبي، مجلد: ١، ص: (٢٤٤، ٢٤٥) وأيضاً مجمع البيان في تفسير القرآن، ج:١، ص:(٤٧٨، ٤٧٩).

(٥) سورة البقرة الآية: ١٩٤

(٦) سورة المائدة الآية: ٤٥

(٧) انظر الفقه على المذاهب الأربعة ج:٥، ص:(٢٤٦، ٢٤٧)

* ابن أبي ربيعة: هو عمرو بن أبي ربيعة بن ذُهل بن شيبان بن بكر من عدنان، جدٌ جاهلي، كان يعرف بالمزدلف وهو أبو حارثة الملقب بذي التاج اشتهر بقوله للشعر العربي. انظر الأعلام للزركلي، ج: ٥، ص: ٧٧

٤- وجعل الشرع السلطان في القصاص لولي الأمر فهو بالخيار بين العفو أو تنفيذ القصاص على الجاني قال تعالى "ولا تقتلوا النفسَ التي حَرّمَ اللهُ إلاّ بالحق ومن قُتِلَ مظلوماً فقد جعلنا لوليّهِ سلطاناً فلا يُسرفْ في القتل إنه كان منصوراً".(١)

٥- وأكد الشرع على العقوبةِ بالمماثلة في قوله تعالى "وإنْ عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خيرٌ للصابرين".(٢)

٦- وتحدث القرآن الكريم عن جناية قتل النفس فجعلها بعد الإشراك بالله سبحانه، لتدرك النفوسُ فظاعة هذه الجريمة وخطرها وشدة عقابها يوم القيامة، فتحجم عن ارتكابها.

قال تعالى "والذين لا يدعون مَعَ اللهِ إلهاً آخر ولا يقتلون النفسَ التي حَرّمَ اللهُ إلاّ بالحقّ".(٣)

٧- وجعل الله إثم من قتل نفساً بغير حق كمن قتل الناس جميعاً، ومن حرّم قتلها واعتقد ذلك فكأنما حرّم دماء الناس جميعاً، قال تعالى "أنه من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في ا لأرض فكأنما قتل الناسَ جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناسَ جميعا.(٤)

ثانيا: السنة المطهرة:-

ذكرت السنة النبوية المطهرة نصوصاً عديدة في مشروعية القصاص منها ما رواه البخاري عن ابن عباس، رضي الله عنه يقول "كان في بني إسرائيل القصاصُ ولم تكن فيهمُ الديّة، فقال الله تعالى لهذه الأمة "كتب عليكم القصاص في القتلى: الحرُّ بالحُرِّ والعبدُ بالعبدِ والأنثى بالأنثى فمن عُفي له من أخيه شيء"، فالعفوُ أن يقبلَ الدية في العمد، "فاتباعٌ بالمعروف وآداءٌ إليه بإحسان" يتبع بالمعروف ويؤدي بإحسان، "ذلك تخفيف من ربكم ورحمة" مما كُتب على من كان قبلكم، "فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم"قتل بعد قبول الديه.(٥)

---

(١) سورة الإسراء الآية: ٣٣

(٢) سورة النحل الآية: ١٢٦

(٣) سورة الفرقان الآية: ٦٨

(٤) سورة المائدة الآية: ٣٢

(٥) فتح الباري، ج:٨، ك: التفسير باب: ٢٣، ص: (١٧٦، ١٧٧) حديث رقم: ٤٤٩٨

ونص الترمذي عن طريق أبي شريح الكعبي* أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنّ الله حرّمَ مكة ولم يُحرّمْها الناسُ، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسفكن فيها دماً ولا يعضدنّ فيها شجراً، فإن ترخص مُترخّصٌ فقال: أحلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنّ الله أحلّها لي ولم يُحلها للناس، وإنّما أحلت لي ساعةً من نهار، ثم هي حرامٌ إلى يوم القيامة، ثم إنكم معشر خزاعةَ قتلتمْ هذا الرجل من هُذيل، وإني عاقلُهُ، فمن قُتِلَ له قتيلٌ بعد اليوم فأهله بين خيرتين، إمّا أن يقتلوا أو يأخذوا العقل.(١)

وروى ابن مسعود فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يحل دمُ امريءٍ مسلم يشهدُ أن لا إله إلاّ الله وأني رسول الله، إلاّ بإحدى ثلاثٍ، الثيّبُ الزاني، والنفس بالنفس، والتاركُ لدينه المفارق للجماعة".(٢)

يرشد الحديث إلى حرمة دم المسلم، ولا يجوز إراقة دم المسلم إلاّ في حالات ثلاث فقط، وهي إذا ارتكب جريمة الزنا المحصن، وإذا قتل إنسانٌ نفساً عمداً بغير حق، فيقتل مقابل قتله لهذه النفس، والمرتد عن دين الإسلام يقتل لردته، وقد فعل أبو بكر ذلك حينما حارب المرتدين عند توليه الخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

وذكر الكعبي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "من أُصيب بقتل أو خبل - فساد في الأعضاء - فإنّهُ يختارُ إحدى ثلاث، إمّا أن يقتصّ، وإما أن يعفو وإمّا أن يأخذ الدية، فإن أراد الرابعة فخذوا على يديه، ومن اعتدى بعد ذلك فله عذابٌ أليم".(٣)

---

(١) الترمذي، ج: ٤، ك: الديات، باب: ١٣، ص: ٢١، رقم: ١٤٠٦فتح الباري، ج: ١٢، ك: الديات، باب:٨، ص:٢٠٥، حديث رقم: ٦٨٨٠، أبو داود ج:٢، ك: الديات، باب: ٤ (ولي العمد يرضى بالدية) ص:٤٨٠

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري، ج: ١٢، ك: الديات، باب: ٦، ص: ٢٠١ حديث رقم: ٦٨٧٨ وأخرجه مسلم، ج:٣ ك: القسامه، باب: ٦ (ما يباح به دم المسلم) ص: ١٣٠٢ حديث رقم: (٢٥)، وأبو داود ج: ٢، ك: الحدود، ص: ٤٤٠ والنسائي، ك: التحريم، باب: ٥، ١١، ١٤ والدارمي ج: ٢، ك: السير، باب: ١١، ص: ١٣٨، رقم: ٢٤٥١ وأخرجه أحمد في المسند ج:١، ص: (٦١، ٦٣، ٦٥، ٧٠، ١٦٣) ج:٦، ص: (١٨١، ٢١٤) .

(٣) أخرجه أبو داود في كتابه السنن ج: ٢، ك: الديات، باب: ٣ (الإمام يأمر بالعفو في الدم)، ص: (٤٧٧، ٤٧٨) وأخرجه ابن ماجه، ج: ٢، ك: الديات، باب: ٣، ص: ٨٧٦، حديث رقم: ٢٦٢٣

* أبو شريح الكعبي: إختلف في اسمه والمشهور أنه خويلد بن عمرو بن صخر بن معاوية بن عدي بن ربيعة، أسلم قبل الفتح وقيل يوم الفتح وكان يحمل أحد ألوية بني كعب. روى عن النبي وعن ابن مسعود، وروى عنه أبو سعيد المقبري وسعيد بن أبي سعيد المقبري، ونافع بن جبير، وكان من عقلاء أهل المدينة ومات بها سنة ثمان وستين هـ قال بذلك ابن عساكر وابن سعد في الطبقات، انظر تهذيب التهذيب ج: ١٢، ص: (١٢٥، ١٢٦)

هذه بعض النصوص التي أوردناها من الكتاب والسنة في حكم القصاص ومشروعيته، تدل دلالة قاطعة على حرص الشريعةُ الإسلامية على حماية الأنفس وصيانة الدماء في المجتمع الإسلامي لكي يعيش الناس في أمن وسلام.

شروط وجوب القصاص:-

اشترط العلماءُ لوجوب القصاص شروطاً في حالة وقوع القتل وشروطاً لما دون القتل، كالجروح أو إتلاف بعض الأعضاء من الجسد.

أولاً: في حالة القتل:-

ذكروا لوجوب القصاص في هذه الحالة أربعة شروط ذكرها ابن قدامة* في كتابه الكافي(١) نوضحها في الآتي:-

١- أن يكون القاتل متعمداً القتل:-

إن قتل الإنسان بغير حق حرامٌ وهو من الكبائر إذا كان عمداً، وله عذابٌ عظيم يوم القيامة، قال تعالى "**ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً**".(٢)

وأوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لولي الأمر أن يأخذ بالقصاص من الجاني وله أن يعفو ويقبل الدية في ذلك، فهو بالخيار.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من قُتِلَ له قتيلٌ فهو بخيرِ النظرين: إمَّا أن يَقْتلُ وإمَّا أن يُفْدَى".(٣)

وشدّد صلى الله عليه وسلم في دفع الدية لأولياء القتيل، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال:

---

(١) انظر الكافي في حقه الإمام أحمد بن حنبل، ج:٤، ص:(٤٠٧)

(٢) سورة النساء الآية: ٩٣

(٣) البخاري، فتح الباري ج:١٢، ك: الديات، باب: ١٨، ص: ٢٠٥ حديث رقم: ٦٨٨١ مسلم، ج:٢، ك: الحج، باب: ٨٢، ص: ٩٨٨ حديث رقم ٤٤٧، الترمذي ج،٤، ك: الديات، باب: ١٣، ص:٢١، حديث رقم ١٤٠٥، أبو داود، ج:٢، ك: الديات، باب (ولي العمد يرضى بالدية) ص: ٤٨١، ابن ماجه، ج:٢، ك: الديات، باب: ٣، ص: ٨٧٦ حديث رقم: ٢٦٢٤، مسند أحمد ج:٢، ص: ٢٣٨

* ابن قدامه: هو عبدالله بن قدامه المقدسي، موفق الدين أبو أحمد، ولد سنة ٥٤١هـ الموافق ١١٤٧م، وكان عالماً فقيهاً مجتهداً، ارتحل إلى بغداد ثم رجع إلى دمشق، وتوفي بها سنة (٦٢٠هـ-١٢٢٣م) أشهر مصنفاته "مختصر منهاج القاصدين" "والتبيين في أنساب القرشيين" "والروضة في الأصول" "وكتاب التوابين" ،انظر معجم المؤلفين مجلد: ٣، ج: ٦ ص: ٣٠ وأيضاً سير النبلاء ١٣/(١٥٨-١٦٠)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من قَتَلَ عمداً دُفِعَ إلى أولياء القتيل فإن شاءوا قتلوا وإن شاءوا أخذوا الدية، وذلك ثلاثون حقةً وثلاثون جَذَعة وأربعونَ خِلفةً وذلك عقل العَمْدِ، ما صولحوا عليه فهو لهم وذلك تشديد العقل".(١)

٢- أن يكون القاتل مكلفاً:-

لا يجبُ القصاص على الصبي ولا المجنون وذلك لرفع التكليف عنهم، عن علي - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "رُفِعَ القلمُ عن ثلاثةٍ عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبيّ حتى يشبَّ وعن المعتوه حتى يعقل"(٢) وجاء ذكر الحديث من طريق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها بلفظ عن الصبي حتى يحتلم والمجنون حتى يعقل.

وذكر ابن حزم أنه لا قود على مجنون فيما أصاب في جنونه ولا على سكران في سكره المخرج له من عقله واعتبرهم كالبهائم سواء، وأيضاً لا قصاص على الصبي الصغير.

٣- أن يكون المقتول مكافئاً للقاتل:-

يُقصد بذلك المساواة في الدين والحرية أو الرق بين القاتل والمقتول، فيُقتل الحر المسلم بالحر المسلم ذكراً كان أو أنثى، ويقتل العبد المسلم بالعبد المسلم ذكراً كان أو أنثى واشترط البعض لإجراء القصاص بين العبيد المساواه في القيمة بينهم، لأنه بدل مال مُقوم والأول هو الراجح لقوله تعالى "***كُتب عليكم القصاص في القتلى الحرُّ بالحرِّ والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى***"(٣) وذلك لمساواتهم في النفس والجسد فلا اعتبار للقيمة المالية فهما سواء في الإنسانية.

وقال بعض العلماء إذا جاز قتل كلٍّ واحد بمن هو مثله، فلئن يقتل بمن هو أفضل منه أولى، وعلى ذلك أجازوا قتل الذكر بالأنثى.(٤)

والأفضل في هذه المسأله عدم قتل الرجل بالأنثى لعدم تحقيق المماثلة، والقصاص قائم على العدل والمساواة فالذكر بالذكر والأنثى بالأنثى، فلا زيادة ولا نقصان في أحكام الله، لأن الزيادة في الدين كالنقصان منه.

---

(١) أخرجه ابن ماجه ج:٢، ك: الديات، باب: ٤ (من قتل عمداً فرضوا بالدية) ص: ٨٧٧، حديث رقم: ٢٦٢٦

(٢) فتح الباري، ج: ٩، ك: الطلاق، باب: ١١، ص: ٣٨٨، وأخرجه الترمذي ج: ٤، ك: الحدود، باب: ١، ص: ٣٢، رقم: ١٤٢٣، أبو داود، ج:٢ ك: الحدود، باب: ١٧ (المجنون يسرق أو يصيب حداً) ص: (٤٥٢-٤٥٣) الدارمي، ج:٢، ك: الحدود، باب: ١(رفع القلم عن ثلاث) ص: ٩٣ رقم: ٢٣٠١

(٣) سورة البقرة الآية: ١٧٨

(٤) انظر المهذب في فقه الإمام الشافعي ج:٢، ص: ١٧٣

وإذا قتل الحرُ عبداً، فالأكثرون على انه لا يُقتل به وعلى رأسهم الإمام أحمد وابن راهوية* والنخعي والحسن البصري.

وفصّل آخرون في هذه المسألة فقالوا إذا قتل عبده لا يُقتل به، وإذا قَتل عبد غيره قُتل به وأخذ بذلك أبو حنيفة وأصحابه والثوري وأهل الكوفة.(١)

وأما الذين قالوا يُقتل بعبده وعبد غيره فاعتمدوا ظاهر الحديث الشريف عن سمرة ابن جندب ** أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "من قتل عبده قتلناه ومن جدعه جدعناه".(٢)

وأضاف أبو داود في روايته أن الحسن نسي هذا الحديث وكان يقول: "لا يقتل حر بعبد"(٣) والراجح في هذه المسألة هو رأي الأكثرين حيث أنه لا يُقتل الحر بالعبد.

واتفق الجميع على أنه لا يقتل مسلم بكافر لعدم التكافؤ بينهما وفي حالة كون الكافر حربياً، فإن الحربي مباح الدم، وإن كان ذمياً أو معاهداً فالجمهور على أنه لا يُقتل المسلم به.

٤- لا يكون القاتل أباً للمقتول:-

لا يجب القصاص على الأب بقتل ولده، وقال بذلك الجمهور، واعتمدوا حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لايُقادُ الوالدُ بالولدِ"(٤)

---

(١) انظر سنن الترمذي ج: ٤، ص: ٢٦

(٢) أخرجه ابن ماجه،ج: ٢، ك: الديات، باب: ٢٣، ص: ٨٨٨ رقم: ٢٦٦٣ والترمذي ج:٤، ك: الديات، باب: ١٨ (الرجل يقتل عبده) ص: ٢٦) حديث رقم: ١٤١٤، ومسند أحمد ج: ٥، ص: (١٠، ١١، ١٢، ١٨، ١٩)

(٣) أبو داود، ج:٢، ك: الديات، ص: (١١١، ١١٢) باب: ٧(القد بين العبد وسيده) رقم: ٢٣٦٣

(٤) أخرجه الترمذي، ج:٤، ك: الديات، باب: ٩، ص:(١٨، ١٩) حديث رقم: (١٤٠٠، ١٤٠١)

* ابن راهويه: هو اسحاق بن ابراهيم بن مخلد التميمي المروزي أبو يعقوب بن راهوية ولد سنة ١٦١هـ، وهو أحد كبار الحفاظ ومن علماء خراسان طاف البلاد لجمع الحديث، أخذ عنه ابن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي، وقيل أن أباه ولد في طريق مكة فسُمي براهويه وقال الدارمي ساد أهل المشرق والمغرب بصدقه، وقال البغدادي، اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد، وله المسند وقيل ت بنيسابور سنة ٢٣٨هـ انظر تهذيب التهذيب ج:١، ص:٢١٦، وميزان الإعتدال ج١، ص:: ٨٥ وحلية الأولياء مجلد: ١، ص: ٢٩٢

** سمرة: هو سمره بن جندب بن مرة بن حزم الفزاري، أبو سعيد وقيل أبو عبدالله كان حليف الأنصار، روى عن النبي وأبي عبيده وعنه ابناه سليمان وسعد، وعبدالله بن بريده، سكن البصرة وكان أهلها يثنون عليه، وكان عظيم الأمانة صدوق الحديث، يحب الإسلام.
مات بالبصرة بعد سقوطه في قدر مملوءة بالماء الحار سنة ٥٨ هـ، انظر تهذيب التهذيب ج:٤، ص: (٢٣٦، ٢٣٧)

إلاّ أن الإمام مالك * قال إن كان الأب متعمداً لقتل ولده كأن يذبحه فإنه في هذه الحاله يقتل به، وإن رماه بسيف أو عصا لم يُقتل، وخالف الليث ** فقال يقتل بقتله لولده بجميع وجوه العمد للعمومات.

ولكن الراجح في هذا الأمر، أن الأب لا يقتل بولده لأن عمر رضي الله عنه لم يقتل رجلاً قتل ولده عمداً، لأن السنة نصت على ذلك فقد جاء في الحديث الشريف عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قتل رجل ابنه عمداً فرُفع إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فجعل عليه مائة من الإبل ثلاثين حقه وثلاثين جذعة وأربعين ثنية، وقال لا يرث القاتل ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "لا يقتل والد بولده لقتلك".(١)

وقال العلماء إذا ثبت هذا في الأب، ثبت في الأم لأنها كالأب في الولادة، وكذلك لا يجب القصاص على الجد وإن علا ولا على الجدةوإن علت بقتل ولد الولد وإن سفل لمشاركتهم الأب والأم في الولادة وأحكامها.(٢)

ثانيا: في حالة الجروح:-

يجب القصاص فيما دون قتل النفس بالإجماع على ذلك لقوله تعالى "*وكتبنا عليهم فيها أنّ النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسنّ بالسنّ والجروح قصاص*".(٣)

وعمل صلى الله عليه وسلم بهذا النص، حيث جاء في الحديث الشريف عن أنس بن مالك قال "كسرت الرُبيّع - وهي عمة أنس - ثنّية جاريةٍ من الأنصار، فطلب القومُ القِصاصَ فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأمر النبيُّ صلى الله عليه وسلم بالقصاص، فقال

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ج:١، ص: ٤٥

(٢) انظر جامع العلوم والحكم، ص: ١٥٠

(٣) سورة المائدة الآية: ٤٥

* مالك: هو مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث، أبو عبدالله المدني الفقيه أحد أعلام الإسلام وإمام دار الهجره، وكان ثقةً مأموناً ثبتاً ورعاً فقيهاً عالماً بالدين وحجه، وقال عن نفسه ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك، توفي في صفر سنة ١٧٩ﻫ وكان عمره ٨٥ سنة "انظر تهذيب التهذيب" ج: ١٠، ص: (٥-٩) .

** الليث: هو الليث بن عبدالرحمن الفهمي، أبو الحارث الإمام المصري، قال عنه ابن سعد، إشتغل بالفتوى في زمانه وكان ثقة كثير الحديث وقال أحمد كان أثبت المصريين، كثير العلم صدوق الحديث وكان فقيها عربي اللسان يحسن القرآن والنحو والشعر وقال الشافعي: الليث أفقه من مالك إلاّ أن أصحابه لم يقوموا به وقال ابن حبان عنه، انه في الثقات وكان من سادات أهل عصره فقهاً وورعاً وعلماً وفضلاً ولد سنة ٩٤ هـ ومات يوم الجمعة نصف شعبان سنة ١٧٥، انظر تهذيب التهذيب ج: ٨، ص: (٤٥٩-٤٦٥)

أنس بن النضر – عم أنس بن مالك – : لا والله لا تُكسَرُ سنُّها يا رسول الله! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أنس: كتاب الله القصاص فرضي القومُ وقبلوا الأرشَ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن من عباد الله من لو أقسَمَ على الله لأبرّه".(١)

واوضح المفسرون والفقهاء شروطاً للقصاص في الجروح أو إتلاف بعض الأعضاء وهي كالأتي:

١- أن يكون القصاص بعيداً عن الحيف والجور والظلم عند الاستيفاء من المعتدي.

٢- أن يكون العضو المراد قطعه مماثلاً في الإسم والموضع للعضو المتلف من قبل الجاني، والجرح مساوي لنفس الجرح طولاً وعمقاً وفي نفس المكان سواء في اليد أو القدم أو الرأس، فتؤخذ اليد باليد، والرجْلُ بالرّجْل والأصابع بالأصابع والأنامل بالأنامل مثلاً بمثل، لأن الجروح قصاص.

٣- استواء العضوين، المتلف والمراد أخذه بالقصاص في الصحة فلا تؤخذ اليد المشلولة باليد الصحيحة، ولا العين المكفوفة بالعين السليمة ولا الرجل العرجاء بالرجل السليمة.

٤- أن يكون القصاص ممكناً إقامته على الجاني بنفس ما أحدث من ضرر، وإن تعذر ذلك، تُرك الأمر فيقدر إلى الدية.(٢)

أنواع جرائم القصاص:-

الجرائم التي فيها القصاص هي التي يتمُّ الإعتداء فيها على حق العباد، إما بالإعتداء على النفس بالقتل أو الإعتداء على ما دون النفس كما أوضحنا كالجروح وقطع بعض الأطراف أو إتلافها.

وتسمى هذه الجرائم بالجنايات ومن أعظمها وأخطرها جريمة القتل، وجريمة القتل تنقسم إلى ثلاثة انواع وهي كالآتي:-

أ- القتل العَمْد:-

أن يقصد الجاني قتل المؤمن بما يسبب القتل كالسيف أو السلاح الناري أو نحوه أو يغرقه في ماء عميق، أو أن يُلقي بإنسان من مكان مرتفع، أو يخنقه من عنقه أو يمسك بخصيتيه حتى تخرج روحه أو يضربه بحديده فيفارق الحياة.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري، فتح الباري، ج: ٨، ك: التفسير، باب: ٦ (الجروح قصاص)، ص: ٢٧٤، رقم ٤٦١١، مسلم، ج:٣، ك: القسامة، باب:٥ (القصاص في الأسنان، ص: ١٣٠٢، حديث رقم: ٢٤، ابن ماجه، ج:٢ ك: الديات، باب: ١٦، ص: (٨٨٤، ٨٨٥)، حديث رقم: ٦٢٤٩ مسند الإمام أحمد، ج:٣، ص: (١٢٨، ٢٨٤،١٦٧)

(٢) انظر المهذب في فقه الإمام الشافعي، ج: ٢، ص:(١٧٧، ١٧٨) وأيضاً الكافي، ج:٤، ص:(١٨-٢٧) وأيضاً منهاج المسلم، ص: ٤٤٢ وأيضاً دراسات في الثقافة الإسلامية لهندي، ص: ١٤٩

وهـذا النـوع مـن القتل فيه القـود لأنه متعمـد، فيقتص مـن الجـاني بتمكين أوليـاء المقتـول منه، فإن أحبوا قتلوا، وإن أحبوا عفوا، وإن أحبـوا أخذوا الدية، وليس لهم أن يقتلوا غير القاتل، قال تعالى "*ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلاّ بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يُسرف في القتل إنه كان منصوراً*".(١)

وجاء في تفسيرهـا أنه لا يُقتل غير القاتل، وأوضح رسول اللـه صلى الله عليه وسلم أن لـولي الأمـر إما القصاص وإمـا أن يعفـو وإما أن يأخذ الـدية وليـس لـه أن يفعل الرابعة.

عن أبي شريح الخزاعي أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: "من أصيب بقتل أو خبل - فسـاد في الأعضاء - فإنه يختـار إحدى ثلاث، إما أن يقتـصَّ وإما أن يعفو، وإمّا أن يأخذ الـدية، فـإن أراد الـرابعـة فخـذوا على يديه، ومـن اعتـدى بعـد ذلـك فله عذاب أليم".(٢)

ب- القتل شبه العَمد:-

أن يقصـد العـدوان دون القتل، كـأن يضـرب المجني عليه بعصـا خفيفـه لا تقتل في العـادة أو يوكزه بيده في بطنـه، فقد تعمد العدوان ولم يتعمـد القتـل وحكم هذا النوع مـن الجنايات أنه يوجب على الجاني الدية المغلظه والكفارة ويكـون الجاني آثماً في ارتكابه للقتل.

واعتمدوا حديث عبدالله بن عمرو أنَّ رسول الله صلى عليـه وسلم قال "ألا إنَّ ديةَ الخطأ شبـهِ العَمْدِ مـا كان بالسـوط والعصـا مـائةٌ مـن الإبل: منهـا أربعـون في بطـونها أولادها".(٣)

ج- القتل الخطأ:-

القتـل الخطأ هو القتل الغير متعمـد وليس فيه شبهة العمـد كـأن يفعل الإنسانُ شيئاً مبـاحاً لـه فعله، فيرمي صيداً أو هـدفاً فيصيب إنساناً بغير علمـه ولا قصـده فيموت هذا الإنسـان،أو مـا يحدث في حوادث الطـرق من إصابات تؤدي الى الـوفاة فحكـم مثل هذه الحـالات الخطأ وما يجري مجرى الخطأ فليس فيها قود من الجاني لأنهـا بغير قصده وإرادته، ويكـون فيها الدية والكفارة لقـوله تعالى "*وما كان لمؤمن أن يقتُلَ مؤمناً إلاّ خطأً ومن قَتَلَ مؤمناً خطأً فتحريرُ رقبةٍ مؤمنةٍ وَدِيَةٍ مسلمةٌ إلى أهْله إلا أن يصدقوا*".(٤)

---

(١) سورة الإسراء الآية: ٣٣

(٢) سبق تخريجه في ص ٢٩٨

(٣) أخرجه ابو داود في سننه، ج: ٢، ك: الـديات، باب: (في دية الخطأ شبـه العمد) ص: ٤٩٢، وأيضاً في ص: ٥٠١ وأخرجه الإمـام أحمـد في مسنـده، ج: ٢، ص: ١١، ج: ٣، ص:٤١٠

(٤) سـورة النسـاء الآية: ٩٢

وحكم هذا النوع من الجنايات نفس حكم النوع الثاني غير أن الدية مخففة هنا وأن الجاني غير آثم بخلاف شبه العمد فإن الدية مُغلظه والجاني آثم.(١)

وخلاصة الأمر، أن القصاص في القتلى وفي الجروح ثابت بالكتاب والسنة والإجماع بشرط المساواه في القصاص فاليد باليد والرجل بالرجل والسن بالسن والعين بالعين، وإذا شجه في رأسه أو وجهه فأوضح العظم فله أن يشجه كذلك في نفس المكان المماثل.

وإذا لم يتمكن من المساواة والمماثلة فلا يشرع القصاص عندئذٍ، بل يجب الأرش وهو نوع من الدية يقدر عن إتلاف العضو أو الجرح أو الخسارة الناجمة عن اعتداء الجاني.

ويؤيد ذلك ما رواه نمران عن أبيه أن رجلاً ضرب رجلا على ساعده بالسيف فقطها من غير مفصل فاستدعى عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فأمر له بالدية، فقال يا رسول الله! إني أريد القصاص فقال "خذ الدية، بارك الله لك فيها(٢) ولم يقض له القصاص.

وقالت طائفة من العلماء، إن الحالات التي لا تتحقق فيها المماثلة لا قصاص فيها، وقالوا بالعقوبة التعزيرية، وهي عقوبة يقدرها القاضي المسلم حسب نوع الجريمة.

---

(١) انظر تفسير محاسن التأويل ج:٣، ص: ٤٠١ وأيضاً السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص: (١٢٤-١٢٨) وأيضاً الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ج:٤، ص:(٣، ٤)

(٢) أخرجه ابن ماجه، ج: ٢،ك: الديات، باب: ٩، ص: ٨٨، حديث رقم: ٢٦٣٦

المبحث الثاني
العفو في القصاص

اتفق المفسرون على مشروعية العفو في القصاص واحتجوا بالكتاب والسنة، حيث رغبت النصوص الشرعية بالعفو عن الجاني لعله يندم ويرجع إلى الصواب، ويتوب إلى الله ويتبرأ من فعلته النكراء في حق أخيه أو المجتمع.

واعتمدوا نصوصاً من الكتاب والسنة المطهرة تتمثل في الآتي:-

أولاً الكتاب:-

قال تعالى "*فمن عُفي له من أخيه شيءٌ فاتباعٌ بالمعروف وأداءٌ إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمه، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم* ".(١)

أوضح في صدر الآية وجوب القصاص للجنايات ثم في عجز الآية حبب في العفو وشجّع عليه، لأنه يُجسد قمة التراحم والفضل من أولياء المقتول تجاه القاتل، ويؤكد ذلك، حينما عبر بلفظ الأخ الذي يحرك عاطفة الرحمة والحنان ويزيل العداوة والبغضاء.

ولما كان العفو في القصاص يتضمن الرضى بأخذ الدية، أمر المعفو عنه بأن يقابل ذلك العفو بالمعروف والأداء بإحسان، وينبغي ألاّ ينقص من صفة أداء الدية شيئاً.

وأجاز الشرع لولي الأمر أن يتصدق بالديّة إن أراد ذلك قال تعالى "*وَدِيَةٌ مسلمةٌ إلى أهْلِهِ إلاَّ أن يصّدّقوا*".(٢)

وأما قوله "فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم" أي أنه لا يجوز بعد العفو عن الدم والرضى بالدية الإنتقام من القاتل لأن ذلك غدرٌ وخيانة حينئذ وله عذاب أليم.

وقال العلماء أنه يتحتم قتل الولي العافي إذا قتل القاتل بعد العفو، والذي يفعل ذلك لا يجوز العفو عنه بل يجب ان يقتله الحاكم المسلم، وإن عفا عنه ولي المقتول.

وقال عمر بن عبدالعزيز* أن أمر الذي يقتل بعد العفو موكولٌ إلى الإمام يعقل فيه ما يراه مناسباً.(٣)

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٧٨

(٢) سورة النساء الآية: ٩٢

(٣) انظر تفسير المنار، مجلد: ١، ج: ٢، ص: ١٢٩

* عمر بن عبدالعزير بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميه القرشي الأموي أمير المؤمنين، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب روى عن السائب بن يزيد وخوله بنت حكيم وعنه إبناه عبدالله وعبدالعزيز وأبو سلمه بن عبدالرحمن وهو من شيوخه ولد سنة ٦٣هـ وكان ثقة مأموناً له فقه وعلم وكان ورعاً وإمام عدلٍ مات في رجب سنة إحدى ومائة. انظر تهذيب التهذيب ج: ٧، ص:(٤٧٥، ٤٧٨)

واعتمد المفسرون في العفو عن القصاص قوله تعالى "والجروح قصاصٌ فمن تصدّق به فهو كفارةٌ له"(١)

وقوله تعالى "وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثلُها فمن عفا وأصلح فأجره على الله، إنهُ لا يُحبُّ الظالمين".(٢)

وإذا عفا بعض الورثة عن القصاص يسقط وتوجب الدية فقط وفي ذلك تخفيف من الله بالعباد ورحمة بالأمة وإصلاح لحياة الأفراد، فأطعمهم الدية وأحلها لهم ولم تحلّ لأحد من قبل، حيث كان أهل التوارة عندهم القصاص أو العفو، أمّا أهل الإنجيل فقد أمروا بالعفو، وجعلَ اللهُ لهذه الأمة القود والعفو والدية ولم تكن لأمُةٍ من قبلهم.(٣)

ثانيا: السنة المطهرة:-

جاءت الأحاديث النبوية الشريفة تشجع وتحث المؤمنين على العفو واحتساب الأمر إلى الله سبحانه، وأن من يتصدق بذلك فإن الله سبحانه يرفعه درجات ويحط عنه الخطيئة يوم القيامة.

قال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "ما من رجل يُصابُ بشيءٍ في جسده فيتصدقُ به إلاّ رفعه الله به درجة وحطَّ عنه به خطيئة".(٤)

وأنّ الذي يتواضع لله في هذه الحياة يرفعه الله في الدنيا والآخرة، والذي يعفو يزداد عزاً، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما نَقصت صدقةٌ من مال وما زاد اللهُ رجلاً بعفوٍ إلاّ عزّاً أو ما تواضع أحدٌ لله إلاّ رفعه".(٥)

الفرق بين القصاص وباقي الحدود:-

إن الشريعة الإسلامية أقرّت نظام العقوبات في القصاص وباقي الحدود من أجل تحقيق حياة يسودها الأمن والإستقرار ويرفرف عليها السلام والإطمئنان، فلا يعتدي إنسانٌ على آخر ولا يستبد قويٌّ بضعيف أو غني بفقير ولا يتحكم صاحب السلطان في الرعية.

فالشريعة الإسلامية تنظر إلى الناس على أنهم سواء، لا فرق بين انسان وآخر إلاّ بتقوى الله، وحدود الله جاءت لكي تطبق على جميع الناس بدون تفريق بين حاكم ومحكوم فالجميع على قدم المساواة أمام حدود الله.

---

(١) سورة المائدة الآية: ٤٥ (٢) سورة الشورى الآية: ٤٠

(٣) انظر تفسير الطبري، ج: ٢، ص: ١١١ وأيضاً التفسير الواضح مجلد: ١، ج: ٢، ص: ٩٩

(٤) أخرجه الترمذي، ج: ٤، ك: الديات، باب: ٥ (ما جاء في العفو)، ص: ١٤، حديث رقم: ١٣٩٣، وأيضاً ابن ماجه ج:٢، ك: الديات باب: ٣٥ (العفو في القصاص، ص: ٨٩٨، حديث رقم: ٢٦٩٣

(٥) أخرجه الترمذي ج: ٤،ك: البر والصلة، باب: ٨٢ (ما جاء في التواضع)، ص: ٣٧٦، حديث رقم: ٢٠٢٩، مسند الأمام أحمد ،ج: ١ ،ص:١٩٣، ج: ٢،ص: (٢٣٨،٢٣٥)

وقبل الحديث عن الفوارق بين القصاص والحدود ينبغي الإطلاع على الحدود التي شرعت في القرآن وهي تتمثل في الآتي:-

١- حد الإرتداد عن الدين:-

قال العلماء ،إن حدَّ الإرتداد عن الدين القتل إذا ظل المرتد تاركاً للدين وأصرّ على الإلحاد بَعْدَ استتابته ثلاثاً، فإن تاب اغتسل وعاد إلى الإسلام، وإن لم يتب قتل بنحو سيف ولم يُصلَّ عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين. فقد روى ابن مسعود رضي الله عنه - فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يُحل دمُ امرىء مسلمٍ إلاّ بإحدى ثلاثٍ، الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة".(١)

٢- حد الزنا:-

وهو الجلد مائة جلدة لغير المحصن أو الرجم حتى الموت للمحصنين، قال تعالى "**الزانية والزاني فاجلدوا كُلّ واحدٍ منهما مائةَ جلدةٍ ولا تأخذكم بهما رأفةٌ في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخرِ وليشهد عذابَهما طائفةٌ من المؤمنين**".(٢)

أما بالنسبة للرجم فهو للزاني المحصن وقد رُجم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ماعز والغامدية.

٣- حد السرقة:-

تُقطع يد السارق أو السارقة من الرسغ، إذا كانت السرقة من حرز الغير، وبدون حاجة ماسة إليها، قال تعالى "**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيزٌ حكيم**:.(٣)

٤- حد القذف:-

الجلد ثمانون جلدةً، لأنه قذف الآخرين في أعراضهم فاتهمهم بالزنا والفاحشة، ولم يكن لديه أربعة من الشهود فيقام عليه حد القذف ولا تقبل له شهادة أبداً، قال تعالى "**والذين يرمون المحصناتِ ثمّ لم يأتوا بأربعةِ شهداءَ فاجلدُوهُمْ ثمانين جلدةً ولا تقبلوا لهُمْ شهادةً أبداً وأولئك هم الفاسقون**".(٤)

---

(١) البخاري فتح الباري ج: ١٢، ك: الديات، باب ٦، ص: ٢٠١، رقم: ٦٨٧٨ مسلم، ج: ٣، ك: القسامة، ص: (١٣٠٢، ١٣٠٣) رقم: (٢٥، ٢٦) أبو داود ج:٢، ك: الحدود، ص: ٤٤٠، والدارمي، ج: ك: السير، باب: ١١، ص: ١٣٨، حديث رقم: ٢٤٥١

(٢) سورة النور الآية: ٢

(٣) سورة المائدة الآية: ٣٨

(٤) سورة النور الآية: ٤

٥- حد شرب الخمر:

الخمـر حرام على المسلمين بقـوله تعـالى "يا أيها الذين آمنوا إنّما الخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ رجسٌ من عملِ الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلمون".(١)

ولقـد أوضحنا أنّ حدّ شارب الخمر الجلد من الأربعين إلى الثمـانين جلدة في الفصل الثالث وفصّلنا أراء العلماء في ذلك.

٦- حد الفساد في الأرض:-

ويسمـى بحد الحرابه يقام على الـذين يحـاربون الله ورسـوله ويسعـون لإفساد حياة النـاس في المجتمع المسلم الآمـن، فحدُّ هؤلاء القتل أو الصلـب أو قطع الأيدي والأرجل من خلاف أو النفي، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

قـال تعالى "إنما جزاءُ الذين يحاربون الله ورسولَهُ ويسعونَ في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصّلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلُهم من خلافٍ أو ينفقوا مِنَ الأرض ذلك لهم خِزيٌ في الدنيا ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم ".(٢)

٧- حد قتل النفس:-

ويسمـى بالقصاص في القتلى وحكمه أن القاتل إذا كان متعمـداً القتل يُقتل وفصّلنا في الحديث عن ذلك.

ويتضـح أن حدَّ القصـاص من أعظـم الحدود خطورة لأنه يتعلـق بالجنـايات التي فيها القتل والإعتداء على الآخرين بإنزال الجروح وغيرها.

وحدُّ القصـاص يوجد بينه وبين باقي الحـدود التي ذكرناها فـوارق تتمثـل في الآتي:-

أ- الحدود حقوقُ الله تبارك وتعالى، أما القصاص فهو من حقـوق العباد، لأن الجاني قد أنزل ضرراً مادياً في المجني عليه.

ب- لا يجـوز الشفـاعة في الحدود بأي حال مـن الأحوال، لأنهـا حق للـه سبحـانه، فمن أصـاب حداً مـن حدود الله ينبغـي أن يقـام عليه هذا الحـد إذا علم الإمـام بذلـك.

عـن عائشة - رضي الله عنها - أن قريشاً أهمّهُمْ شأنُ المرأةِ المخـزومية التي سرقت فقـالوا: من يُكلمُ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَنْ يجترىءُ عليـه - يتجاسر على الكلام في ذلـك - إلاّ أسامةُ، حبُّ رسـول الله صلى الله عليـه وسلم، فكلمهُ أسامةُ فقال رسـولُ الله صلى الله عليه وسلم "أتشفـعُ في حدٍّ من حدود اللـه؟ ثم قام فاختطب فقال: "أيهـا النـاسُ! إنّمـا أهلـك الـذين قبلكـم، أنهـم كـانوا إذاسرق فيهـم الشـريف تركـوه

---

(١) سورة المائدة الآية: ٩٠ (٢) سورة المائدة الآية: ٣٣

وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدَّ وآيْمُ الله! لو أن فاطمة بنت محمدٍ سرقت لقطعت يدها"(١)

أما بالنسبة للقصاص فيجوز الشفاعة فيه، وإذا قبل أهل القتيل الدية والمصالحة سقط القصاص عن الجاني.

ج- لا يجوز العفو في الحدود، بينما يجوز العفو في القصاص قال تعالى "*فمن عفي له من أخيه شيءٌ فاتباع بالمعروف وأداءٌ إليه بإحسان*".(٢)

د- الحد لا يورثُ المطالبةُ فيه، فمثلاً إذا مات الزاني أو السارق فلا دعوى ولا قضاء، أما القصاص فيورث حق المطالبة فيه لأولياء الدم.(٣)

---

(١) متفق عليه، البخاري، فتح الباري، ج: ١٢، ك: الحدود، باب: ١١، ص: ٨٦، رقم ٦٨٨٧، مسلم ج:٣، ك: الحدود، باب: ٢، ص: ١٣١٥ حديث رقم: (٨، ٩)، الترمذي، ج: ٤، ك: الحدود، باب: ٦ ص: (٣٧، ٣٨)، حديث رقم: ١٤٣٠، ابن ماجه، ج: ٢، ك: الحدود باب: ٦ (الشفاعة في الحدود) ص: ٨٥١، رقم: ٢٥٤٧، الدارمي ج: ٢، ك: الحدود، باب: ٥، ص: (٩٤، ٩٥) رقم: ٢٣٠٧، أبو داود، ج:٢، ك: الحدود، باب: ٤، ص: ٤٤٥، مسند الإمام أحمد ج:٣، ص: (٣٨٦، ٣٩٥)، ج: ٥، ص: ٤٠٩، ج: ٦، ص: ٣٢٩

(٢) سورة البقرة الآية: ١٧٨

(٣) انظر دراسات في الثقافة الإسلامية لهندي ص: ١٤٩

المبحث الثالث

القصاص وأثره في الحياة

إنَّ الله - سبحانه - أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأعدل العادلين، أنزل الحدود في شريعة الإسلام لتحقيق مصلحة العباد، وتوطيد أمن المجتمع وحمايته داخلياً من الفوضى والإضطراب، فعلم سبحانه أن مصالح العباد لا تقوم إلّا بتطبيق حدود ما أنزل الله على رسوله قال تعالى "*ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون*"(١)

وإقامة الحدود الشرعية في المجتمع تُبعد الناس عن المفاسد بكافة صورها وأشكالها وتقلل الجرائم بل تقضي عليها وتكفر السيئات، فهي عقوبات رادعة لمنع العابثين والمستهترين بدماء الناس وأموالهم وأعراضهم وبمقدرات الأمة.

وكانت عقوبة القصاص من أبرز الأحكام الشرعّية التي تحفظ حياة الناس لأنها تتعلق بمعاقبة الجاني بمثل ما ارتكب من جريمة في حق أخيه أو المجتمع.

إن للقصاص في القتلى حِكماً جليلةً وغاياتٍ نبيلة استطاع العقل البشري أن يصل إلى بعض الإيحاءات منها من خلال دراسة النصوص الشرعية المتعلقة بذلك، وذكر المفسرون شيئاً من هذه الحِكَم نوضحها في الآتي:-

المطلب الأول: القصاص إصلاحُ للحياة:-

علم الله سبحانه أن للقصاص دوراً هاماً في اصلاح الحياة الإنسانية وحفظها من الدمار والضياع، وأخبر سبحانه أن في إقامة هذا الحد حياة للناس جميعاً داخل المجتمع المسلم الذي يحتكم إلى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعقوبة القصاص علاجٌ ناجحٌ في معالجة الأفراد والجماعات والشعوب وفيها إصلاحٌ للأمم وتثبيتٌ لدعائم المجتمع من الجانب الأمني، فيعم السلام والإطمئنان على ربوع المجتمع بأسره إذا احتكم إلى شرع الله، والتزم حدود ما أنزل الله في كتابه الكريم قال تعالى "*ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون*".(٢)

ذكر الطبرسي* أن القصاص حياة من جانبين:-

---

(١) سورة الجاثية الآية: ١٨

(٢) سورة البقرة الآية: ١٧٩

* الطبرسي: هو الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، أبو علي، مفسر ومحقق لغوي نسبته إلى طبرستان، له "مجمع البيان في تفسير القرآن، و "جوامع الجامع" في التفسير أيضاً و "تاج المواليد" و "غنية العابد" و "مختصر الكشاف" انظر الأعلام للزركلي، ج: ٥، ص: ١٤٨

أ- القصاص حياة لأن من همَّ بالقتل فتذكر القصاص ارتدع فكان ذلك سبباً للحياة، وقال بذلك أكثر أهل العلم.

ب- القصاص حياة من جانب وقوع القتل، حيث لا يُقتل إلاّ القاتل دون غيره من أقارب الجاني أو من له علاقة به، بخلاف ما كان يحدث في الحياة الجاهلية قبل الإسلام، فقد كان القتل يستمر ويحصد رؤوساً كثيرة.(١) لأبسط الأسباب وأتفه الأمور كما حدث في حرب البسوس وداحس والغبراء.

وذكر الطبري، أن القصاص حياةٌ لأنه نكالٌ وعظةٌ لأهل السفه والجهل من الناس، وكم من رجل قد همَّ بداهية لولا مخافة القصاص لوقع بها، ولكن الله حجز بالقصاص بعضهم عن بعض، وما أمر اللهُ بأمر قط إلا وهو أمر صلاح في الدنيا والآخرة، ولا نهى الله عن أمر قط إلا وهو أمر فسادٍ في الدنيا والدين وهو أعلم بما يُصلح خلقه".(٢)

وقال صاحب الظلال أن القصاص فيه إعلان لميلاد الإنسان لأن هذا المبدأ العظيم، مبدأ القصاص بدون تميز بين إنسان وآخر أو حاكم أو محكوم، الذي جاءت به شريعة السماء هو إعلانٌ عام حقيقي لميلاد الإنسان الذي يستمتع كل فرد فيه بحق المساواة من ناحيتين:

أ- الجميع يحتكم إلى شريعة واحدة وقضاء واحد بدون أي فارق بين الناس.

ب-يتمُّ القصاص على أساس واحد وقيمة واحدة، فالقاتل يقام عليه حد القصاص مهما كانت مكانته في المجتمع.

وقد تخلفت مناهج البشر الوضعية عشرات من القرون حتى ارتفعت إلى بعضِ مستواه من ناحية النظريات القانونية(٣) وفصّل الرازي القول في معنى "القصاص حياةٌ" من جانب أن فيه إصلاح لحياة الناس من النواحي الآتية:-

١- ليس المراد من الآية أن نفس القصاص حياة، لأن القصاص إزالة الشيء، بل المراد أن شرع الله المتمثل في القصاص يفضي إلى إصلاح الحياة وحفظها في حق من أراد أن يقتل وفي حق من يُراد جعله مقتولاً وفي حق غيرهما، حيث كان القتل يستمر بين الناس في الجاهلية، وبذلك يتضح أن القصاص حياة للناس في المجتمع الإسلامي.

٢- القصاص يحفظ الحياة، لما فيه من الردع لمن كان يهم بالقتل، لأنه يعلم علم اليقين أنه إن قتل يُقتل بمن قتله.

٣- القصاص يقوم على إيجاب التسوية الكاملة وفي ذلك حياة لغير القاتل، لأنه لا يُقتل غير القاتل بخلاف ما كانت تفعله الجاهلية العربية قديماً.(٤)

---

(١) انظر مجمع البيان في تفسير القرآن، مجلد: ١، ج: ٢، ص: (٤٨١،٤٨٢)

(٢) انظر تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج: ٢، ص: ١١٤ ط (١٤٠٥هـ-١٩٨٤م) دار الفكر.

(٣) انظر في ظلال القرآن، مجلد: ٢، ص: ٨٩٩

(٤) انظر تفسير الفخر الرازي، مجلد: ٣، ج: ٥، ص: ٦٠

وذكر صاحب محاسن التأويل في تفسير آية القصاص إتفاق علماء البيان، أن الآية تحمل معاني بالغة تصل إلى أعلى الدرجات في علم البيان لم تصل إلى مستواها معاني العرب بألفاظهم الكثيرة(١).

ونقل صاحب المنار عن الرازي والألوسي، فأوضح أن الآية تعد من أبلغ آيات القرآن التي تُعجز في التحدي فرسان البلاغة والبيان، لأن فيها من دقائق البلاغة، أن جعل الضد متضمناً لضده وهو الحياة في الإماتة، التي هي القصاص.

ثم أوضح التفاوت في البيان بين الآية وما قاله العرب قديماً "القتل أنفى للقتل" و "قتلُ البعض إحياءٌللجميع" و "أكثروا القتل ليقل القتل"، من عدة وجوه نوضحها في الآتي:-

١- إذا تأملت في قوله تعالى "القصاص حياة" تجدها أشد اختصاراً من قولهم "القتل أنفى للقتل" فحروف الآية عشرة أحرف بينما قولهم أربعة عشر حرفاً.

٢- قولهم "القتل أنفى للقتل" فيها تناقض كونها تجعل الشيء سبباً لإنتفاء نفسه، وهذا مُحال، أما الآية فتذكر نوعاً من القتل وهو القصاص الذي لم يكن سبباً لمطلق الحياة بل لنوع من انواعها.

٣- الآية تفيد المساواة في العقوبة، وفي ذلك صيانةٌ للناس من اعتداء بعضهم على بعض، وأما قولهم القتل أنفى للقتل، فهو يصدق باعتداء قبيلة على قبيلة والإسراف في قتل رجالها لتضعف، فلا تقدر على أخذ الثأر، وبالتالي يكون المعنى، أن قتلنا لعدونا إحياءٌ لنا، أو أنفى لقتله إيانا.

وأين هذا الظلم من ذلك العدل؟! فالآية قررت أنَّ الحياة هي المطلوبة بالذات، وأن القصاص وسيلة من وسائلها وبذلك تكون الآية أشد بلاغةً وإعجازاً في اسلوبها القرآني.

٤- الآية خاليةٌ من التكرار بينما قولهم فيه تكرار للفظ القتل.

٥- قولهم يفيد الردع عن القتل فقط بينما الآية تفيد الردع عن القتل وعن الجرح وغيرهما، فهي أجمع في الفوائد البيانية.

٦- إن نفي القتل في قولهم يتضمن الحياة، بينما الآية تدل على حصول الحياة بالقصاص.

٧- سهولة الآية على اللسان بعكس قولهم.(٢)

وأين ما قالوه من كلمة الله العليا، وحكمته المثلى، وبذلك تكون الآية أشد بلاغة وإعجازاً في أسلوبها، ولن يتوصل القول البشري إليها بأي حال من الأحوال، لأن القرآن الكريم معجز في اسلوبه وتحدى العرب أهل الفصاحة والبيان قديماً، وما زالَ إلى يوم القيامة على أن يأتوا بمثل سورة من سور القرآن الكريم فعجزوا عن الأتيان بمثله، وهزموا أمام الأسلوب القرآني وذلك لأن القرآن الكريم من لدن حكيم عليم.

---

(١) انظر تفسير محاسن التأويل، ج:٣، ص: ٤٠٣

(٢) انظر تفسير المنار مجلد:٢، ص:(١٣١-١٣٢) وأيضاً التفسير الواضح مجلد: ١. ج: ٢، ص:١٠٠، وأيضاً تفسير محاسن التأويل ج: ٣ ص: (٤٠٤،٤٠٥)

قال تعالى "وإنّهُ لكتابٌ عزيزٌ، لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد"(١)

المطلب الثاني: الحِكم من القصاص:-

أولا:- أوضح سبحانه وتعالى أن القصاص ليس من قبيل الإنتقام وإنما شُرع من أجل المحافظة على حياة الناس.

ثانياً:- تطبيق عقوبة القصاص أمام جمهور المسلمين وعلى مرأى منهم، يؤدي إلى امتناع وإقلاع من يريد القتل، لأنه شاهد بأم عينيه مصير الذي ارتكب مثل هذه الجريمة النكراء في حق أخيه والمجتمع.

ثالثاً:- القصاصُ فيه تحقيق العدالة بين الجاني والمجني عليه، فكما حَرَمَ القاتلُ المقتول من التمتع بحياته، وجب أن يُحرمَ القاتل من الحياة كما حرم غيره، فيكون الجزاء من جنس العمل.

رابعاً:- القصاص فيه شفاءٌ لصدور أولياء المجني عليه، وذهابٌ للغيظ والحقد والرغبة التي اعتملت قلوبهم في الثأر من الجاني، والقصاص يمنعهم عن الإنتقام الذي قد يتجاوز الجاني إلى كل من له صلة بالقاتل، وهذا يُطفىء نيران الثأر التي قد تُصبح حرباً مدمرة لطاقات وإمكانيات المجتمع كما كان يحدث بين القبائل العربية في حرب البسوس التي استمرت أربعين عاماً حتى قضت على الأخضر واليابس.

خامساً:- إذا كفَّ القصاص الجاني من الإعتداء على حياة واحدة، فقد كفَّهُ عن الإعتداء على الحياة كلها، لأن الإعتداء على حياة فردٍ يُعتبر اعتداء على الحياةِ كلها، وبذلك يكون القصاص فيه حياةٌ مطلقة للمجتمع بأسره، بحيث يعيش افراده في أمن وسلام.

سادساً:- الآية أوضحت أن العامل الهام في حفظ الحياة هو تقوى الله ،الذي يربط النفوس عن الإعتداء على حرمات الآخرين، لأن القلب يشعر بالخوف من الله فيحجم عن القتل إذا وسوس له الشيطان بذلك.

وبهذا نستطيع أن نفسر ندرة عدد الجرائم في الفترة التي أُقيمت فيها الحدود الشرعية على عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده، فمعظم تلك الجنايات كانت مصحوبة باعتراف الجاني على نفسه طائعاً مختاراً لأنه يفضل عقاب الدنيا على عقاب الآخرة.(٢)

---

(١) سورة فصلت الآية: (٤١، ٤٢)

(٢) انظر في ظلال القرآن مجلد: ١، ص: ١٦٦، وأيضاً الضياء اللامع ص:(١٦٨، ١٦٩) وأيضاً القصاص في النفس، ص :(١٨، ١٩) وأيضاً تربية الأولادج:٢ ص: ٧٥٨

الفصل السادس

الفصل السادس
الجهاد وأثره في إصلاح الحياة

ويتكون من ثلاثة مباحث:-

المبحث الأول: تعريف الجهاد

المبحث الثاني: أهداف الجهاد وفضله وآدابه

المبحث الثالث: الجهاد ضرورة لإصلاح الحياة

الفصل السادس
المبحث الأول تعريف الجهاد

الجهاد في اللغة:

كلمة الجهاد أصلها، جَهَدَ وأَجهَد ومنها الجُهدُ ويعني الطاقة والمشقة.

وجَهَدَ الرجلُ نفسه، فهو مجهودٌ، إذا وجد مشقة وتعباً، وأجهَدَ دابته إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها.

وأجهده المرض إذا أتعبه، فأصبح منه هزيلاً، وأَجهَدَ الشيب في الرأس، أي كثر وأسرع.

وجاهدَ العدو مجاهدةً وجهاداً، بمعنى قاتله وبذل الجهد في قتال أعداء الله من الكفار.

الجهاد في الشرع:-

هو بذل الجهد واستفراغُ الوسع في محاربة أعداء الله، سواء باللسان أو السنان لتكون كلمة الله هي العليا، وتوصيل دعوته إلى الناس جميعاً في أرجاء الأرض .(١)

شروط الجهاد:-

اشترط العلماء للقيام بفريضة الجهاد في سبيل الله بعض الشروط الهامة(٢) نوضحها في الآتي:-

١- التكليف:-

أن يكون المجاهد مسلماً عاقلاً بالغاً، وهي شرائط التكليف في سائر العبادات، فلا يجوز الجهاد من الصبي لأنه ضعيف ولا من المجنون لأنه لا يستطيع الجهاد، ولا من الكافر لأنه غير مأمون الجانب.

ولم يجز رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمر يوم أحد لأنه كان صبياً، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: "عُرضتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأنا ابنُ أربع عشرة سنةٍ فلم يجزني، وعرضتُ عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني".(٣)

---

(١) انظر لسان العرب ج: ٣، ص: ١٣٥ وأيضاً المعجم الوسيط، ج: ١ ص: ١٤٢ وأيضاً محيط المحيط، ص: ٣٠٥ وأيضاً المنجد في اللغة، ص: ١٠٦.

(٢) انظر الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ج: ٤، ص: (٢٥٢،٢٥٣) وأيضاً مناهج الشريعة الإسلامية، ج: ٣، ص: (٣٣٨،٣٣٩)

(٣) أخرجه الترمذي، ج: ٤، ك: الجهاد، باب: ٣١، ص: ٢١١، حديث رقم: ١٧١١، وأخرجه ابن ماجه، ج: ٢، ك: الحدود، باب: ٤، ص:٨٥٠، حديث رقم: ٢٥٤٣

٢- **الكفاءةُ:-**

وهـي القدرة على حمل السلاح مع إجادة كيفية استعماله، لخوض غمار المعركة مع الأعـداء، ويخرج بهـذا الشرط الـذين لا تتـوفر فيهـم السلامـة مـن الضـرر، كـالأعمى والأعرج والمريض الضعيف، فهؤلاء لا يجبُ عليهم القتال.

قـال تعـالى "***ليس على الأعمى حرجُ ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرجُ***"(١)

وأضاف سبحانه وتعالى في سورة التوبة إليهم، الضعفاء والـذين لا يجدون ما ينفقونه في سبيـل اللـه، ويدخل في ضمنهـم المسترق فهـو لا يملـك الحـرية ولا يجد مـا ينفـق.

قال تعالى "***ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ماينفقون حرجٌ إذا نصحوا لله ورسوله، ما على المحسنين من سبيل والله غفورٌ رحيم***".(٢)

٣- **الذكورية:-**

لا يجب على المـرأة الجهاد، لأنهـا لا تستطيـع القتال لضعـف جسمهـا وخورهـا عند المعركة، واحتدام القتال، جاء في الحديث الشريف عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنهـا قـالت: قلتُ: يا رسول اللـه هـل على النساء جهاد؟ قال "جهـادٌ لا قتـال فيه، الحجُ والعُمرة".(٣)

أمـا خروج النساء في المعارك مـن أجل التمريض والمعالجة وتضميد الجراح وتأمين الطعـام والشـراب للجيش المسلم، فلا بأس بذلـك ولكنـه غير واجب في حقهـن.(٤)

٤- **الإستطاعة:-**

أن يكـون المقاتل مستطيعاً، والإستطاعة تتمثل في توفير الـزاد والسلاح والمواصلات لقطـع المسـافات للوصول الى ساحات القتـال، وإذا لم يتـوفر ذلـك فلا يستطيـع المجاهد القيام بفريضة الجهاد.

قـال تعالى "***ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملَهمْ قلتَ لا أجِدُ ما أحملُكُمْ عليه تولّوْا وأعينُهمْ تفيضُ من الدمعِ حزناً إلاّ يجدوا ما ينفقون***".(٥)

أركان الجهاد:-

أوضـح العلماءُ أن للجهاد اركاناً لا يقوم إلا بها شأنه في ذلـك شأن الصلاة والصيام وسائر العبادات في الإسلام، وهي تتمثل في الآتي:-

---

(١) سورة الفتح الآية: ١٧ وأيضاً سورة النور الآية: ٦١

(٢) سورة التوبة الآية: ٩١

(٣) فتح الباري، ج: ٦، ك: الجهاد، باب: ٦٢ (جهـاد النساء)، ص: (٧٥،٧٦) رقـم: (٢٨٧٥،٢٨٧٦) ابن ماجه، ج:٢، ك: المنـاسك. باب: ٨، ص: ٩٦٨ رقـم: ٢٩٠١ مسنـد أحمـد ج: ٦، ص:(٦٧،٦٨،٧١،٧٥،١٢٠)

(٤) انظر مناهج الشريعة الإسلامية، ج: ٣، ص: ٣٣٩

(٥) سورة التوبة الآية: ٩٢

١- الإخلاص في النية:-

ينبغي أن يعقد المقاتل النية الصادقة المخلصة لله بقلبه عند الخروج إلى ساحات القتال، لكي يصح جهاده ويكون من أجل إعلاء كلمة الله، وإعزاز الدين، ويتخلص من الرياء والسمعة.

وأمر الله سبحانه بإخلاص النية في أيّ عمل حتى يكون مقبولاً ويثاب عليه صاحبه في الدنيا والآخرة، فإن أساس قبول العمل الإخلاص في النية مع الله.

قال تعالى "***وما أُمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين حُنفاء ويقيموا الصلاةَ ويؤتوا الزكاة، وذلك دينُ القيمةِ***".(١)

وقوله تعالى "***قل إنيّ أُمرتُ أن أعبُدَ الله مخلصاً له الدين وأُمرتُ لأن أكون أول المسلمين، قل إنّي أخاف إن عصيتُ ربّي عذابَ يومٍ عظيم، قل اللهَ أعبُدُ مخلصاً له ديني***".(٢)

وجاء في الحديث الشريف عن أبي موسى الأشعري أن رجلًا أعرابياً أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، الرجلُ يقاتل شجاعةً ويقاتل حمية ويقاتل رياءً، أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم "من قاتل لتكون كلمةُ الله هي العليا فهو في سبيل الله".(٣)

يرشد الحديث إلى إخلاص النية في الجهاد مع الله سبحانه، وأن يكون الجهادُ من أجل إعلاء كلمة الله ونشر دعوته في الأرض، وأما من قاتل من أجل المغنم أو الحمية أو الرياء فلا جهاد له، وقال الجمهور من العلماء، إذا كان المقصد الأصلي للمجاهد إعلاء كلمة الله لم يضر ما يحصل من أمور تعود بالنفع على المجاهد طالما أن نيته في الأساس إعلاء كلمة الله ونشر الإسلام.(٤)

٢- طاعة الإمام:-

إن طاعة الجند للأمير المسلم ركن أساسي لنجاح الجهاد، وتحقيق النصر على الأعداء، وأنّ الأمير الناجح هو الذي يغرس عنصر الثقة في نفوس الجند بقيادتهم، والقيادة بجنودها.

وأن عدم الطاعة للقيادة يؤدي إلى التفرقة وزعزعة الصف، والله سبحانه أمر بطاعة أولي الأمر، قال تعالى :"***يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم***".(٥)

---

(١) سورة البينة الآية: ٥ (٢) سورة الزمر الآية:(١١-١٤)

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري، فتح الباري، ج:١٣، ك: التوحيد، باب: ٢٨، ص: ٤٤١، حديث رقم: ٧٤٥٨، وأخرجه مسلم،ج: ٣، ك: الإماره، باب: ٤٢، ص:(١٥١٢،١٥١٣)، حديث رقم: (١٤٩،١٥٠) وأخرجه ابن ماجه، ج: ٢، ك: الجهاد، باب: ٣ (النية في القتال)، ص: ٩٣١، حديث رقم: ٢٧٨٣

(٤) انظر العمده في الأحكام في معالم الحلال والحرام، ص: ٥٢٨ (٥) سورة النساء الآية: ٥٩

وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الأمير المسلم، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصني فقد عصى الله، ومن يطعِ الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني".(١)

٣- إعداد العدة:-

ينبغي على قيادة المجتمع الإسلامي قبل اتخاذ القرار بإعلان الجهاد توحيد الصف وإعداد الرجال المؤمنين، وحشد الطاقات المادية من مال وسلاح، وما تتطلبه المعركة من لوازم الحرب الأخرى، قال تعالى "*وأُعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم*".(٢)

وفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم القوة بالرمي، ومعظم الأسلحة الحديثة قائمة على الرماية من أسلحة صغيرة إلى مدافع وطائرات قاذفة وراجمات الصواريخ.

وإعداد القوة يتطلب الإنفاق في سبيل الله، ولمّا كانت النفوس شحيحة بالمال تكفّل الله للمنفقين في سبيله بأن يخلفهم خيراً، ويثيبهم عليه فأكمل الآية السابقة بقوله تعالى "وما تنفقوا من شيءٍ في سبيل الله يوفَّ اليكم وأنتم لا تظلمون" وتدل التوفية على أنه يشمل الأجرَ في الدنيا والآخرة، وهو رأي ابن عباس.(٣)

والمؤمن المجاهد بنفسه مع ماله، هو أفضل الناس كما جاء في الحديث، عن أبي سعيد الخدري أنه قال: قيل يا رسول الله أيُّ الناس أفضلُ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "مؤمن يجاهدُ في سبيل الله بنفسه وماله، قالوا: ثم مَنْ؟ قال: مؤمن في شعبٍ من الشعاب يتقي الله ويَدَعُ الناس من شره".(٤)

٤- رضاء الوالدين:-

لا يجوز الجهاد إلا بإذن الوالدين، خصوصاً عندما يكون الجهاد فرض كفاية، عن ابن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما قال "جاء رجلٌ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم ياستأذنه في الجهاد، فقال:

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري، فتح الباري، ج: ١٣، ك: الأحكام، باب: ١، ص: ١١١، حديث رقم ٧١٣٧ وأيضاً فتح الباري ج:٦، ك: الجهاد، باب: ١٠٩ ص: ١١٦ حديث رقم: ٢٩٥٧، وأخرجه مسلم، ج: ٣، ك: الإمارة باب: ٨، ص: ١٤٦٦، حديث رقم: (٣٢،٣٣)، ابن ماجه، ج: ٢، ك: الجهاد، باب:٣٩ (طاعة الإمام)، ص: ٩٥٤، رقم: ٢٨٥٩ مسند الإمام أحمد ج:٢، ص: (٢٥٣،٢٧٠،٣١٣)

(٢) سورة الأنفال الآية: ٦٠

(٣) انظر تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، ج: ١٠، ص :(٥٩، ٦٠) ط: (١٩٨٤م) الدار التونسية للنشر.

(٤) متفق عليه ، فتح الباري، ج:٦، ك: الجهاد، باب: ٢، ص:٦ ، حديث رقم:٢٧٨٦، مسلم،ج} ٣، ك: الإمارة، باب: ٣٤، ص: ١٥٠٣ رقم: ١٢٣

أحيٌّ والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد:.(١)

يرشد الحديث، أن رعاية الوالدين مقدم على الجهاد، لأن رعاية الوالدين تتضمن مجاهدة النفس للحصول على رضائهما، أما إذا كان الجهاد فرض عين فلا عبرة برضاء الوالدين حينئذ، لأن التغيب عن الجهاد معصية، وأخبر عليه السلام أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.(٢)

عن أبن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "على المرءِ المسلمِ السمعُ والطاعةُ، فيما أحبَّ وكرِه، إلاّ أن يُؤمر بمعصية، فإن أُمرَ بمعصيةٍ فلا سمع ولا طاعة".(٣)

٥- الثبات في المعركة:-

يجب على المجاهد أن يثبت عند نزال الأعداء بروح مفعمة بالشجاعة والإقدام، والأجدر به أن يصبر ويصابر ويمضي قدماً في طريق النصر، لأنه على الحق وعدوه على الباطل.

قال تعالى "*يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئةً فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون*".(٤)

وأوصى عليه السلام بالصبر والثبات أثناء المعركة، فإن الجنة تحت ظلال السيوف.

عن عبدالله بن أبي أوفى* أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بعض أيامه التي لقى فيها العدو، ينتظرُ حتى إذا مالت الشمسُ قام فيهم فقال:

---

(١) متفق عليه، فتح الباري، ج: ٦، ك: الجهاد، باب: ١٣٨ (الجهاد بإذن الوالدين) ص: ١٤٠،رقم: ٣٠٠٤،مسلم، ج:٤، ك: البر، باب:١ (بر الوالدين) ص: ١٩٧٥، رقم: ٥، أبو داود، ج: ٢،ك: الجهاد، باب: (الرجل يغزو وأبواه كارهان) ص: ١٧، مسند أحمد ج: ٢، ص (١٦٥،١٧٢،١٨٨،١٩٣)

(٢) انظر المحلى، ج: ٧، ص: ٢٩٢

(٣) متفق عليه، فتح الباري، ج: ٦، ك: الجهاد، باب:١٠٨، ص:١١٥، رقم: ٢٩٥٥م مسلم، ج:٣، ك: الإمارة، باب: ٨، ص: ١٤٦٩ رقم: ٣٨، الترمذي، ج:٤، ك: الجهاد، باب:٢٩، ص: ٢٠٩، رقم: ١٧٠٧، ابن ماجه ج:٢، ك: الجهاد، باب: ٤٠، ص: ٩٥٦، رقم: ٢٨٦٤، أبو داود، ج:٢، ك: الجهاد، باب: ٨٧(في الطاعة) ص: ٣٨ مسند أحمد ج: ٢، ص: ١٧

(٤) سورة الأنفال الآية: ٤٥

* ابن أبي أوفى:- هو عبدالله بن علقمه بن الحارث بن أبي أسد يلقب بأبي معاوية، روى عنه، عمرو بن مره وأبو اسحاق الشيباني، شهد الحديبية وبايع بيعة الرضوان وشهد خيبر وما بعدها من المشاهد، ذهب إلى الكوفة وهو آخر من بقي من أصحاب النبي ومات سنة ست وثمانين بعدما كُف بصره انظر أسد الغابة ج: ٣، ص: (١٨٢، ١٨٣) وتهذيب التهذيب ٢٨٥/١٢

"يا أيها الناسُ! لاتتمنوا لقاء العدوّ واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف".(١)

ويحرم الفرار من أرض المعركة عند الزحف وملاقاة الأعداء لقوله تعالى "*يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتمُ الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار، ومن يولهم يومئذٍ دبره إلاّ متحرّفاً لقتالٍ أو متحيزاً إلى فئةٍ فقد باء بغضبٍ من الله ومأواه جهنم وبئس المصير*".(٢)

واعتبر عليه السلام الفرار من المعركة من السبع الموبقات.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا وما هي يا رسول الله؟ قال: "الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يومَ الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات".(٣)

مراحل فرض الجهاد:-

فرض الله الجهاد على المسلمين على مراحل، للتيسير والتخفيف عنهم، لأن الجهاد فيه مشقة وتضحية بالمال والأنفس والأولاد رخيصةً في سبيل الله، وكان التكليف حسب طاقة وإمكانيات المسلمين في كل مرحلة من المراحل الجهادية الآتية:

١- مرحلة كف الأيدي عن القتال:-

أمر الله - سبحانه - المسلمين في مكةَ قبل الهجرة بكف الأيدي عن القتال، قال تعالى "*ألم ترَ إلى الذين قيلَ لهم كفوا أيديَكُمْ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة*".(٤)

فالآية تنهى عن القتال في هذه المرحلة، لأن عدم القتال أجدى وأنفع للدعوة، وهي في بداية التكوين والنشأة، لكي تصل الدعوةُ إلى قلوب الناس جميعاً في مكة، وذكر صاحب المعالم بعضاً من الحكم المتعلقة بكف الأيدي عن القتال في هذه المرحلة.(٥)

وتمتاز هذه المرحلة بجهاد الحجة والإقناع للناس ودعوتهم وإرشادهم إلى هذا الدين بدون مشادة أو غضب، أي عدم استعمال العنف.

---

(١) متفق عليه، فتح الباري ج: ٦، ك: الجهاد، باب١٢، ص: ١٢٠ رقم: ٢٩٦٦ مسلم، ج: ٣، ك: الجهاد، باب: ٦،ص: (١٣٦٢، ١٣٦٣) رقم: ٢٠، الدارمي ج:٢، ك: السير، باب:٦، ص:١٣٥، رقم: ٢٤٤٥ مسند أحمد ج: ١، ص: (٤، ١١) ج: ٤، ص: ٣٥٣

(٢) سورة الأنفال الآية: (١٥،١٦)

(٣) سبق تخريجه في ص:٢٧٠

(٤) سورة النساء الآية: ٧٧

(٥) انظر معالم في الطريق لسيد قطب، ص: (٧٦-٨٠) ط: ١٠ (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) دار الشروق

قال تعالى "واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً، وذرني والمكذبين أولي النعمةُ ومهلهم قليلاً".(١)

فالآيات فيها التوجيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالصبر على أذى المشركين وهجرهم الهجر الجميل، على الرغم من كثرة العنف والعذاب الذي لقيه صلى الله عليه وسلم من قومه أثناء التبليغ وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم.

فالمرحلة المكية تمتاز بجهاد المشركين بالقرآن، أي توضيح مفاهيمه لكي يعتنقها الناس فيدخلون في دين الله قال تعالى "فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً".(٢)

ودفع السيئة بالحسنة قال تعالى "ادفع بالتي هي أحسنُ السيئةَ نحن أعلمُ بما يصفون"(٣) ثم أكد على ذلك وحببه إلى قلوبهم، قال تعالى "ومن أحسنُ قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ولا تستوي الحسنةُ ولا السيئةُ ادفع بالتي هي أحسنُ فإذا الذي بينك وبينه عداوةٌ كأنه وليٌ حميم".(٤)

٢- مرحلة الإذن بالقتال:-

أمر صلى الله عليه وسلم المسلمين بأن يهاجروا إلى المدينة المنورة بعد بيعة العقبة الثانية لأنها أصبحت قاعدةً أمينةً لحفظ دين الله، وهاجر المسلمون أرسالاً وزرافات وانتظر صلى الله عليه وسلم في مكة حتى جاءهُ جبريل عليه السلام يأذن له في الهجرة، فهاجر صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق إلى المدينة، فكان أول عمل يقوم به صلى الله عليه وسلم بناء المسجد ليتزود الناس فيه بتقوى الله، ويتعلموا أمور دينهم، وليصبح مركزاً لقيادة وإدارة شؤون المسلمين، ثم عقد عليه السلام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

وشعر صلى الله عليه وسلم أنه في حاجة إلى قوة للدفاع عن الإسلام فأذن الله له في القتال قال تعالى "أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وإنَّ اللهَ على نصرهم لقدير، الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلاّ أن يقولوا ربنا الله، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعضٍ لهدمت صوامع وبيعٌ وصلوات ومساجدُ يُذكرُ فيها اسمُ الله كثيرا، ولينصُرنَّ الله من ينصُرُهُ، إنَّ الله لقويٌ عزيزٌ".(٥)

---

(١) سورة المزمل الآية: (١٠، ١١)

(٢) سورة الفرقان الآية: ٥٢

(٣) سورة المؤمنون الآية: ٩٦

(٤) سورة فصلت الآية: ٣٣، ٣٤

(٥) سورة الحج الآية: ٣٩، ٤٠

٣- فرض الجهاد على المسلمين:-

لقد فُرض الجهاد على المسلمين في السنة الثانية من الهجرة حيث نزل قوله تعالى "*كُتِبَ عليكم القتالُ وهو كُرْهٌ لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون*".(١)

وامتاز القتال في هذه المرحلة بمقاتلة من قاتلهم دون التعرض لمن كف عن قتالهم، ونزل في السورة ما يوضح طبيعة هذه المرحلة، قال تعالى "*وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إنَّ الله لا يحبُّ المعتدين*".(٢)

وقوله تعالى "*لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرُّوهم وتقسطوا إليهم إن الله يُحب المقسطين، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولّوهم ومن يتولّهمْ فأولئك هم الظالمون*".(٣)

إن الآيات تشعر بملاحظة هامة اقتضتها طبيعة هذه المرحة وهي أن القوة لا تُسكتها إلّا القوة وأن تطاول المشركين وبغيهم على المسلمين لا بد أن يُردَّ عليه بنفس المنطق، لأنه لو تُرك المفسدون في الأرض ينفذون مخططاتهم لهدمت أماكن العبادة ولضاعت مبادىء الحق.

ولكنها سنة الله في خلقه اقتضت هذه المرحلة من الجهاد للرد على من سلبوا الديار والأموال وطردوا المؤمنين من أوطانهم كما حدث قديماً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكما يحدث اليوم مع شعب فلسطين المسلمة.(٤)

٤- الأمر بقتال المشركين كافة:-

لقد جاء الأمرُ الإلهي بمقاتلة المشركين كافة كما يقاتلوننا كافة حتى يكون الدين كله لله قال تعالى "*وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة، واعلموا أن الله مع المتقين*"(٥) وقال تعالى "*وقاتلوهم حتى لاتكونَ فتنةٌ ويكونَ الدينُ كُلُهُ لله فإنِ انتهوا فإنَّ اللهَ بما يعملون بصيرٌ*".(٦)

فالآيات توجب الجهاد على المسلمين لكسر شوكة الأعداء مع علمه سبحانه بشدة هذه الفريضة لما يترتب عليها من إيقاع القتلى والجرحى، ولما يكون فيها من مشقة السفر والتنقل ومجالدة الأعداء.

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢١٦

(٢) سورة البقرة الآية: ١٩٠

(٣) سورة الممتحنة الآية: ٨، ٩

(٤) انظر زاد المعاد لأبن القيم، ج: ٢،ص: ٨١ وأيضاً دراسات في الثقافة الإسلامية، ص: ٩٤

(٥) سورة التوبة الآية: ٣٦

(٦) سورة الأنفال الآية: ٣٩

وأنَّ ما فرضه الله علينا من أمر ففيه الخير والبركة والسعادة وإن تطلب منا بذل الجهد وما نملك في هذه الحياة، فإن الأجر على قدر المشقة.

وإذا تُرك الجهاد فيعني سيطرة أعداء الله من الكفرة على الحكم والبلاد والعباد، ويترتب على ذلك تعطيل أحكام الله واغتيال العقيدة الإسلامية من النفوس والشريعة من واقع الحياة.

أما القتال ففيه العزة والكرامة وتصبح كلمة الله هي العليا والناس أحراراً يدخلون في دين الله عن طواعية، وبالجهاد تُزال قوى الطواغيت التي تمنع دخول الناس في دين الله.

فالقتال فرض لازم على المؤمنين ليكون لهم الوجود والتمكين في الأرض ولرفع راية الحق خفاقة فوق ربوع الوطن عند الإعتداء عليه من الأعداء .(١)

حُكْمُ الجهاد:-

أصبح الجهادُ مفروضاً على المسلمين في السنة الثانية من الهجرة عندما نزل قوله تعالى *"كُتب عليكم القتال وهو كرهٌ لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم"*.(٢)

وفرض الجهاد ينقسم حكمه إلى قسمين وهما كالآتي:

أولاً: فرض الكفاية:-

الأصل في الجهاد أنه فرضٌ على سبيل الكفاية، إذا قام به البعض من أبناء الأمة وأدوا الغرض منه سقط عن الآخرين ويؤيد ذلك قوله تعالى *"يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً"*.(٣)

والنفير هو الخروج لقتال الكفار فيكون بصورة فردية مصغرة ويكون بصورة جماعية كبيرة.عملاً بقوله تعالى *"وما كان المؤمنون لينفروا كافة"*.(٤)

وجاء في الحديث الشريف عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثاً إلى بني لحيان من هُذيل، فقال: "لينبعث من كل رجلين أحدهما والأجر بينهما".(٥)

---

(١) انظر الأساس في التفسير، مجلد:١، ص: ٥٠١ وأيضاً التفسير القرآني للقرآن، مجلد: ١، ج:٢، ص: ٢٣٨، ٢٣٩ ط: (لا يوجد) مطبعة السنة المحمدية القاهرة.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢١٦

(٣) سورة النساء الآية: ٧١

(٤) سورة التوبة الآية: ١٢٢

(٥) أخرجه مسلم، ج: ٣، ك: الإمارة، باب: ٣٨ (إعانة الغازي في سبيل الله) ص: ١٥٠٧، حديث رقم: (١٣٧، ١٣٨)

وقال العلماء لو وجب الجهاد على الجميع في المجتمع لتعطلت مصالح الأمة، لأن الجميع سيتوجه لتأدية هذه الفريضة وهي ماضية إلى يوم القيامة، ورحمةٌ بالأمة، جعل الله هذا الفرض على سبيل الكفاية عليها.(١)

ثانيا: فرض العين:-

يكون الجهادُ فرضاً عينياً على كل مكلف في المجتمع الإسلامي في ثلاث حالات وهي كالآتي:-

١- إذا أعلن الإمام النفير العام أو استنفر أحداً من المكلفين للقتال، فيجب عليه التنفيذ، كما جاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهادٌ ونية وإذا استنفرتم فانفروا".(٢)

بمعنى إذا طُلب منكم الخروج للجهاد في سبيل الله فعليكم أن تُلبوا نداء الإمام فتخرجوا للحرب.

٢- إذا هاجم الأعداء بلداً أو منطقة إسلامية يصبح القتال فرضاً على أهل البلد جميعاً وعليهم أن يخرجوا لقتاله رجالاً ونساءً، وإن لم يستطيعوا التغلب على الأعداء فتنتقل فريضة العين إلى من حولهم من المسلمين، ثم إلى من حولهم وهكذا حتى يعمّ الفرض الأمة الإسلامية جميعها.(٣)

قال تعالى "*يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين*".(٤)

٣- إذا حضر المكلف صف القتال مع الأعداء فإن الجهاد يتعين في حقه، ويجب عليه الثبات ومقاتلة الأعداء(٥)

قال تعالى "*يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا*".(٦)

---

(١) انظر المحلى ج:٧، ص: ٢٩١

(٢) سبق تخريجه في ص: ١٧٧

(٣) انظر الأساس في التفسير، مجلد: ٢، ج: ٣، ص: (١١٥٧،١١٥٨)، ط:١(١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) طبعة دار السلام وأيضاً مناهج الشريعة الإسلامية ج: ٣، ص: ٣٣٧

(٤) سورة التوبة الآية: ١٢٣

(٥) انظر منهاج المسلم ص: ٣٠٠ وأيضاً هدي الإسلام، عدد ٣، ص: ٣٩ السنة الثالثة رقم: ٢٣

(٦) سورة الأنفال: ٤٥

المبحث الثاني
أهداف الجهاد وفضله وآدابه

أولاً: اهداف الجهاد

إن للجهاد في الإسلام أهدافاً نبيلة وشريفة الغاية، فالجهاد من أجل تحقيق الخير والصلاح في الأرض كل الأرض ومن أجل أن ينعم الناس كل الناس بالأمن والسلام ويصبحوا أحراراً في اختيار عقيدتهم بعد تحريرهم من أنظمة الطغاة والمستبدين الذين يحولون بينهم وبين اختيار العقيدة.

يتضح من خلال ذلك أن الباعث على الجهاد في الإسلام ليس من أجل التوسع في الملك، ولا من أجل استعمار الشعوب وامتصاص خيراتها بوضع اليد على موارد ثرواتها. كما تفعل الدول الرأسمالية اليوم.

وليس الجهاد من أجل العلو والاستكبار في الأرض بغير الحق كما يفعل الجاهليون في العصر الحديث، ولا من أجل أن يستعلي جنسٌ على جنس آخر، أو لون على لون آخر.

فأهداف الجهاد في الإسلام واضحة في قوله تعالى "*الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر*".(١)

فالجهاد يكون من أجل التمكين للمؤمنين في الأرض حتى يتمكنوا من إقامة حكم الله ومن خلاله يستطيعون مزاولة الشعائر التعبدية كإقامة الصلاة التي فيها السمو الروحي وتطهيرٌ للأنفس، وإيتاء الزكاة، التي تعني تحقيق العدالة الإجتماعية بين الناس وأعطاء المحتاجين حقهم في هذه الحياة من العيش بكرامة كباقي أبناء المجتمع.

ويُجاهدُ الإسلامُ لإقامة المجتمع الذي يأمر فيه الناس بالمعروف وينهون عن المنكر والفساد، ويحاربون الشيطان وكلّ ما يضر بمصالح العباد في الأرض.

يجاهد الإسلام من أجل نشر دعوة الله وإقامة الدين الحنيف لتحقيق معاني الخير والصلاح في الأرض وإخراج الناس من جور الأنظمة والمناهج الوضعية إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعتها وسعة الآخرة في ظل عبادة الله وحده دون شريك له في الحكم والملك والسلطان.

قال تعالى "*قُلْ إنني هداني ربي إلى صراطٍ مستقيم ديناً قيماً مِلَّةَ ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين، قل إنّ صلاتي ونسكي ومحيايَ ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أولُ المسلمين*" .(٢)

ورسمت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة أهدافاً للجهاد في الإسلام نستطيع أن نوجزها في الآتي:-

---

(١) سورة الحج الآية: ٤١ (٢) سورة الأنعام الآية: ١٦١-١٦٣

١- للفوز برضوان الله تبارك وتعالى:-

إن المسلم يجاهد في سبيل الله من أجل مرضات الله والفوز بالنعيم الأخروي. قال تعالى "فليقاتل في سبيل الله الذين يشرونَ الحياةَ الدنيا بالآخرة ومَنْ يُقاتلْ في سبيل الله فيُقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً".(١)

والأجر العظيم في الدنيا يكون بتحقيق النصر لهم على الأعداء، وفي الآخرة الفوز بجناتٍ تجري من تحتها الأنهار قال تعالى "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياءٌ عند ربهم يرزقون".(٢)

وأوضح سبحانه أن الجهاد تجارةٌ مع أكرم الأكرمين، فهي تجارةٌ لا تعرف الخسارة، بل هي رابحة، ربحها مساكن طيبة في جنات عدن، قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويُدخلكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ ومساكنَ طيبةً في جنات عدنٍ ذلك الفوز العظيم".(٣)

وذكر صلى الله عليه وسلم أن الروحة يروحها المجاهد في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها، عن سهل الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها،(وموضع سوط أحدكم من الجنة خيرٌ من الدنيا وما عليها والروحة يروحها) العبدُ في سبيل الله أو الغدوةُ خيرٌ من الدنيا وما عليها".(٤)

والذي يُصاب بجرح في سبيل الله يأتي يوم القيامة وراحُته راحةُ المسك، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده لا يُكلم أحدٌ في سبيل الله، واللهُ أعلمُ بمن يكلمُ في سبيله، إلّا جاء يوم القيامةِ اللون لونُ

---

(١) سورة النساء الآية: ٧٤

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٦٩

(٣) سورة الصف الآية: ١٠-١٢

(٤) متفق عليه، البخاري، فتح الباري ج: ٦، ك: الجهاد، باب: ٧٣، ص: ٨٥ رقم: ٢٨٩٢، مسلم ج: ٣، ك: الإمارة، باب: ٥٠، ص: ١٥٢٠، رقم ١٦٣، الدارمي، ج:٢، ك: الجهاد باب: ٣٢، ص: ١٣٠ رقم: ٢٤٢٩، ابن ماجه، ج: ٢، ك: الجهاد، باب: ٧، ص: ٩٢٤، حديث رقم: ٢٧٦٦ بألفاظ مختلفة، مسند أحمد ج: ١، ص:(٦٢،٦٥،٦٦) ج: ٢، ص: ١٧٧، ج:٣، ص: ٤٦٨، ج: ٥، ص: (٣٣٩،٤٤٠،٤٤١)

الدَّمِ والريحُ ريح المسك".(١)

٢- لإعلاء كلمة الله ونشر دعوته:-

الإسلام يجاهد الكفر والفسوق والإنحراف لينشر الخير والصلاح والعدالة الإجتماعية وكل معاني الخير التي يسعد بها الناس عندما تكون كلمة الله هي العليا.

ويدعو الإسلامُ الناسَ جميعاً بالتزام عقيدة السماء، لأن فيها سعادة الإنسان وصلاحه في الدنيا والأخرة، يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة قال تعالى "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن، إنَّ ربك هو أعلمُ بمن ضلَّ عن سبيله وهُوَ أعلمُ بالمهتدين".(٢)

وإذا رفض السلطان الطاغي وأتباعه، استماع الناس للإسلام فينبغي حينئذٍ محاربة الطواغيت التي تقف حجر عثرة في سبيل توصيل هذا الدين إلى الناس عامة.

والإسلام لا يجبر الناس ولا يكرههم على اعتناق عقيدته وإنما عليهم أن يخضعوا لحاكمية الله، فإن أسلموا فقد اهتدوا، فلهم ما للمسلمين في المجتمع، وإن طلبوا البقاء على ديانتهم، إن كانوا من أهل الكتاب فعليهم دفع الجزية للمسلمين، وإلاَّ فالسيف بينهم وبين المسلمين حتى يخضعوا لأمر الله وحكمه(٣) قال تعالى "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرّم الله ورسولُهُ ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون".(٤)

٣- لدفع الظلم عن المسلمين:-

الإسلام يجاهد لرفع الظلم عن المظلومين ويقف بجانبهم في وجه الطغاة والمتجبرين في الأرض بغير الحق، لأنه لا يصح لإنسان أو فئة أو زمرة حاكمة أن تستعبد الناس وتستذلهم لسلطان الجور والهوى والظلم والإستبداد كما تسلط فرعون قديماً فادعى لنفسه الربوبية.

قال تعالى "فقال أنا ربكم الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى إنَّ في ذلك لعبرةً لمن يخشى".(٥)

---

(١) أخرجه البخاري، فتح الباري، ج: ٦، ك: الجهاد، باب: ١٠ ص: ٢٠ رقم: ٢٨٠٣، الترمذي ج: ٤، ك: (فضل الجهاد) باب: ٢١، ص: ١٨٤، حديث رقم: ١٦٥٦، الدارمي ج: ٢،ك: الجهاد، باب: ١٥، ص: ١٢٥حديث رقم: ٢٤١١ بألفاظ متقاربة، ابن ماجه، ج: ٢، ك: الجهاد، باب: ١٥، ص: ٩٣٤، رقم: ٢٧٩٥ بنحوه أبو داود، ج: ٢، ك: الجهاد، باب: ٤٠ (فيمن سأل الله الشهاد) ص: ٢٠ مسند أحمد ج: ٥، ص:(٢٣١، ٢٤٤، ٣١٦) ج: ٦، ص: ٤٤٤

(٢) سورة النحل الآية: ١٢٥ (٣) انظر في ظلال القرآن مجلد: ١، ص: ٢٩٥

(٤) سورة التوبة الآية:٢٩ (٥) سورةالنازعات الآية: ٢٤-٢٦

ولا يوجد أي مبدأ على الأرض يكافح الظلم، ويصرخ في وجهه كما يكافح الإسلام ويصرخ في وجه الظالمين، وبالإسلام وحده يتحرر الناس من ظلم الحكام وطغيان الطغاة، ويشعر المستضعفون بالكرامة والحرية والعدالة والمساواة في ظل الإسلام ويحي الناسُ حياة الكرامة والسعادة والسلام عندما يحكم الإسلام.(١)

قال تعالى "فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها واللهُ سميعٌ عليم، الله وليُّ الذين آمنوا يخرجُهم من الظلماتِ إلى النور والذين كفروا أولياؤهُمُ الطاغوتُ يُخرجونهم من النور إلى الظلمات، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون".(٢)

٤- ليُقام حكم الله في الأرض:-

الإسلام جاء ليحكم الناس بمنهجه القويم، جاء ليزاول في واقع حياة الناس، فيظهر في أخلاقهم وآدابهم وتعاملهم في حياتهم اليومية، جاء ليطبق عقيدةً وسلوكاً، جاء ليحكم جميع جوانب المجتمع السياسية والإقتصادية والإجتماعية والأخلاقية.

قال تعالى "إنِ الحكمُ إلاّ للهِ أمَرَ ألاّ تعبدوا إلاّ إياهُ ذلك الدينُ القيّمُ ولكنّ أكثرَ الناسِ لا يعلمون".(٣)

وأمر سبحانه بالحكم بما أنزل الله وعدم اتباع الظالمين في أي جزئية من جزئيات الحكم قال تعالى "وأنِ احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءَهُمْ واحذرهُمْ أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك".(٤)

وأمر بالاحتكام إلى شرع الله وعدم التفرق قال تعالى "شَرَعَ لكم من الدينِ ما وَصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه".(٥)

لذلك فالإسلام في جهاد دائم لا ينقطع إلى يوم القيامة لتحقيق كلمة الله في الأرض وجعلها هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

قال تعالى "وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرجٍ ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين".(٦)

---

(١) انظر الجهاد سبيلنا، ص: ٨٠
(٢) سورة البقرة الآية: (٢٥٦، ٢٥٧)
(٣) سورة يوسف الآية: ٤٠
(٤) سورة المائدة الآية: ٤٩
(٥) سورة الشورى الآية: ١٣
(٦) سورة الحج الآية: ٧٨

ثانيا: فضل الجهاد:-

إن للجهاد فضلاً عظيماً يتضح من خلال حث الشريعة الإسلامية على تأدية هذه الفريضة التعبدية، وحضها على خوض المعارك القتالية بصبر وثبات وبدون وجل أو خوف من الأعداء، وأن من صبر وصابر وجاهد له أجر عظيم في الدنيا والآخرة.

وتتضح أهمية الجهاد وفضله من خلال الحديث عنه في العديد من السور القرآنية حتى بلغت حوالي تسع عشرة سورة منها سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والأنفال، والتوبة، وسورة القتال وغيرها.

وجاء تفضيل المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجات قال تعالى "*لا يستوي القاعدون من المؤمنين غيرُ أولي الضررِ والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فَضَّلَ اللهُ المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجةً وكلاً وَعدَ اللهُ الحُسنى، وفضَّلَ الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً*.(١)

وأوضح سبحانه أن الجهاد بيع وشراء، المؤمن يبيع نفسه وماله في سبيل الله، واللهُ سبحانه هو المشتري، ومن أكرم وأجزل منه في العطاء.

قال تعالى "*إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم*".(٢)

وفسر المفسرون الفوز العظيم بأن يذهب الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون من فضل الله عليهم.

قال تعالى "*ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يُرزقون، فرحينَ بما آتاهُمُ اللهُ من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألاَّ خوف عليهم ولا هُم يحزنون*".(٣)

وأوضح صلى الله عليه وسلم فضل الجهاد في أحاديثٍ كثيرة، فذكر أنه أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سُئلَ رسولُ الله، صلى الله عليه وسلم: أيُّ الأعمال أفضلُ؟ قال: "إيمانٌ بالله: قال: ثمَّ ماذا؟ قال: "الجهاد في سبيل الله" قال: ثم ماذا؟ قال: "حجٌ مبرور".(٤)

وأن المجاهد له من الأجر على جهاده مثل أجر الصائم القائم الليل القانت بآيات الله حتى يعود من جهاده.

---

(١) سورة النساء الآية: ٩٥ (٢) سورة التوبة الآية: ١١١ (٣) سورة آل عمران الآية: ١٦٩-١٧٠

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري، فتح الباري ج: ١، ك: الإيمان، باب: ١٨ ص: ٧٧ حديث رقم: ٢٦، مسلم، ج: ١، ك: الإيمان، باب: ٣٦، ص: ٨٨ حديث رقم: ١٣٥، الترمذي ج: ٤، ك: فضائل الجهاد، باب:٢٢، ص: ١٨٥، حديث رقم: ١٦٨٥، مسند أحمد ج: ٥، ص:(١٥٠، ١٧١، ٣١٨، ٣٦٨)

عن أبي هريرة قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم، ما يعدلُ الجهادَ في سبيل الله عز وجل؟ قال: "لا تستطيعونه" قال: فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً كلُ ذلك يقول لا تستطيعونه: وقال في الثالثة "مثلُ المجاهدِ في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفترُ من صيام ولا صلاة حتى يرجعَ المجاهد في سبيل الله".(١)

والجهاد يرفع المؤمن المجاهد الدرجات العلا في الجنة حتى يكون في مصاف النبيين والصديقين إذا نال الشهادة في سبيل الله، قال تعالى "ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم اللهُ عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً".(٢)

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يا أبا سعيد! من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ نبياً وجبت له الجنةُ، فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها عليّ يا رسول الله! ففعل، ثم قال "وأخرى يُرفع بها العبدُ مائةَ درجة في الجنة ما بين كُلِّ درجتين كما بين السماء والأرض" قال: وماهي؟ يا رسول الله! قال: "الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله".(٣)

وجاء في الأثرِ أنَّ أبواب الجنة تحت ظلال سيوف المجاهدين في سبيل الله، عن أبي موسى الأشعري* قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إنَّ أبواب الجنةِ تحت ظلال السيوف" فقام رجلٌ رثُ الهيئة فقال: يا أبا موسى! أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا؟ قال: نعم، قال: فرجعَ إلى أصحابه فقال: أقرأُ عليكم السلامَ ثم كسر جَفْنَ سيفهِ فألقاهاُ ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قُتل.(٤)

---

(١) متفق عليه، فتح الباري ج: ٦، ك: الجهاد باب: ٢، ص: ٦ رقم: ٢٧٨٧، مسلم، ج: ٣، ك: الإمارة، باب: ٢٩، ص: ١٤٩٨، رقم: ١١٠، جه، ج: ٢، ك: الجهاد، باب: ١، ص:(٩٢٠،٩٢١) رقم: ٢٧٥٤، النسائي ج:٦، ص:١٩

(٢) سورة النساء الآية: ٦٩

(٣) مسلم ج: ٣، ك: الإمارة، باب: ٣١، ص: ١٥٠١، رقم: ١١٦

(٤) مسلم، ج:٣، ك: الإمارة، باب: ٤١، ص: ١٥١١، رقم: ١٤٦، الترمذي ج:٤، ك: فضائل الجهاد، باب: ٢٣، ص: ١٨٦، حديث رقم: ١٦٥٩

* الأشعري: هو عبدالله بن قيس بن سليم بن حرب بن عامر قدم مكة قبل الهجرة فأسلم ثم هاجر إلى الحبشة ثم قدم المدينة روى عن النبي وأبي بكرة وعمر وعلي وابن عباس وأبي بن كعب، وعنه أولاده وأنس بن مالك وأبو سعيد الخدري قال فيه النبي، لقد أوتي مزماراً من مزامير آل داود، استخلفه عمر على البصرة وولّى الكوفة زمن عثمان، ت سنة ٤٢هـ وقيل سنة ٤٤هـ وهو ابن ٦٣ سنة في الكوفة وقيل في مكة. أنظر تهذيب التهذيب ج: ٥، ص: (٣٦٢،٣٦٣)

وجاء في الحديث أن للمجاهد أجراً كبيراً، عن البراء رضي الله عنه قال "أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم رجلٌ مقنعٌ بالحديد فقال: يا رسول الله، أقاتلُ أو أُسلمُ؟ قال أسلمْ ثمَّ قاتلْ، فأسلم ثم قاتلَ فقُتِلَ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عَمِلَ قليلاً وأُجِرَ كثيراً".(١)

وذكر العلماء أن جهاد البحر أفضل من جهاد البر لما فيه من شدة المخاطر والأهوال والصعاب التي تواجه المجاهد في البحر ويقاس عليه جهاد الجو، لأنه يحمل نفس المخاطر بل أشد في الصعاب والأهوال.(٢)

عن أنس - رضي الله عنه - أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم "كان يدخل على أمِّ حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عباده بن الصامت - رضي الله عنه - فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطعمته ثم جلست تُفلي رأسه، فنام رسول الله- صلى الله عليه وسلم -، ثم استيقظ وهو يضحك، قالَتْ: فقلتُ يا رسول الله، ما يضحكك؟ قال: ناسٌ من أمتي عُرضوا عليَّ غزاةٍ في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرّة، أو مثلُ الملوك على الأسرّة، قالت: فقلت: يا رسول الله: ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من أمتي عرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله، كما في الأولى قالت فقلت: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: أنتِ من الأولين، فركبت أم حرام بنت ملحان البحر في زمن معاوية، فصُرعت عن دابتها حين خرجت من البحر، فهلكت رضي الله عنها".(٣)

وتحدث ابن تيمية* عن فضل الجهاد فأوضح أنه أفضل الأعمال لأن نفعه عام يعودُ

---

(١) متفق عليه، فتح الباري ج: ٦، ك: الجهاد، باب: ١٣، ص: ٢٤، حديث رقم: ٢٨٠٨، مسلم، ج: ٣، ك: الإمارة، باب: ٤١، ص: ١٥٠٩، حديث رقم: ١٤٤ بألفاظ متقاربة. مسند الإمام أحمد، ج:٤، ص: (٢١٠، ٢٩٣، ٣٥٧)

(٢) انظر الجهاد سبيلنا، ص: ١٥٠

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري، فتح الباري، ج: ٦، ك: الجهاد، باب: ٣، ص: ١٠، حديث رقم: (٢٧٨٨، ٢٧٨٩)، مسلم، ج:٣، ك: الأمارة باب: ٤٩ص:١٥١٨، ١٥١٩ حديث رقم: ١٦٠،١٦١ الترمذي ج:٤ك: فضائل الجهاد، باب: ١٥ (ما جاء في غزو البحر) ص: ١٧٨، رقم: ١٦٤٥، الدارمي، ج:٢، ك: الجهاد، باب: ٢٩، ص: (١٢٩، ١٣٠) رقم: ٢٤٢٦، أبو داود ج: ٢، ك: الجهاد، باب: (فضل الغزو في البحر) ص: ٦، مسند أحمد ج: ٦، ص: (٣٦١، ٤٢٣، ٤٣٥)

* ابن تيمية:- هو أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحنبلي ولد في عاشر ربيع أول سنة ٦٦١هـ كان فقيهاً ومصنفاً ومفتياً وفاق أقرانه توفرت فيه شروط الإجتهاد وكان كريماً وشجاعاً في قول الحق ت سنة ٧٢٨هـ انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج:١، ص(١٥٤-١٧٠)

على المجاهد وعلى المجتمع بأسره، فقال "إنه لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها مثل ما ورد فيه لأن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا، وهو مشتملٌ على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة ففيه من محبة الله والإخلاص له والتوكل عليه، وتسليم النفس والمال له والصبر والزهد وذكر الله وسائر أنواع الأعمال، وللقائم به من شخص أو أمّة له إحدى الحسنين إمّا النصر والظفر وإمّا الشهادة والجنة.(١)

والشهيدُ في سبيل الله يرى من الكرامة والفضل، مما يجعله يتمنى أن يرجعَ إلى الدنيا فيقتل في سبيل الله العديد من المرات.

عن قتاده قال: سمعت أنسَ بن مالكٍ يُحَدِّث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من أحد يدخلُ الجنة يحبُّ أن يرجعَ إلى الدنيا وأنَّ له ما على الأرض من شيءٍ، غيرُ الشهيد، فإنَّه يتمنى أن يرجع فيُقتلَ عشرَ مرّاتٍ، لما يرى من الكرامة".(٢)

ثالثاً: أداب الجهاد:-

إن للجهاد في الإسلام أداباً، يجب على المجاهدين وخاصة القادة منهم، أن يأخذوا بها، لكي يقبل الله جهادهم فيجزيهم أحسن الجزاء على جهودهم ويمنحهم النصر على الأعداء.

وتحدث العديد من العلماء عن آداب الجهاد التي تحتاج إلى صفحات عديدة في الحديث عنها، ورأينا الحديث عنها فيما يتعلق بموضوع بحثنا، في الآتي:-

١- الثقة بنصر الله:-

ينبغي على المجاهد ان يحسن الثقة بالله ويطلب العون منه سبحانه وتعالى، ولا يخاف كثرة عدوه طالما أنه يقاتل في سبيل الله فهو على الحق.

قال تعالى "*وقال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلةٍ غلبت فئة كثيرةً بإذن الله والله مع الصابرين*".(٣)

ولقد انتصر المسلمون في معركة بدرٍ مع أنهم قلة في العدد والعدة، والأعداء كانوا أكثر منهم في العدد والعتاد ومع ذلك انتصرت الفئة المؤمنة القليلة العدد والسلاح على أعدائها وذلك لأنهم نصروا الله في أنفسهم فنصرهم على أعدائهم.

قال تعالى "*يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبتْ أقدامَكُمْ*".(٤)

---

(١) السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية، ص: ١٠٦

(٢) متفق عليه، فتح الباري ج: ٦، ك: الجهاد ، باب: ٢١، ص: ٣٢، رقم: ٢٨١٧، مسلم، ج:٣، ك: الإمارة. باب: ٢٩، ص: ١٤٩٨، حديث رقم: ١٠٩

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٤٩

(٤) سورة محمد الآية: ٧

٢- الابتعاد عن قتل المسالمين:-

مـن الآداب الرفيعة للجهاد أنه يقصر القتال على القوى المـادية التي تحول بين الناس في عبـادتهم إلى الله، أي القوى التي تقـاتل الإسلام، وإذا وقعـت الحـرب، فلا يُقتل الاّ مـن يقـاتل، وأما من تجنب الحرب فلا يحـل قتلـه، فحرّم الإسلام قتـل النسـاء والأطفال والمرضى والشيوخ والعُبّاد والرهبان.

عن سليمان بن بريده* عن أبيه قال: كان رسول الله صلى اللـه عليه وسلم إذا بعث أميراً على جيش أوصاه في خاصة نفسه، بتقوى الله، ومن معه مـن المسلمين خيرا، فقال: اغـزوا بسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر، اغزوا ولا تغلّـوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً".(١)

بينمـا الأعـداء من يهود يُصوبوا أسلحتهـم النـارية إلى صـدور العُـزل مـن الأطفال والشيـوخ والنساء والشباب الذين لا يملكـون إلاّ الإيمان باللـه، وسلاحهـم الحجر، الذي يردون به على الأعـداء، فيهـودٌ لا يعـرفون للحرب أدابأ لأن نفـوسهم تربت على الـذل والجبن منذ القدم.

٣- النهي عن التمثيل في القتلى:-

ينهـى الإسلام عن التمثيل والتشويه وعن التعذيب أثناء القتـل، كأن يُربط الإنسان بعـربة ويُجر حتى يموت، أو يعذب باللمس الكهربائي، أو الكي بالنـار كإطفاء السجائر في الـوجه وسائر البدن أو نزع الأظـافر، أو يُقّطع من أجزائه حتى المـوت، وهذا يحدث في عصرنا الحاضر عصر المدنية والعلم والنور.

ويا ليـت القوم يفقهوا حديث رسـول الله صلى الله عليه وسلم فقـد أمرنا أن نحسن قتل الإنسان الذي يستحق القتل، وأن نُحسن ذبح الحيوان المحلل للذبح، عن أبي يعلى** - رضـي الله عنه - عن رسول صلى اللـه عليه وسلم قال: "إن اللـه كتب الإحسان على كـلِّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الـذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته".(٢)

---

(١) أخرجه الترمذي، ج: ٤، ك: الديات، باب: ١٤، ص: (٢٢، ٢٣) حديث رقم: ١٤٠٨

(٢) سبق تخريجه في ص: ١٥٦

* سليمـان بن بريده، بن الحصيب الإسلمي المروزي ولد هو وأخوه عبداللـه في بطن واحد وقال وكيع سليمان كـان أصح حديثاً من أخيه وأوثق، مات هو وأخوه في يوم واحد سنة ١٥٠ هـ، انظر تهذيب التهذيب ج: ٤، ص: ١٧٤

** أبو يعلى: هو شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري البخاري أو يعلى، ويقال أبو عبـدالرحمن المدني، روى عن النبي وعـن كعب الأحبار، وعنه إبناه يعلى ومحمـد وبشير بن كعب العدوي، لـه مرويات كثيرة في التفسير، وهـو مـن الذين أوتوا العلم، ت سنة ٦٤هـ وقيـل بالشام سنة ٥٨هـ وكـان عمره ٧٥ سنة وقال ابن حبان بوفاته سنة ٥٨هـ ببيت المقدس في فلسطين . انظر تهذيب التهذيب، ج: ٤، ص: ٣١٥

فقد تناولت رحمةُ الله الحيوان عند ذبحه، فكيف بالإنسان المُكرّم على سائر المخلوقات قـال تعـالى "*ولقد كرّمنا بني آدمَ وحملناهم في البرّ والبحرِ ورزقناهُمْ من الطيباتِ وفضّلناهم على كثيرٍ ممن خلقنا تفضيلاً*".(١)

٤- عدم الغلول من غنائم المعركة:-

الغلـول هو اغتصاب شيء من الغنـائم قبل تقسيمها بغير إذن الإمـام، ولا يجوز لمن شـاهده أن يسكت عليه أو يكتم عنـه، لأن الغلول من الغنائم يعـد من الذنوب والآثام الخطيرة، وجاء التهديد من الله سبحانه لمن يفعل ذلك .

قـال تعالى "*وما كان لنبيٍّ أن يَغُلَّ ومن يغلل يأْتِ بما غلَّ يوم القيامة، ثم توفى كلُ نفسٍ ما كسبت وهم لا يظلمون*".(٢)

٥- عدم استعمال الأسلحة الكيماوية:-

إن الاسلحـة الكيماوية والذرية محرمةٌ لأنها تفتك بالناس جميعاً المسالمين والمحاربين، والإسلام نهـى عـن قتل الأبرياء أو التعرض لهـم بأذى، كـالنسـاء والأطفـال والشيوخ والعُبّـاد في صوامعهم، فهم لا يشاركون في الحرب فينبغي الحفـاظ على حياتهم، فلا يجوز قتلهـم، قـال تعـالى "*ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون*".(٣)

والاسلحـة الكيمـاوية والذرية والهيـدروجينية تقضي على الأخضـر واليـابس النبات والحيـوان والإنسـان فهي محرمة في الإسلام لأنهـا تهلـك الحـرث والنسـل واللـه لا يحب الفسـاد.

٦- التواضع أثناء النصر:-

النصـرُ مـن عنـد الله قال تعـالى "*إنّا لننصرُ رُسُلَنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد*".(٤)

ويجـب على المنتصـرين أن يشكـروا اللـه سبحانه وأن يتواضعـوا لعبـاده، فـإن ذلك يسـاعد في استمالة قلوب المهزومين، فعنـدما فتح صلى الله عليـه وسلم مكـة ودخلها فاتحاً انحنى على ظهر دابته تواضعاً لله وهو في قمة النصر والفتح.

---

(١) سورة الإسراء الآية: ٧٠

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٦١

(٣) سورة الأنعام الآية: ١٥١

(٤) سورة غافر الآية: ٥١

وبدخوله مكة نادى "أن من دخل بيته فهو آمن، ومن دخل بيت الله الحرام فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن" وعندما خضعت مكة لسلطته، دعا صلى الله عليه وسلم كبراءها الذين حاربوه وآذوه سنيناً طويلة فقال لهم "ما تظنون أني فاعلٌ بكم قالوا خيراً، أخٌ كريم وابن أخٍ كريم" فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم "اذهبوا فأنتم الطلقاء".(١)

٧- الدعاء أثناء المعركة:-

لقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في معركة بدر حتى سقط الرداء من على منكبيه وهو يرفع يديه متضرعاً إلى الله بالدعاء، وكان يدعوا عند النصر بالدعاء المأثور الآتي: "اللهم مُنْزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب أهزمهم وانصرنا عليهم".(٢)

٨- عدم الإنشقاق عن الجماعة:-

إن الإنشقاق عن صف الجماعة، نتيجة لاختلاف وجهات النظر القتالية أو لأي سبب آخر، ليس من الأداب الإسلامية في شيء، وإنما ينبغي على المعارضين شرح وجهة نظرهم ومن ثم يلتزموا رأي الجماعة ويحافظوا على وحدة الأمة.

قال تعالى "***واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين***".(٣)

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :يَدُ الله مع الجماعة ومن شذّ شذ في النار".(٤)

---

(١) انظر سيرة بن هشام القسم الثاني ص: (٤١١، ٤١٢) ط: ٢ (١٣٧٥هـ-١٩٥٥م)

(٢) متفق عليه، البخاري، فتح الباري ج: ٦، ك: الجهاد، باب: ١٥٦، ص: ١٥٦ حديث رقم: ٣٠٢٥، مسلم، ج: ٣، ك: الجهاد والسير، باب: ٦، ص:(١٣٦٢، ١٣٦٣) حديث رقم: ٢٠، مسند أحمد ج:٤، ص: ٣٥٤

(٣) سورة الأنفال الآية: ٤٦

(٤) الترمذي، ج: ٤، ك: الفتن، باب: ٧ (ما جاء في لزوم الجماعة)، ص: ٤٦٦ حديث رقم: ٢١٦٦ وقال عنه حسن غريب.

المبحث الثالث

الجهاد ضرورةٌ لإصلاح الحياة

إن الحياة الدنيا مليئةٌ بالمتناقضات، ففيها الحق وإلى جانبه الباطل يناهضه، وفيها الإستقامة والإنحراف، وفيها الخير والشر، والعدل والظلم، وفيها الإنسان صاحب العقل والحكمة وصاحب الهوى والشهوة.

وإذا كانت الحياة بهذه الصورة فالقتال ضرورة من ضروراتها وذلك لمنع الكفر والظلم والفساد والطغيان من الإنتشار بين الناس، ولكي يبقى الإيمان والصلاح والفلاح في الأرض.

وكانت الحرب منذ القدم ضرورة إجتماعية تلجأ إليها الجماعات البشرية لحل مشاكلها الإجتماعية التي يستعصي حلها بالطرق السلمية. ولولا الحروب لتعطل تقدم تلك الجماعات في طريق العمران والمدنية، والقرآن الكريم أشار إلى ذلك في السورة.

قال تعالى "*ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض*"(١)

فالآية توضح أن التدافع بين الأفراد والجماعات والأمم والشعوب في كل موقع من مواقع الحياة وفي كل متجه وعلى كل مورد من مواردها هو الذي يحرك دولاب العمل على هذه الأرض، ويبعث الحياة في كل جانب منها.

فالجهاد ضرورة لحفظ الأرض من الفساد والشرور وتطاول الطغاة والمنحرفين، وهذه تُعتبر نعمة وفضل من الله على الناس جميعاً.

ولكن الله سبحانه يدفع الناس بعضهم ببعض، فيدفع الكافرين بالمؤمنين، وينصر المؤمنين عليهم، فيكف بذلك فسادهم وشرورهم، وإذا تمكّن المفسدون في الأرض فسيقتلوا الأبرار من الناس وسيخربوا البلاد ويعذبوا العباد ولكن الله ذو فضل على العالمين.(٢)

القرآن الكريم منهج شامل لإصلاح جميع جوانب الحياة في المجتمع، والجاهلية على مدار التاريخ البشري لا تسمح بإقامة مجتمع إسلامي يحتكم إلى كتاب الله في سائر شؤون الحياة، فهي تُحارب إقامة التجمع الإسلامي بكل ما لديها من قوة منذ القدم فقد كانوا يخاطبون الرسل بمنطق العودة إلى الجاهلية أو الخروج من الأرض إلى المنفى قال تعالى "*وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أُرضنا أُو لتعودنّ في ملتنا فأُوحى إليهم ربهم لنهلكنّ الظالمين*".(٣)

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٥١

(٢) انظر الأساس في التفسير مجلد: ١، ص: ٥٧٨، وأيضاً التفسير القرآني للقرآن، مجلد: ١ ج: ٢، ص: ٣١١

(٣) سورة ابراهيم الآية: ١٣

فالطاغوت في أي زمان ومكان لا يسمح للمسلمين أن يحطموا سلطانه وينزلونه عن عرش السيطرة والإستعلاء، لذلك فهو يتفنن في كيفية القضاء على الجانب الجهادي عند المسلمين ليطفىء شعلة الإيمان من النفوس المؤمنة.

ولكن هيهات هيهات أن يُفلحَ في تحقيق ذلك، بعد أن عرفت تلك النفوس المؤمنة سبيل ربها والتزمت منهج الله عقيدة وسلوكاً وآمنت بأن الحياة لا تصلح إلاّ بتحكيم شريعة الإسلام.

وأدركت قوله تبارك وتعالى "*فلذلك فادعُ واستقم كما أُمِرتَ ولا تتبع أهواءَهُم وقُل آمنتُ بما أنزلَ اللهُ من كتاب وأُمرتُ لأَعدِلَ بينكم اللهُ رَبُنا وربُكُمْ لنا أُعمالُنا ولكمْ أعمالُكُمْ، لا حجة بيننا وبينكُمُ الله يجمعُ بيننا وإليه المصير*".(١)

وقديما خاطبوا شعيباً عليه السلام والذين آمنوا معه بنفس المنطق واسلوب البطش والطرد والإرهاب، فأجابهم عليه السلام ومن كان معه، قد افترينا على الله كذباً إن عُدنا إلى حياة الجاهلية بعد أن شرح الله صدورنا بفيض الإيمان به وجميل التوكل عليه، وفضلوا الشهادة في سبيل الله على الرجوع إلى الحياة الجاهلية بعد إذ نجاهم الله منها.

قال تعالى "*قال الملأُ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيبُ والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعوُدُنَّ في ملتنا، قال أَوَلَو كُنّا كارهين، قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا اللهُ منها، وما يكون لنا أن نعود فيها، إلا أن يشاءَ الله ربنا وسع كل شيء علماً، على الله توكلنا، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خيرُ الفاتحين*:(٢)

فهو جهادٌ ليس للمغنم في الحياة الدنيا، وليس تحكماً وتسلطاً على العباد في الأرض وفرض عقيدة الإسلام بالسيف على الأمم كما يدعي المغرضون من أعداء الإسلام.

وإنما الهدف الأسمى للجهاد هو فتح الطريق أمام الناس ليُصبحوا احراراً في اختيار عقيدة الإسلام بعد إزالة الطواغيت الأرضية الحاكمة، التي تحول بين الناس واختيارهم لعقيدة السماء.

فهو جهادٌ للحكومات الظالمة الباغية والأنظمة الفاسدة وهدايةٌ وإرشادٌ وإصلاح للأفراد والجماعات والشعوب وصلاح للحياة بأسرها، كل ذلك يتم بدون إكراه الناس على حمل الإسلام، لأن الإيمان يدخل إلى القلوب عن طريق التفكير والتدبر ثم الإقتناع.

قال تعالى "*لا إكراه في الدين قد تبيّنَ الرشدُ من الغيِّ فمن يكفُرْ بالطاغوتِ ويؤمن بالله فقدِ استمسكَ بالعُروةِ الوثقى لا انفصام لها واللهُ سميعٌ عليمٌ*".(٣)

---

(١) سورة الشورى الآية: ١٥

(٢) سورة الأعراف الآية: ٨٨، ٨٩ (٣) سورة البقرة الآية: ٢٥٦

وقــال تعــالى "*وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر*".(١)

وهدف المسلمين من جهادهم، أوضحه ربعي* حينما أرسل إلى رستم قائد الفرس قبل القـادسية، فسأله ما الذي جاء بكـم لقتالنا؟ فأجاب "إن اللـه ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتهـا وسعة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، وأرسل رسوله بدينه إلى خلقه فمن قبلـه منا قبلنا منه ورجعنا عنــه وتركنــاه وأرضــه، ومــن أبى قــاتلناه حتى نفضــي إلى الجنــة أو النصــر".(٢)

بهذه الصورة فهم المسلمون الإسلام فجاهدوا في الله حق جهـاده حتى نشروا مبادىء الإسلام العـادلة في مشـارق الأرض ومغـاربها، وأسعـدوا العـالم بأسـره، بعـد أن بذلـوا أرواحهم وأموالهم في سبيل الله.

ولم يكـن جهاد الصحابة رضوان اللـه عليهم من أجل قطعـة أرض أو من أجل قوم أو لون وإنما كان جهادهم من أجل صلاح الدنيا والآخرة، ونشر عقيدة الإسلام وسيادة المبادىء الإسلامية العادلة بين الناس عندما يدخلوا في الإسلام.

قال تعالى "*يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافةولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين*".(٣)

نماذج مؤمنه في طريق الجهاد:-

لقـد شهـد التاريخ الإسلامي لنمـاذج مـؤمنة يحتذى بها في هــذه الحيـاة، وتصلح أن تكـون قدوةً، لأنها قدمت النفس والمال في سبيل الله وصبرت على المحـن والتعذيب ولم تهتم بالمــوت فـوهب اللـه لهـا الحيــاة الكـريمة، سـواءً بالنصــر والتمكين في الأرض أم بالإستشهاد في سبيل الله، والذهاب عند ربهم يرزقون.

قال تعالى "*ولاتقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتٌ بل أحياً ولكن لاتشعرون*".(٤)

لقـد ضربت أسرة عمارٍ بن ياسر أروع الأمثلة في طريق الجهـاد، حينما كانت تُعذب هـذه الأسرة المؤمنة في رمال مكـة الساخنة وهم مربوطون بالسلاسـل الحـديدية ويلاقون العـذاب ألواناً، وكان رسول اللـه صلى الله عليه وسلم يمرُ عليهـم، فيقـول لهم مواسياً:

---

(١) سورة الكهف الآية: ٢٩

(٢) في ظلال القرآن، مجلد: ٣، ص: ١٤٤٠

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٠٨

(٤) سورة البقرة الآية: ١٥٤

* ربعي: هو ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو، صحابي جليل، كان من أشـرف العرب وكان سيفاً في الفتوح الإسلاميـة، وخاض معـركة نهاوند وأصبح واليـاً على طخارستان، انظر الإصابة في تمييز الصحـابة ومعـه الإستيعاب في اسماء الأصحاب ج: ١، ص: ٤٩١ رقم الترجمة: ٢٥٧٢

"أبشروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة".(١)

ويستشهد ياسر وزوجته سمية بنت خياط من شدة التعذيب في أشد عصور الظلم والظلام واستعباد الإنسان للأنسان في ظل الحياة الجاهلية، ويعذب ولدهما عمار حتى كاد أن يفارق الحياة، فتلفظ بلسانه ما لم يكن في قلبه، لكي يوقفوا عنه التعذيب، ونزل فيه قول الله تبارك وتعالى " *ومن كفر بالله من بعد إيمانه إلاّ من أُكرِهَ وقلبُه مطمئنٌ بالإيمان* ".(٢)

وضرب أروع الأمثلة في الصبر على أذى المشركين خباب* بتحمل العذاب في سبيل عقيدته، فكان عبداً لامرأة من قبيلة خزاعة اسمها أم أنمار، واعتنق الإسلام، فلمّا علم بإسلامه أبو جهل نادى في قومه وقال: لقد صبأ خباب وإنا لذائقوه العذاب.

وجاء في الحديث الشريف أن خبابً قال: شكونا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسدٌ بردةً له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصرُ لنا ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجلُ فيحفرُله في الأرض، فيُجعل فيها، فيجاءُ بالمنشار فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله لُتمّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا اللهَ والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون".(٣)

وكان سيد الشهداء حمزة** على الشرك، وحينما سمع أن أبا جهل آذى ابن أخيه

---

(١) انظر السيرة النبوية لأبن كثير، ج: ١، ص: (٤٩٤-٤٩٥) ط (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م) عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

(٢) سورة النحل الآية: ١٠٦

(٣) اخرجه البخاري، فتح الباري، ج: ١٢، ك: الإكراه، باب: ١، ص: (٣١٥، ٣١٦) رقم: ٦٩٤٣ مسند أحمد ج: ٥، ص: ١٠٩

* خباب: هو خباب بن الأرت بن جندله بن سعد التميمي، كنيته "أبو عبدالله" كان قيناً في الجاهلية، أسلم مبكراً وكان من المهاجرين الأولين، ومن المستضعفين الذين عذبوا بمكة، وقيل أنه شهد بدراً روى عن النبي وعنه أبو أمامه الباهلي وابنه عبدالله، وقيل أنه شهد صفين مع علي وقيل كان مريضاً ولم يشهدها، نزل الكوفة ومات بها سنة ٣٧هـ وهو ابن ٧٣ سنة. انظر تهذيب التهذيب ج: ٣، ص: (١٣٣، ١٣٤)

** هو حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم من قريش، عمّ النبي وأحد صناديد قريش ومن ساداتهم في الجاهلية والإسلام ولد بمكة ودخل الإسلام بعد تردد وهاجر إلى المدينة وشهد بدراً وقاتل بسيفين وفعل الأفاعيل، واستشهد يوم أحد، ودفنه المسلمون في المدينة سنة٣هـ

انظر صفة الصفوةج:١، ص: ١٤٤ والأعلام، ج:٢، ص: ٢٧٨

رسـول الله صلى الله صلى اللـه عليه وسلم، ذهب إلى نادي قـريش وأغلظ لأبي جهل في القول وشجّهُ في رأسه، ولحق بإبن أخيه مسلماً، وأعلن إسلامه.

وقوي الإسلام بإسلام حمزة - رضي الله عنه - وقالت قـريش اليوم عُزَّ محمدٌ وإنَّ حمزة سيمنعه، فكان ذلك لون من الوان الجهاد المبارك. (١)

وكـان الصحابة يفضلون الشهادة في سبيـل الله ويتسابقون إليهـا فهـذا عمير* الذي استبطأ أن تحيل بينه وبين الجنه أكل تمراتٍ عندما سمع رسول اللـه صلى الله عليه وسلم يقول يوم بدر "قوموا إلى جنةٍ عرضها السموات والأرض"

فقـال يا رسـول الله: جنة عـرضها السمـوات والأرض، قال: نعـم قـال بخٍ بخٍ، قال رسول الله وما حملك على قول بخٍ بخٍ.

قـال: رجاء أن أكون من أهلهـا، قال: "فإنك من أهلها" ثم أخرج تمـراتٍ مـن قرنه فجعـل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكلَ تمراتي هذه إنهـا لحياة طويلة، فرمى بها، ثمّ قاتلهم حتى قتل"

ويسمـع حنظلة** نداء الحرب في معركة أحد، وكان متزوجاً جديداً، في أيام زواجه الأولى، فيخـرج من بيته مسرعاً للقتـال ولم يتأخر حتى يغتسـل من الجنابة، بل هرع إلى ساحة القتـال حتى لا يفوته فضـل الجهاد في سبيل الله، فقاتل حتى قُتـل ونال الشهـادة، فقـال رسـول الله صلى الله عليـه وسلم "إنَّ صـاحبكم تُغسّله الملائكـةُ، فـاسألوا صاحبته فقالت: خرج وهو جنب لما سمع الهيعةَ إلى القتال.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لذلك تغسله الملائكة.(٢)

---

(١) انظر الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام، ص: ٨٠

(٢) انظر الولاء والبراء في الإسلام، ص: ٢٩٨

* ابن الحمام: هو عمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام الأنصاري شهـد بدراً وقتل فيها وهو أول شهيد من الأنصار، انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج: ٤ ص: (٢٩٠، ٢٩١)

** حنظلـة بن أبي عـامر بن صيفي بن النعمـان بن مـالك بن أمية الأنصاري الأوسـي ويلقـب والده بالراهب، وحنظلـة من سادات المسلمين وفضلائهـم قاتل يوم أحد واستشهد وغسلته الملائكـة وافتخـرت الأوس فيه، فقالوا منا غسيل الملائكة. انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة ج: ١، ص: (٥٤٣، ٥٤٤)

وأدرك بلال * حقيقة الإيمان عندما خالط قلبه منذ بداية الدعوة الإسلامية في مكة، وكان عبداً مملوكاً لأمية بن خلف الذي ما أن علم بإسلامه حتى صبَّ عليه جام غضبه وأنزل به ألواناً من الإيذاء، فكان يطرحه في رمال مكة الساخنة ويضعُ الصخرة العظيمة على صدره، ومع ذلك كان - رضي الله عنه - يهتف قائلاً وهو تحت وطأة التعذيبُ "الله أحدٌ" ويصيحُ به رأس الكفر لكي يذكر آلهتهم ويترك عقيدة الإسلام، فيجيب "أحدٌ احدٌ "

ويشتريه أبو بكر- رضي الله عنه - فيُخلّصه من رق العبودية وينطلق حراً يدعو الناس إلى الدخول في الدين الجديد، الذي يضمن لهم الحياة الحرة الكريمة، والذي يحررهم من ظلم الطغاة المتجبرين.

وسمع بلالٌ نداء الجهاد لغزوة بدر فحمل سيفه وانطلق إلى المعركة، وعندما أبصر في صفوف المشركين أمية بن خلف الذي كان يُعذبهُ في رمال مكة، فصاح بأعلى صوته، رأس الكفر أمية لا نجوت إن نجا، وتجّمع عددٌ من الصحابة فأجهزوا على رأس الكفر.(١)

وبهذه النماذج الإيمانية انتصر الإسلام، وبأمثالهم يكون الصلاح والفلاح في الأرض، ويتحقق النصر على الأعداء.

وهذا غيض بسيط من فيض كبير من تلك البطولات التي صنعتها عقيدة الإيمان فبثت فيها الشجاعة الفائقة، فصنعت المجد والعزة والكرامة للأمة عبر التاريخ في القديم والحديث.

قال تعالى *"من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا"*.(٢)

وصايا إصلاحية أثناء الحرب:-

إن المنهج القرآني جاء لتنظيم شؤون الناس في جميع جوانب الحياة، ومن ضمنها الحياة الجهادية، بما ينفع عامة الناس ويحقق مصلحتهم في الدنيا والآخرة.

وهذا التنظيم الديني للجهاد يجب على الجنود التزامه ولا سيما الأمراء والقادة منهم، ولا يجوز لأحدٍ اختراق مبادىء الإسلام في الحرب، لأنها مبادىء تدخل في نطاق الحلال والحرام، وفي تطبيقها تحقيق للأمن والسلام، وإصلاح لحياة الناس عامة.

---

(١) انظر خواطر مؤمنة، ص: (١٢١، ١٢٢)

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٢٣

* بلال: هو بلال بن رباح التميمي، الملقب بأبي عبدالله أسلم قديماً وعُذب في الله وشهد بدراً والمشاهد كلها، وكان مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة، وسكن دمشق وقيل أنه مات بالشام سنة(١٧)هـ وقيل (١٨)هـ وقيل سنة (٢٥)هـ وكان عمره بضع وستين سنة وقيل دفن في دمشق في طاعون عمواس وقيل دفن بحلب، انظر تهذيب التهذيب ج: ١، ص:(٥٠٢، ٥٠٣)

والإسلام يراعي حقوق المدنيين المسالمين، فيدعو إلى حفظ الأنفس المسالمة، وحريتهم وأموالهم من الضياع، ويحذّر من الإعتداء عليهم أو إيقاع التنكيل بهم أثناء الحرب، وينهى عن التخريب والتدمير والتحريق أو قتل الأنفس بغير حق وخاصة من الشيوخ والنساء والأطفال.

ويأمر الإسلامُ بقتال من رفع السلاح أو شارك في الحرب ضد المسلمين في أي صورة من الصور، أما الذين لا يحاربون الإسلام لا من قريب ولا من بعيد، فالإسلام ينهى عن حربهم.

وكانت مواعظه ووصاياه صلى الله عليه وسلم ووصايا الخلفاء والأمراء لقوادهم وللجنود مليئة بالنصائح الجهادية التي فيها الخير والصلاح للناس عامة.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيشاً او سرية، أوصى قائدهم بتقوى الله في خاصة نفسه وبمن معه من المسلمين خيراً، ومن إحدى وصاياه صلى الله عليه وسلم الآتي:

"اغزوا باسم ا لله، وفي سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله ولا تغلّوا ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيتم عدوكم من المشركين، فادعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم ثم ادعوهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، فإن فعلوا، فاقبلوا منهم، وكفوا عنهم، وإلاّ فأخبروهم أنهم كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله تعالى الذي يجري على المسلمين، وليس لهم من الفيء ولا من الغنيمة نصيب، فإن أبوا ذلك، فادعوهم إلى إعطاء الجزية، فإن فعلوا ذلك فاقبلوا منهم، وكفوا عنهم".(١)

وأوصى أبو بكر الصديق - رضي الله عنه- يزيد بن أبي سفيان * أثناء جهاده في بلاد الشام بالوصية الأتية فقال "إذا سِرْتَ فلا تُعنّف أصحابك في السير، ولا تغضب قومك، وشاورهم في الأمر، واستعمل العدل، وباعد عنك الظلم والجور، فإنّه ما أفلح قومٌ ظلموا، ولا نصروا على عدوهم، وإذا نُصرتم على عدوكم، فلا تقتلوا وليداً ولا شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً، ولا تقربوا نخلاً، ولا تحرقوا زرعاً، ولا تقطعوا شجراً مثمراً، ولا تغدروا إذا عاهدتم، ولا تنقضوا إذا صالحتم، وستمرون بأقوام في الصوامع رهبانٍ ترهبوا لله، فدعوهم وما انفردوا إليه، وارتضوه لإنفسهم، فلا تهدموا صوامعهم ولا تقتلوهم والسلام".(٢)

---

(١) الترمذي ج: ٤، ك: الديات، باب: ١٤، ص: (٢٢، ٢٣) رقم: ١٤٠٨ بألفاظ أقل وانظر الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام ص: ٣١٦ (٢) مناهج الشريعة الإسلامية ج: ٣، ص: ٣٤٥

* يزيد: هو يزيد بن أبي سفيان، صخر بن حرب بن أمية، أبو خالد الأموي يقال له يزيد الخير، روى عن النبي وعن أبي بكر وعنه أبو عبدالله الأشعري وعياض الأشعري، استعمله أبو بكر على ربع الأجناد في الجهاد، ولما استخلف عمر ولاه على فلسطين وافتتح قيسارية وبعد وفاة معاذ استخلف على دمشق ومات بطاعون عمواس قيل سنة ١٩ هـ

انظر تهذيب التهذيب ج: ١١، ص:(٣٣٢، ٣٣٣)

وأوصى أبو بكر – رضي الله عنه – بنفس الوصية لأسامة بن زيد عندما أصّر الصديق على إنفاذ جيش أسامة، ولعل الراجح أن أبا بكر أوصى جيش أسامه بها لأنه أول جيش بعثه الصديق بعد توليه الخلافة، ثم انتقلت هذه الوصية الى يزيد بن أبي سفيان وجيشه أثناء فتح بلاد الشام.

وأوصى الخليفة الراشد علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – بعض أمراء جيشه فقال: "فإن عادوا إلى ظلِّ الطاعة فذاك الذي نُحبُ وإن توافت الأمور بالقوم إلى الشقاق والعصيان فانهدِ – أي انهض – بمن أطاعك إلى من عصاك واستعن بمن انقاد معك عمّن تقاعس عنك، فإنَّ المتكاره مَغْيبُه خير من مشهده، وقعوده أغنى من نهوضه".(١)

ولقد أوصى عبدالملك بن مروان * أميراً بعثه إلى أرض الروم فقال: "أنت تاجرُ الله لعباده، فكن كالمضارب الكيّس الذي إن وجد ربحاً تَجَرَ، وإلاّ تحفظ برأس المال، ولا تطلب الغنيمة حتى تحرز السلامة، وكن من احتيالك على عدوك أشدُ حذراً من احتيال عدوك عليك".(٢)

يتضح من خلال هذه الوصايا، أن الجهاد كُتب على المسلمين من أجل تحقيق الخير الوفير للناس عامة وإحقاق الحق وإبطال الباطل وإقامة كل معاني العدل والصلاح في الأرض.

قال تعالى "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإنّ الله لمع المحسنين".(٣)

وقال تعالى "قُلْ هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرةٍ أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين".(٤)

---

(١) الجهاد والحقوق الدولية، ص:(٣٣٦، ٣٣٧)

(٢) الجهاد والحقوق الدولية،ص (٣٣٨)

(٣) سورة العنكبوت الآية: ٦٩

(٤) سورة يوسف الآية: ١٠٨

* ابن مروان: هو عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الأموي الملقب بأبي الوليد. روى عن أبيه وعثمان ومعاوية وأبي سعيد القرشي وروى عنه ابنه محمد وعروة بن الزبير وآخرون. كان عابداً ناسكاً قبل الخلافة وجالس الفقهاء، وحفظ عنهم وكان قليل الحديث، استعمله معاوية على المدينة، ذكره ابن حبان في الثقات وقال كان من فقهاء أهل المدينة وقرائهم. قيل أنه ولد ٢٣هـ وقيل ٥هـ وقيل سنة ٦هـ توفي في النصف من شوال سنة ٨٦هـ، انظر تهذيب التهذيب ج: ٦، ص: (٤٢٢، ٤٢٣)

الخاتمة

لقد اعتنى القرآن الكريم بإصلاح الفرد المسلم والأسرة والمجتمع اعتناء كبيراً من خلال ورود العديد من الآيات القرآنية التي تتحدث عن قضايا الإصلاح في القرآن عامه وفي سورة البقرة بصفة خاصة.

وركزّت السنة النبوية المطهرة على قضية إصلاح الناس فرسمت لهم الطريق السليم في كيفية التعامل القائمة على آداب الإسلام النابعة من المنهج القرآني.

واحتفال القرآن الكريم والسنة المطهرة بموضوع الإصلاح الإجتماعي لهو أكبر دليل وبرهان على أهميته في حياة الأمة الإسلامية، لأن صلاح الأمة مصدر سموها ورفعتها، وتستطيع عن طريقه أن تنهض في جميع مجالات الحياة.

ويوم أن أصبح المنهج القرآني هو المنهج الوحيد الذي يحكم حياة الناس أصبحوا في خير مجتمع، وكانوا خير أمة أخرجت للناس على مدار الأجيال.

قال تعالى "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرونَ بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله"(١)

وحازوا على هذه الخيرية من خلال تحلي أفراد المجتمع بالخواص الآتية:-

١- الجميع يسعى إلى تحقيق المصلحة العامة فيأمرون بالمعروف ويحاربون الفساد والشرور والمنكرات، قال تعالى "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون".(٢)

٢- عاشوا في مجتمع تسوده روح الأخوة والإنسانية لا فرق بين إنسان وآخر في المعاملة والقضاء، فالغني والفقير والأبيض والأسود والحاكم والمحكوم كلهم سواء أمام المنهج القرآني، وإنما الأفضلية في التقوى قال تعالى "إن أكرمكم عند الله اتقاكم".(٣)

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١١٠

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٠٤

(٣) سورة الحجرات الآية: ١٣

٣- يتجمع أبناء المجتمع على أصرة العقيدة الإسلامية بما جعلهم يسيرون في تجاه واحد للنهوض بالمجتمع والحفاظ على قوته فاعتصموا بمنهج الله القويم، وكان في اعتصامهم وحده للأمة وفي الوحدة قوة وبالقوة استطاعت الأمة أن تحقق أهدافها السامية في إصلاح نفوس الناس وجعلهم يعيشون في مجتمع يحتكم إلى كتاب الله والسنة المطهرة.

٤- تعلق أرواحهم بمبادىء المجتمع الإسلامي لأنهم يؤمنوا بأن نظامه وقوانينه مستمده من ا لمنهج القرآني الذي يحقق للبشرية انسانيتها وكرامتها إضافة إلى أنه نظام أخلاقي يبني الفرد على حب الجماعة والسهر على مصلحة المجتمع، قال تعالى "والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان به خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون".(١)

ويوم أن تخلت الأمة عن منهج الله وأصبحت تعتمد على مناهج بشرية، تستقي منها منهاج حياتها، وتخلى أفرادها عن مميزاتهم وخصائصهم السابقة الذكر، أصاب الأمة الضعف والخوار وحلت بها الهزيمة كلما كُتب لها الوقوف أمام الأعداء، وبدأت تتراجع إلى الوراء في جميع مجالات الحياة.

وأمام هذا الواقع المرير المؤلم ينبغي على الدعاة والمصلحين والمفكرين والباحثين مضاعفة الجهود في إصلاح الأمة والنهوض بها نحو تحقيق العزة والكرامة والقوة والمنعة، لكي تعود من جديد إلى قيادة الأمم والشعوب كما كانت سابقاً في عهد الخلافة الراشدة.

وهذا الهدف الكبير للبحث من وراء تحقيق إصلاح الفرد والمجتمع والدولة.

---

(١) سورة الحشر الآية:٩

نتائج البحث:-

لقد توصل البحث إلى النتائج التالية:-

١- إن العبادة في الإسلام من صلاة وصوم وزكاة وغيرها تعمل على تهذيب الفرد وإصلاحه، كما أنها تجعل من المجتمع وحدة واحدة مترابطة عقائدياً وشعورياً واجتماعيا، فيشعر الجميع بمشاعر الآخرين، فيفرحون لافراح بعضهم البعض ويحزنون إذا أصاب بعضهم ما يدعو إلى الحزن.

٢- شجع الإسلام على الزواج ورغب فيه باعتباره الطريق الشرعي الذي يؤدي إلى سلامة المجتمع من الإنحلال الخلقي ويحفظ الأفراد من الدمار الإجتماعي. لأن إشباع الغريزة بالطريق المشروع تجعل الإنسان يتحلى بمكارم الأخلاق وأفضل الآداب، وفي الزواج راحة للبدن من الإضطراب وسكن للنفس وكف للبصر عن الحرام ، وامتداد لحياة الإنسان إلى أن يشاء الله.

٣- دعا الإسلام إلى بناء الأسرة المسلمة، باعتبارها الوحدة الأساسية لبناء المجتمع، فرسم لها من الأحكام التشريعية ما يحفظ كيانها ويجعلها متكاتفة متعاونة على الخير ويسودها السلام الشامل بعقد الروابط الإجتماعية الوطيدة بين أفرادها، بحيث تصبح قلعة حصينة من قلاع عقيدة الإسلام.

٤- أوضح البحث بعض الأحكام الهامة والمفيدة التي تتعلق بالنساء بأسلوب مبسط بعيد عن التعقيد، بحيث يسهل على كلِّ فتاة معرفتها وتستفيد من طبيعتها في واقع الحياة.

٥- أثبت البحث أن إصلاح المجتمع إلى الأفضل لا يتم عبر تبني نظريات أخلاقية لا تتجاوز حدود المعرفة العقلية ولا تتصل بالواقع العملي في حياة الناس. كما وأن الإصلاح الإجتماعي لا يتم بالإنعزال عن الحركة، و عدم العمل المستمر، أو الجلوس والتواكل على أن تمطر السماء على الأرض خيراً وصلاحاً وعدلاً.

٦- أكد البحث على أن القيم الأخلاقية النابعة من منهج الله هي قيمٌ ثابتة لا تتغير من فرد لآخر أو من مجتمع إلى مجتمع مع مرور الزمن.

٧- وقرر أنه لا يمكن إيجاد الحياة الإجتماعية المتزنة المستقرة في المجتمع إذا لم يحتكم الناس فيه إلى كتاب الله وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم في جميع جوانب الحياة الخلقية والإجتماعية والسياسية والإقتصادية.

٨- وكشف أنه لا يمكن تهذيب الأفراد واصلاحهم من خلال المراقبة المادية المحسوسة لهم، لأن هذا صعب بل قد يستحيل، وإنما يتم اصلاحهم عن طريق إبراز الجانب الروحي وعلاجه بتربية الإنسان التربية السليمة وبإيقاظ ملكة الضمير التي تجعل من

الإنسـان رقيباً على نفسـه، من خلال يقينـه بأن اللـه يعلم خائنـة الأعين ومـا تُخفـي الصدور. قال تعالى "*ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد*".(١)

٩- حذر مـن التقليد الأعمى للعـادات الجاهلية التي ما أنزل اللـه بهـا من سلطان، وأمر باستخدام النظر والعقل في الأمور الإجتهادية التي ليس فيهـا نص، لأنه لا اجتهاد مع النص.

١٠- رسمـت السورة قواعد إصلاحيـة في تعامل الناس مع خالقهـم ومـع بعضهم البعض لتنشـأ العلاقات الإجتماعية فيما بينهم على أسسٍ سليمة وناجحـة يتحقق فيها مصلحة الأمة بأسرها.

١١- وحذرت السـورة مـن المضـار الإجتمـاعية للمنـافقين وأهـل الكتـاب لكـي يتجنبهـا المسلمـون ولا يقعـوا في شـرورهـا التي تهلـك الحـرث والنسـل وتقضـي على وحدة المجتمع وتماسكه.

١٢- قررت السورة حقائق ثابته ومعاني سامية لتحقيق روح التضامن الإجتماعي والعدالة الإجتمـاعية التي تكفـل للجميـع العيـش بسعـادة ضمـن الحـرية المرتبطة بالأخلاق الإسلامية.

١٣- أثبـت البحث أن للبيع وما يتعلق به من معاملات مالية أخرى أثراً اجتمـاعياً هاماً في حياة الناس، لأنه يتضمن لمعاني الوفاء بالعقود، وحفظ المواثيق، وأداء الحقوق إلى أصحابها، وعدم كتم الشهادة عند إيجاب البيع وغيره.

١٤- أثبـت أن عقـوبة القصاص في القتـل وما دون القتل هـي علاجٌ حاسـم وحازم في معالجة حوادث الإجرام التي تحدث في المجتمع، وفيها إصلاح للأمة وحياة للناس من خلال كف القاتل عن القتل، إذا علم أنه سيقتل.

١٥- أكـد البحث على ضرورة الجهـاد في سبيل الله لحفظ الحيـاة على سطح هذه المعمورة من الفساد والشرور وتطاول الطغاة والمنحرفين وظلم البغاة.

وإصلاح للحياة بنشر مبادىء الإسلام العادلة التي تحرر الناس من العبودية لغير الله إلى عبـادة الله وحده لا شريك لـه في الملك والحكم والسلطـان. قال تعالى "*والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم*".(٢)

---

(١) سورة ق الآية: ١٦

(٢) سورة يونس الآية: ٢٥

فهارس البحث

١- فهرس الآيات القرآنية

٢- فهرس الاحاديث النبوية الشريفة

٣- فهرس تراجم الاعلام

٤- فهرس المراجع

٥- فهرس الموضوعات

اولاً: فهرس الآيات القرآنية

الرقم	الآية	الصفحة
	سورة البقرة	
٣	الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة	٣٩
٤	والذين يؤمنون بما انزل إليك	١٩
٧	ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم	٢٠
١٠	في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً	٢٢٩
١١	وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون	٢٣٠
١٣	وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس	٢٣٠
١٤	وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا	٢٣٠،٢٠
٢١	يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم	١٥٩، ١٧٣
٢٧	الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه	١٧٣،١٦٤،١٥٩
٢٩	هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً	٢٤٣
٣٠	وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة	٢٤٢،٧٨،٢٠،٧
٣١	وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة	١٥٣،٧
٣٧	فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه	٢١
٣٨	قلنا اهبطوا منها جميعاً	٢٤٢
٤٤	أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم	٢٠٠،١٥١
٤٥	واستعينوا بالصبر والصلاةوانها لكبيرة إلا على الخاشعين	١٨٩
٥٠	وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم	٢٢،٢١
٥٤	وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم انفسكم	٢٢
٥٥	وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله	٢٣٥
٥٧	وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى	٢٢
٦٠	وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك	٢٢
٦١	وضربت عليهم الذلة والمسكنة	٢٣٦،٢٢

الرقم	الآية	الصفحة
٦٥	ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم	٢٢
٦٧	وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم ان تذبحوا بقرة	١٤
٦٩	قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها	٢٣
٧٣	فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى	١٤
٧٤	ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة	٢٣
٧٩	فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم	٢٣،٢٣٣
٨٠	وقالوا لن تمسنا النار إلّا اياماً معدودة	٢٣
٨٣	وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل	٢٣،١١٦،٢٠٨
٩١	قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل	٢٢
١٠٠	أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم	١٦٨
١٠٥	ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب	١٦،٢٣٧
١٠٩	ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم	٢٣٧
١١٥	ولله المشرق والمغرب فإنما تولوا وجوهكم	٧٣
١١٦	وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السموات	٢٣٥
١٢٠	ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى	١٧،٢٣٧،٢٤١
١٢٦	وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً	٢٥١
١٢٧	وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت	٢٣٤
١٣٠	ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرةلمن الصالحين	٢
١٣٢	ووصى بها إبراهيم نبيه ويعقوب يا بني	٢٣٤
١٣٥	وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا	١٧،٢٣٤
١٣٦	قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم	١٧٥،٢٣٤
١٤٠	أم تقولون إن إبراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب	٢٣٤
١٤٢	سيقول السفهاء من الناس ما ولاوهم عن قبلتهم	٢٤٠
١٤٤	فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام	٢٤٠
١٥٢	فاذكروني أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون	١٥٨،١٨١،١٨٧
١٥٣	يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة	٤١،٤٤،١٥٤،١٩٠
١٥٤	ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل أحياءٌ	١٥٨،٣٣٨
١٥٥	ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال	١٥٨،١٩٢،١٩٥

الرقم	الآية	الصفحة
١٥٧	اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة	١٩٢،٣٨
١٥٨	إن الصفا والمروة من شعائر الله	١٨٧
١٥٩	إن الذين يكتمون ما أنزلنا والبينات والهدى١	١٧٢
١٦٣	وإلهكم إله واحد لا إله إلّا هو الرحمن الرحيم	١٥٨،٧
١٦٤	والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء	٢٥٠،٧
١٦٥	ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً	١٥٨،٨
١٦٦	إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب	٢١٩
١٦٨	ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين	٢٥٧،٢٤٣،٢٢٥،٢١٨،١٩٨،١٧٢،٦١،٢١
١٧١	ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لايسمع	٢١٨
١٧٢	يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم	٢٢٦،١٨٧،١٥٥
١٧٣	إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير	٢٥٣،٢٢٨،٢٢٦،٢٢٣
١٧٧	والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين	٢٦٢،٢٤٤،١٩٤،١٦٤،١٥٢،٢٤
١٧٨	يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص	٣١،٣٠٦،٣٠٠،٢٩٦،٢٩٢،٣٤
١٧٩	ولكم في القصاص حياة	٣١١،٢٩٣،٨
١٨٠	كتب عليكم إذا حضر احدكم الموت	٢٧٥،٢٧٤،٢٧٣،٣٤
١٨٣	يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام	٢٩٦،٦٢،٥٧،٣٤،٢٥
١٨٥	ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم	٥٨، ١٨٣
١٨٦	وإذا سألك عبادي عني فإني قريب	١٥٨، ١٩٦
١٨٧	هن لباس لكم وأنتم لباس لهن	١٠٦،٩٤،٨٠
١٨٨	ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل	٢٨١،٢٥٢،٢٤٦،٢٤٤،١٥٤،٢٥
١٨٩	ويسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج	٢٥
١٩٠	وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا	٣٢٢
١٩٣	وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ ويكون الدين لله	٣٢٢
١٩٤	الشهر الحرامُ بالشهر الحرام والحرمات قصاص	٢٩٦
١٩٧	الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث	٦٧،٢٥
١٩٨	ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلاً من ربكم	١٨١

الرقم	الآية	الصفحة
٢٠٠	فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم	١٨٣
٢٠٤	ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله	٢٣٢
٢٠٨	يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة	٣٣٨
٢١٥	يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين	٢٠٩
٢١٦	كتب عليكم القتالُ وهو كرهٌ لكم	٣٢٣،٣٢٢،٣٤،٢٥
٢١٧	يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه	١٧٦
٢١٨	إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون	١٧٨
٢١٩	يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم	٢٢١،٢٦
٢٢٠	ويسألونك عن اليتمى قل اصلاحٌ لهم خيرٌ	٢٠٩،٢٦
٢٢١	ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنَّ ولامةٌ مؤمنةٌ خير	١٣٦،٩٩،٩٦،٩٤،٧٧،٢٦
٢٢٢	ويسألونك عن المحيض قل هو أذىً	١٤٢،٢٦،٨
٢٢٣	نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم	٢٣٢،١٤٣،٩٤
٢٢٤	ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم	١٦٩،١٥٩
٢٢٥	لا يؤاخذكم الله باللغوَ في أيمانكم	١٦٩
٢٢٦	للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر	١٢٥،٢٦
٢٢٧	وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم	١٤٦،١٢٩،١٢٥
٢٢٨	والمطلقات يتربصن بأنفسهنّ ثلاثةقروء	١٣٠،١٠٧،٢٧
٢٢٩	الطلاق مرتان فإمساك بمعروف او تسريح بإحسان	١٤٤،١٣٥،١٣٤،١٢٥
٢٣٠	فإن طلقها فلا تحل له من بعدُ حتى تنكح زوجاً غيره	١٣٠،٧٧
٢٣١	وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهنَّ فأمسكوهن بمعروف	١٢٥
٢٣٢	وإذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن	١٢٥
٢٣٣	والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين	١٤٨،٢٧
٢٣٤	والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن	١٤٠
٢٣٥	ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء.	١٠٠
٢٣٦	لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا.	١٣٢،١٢٥

الرقم	الآية	الصفحة
٢٣٧	وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن.	١٣٢
٢٣٨	حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى	٤٢،٣٩
٢٣٩	فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً فإذا أمنتم فاذكروا الله.	٤٢
٢٤٠	والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً وصية.	١٤٠
٢٤٩	كم من فئة قليلة غلبت فئةً كثيرة بإذن الله.	٣٣٢
٢٥١	ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض.	٣٣٦
٢٥٣	يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي.	٢٧٩
٢٥٥	الله لا إله إلّا هو الحي القيوم.	١٥٨
٢٥٦	لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي.	٣٣٧،٣٢٨
٢٥٧	الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور.	٣٢٨،١٦٠
٢٦١	مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله.	٢٦١،٢٥٥،٢٧
٢٦٢	الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً.	٢٥٥
٢٦٤	يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى.	٢٦٠
٢٦٥	ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله.	٢٥٩
٢٦٧	يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم.	٢٥٩،٢٤٤
٢٦٨	الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء.	٢٥٧،٢٤٣
٢٧١	إن تبدوا الصدقات فنعّما هي.	٧٣
٢٧٢	وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله	٢٧٤
٢٧٣	للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا.	٢١١
٢٧٤	الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم.	٢٦١
٢٧٥	الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان.	٢٧٩،٢٦٩،٢٤٦
٢٧٨	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا.	٢٦٩،٢٦٧،٢٧
٢٨٢	يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى اجلٍ مسمى.	٢٨٦،٢٨٤،٢٤٥،٢٧
٢٨٣	وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة.	٢٨٩،١٧٤
٢٨٤	لله مافي السموات وما في الارض وإن تبدوا ما في انفسكم.	١٩٩،١٧٩
٢٨٥	آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه.	١٩٩

الرقم	الآية	الصفحة
٢٨٦	لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها لها ما كسبت.	٢٠٠،١٧٩،٢٨
	سورة آل عمران	
١٧	الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين.	١٩٨،١٩٤
٣١	قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله	١٧٤
٣٢	قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين	١٧٤
٣٧	فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسنا	٢٤٣
٣٨	هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية	١٩٧
٦٤	قل يا اهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء	٢٣٤
٩٢	لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون	٢٥٩،٢٤٤
٩٧	ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا	٦٤
١٠٣	واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا	١٠
١٠٤	ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف	٣٤٤،٧١
١١٠	كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف	٣٤٤
١١٩	وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل	٢٣١
١٤٦	وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا	١٩٤
١٥٩	فبما رحمةٍ من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب	٢٠٤
١٦١	وما كان لنبيٍ ان يغُلّ ومن يغلل يأت بما غلَّ	٣٣٤
١٦٩	ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم	٣٢٩،٣٢٦،٢٤٢
١٨٦	لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب	٢٣٧
١٨٩	ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير	٢٤٣
٢٠٠	يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا	١٩٠،١٨٨
	سورة النساء	
١	يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة	١٧٥،٩٣،٧٩،٧٨
٢	وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب	٧٥
٣	وإن خفتم ألاّ تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم	١١٥،٧٧،٧٥
٤	وآتوا النساء صدقاتهن نحلةً فان طبن لكم عن شيء منه نفساً.	١١٢

الرقم	الآية	الصفحة
٦	وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رُشداً.	٧٧
٧	للرجال نصيبٌ مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب	٩٠
١٠	إن الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً.	٢٠٩
١١	يوصيكم اللهُ في اولادكم للذكر مثلُ حظ الانثيين.	١٠٨،٢٧٣،٢٧٥،٨٥
١٩	يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرهاً.	١٠٧،١٢٤،١٤٠
٢٠	وإن اردتم استبدال زوج مكان زوج	٩٧،١١٣
٢١	وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض.	٨١،١١٥
٢٢	ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف.	٧٧
٢٥	ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات	٧٧
٢٩	يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل	٢٤٦
٣٤	الرجال قوامون على النساء بما فضّل الله بعضهم	٩٣،١٠٩
٣٥	وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من اهله	١٢٤،١٣٤
٣٦	واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً	١١٦،٢١٤
٤٣	يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى	٢٢١
٤٦	من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه	٢٣٣
٤٩	الم تر إلى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء	٤٩
٥٨	إن الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات إلى اهلها	٦٦،١٠٨،٢٩٠
٥٩	يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول	١٦٣،٣١٧
٦٠	الم تر إلى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك	٢٣١
٦٥	فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم	١٦١،١٧٢
٦٩	ومن يُطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم	٣٣٠
٧١	يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات	٣٢٣
٧٤	فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا	٣٢٦
٧٧	الم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة	٣٢٠
٨٠	ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا	١٧٤
٨١	ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم	١٧٤
٩٢	وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمناً إلّا خطأ.	١٠٨،٣٠٦

الرقم	الآية	الصفحة
٩٣	ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها	٢٩٩،٢٩٢
٩٥	لا يستوي القاعدون من المؤمنين غيرُ اولي الضر	٣٢٩
١٠٣	فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً	٢٩٦،١٨٣،٤٥،٣٩
١٤٥	إن المنافقين في الدرك الاسفل من النار	٢٢٩
	سورة المائدة	
١	يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود	١٦٨
٢	وتعاونوا على البر والتقوى	٢٧١،٢٥١
٣	حرمت عليكم الميتةُ والدمُ ولحمُ الخنزير	٢٢٦
٥	اليوم احل لكم الطيباتُ وطعامُ الذين اوتوا الكتاب	١٣٨
١٣	فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية	٢٣٦
١٨	وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباءه	٢٤١
٣٢	من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفساً.	٢٩٧،٢٩٢
٣٣	إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً.	٣٠٩
٣٨	والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما	٣٠٨
٤٥	وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس	٣٠٧،٣٠٣،٢٩٦
٤٩	وأن أُحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم	٣٢٨،١٦٠،٥
٥٠	أفحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكماً	١٦٠
٥١	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء	٢٣٠
٥٥	إنما وليكم اللهُ ورسولهُ والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة	١٦٢
٥٦	ومن يتولَّ الله ورسولهُ والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون	١٦٣
٥٧	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً	٢٣١
٦٤	وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا	٢٣٨،٢٣٥
٧٧	يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك	٨٨٢،٧٥
٨٧	يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحلَّ الله لكم.	٨٤
٨٩	لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم	١٦٩،١٥٩
٩٠	يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس	٠٩،٢٥٢،٢٢٥،٢٢١

الرقم	الآية	الصفحة
٩١	إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء	٢٥٧،٨
١٠٦	يا أيها الذين آمنوا شهادةُ بينكم إذا حضر أحدَكم الموتُ	٢٧٣
	سورة الانعام	
١٤١	وهو الذي انشأ جناتٍ معروشات	٢٥٦،٤٩
١٤٥	قل لا أجدُ في ما أوحي إليَّ محرماً على طاعم يطعمه	٢٢٦
١٥١	قل تعالوا أتلُ ما حرَّم ربكم عليكم ألا تشركوا به	٣٣٤،١١٦
١٥٢	ولا تقربوا مالَ اليتيمِ إلَّا بالتي هي احسن	١٦٤
١٥٩	ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء	١٠
١٦١	قل انني هداني الى صراط مستقيم	٣٢٥
١٦٢	قل إن صلاتي ونسكي ومحيايَ ومماتي لله	٣٢٥،١٧٣،٤١،٣٥
	سورة الأعراف	
٣١	يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد	٦٣
٣٢	قل من حَرم زينةاللهِ التي أخرج لعباده	٧٢
٥٦	ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها	٣
٨٥	وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله	٢٥٥
٨٨	قال الملأُ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب	٣٣٧،١٧٧
٨٩	قد آفترينا على اللهِ كذبا إن عُدنا في ملتكم	٣٣٧،١٧٧
٩٦	ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات	٢٧٢،١٥٢
١١٧	وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك	٤
١٤٢	وواعدنا موسى ثلاثين ليلةً وأتممناها بعشر	٣
١٥٦	ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها	٥٤
١٧٠	والذين يمسّكون بالكتاب وأقاموا الصلاة	٤٤
١٧٢	وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم	٢٣٦،١٦٥
١٨٩	هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل مها زوجها	٧٨،٣
٢٠٥	واذكر ربك في نفسك تَضرُّعاً وخفيةً ودون الجهر	١٨١
	سورة الأنفال	
١٥	يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً	٣٢٠
٣٥	وما كان صلاتهم عند البيت إلَّا مكاءً وتصديه	٣٩

الرقم	الآية	الصفحة
٣٩	وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ ويكون الدين كله لله	٣٢٢
٤٥	يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا	٣٢٤،٣١٩،١٨٤
٤٦	وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا	٣٣٥
٥٨	وإذ زيّن لهُم الشيطان أعمالهُم وقال لا غالب لكم	١٦٧
٦٠	وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل	٣١٨
٦٦	فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين	١٩٥
	سورةالتوبة	
٤	إلّا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً	١٦٧
٥	فإذا انسلخ الاشهر الحُرُم فأقتلوا المشركين حيث وجدتموهم	٥٠
٢٩	قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر	٣٢٧
٣٤	يا أيها الذينَ آمنوا إنّ كثيراً من الأحبار والرهبان	٢٤٦،٥٥
٣٦	إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله	٣٢٢
٤٧	لو خرجوا فيكم ما زادو كم الاّ خبالاً ولاوضعوا خلالكم	٢٣١
٦٠	إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها	٥٠
٧١	والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف	١٦٢،٦٨
٩١	ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقوا	٣١٦
٩٢	ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قُلت	٣١٦
٩٨	ومن الأعراب من يتخذ من ينفق مغرماً ويتربص بكم.	٨٩
١٠٣	خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم	٢٥٦،٤٩،٤٨،٣٨
١٠٥	وقل اعملوافسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون.	٢٤٧،٢٠٠،١٧٤،١١
١١١	إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم	٣٢٩،١٧٤،١٢
١٢٢	وما كان المؤمنون لينفروا كافة	٣٢٣
١٢٣	يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار	٣٢٤
١٢٤	وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً	١٨
١٢٨	لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم.	٢٠٤
	سورة يونس	
٢٥	والله يدعوا إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.	٣٤٧،٢٧٨،١٢

الرقم	الآية	الصفحة
	سورة هود	
٢٥	ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين	٣١
٢٦	أن لا تعبدوا إلاّ الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم	٣١
٣٨	ويصنع الفلك وكلما مَرَّ عيه ملاءٌ من قومه سخروا منه	٢٤٨
٥٠	وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم أُعبدوا الله	٣١
٦١	وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم أُعبدوا الله	٣١
٨٤	وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله	٣١
٨٨	وما أريد ان أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه	٣،٥
	سورة يوسف	
٩	اقتلوا يوسف او اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم	٢
٤٠	إن الحكم إلاّ لله أمر ألا تعبدوا إلاّ إياه	٣٢،١٧٣،٣٢٨
١٠١	فاطر السموات والارض أنت وليّ في الدنيا والأخرة توفني مسلماً	٢
١٠٨	قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة.	٣٤٣
	سورة الرعد	
٢١	والذين يصلون ما أمر اللهُ به أن يوصل ويخشون ربهم	١٧٥
٣٩	يمحوا اللهُ ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب	١٩٩
	سورة ابراهيم	
١٣	وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا	١٧٦،٣٣٦
٢٢	وقال الشيطان لمّا قُضي الامر إنّ الله وعدكم وعد الحق	٢٥٧
٣١	قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا	٢٦١،٢٧٩
٣٤	وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها	٣٢
٣٧	ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع	٢٥٠
	سورة النحل	
٥٨	وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً	٨٩
٥٩	يتوارى من القوم من سوء ما بُشّر به	٨٩
٦٧	ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً	٢٢١

الرقم	الآية	الصفحة
٧٢	والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين	٨٥
٩٢	ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً	٢٦٨
١٠٦	ومن كفر بالله من بعد إيمانه إلاَّ من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان	٣٣٩
١٢٠	إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً	١٨٧
١٢١	شاكراً الأنعمه إجتباه وهداهُ إلى صراطٌ مستقيم	١٨٧
١٢٥	ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة	٣٢٧،١٩٣،٥
١٢٦	وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم	٢٩٧
١٢٧	واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم.	١٩٠
	سورة الإسراء	
١	سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام	٢٣٥
٣	ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً	١٨٧
٢٣	وقضى ربك ألا تعبدوا إلاّ إياه وبالوالدين إحساناً	١١٨،١١٦،٩١
٢٥	ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين	٤
٢٧	ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين	٩٩
٢٩	ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط	٢٦٣،٢٤٤
٣١	ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم	٩٠،٨٥
٣٢	ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساءَ سبيلا	٨٦
٣٣	ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق	٣٠٤،٢٩٧
٣٤	ولا تقربوا مالَ اليتيم إلاّ بالتي هي احسنُ حتى يبلغ أشده	١٦٤
٣٦	ولا تقفُ ما ليس لك به علمٌ إن السمع والبصر والفؤاد	٦٠
٧٠	ولقد كرمنّا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم	٣٣٤،٦٢،١٢
١٠٠	قل لو أنتم تملكون خزائنَ رحمةِ ربي لأمسكتم خشية الإنفاق	٢٥٥
١١٠	قل أُدعوا الله أو أُدعوا الرحمن أياماً تدعوا فله الأسماء الحسنى	١٩٧،٣٩
	سورة الكهف	
١٩	فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزف منه وليتلطف	٤٩
٢٨	واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشي	١٨٨
٢٩	وقل الحقُ من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر	٣٣٨
٤٦	المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خيرٌ	٢٤٧

الرقم	الآية	الصفحة
٦٣	قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيتُ الحوت	٢٩٥
٦٤	قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا	٢٩٥
٧٤	فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفسا زكية	٤٩
٧٩	أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها	٥١
٨٢	وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز	٣
	سورةمريم	
١٣	وحناناً من لدناً وزكاة وكان تقيّاً	٤٩
٢٦	إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلّمَ اليوم إنسياً	٥٦
٣٢	وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة	٤٩
٥٤	واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد	١٦٥
٥٥	وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا	١١٤
٥٩	فخلفَ من بعدهْم خلفٌ أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات	٤٢
	سورة طه	
١٤	إنني أنا الله لا إله إلاَّ أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري	٤١
١٣٢	وأمر أهلك بالصلاة وأصطبر عليها لا نسألك رزقاً	١٩٠
	سورةالانبياء	
٧	وما أرسلنا قبلك إلاَّ رجالاً نوحي إليهم فسألوا أهل الذكر	١١٤
٨٩	وزكريا إذ نادى ربّه رب لا تذرني فرداً وأنت خيرُ الوارثين	١٩٧
٩٢	إن هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون	٧٠
	سورة الحج	
٥	يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب	٢٦٨
٣٩	أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير	٣٢١
٤٠	الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلاَّ أن يقولوا ربنا الله	٣٢١،٣٩
٤١	الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة	٣٢٥،٢٧٩
٧٨	وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم	٣٢٨،٢٥٦،٣٦،١١
	سورة المؤمنون	
٢،١	قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون	٤٥

الرقم	الآية	الصفحة
٩	والذين هم على صلواتهم يحافظون	٤٥
٩٦	أدفع بالتي هي أحسن السيئة نحن اعلمُ بما يصفون	٣٢١
٩٩	حتى إذا جاء أحدهم الموت، قال رب ارجعون	٤
	سورة النور	
٢	الزانية والزاني فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما مائة جلدة	٣٠٨
٤	والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعةِ شهداء فاجلدوهم ثمانين	٣٠٨
٢٢	ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعةِ أن يؤتوا أولي القربي والمساكين	١٦٩
٣٠	قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم	٥٩
٣١	وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن	٥٩،٦٦،١١١
٣٢	وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم	٢،٧٧،٧٩
٣٣	وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله	٨٧،٢٤٤
٥٥	وعد الله الذين أمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم	٧٤،٢٤٢
	سورة الفرقان	
١	تبارك الذي نَزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً	١١
٥٢	فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً	٣٢١
٦٧	والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا	٢٦٣
٦٨	والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس	٢٩٧
٧٥	اؤلئك يجزون الغرفة بما صبروا	١٩٥
	سورة النمل	
١٩	وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين	٢
	سورة القصص	
١١	وقالت لأخته قُصّيهِ فبصرت به عن جنب	٢٩٥
٢٤	فقال ربِّ إني لما أنزلت إليّ من خيرٍ فقير	٢٧٤
	سورة العنكبوت	
٦	ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين	١٠٥
٤٥	وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر	١٨،٣٩،٧٢،١٨٢
٦٩	والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين	٣٤٣

الرقم	الآية	الصفحة
	سورة الروم	
٢١	ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها	٧٩،٨٠،٩٤
٣٩	وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله	٢٦٨
	سورة لقمان	
١٢	ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه	١٨٨
١٤	ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن	٩١،١١٦
١٥	وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم	١١٦،٢١٧
	سورة السجدة	
٢٤	وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا	١٩٥
	سورة الأحزاب	
٢٣	من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه	٣٤١
٢٨	يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا	١٩٣
٣٥	إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات	١٨٢
٣٦	وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى اللهُ ورسولهُ أمراً	١٦٢
٤١	يا أيها الذين آمنوا أُذكروا الله ذكراً كثيراً	١٨١
٤٢	وسبحوه بكرة وأصيلاً	١٨١
٤٩	يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن	٧٧،١٣٣
٥٦	إن الله وملائكته يصلون على النبي	٣٩
	سورة سبأ	
١٠	ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبّي معه	٢٤٨
١٣	أعملوا آل داود شكراً وقليلٌ من عبادي الشكور	١٨٨
١٥	واشكروا له بلدةٌ طيبة وربٌ غفور	١٨٧
٢٤	قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله	٢٤٤
	سورة فاطر	
١٠	إليه يصعدُ الكلمُ الطيب والعمل الصالحُ يرفعه	٢٠٣
١٨	ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير	٤٩
٣٤	وقالوا الحمدُلله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور	١٨٧

الرقم	الآية	الصفحة
	سورة يس	
٦١	وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم	٢٤٢
	سورة الصافات	
١٤٣	فلولا أنهّ كان من المُسبحّين	٣٩
	سورة ص	
١٧	اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود	٢٤٨
٢٤	وإن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض	١٠٧
	سورة الزمر	
٩	أمَّن هو قانت أناءَ الليل ساجداً وقائماً	١٥٣
١١	قل إني أمرتُ ان أعبد اللهَ مخلصاً له الدين	٦٩،٣١٧
١٢	وأمرت لأن اكون أول المسلمين	٦٩،٣١٧
١٤	قل الله أعبدُ مخلصاً له ديني	٣١٧
٥٥	وأتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب	٣٢
٥٦	أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطتُ في جنب الله	٣٦
٦٦	بل الله فاعبد وكن من الشاكرين	٣٦
	سورة غافر	
٩	وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته	٢
١٤	فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون	٣٦
٥١	إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا	٢٤،٣٣٤
	سورة فصلت	
٣٠	ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا	٣٠
٣١	نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم	٣٥
٣٣	ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً	٩،٢٠٠،٣٢١
٣٤	ولا تستوي الحسنةُ ولا السيئة أدفع بالتي هي أحسن	١٨٠،٣٢١
٤١	إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتابٌ عزيز	٢٧٨،٣١٤
٤٢	لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد	٢٧٨،٣١٤

الرقم	الآية	الصفحة
	سورة الشورى	
١٣	شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك	٣٢٨،١٧٥
١٥	فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم	٣٣٧
٣٢	ومن أياته الجوار في البحر كالأعلام	٢٥٠
٤٠	وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلُهَا فمن عفا وأصلح فأجره على الله	٣٠٧
	سورة الزخرف	
٢٢	بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون	٢١٩
	سورة الجاثية	
١٨	ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها	٣١١،١٧٣،١٥٤،٥
١٩	إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض	٣٢
٢٤	وقالوا ما هي إلّا حياتنا الدنيا نموت ونحيا	٦٢
	سورة الأحقاف	
١٥	ووصيناالإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً	١١٨
	سورة محمد	
٧	يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم	٢٣٢
٢٢	فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض	١٧٥
٢٩	أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم	٢١٣،٢٠٤
	سورةالفتح	
١	إنا فتحنا لك فتحاً مبينا	١٦٦
٢	ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر	١٦٦
١٠	إن الذين يبايعونك إنما يُبايعون الله يد الله فوق أيديهم	٢٧٩،١٦٤
١٧	ليس على الاعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض	٣١٦
٢٩	محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم	٦٩
	سورة الحجرات	
١٠	إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم	٧٣،٦٨
١١	يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم	٢٥٤

الرقم	الآية	الصفحة
١٣	يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى	١٢،٨٠،١٥٤،٣٤٤
	سورة ق	
١٦	ولقد خلقنا الإنسان ونعلمُ ما توسوس به نفسه	٦٩،١٩٧،٣٤٧
	سورة الذاريات	
١٧	كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون	١٩٨
١٨	وفي أموالهم حق للسائل والمحروم	١٩٨
٢١	وفي أنفسكم أفلا تبصرون	١٩٨
٣٠	قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم	٧
٥٦	وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون	٣٧
٥٧	وما أريدهم منهم من رزق وما أريد أن يطعمون	٣٧
	سورة الطور	
٢١	والذين آمنوا واتبعتُهم ذريتُهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم	٩٥
	سورة النجم	
٣	وما ينطق عن الهوى	٣٧
٤	إن هو إلا وحيٌ يوحى	٣٧
٣٢	الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلاّ اللمم	٤٨
	سورة القمر	
٥٤	إن المتقين في جناتٍ ونهر	٦٢
٥٥	في مقعد صدق عند مليك مقتدر	٦٢
	سورة الحديد	
١١	من ذا الذي يُقرض الله قرضاً حسناً	٢٦١
٢٧	ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم	٨٢،٢١٣
	سورة الحشر	
٢	هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم	٢٣٩
٣	ولو أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا	٢٣٩
٧	وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول	١٧٤،٢٧٧

الرقم	الآية	الصفحة
٨	للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم	٣٤٥،٢١١
٩	والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر	٢٥٦،٥٣،١٧
١١	ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا	٢٣٠
١٩	ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم	١٨١
٢٤	هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى	١٦٠
	سورة الممتحنة	
٨	لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين	٣٢٢
٩	إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم	٣٢٢
١٠	يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمناتُ مهاجرات فامتحنوهن	١٣٧
١٢	يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يُبايعنك على أن لا يشركن	٩٠
١٣	يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم	٢٣٠
	سورة الصف	
١٠	يا أيهاالذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم	٣٢٦
	سورةالجمعة	
٩	يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة	٤٦
١٠	فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض	١٨٣
١١	وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً	٢٥٠
	سورة المنافقون	
١	إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسولُ الله	٢٣٢
٤	وإذا رأيتهم تُعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم	٢٢٩
٧	هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله	٢٣١
٩	يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم	٢٤٧،١٨٢
١٠	وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت	١٨٢
	سورةالتغابن	
١٥	إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجرٌ عظيم	٢٤٧

الرقم	الآية	الصفحة
	سورة الطلاق	
١	يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن	١٢٨
٢	فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف	١٢٩
٤	واللآئي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم	١٣١،١٤١
٦	وأسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم	١٢٥،١٣٤
٧	لِيُنفق ذو سَعَةٍ من سعته ومن قُدِرَ عليه رزقُهُ.	١١٣،١٢٢
	سورة التحريم	
٦	ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً.	٩،١٠٦
	سورة الملك	
١٥	هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها	٢٤٧
	سورة القلم	
٣	وإن لك لأجراً غير ممنون	٢٠٤
٤	وإنك لعلى خلق عظيم	١٦٩
	سورة المعارج	
٢٤	والذين في أموالهم حق معلوم	٢٤٤
	سورة المزمل	
١٠	واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً	٣٢١
٢٠	إن ربك يعلم أنك تقومُ أدنى من ثلثي الليل ونصفه	٤٣،٢٤٨،٢٥٠،٥٦، ٢٦١
	سورة المدثر	
٧	ولربك فاصبر	١٩٣
٣٨	كل نفس بما كسبت رهينة	٢٨٨
	سورة الإنسان	
٩	إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً	١٨٦
	سورة النازعات	
٢٤	فقال أنا ربكم الأعلى	٣٢٧
٣٤	فإذا جاءت الطامة الكبرى	١٩
٤٠	وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى	١٩،١٧٩

الرقم	الآية	الصفحة
٤١	فإنَّ الجنة هي المأوى	١٧٩،١٩
	سورةالتكوير	
٨-٩	وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت	٩٠
	سورة المطففين	
١-٢	ويل للمطففين الـــذين إذا اكتــالوا على النــاس يستــوفون	٢٥٥
	سورة الفجر	
١٧-١٨	كلا بل لا تكــرمون اليتيم ولا تحـاضون على طعــام المسكين	٢٠٩
	سورة الشمس	
٩-١٠	قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها	١٧٩،٤٨
	سورة الضحى	
٩	فأما اليتيم فلا تقهر	٢٠٨
	سورة العلق	
١-٤	اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق.	١٥٣
	سورة البينة	
٥	وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين	٣١٧،٣٦
	سورة العاديات	
٨	وإنه لحب الخير لشديد	٢٧٤
	سورة العصر	
٣	إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق	١٩٠
	سورة الماعون	
٤-٥	فويلٌ للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون.	٤٢

ثانياً: فهرس الاحاديث النبوية الشريفة

الرقم	الحديث	الصفحة
١	أبغض الحلال إلى الله الطلاق	١٢٦
٢	أتى النبيّ رجل مقنع بالحديد	٣٣١
٣	اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة	١٨٠
٤	اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة	٢٥٨
٥	اتقوا الله والنساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله	٨١
٦	اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا يا رسول الله وما هن؟	٢٧٠
٧	أحية أمك؟ قلت نعم: قال، ارجع فبرّها	١٢٠
٨	إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه	٩٩
٩	إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة	١٨٥
١٠	إذا أصبح أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل	٦٠
١١	إذا أفاد أحدكم امرأة أو خادماً أو دابة فليأخذ بناصيتها	١٠٣،١٠٤
١٢	إذا ألقى الله في قلب امرىء خطبة امرأة فلا بأس ان ينظر	١٠١
١٣	إذا دخل العشر الأواخر من رمضان	٦١
١٤	إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان	١١١
١٥	إذا رفّأ - تزوج - الإنسان قال: بارك الله لك وبارك عليك	١٠٣
١٦	إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها	١١٠
١٧	إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلّا من ثلاثة	١٠٤
١٨	إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته قبضتم ولد عبدي	١٠٤
١٩	أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً	٤٢
٢٠	أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً	١٦٧
٢١	استوصوا بالنساء خيراً	٨٢،١١٤
٢٢	اعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد	١٠٣
٢٣	اغزوا باسم الله ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً	٣٤٢
٢٤	أفضل دينار ينفقه الرجل	٢٦٣
٢٥	أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً	٤٤

الرقم	الحديث	الصفحة
٢٦	اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران	١٦
٢٧	ألا أخبرك برأس الأمر وذروة سنامه قلت بلى	٤١
٢٨	ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة	٣٣
٢٩	ألا إن الله أعطى كل ذي حق حقه	٢٧٦
٣٠	ألا إن دية الخطأ شبه العمد ما كان بالسوط	٣٠٤
٣١	ألا إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً	١١٠
٣٢	اللهم أحييني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة	١٩٢
٣٣	اللهم إني أعوذ بك من الهّم والحزن والعجز والكسل	٢٨٨،٢٨٧
٣٤	اللهم إني كان لي ابوان شيخان كبيران	١١٨
٣٥	اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب	٣٣٥
٣٦	اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما لا أملك	١١٥
٣٧	ألستم تعلمون أن رسول الله قال من حفر رومه فله الجنة؟	٢٦٥
٣٨	أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاَّ الله	٤٠
٣٩	أمرنا النبي بسبع ونهانا عن سبع، أمرنا بإتباع الجنائز	٢٠٦،٢٠٥
٤٠	أمكثي في بيتك الذي جاء فيه نعي زوجك.	١٤٢،١٤١
٤١	إن أبر البر صلة الولد أهل وُدّ أبيه	١١٩
٤٢	إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف.	٣٣٠
٤٣	إن أبي إحتاج مالي قال أنت ومالك لابيك	١١٩
٤٤	إن أبي شيخ كبير فقد أدركته فريضة الحج	٦٦
٤٥	إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة	٢٠٥
٤٦	أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وأشار	٢٠٨
٤٧	إن الله أنزل الداء والدواء	٢٢٣
٤٨	إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً	٢٩١
٤٩	إن الله حرم مكة ولم يُحَرمها الناس	٢٩٨
٥٠	إن الله طيب لا يقبل إلاّ طيباً	١٥٦،١٥٥،٦٧
٥١	إن الله كتب الإحسان على كل شيء	١٥٦
٥٢	إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة ولحم الخنزير	٢٢٨
٥٣	إن الله يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني	٣٣

الرقم	الحديث	الصفحة
٥٤	إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم، ليحلف حالف بالله	١٦٨
٥٥	إن امرأة أتت رسول الله فقالت: إن أمي ماتت وعليها صيام	٢٢٥
٥٦	إن المرأة إذا أقبلت اقبلت في صورة شيطان	١٠٥
٥٧	إن المرأة إذا خرجت من بيتها وزوجها كاره	١١٠
٥٨	إن إمرأة جاءت الى النبي فقالت إن أمي نذرت أن تحج	٢٨٥،٢٨٤
٥٩	إن إمرأة رفاعه جاءت إلى النبي فقالت إن رفاعه طلقني	١٣٠
٦٠	إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة	٤١
٦١	إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلاّ من اتقى	٢٨٣
٦٢	إن الدعاء هو العبادة	٢٠٠
٦٣	إن رجلاً أصاب من امرأة قبله فأتى النبيّ	٤٥
٦٤	إن رجلاً ضرب رجلاً على ساعده بالسيف	٣٠٥
٦٥	إن رجلاً من بني اسرائيل سأل بعض بني اسرائيل أن يسلفه	٢٩١،٢٩٠
٦٦	إن الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله	٢٧٤
٦٧	انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما	١٠١،٩٨
٦٨	أنظرت إليها قال: لا قال: فاذهب فانظر إليها	١٠١
٦٩	إن في بضع أحدكم صدقة	٣٤،٣٣
٧٠	إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون	٥٧
٧١	إن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت	٣١٠,٣٠٩
٧٢	إنكحوا فإني مكاثرٌ بكم	٩٥،٧٥
٧٣	إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسئون	١٧٥
٧٤	إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى	٣٧
٧٥	إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ ولعل بعضكم	٢٥٣
٧٦	إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء	٢٠٢
٧٧	إن مسكينا سألها وهي صائمة وليس في بيتها إلّارغيف	٢٦٤
٧٨	إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقه	١٩
٧٩	إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً	٧٠،١٠
٨٠	إنه كان في جنازة فأخذ عوداً فجعل ينكش في الأرض	٢٤٩
٨١	إني تركت فيكم ما لن تضلوا بعده أبداً	١٧٥
٨٢	إني مجهود فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق	٢٦٦،٢٦٥

الرقم	الحديث	الصفحة
٨٣	إن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها	١٤٢
٨٤	أوصيك يا معاذ لا تدعنَّ في دبر كل صلاة	١٨٨
٨٥	إياكم وخضراء الدمن، قيل وما خضراء الدمن يا رسول الله؟	٩٨
٨٦	أي الأعمال أفضل قال إيمان بالله قال ثم ماذا؟	٣٢٩
٨٧	أيّ الصدقة أفضل؟ قال جهد من مقل إلى فقير	٣١١
٨٨	أيُّ العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله	٦٥
٨٩	أي العمل أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها	١١٧
٩٠	أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل	١٨٩
٩١	أي الناس أفضل؟ فقال مؤمن يجاهد	٣١٨
٩٢	آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب	١٦٧
٩٣	بني الإسلام على خمس شهادة ان لا إله إلّا الله	٤٠
٩٤	البيعان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه ما لم يتفرقا	٢٨١
٩٥	بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئراً	١٥٦،٣٤
٩٦	التاجر الصدوق الأمين مع النبيين و الصديقين والشهداء	٢٨٣،٢٥١
٩٧	تحملت حمالة فأتيت النبّي أسأله فيها	٥٢
٩٨	تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن	٩٨
٩٩	تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء	٩
١٠٠	ترى المؤمنين في تراحمهم توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد	٢٥٧،٣٦
١٠١	تلك هي اللويطة الصغرى	١٤٣
١٠٢	تنكح المرأةلأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها	٩٣،٧٨
١٠٣	ثلاثة أواهم المبيت في جبل فانحطت عليهم صخرة	١١٨
١٠٤	ثلاثة حق على الله عونهم المجاهد في سبيل الله	٨٤
١٠٥	ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل	٦٢،٦١
١٠٦	جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي	٨٤،٨٣
١٠٧	جاء رجل إلى النبي فاستأذنه في الجهاد فقال أحيٌ والداك	٣١٩،٣١٨
١٠٨	جاء رجل يشكو جاره فقال: اذهب فاصبر	٢١٥
١٠٩	جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين	١٥٧

الرقم	الحديث	الصفحة
١١٠	حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات	١٩١
١١١	الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات	١٥٥
١١٢	خذوا من الأعمال ما تطيقون	٧٠
١١٣	خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق	٢٥٩
١١٤	خمس تجب للمسلم على أخيه المسلم	٢٠٦
١١٥	خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه	٢١٤
١١٦	خير الصداق أيسره وخيرهن أيسرهن صداقاً	٩٧
١١٧	دينار أنفقه في سبيل الله ودينار أنفقته على رقبه	٢٦٣
١١٨	الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله؟ قال لله ورسوله	٢٠٦
١١٩	الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبرُّ بالبرُّ	٢٦٩
١٢٠	الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض	٦٣،٢١٠،٢١٣
١٢١	رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها	٣٢٦
١٢٢	الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء	٣١٧
١٢٣	رفع القلم عن ثلاث عن النائم حتى يستيقظ	٣٠٠
١٢٤	رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى	٢٨٣
١٢٥	سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله	٢٦٢
١٢٦	سئل أي الكسب أطيب؟ قال عمل الرجل بيده	٢٨٠
١٢٧	سئلت عائشة عن خلق رسول الله فأجابت	٢٠٤
١٢٨	شر الطعام طعام الوليمة يدعى لها الأغنياء ويترك الفقراء	١٠٢،١٠٣
١٢٩	شكونا إلى رسول الله وهو مُتوسد بردةً في ظل الكعبة	١٩٣،١٩٤،٣٣٩
١٣٠	صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين	٤٦
١٣١	صلوا على صاحبكم	٢٨٨
١٣٢	عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد	١٩١
١٣٣	عُذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت	١٥٦
١٣٤	عرضتُ على رسول الله يوم أحد وأنا ابن سبع عشرة سنة	٣١٥
١٣٥	على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره	٣١٩
١٣٦	علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل	١٢١
١٣٧	عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر	١٧١

الرقم	الحديث	الصفحة
١٣٨	عن عائشة أنها كانت في سفر فسابقته فسبقتُه على رجليّ	١١٥،١١٤
١٣٩	العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر	٤٠
١٤٠	الغلام مرتهن بعقيقته يذبح عنه يوم السابع	١٢١
١٤١	فُرضت الصلاة على النبي ليلة أسرى به خمسين	٤٢
١٤٢	فقال لها مالي أرال متجملة؟ لعلك ترجين النكاح	١٢،١٤١
١٤٣	فقالوا أتقبّلون صبيانكم؟ قالوا نعم فقالوا لكنّا لا نُقبّل	١٢٢
١٤٤	فقال يا نبي الله إنها دواء قال: لا ولكنها داء	٢٢٣
١٤٥	فقلت يا رسول الله إن لي مالاً كثيراً وليس يرثني إلّا ابني	٢٧٥
١٤٦	قال أتردين عليه حديقته؟ قالت نعم	١٤٤
١٤٧	قالت اختلعت من زوجي ثم جئت عثمان فسألت ماذا عليّ من العدة	١٤٦،١٤٥
١٤٨	قالت أنُزلت"ومن كان غنياً فليستعفف".	٢١٠
١٤٩	قالت لرجل سألها إني أريد أن اوصي من مالي	٢٧٥
١٥٠	قالت يا رسول الله إن إبنتي توفى عنها زوجها وقد اشتكت عينها	١٤١
١٥١	قال عمر اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شفاء	٢٢٢
١٥٢	قال عمر أمرنا رسول الله أن نتصدق فوافق ذلك مالاً عندي	٢٦٥
١٥٣	قال عمر لأنت أحب إليّ من كل شيءٍ إلا نفسي	١٦١
١٥٤	قال فارجع إليهما فأضحكهما كماأبكيتهما	١١٧
١٥٥	قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن إنك ستأتي قوماً	٥٠
١٥٦	قال يا رسول الله هل بقي من بّر أبوايَّ شيءٌ أبرهما به	١١٩
١٥٧	قالوا ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم	١٨٣
١٥٨	قتل رجل ابنه عمداً فرفع إلى عمر فجعل عليه مائة من الإبل	٣٠٢
١٥٩	قل آمنت بالله ثم استقم	٨
١٦٠	قلت يا رسول هل على النساء جهاد؟	٣١٦
١٦١	قيل للنبي ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل؟	٣٣٠
١٦٢	كان ابن أبي طلحة يشتكي فخرج ابو طلحة فقُبض الصبّي	١١٢
١٦٣	كان إذا فرغ من الصلاة قال لا إله إلّا الله وحده لا شريك له	١٨٤
١٦٤	كان الرجل يداين الناس فكان يقول لفتاه إذا أتيت معسراً	٢٨٤

الرقم	الحديث	الصفحة
١٦٥	كان زكريا عليه السلام نجاراً	٢٤٨
١٦٦	كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان	٢٦٤،٢٦٣،٦١
١٦٧	كان صلى الله عليه وسلم إذا بعث أميراً على جيش أوصاه	٣٣٣
١٦٨	كان في بني اسرائيل القصاص ولم يكن فيهم الدية	٢٩٧
١٦٩	كان يدخل على أمّ حرام بنت ملحان تطعمه	٣٣١
١٧٠	كتب عليكم الحج فقيل في كل عام؟ قال:لا	٦٥،٦٤
١٧١	كسرت الرّبيع ثنية جاريه من الأنصار	٣٠٣،٣٠٢
١٧٢	كل إنسان تلده أمه على الفطرة وأبواه	١٠
١٧٣	كل عمل ابن آدم له إلاّ الصيام فإنه لي	٥٨
١٧٤	الكلمة ضالة المؤمن فمتى وجدها فهو أحق بها	٢٢٠
١٧٥	لا أجد شيئاً وليس لي مال ولي يتيم له مال	٢١٠
١٧٦	لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت	١٥
١٧٧	لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا	٢٠٧،٢٠٦
١٧٨	لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا	٢٠٦
١٧٩	لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله	٢٤٩،٢١٢
١٨٠	لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن ان يرديهن	٩٧،٩٦،١٠
١٨١	لا تصوم المرأة وبعلها شاهد إلاّ بإذنه	١١١،١١٠
١٨٢	لا تطلقوا النساء إلا من ريبة فإن الله لا يحب الذواقين	١٢٦
١٨٣	لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا	٢١٩
١٨٤	لا تنكح الثيب حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن	٩١
١٨٥	لا ضرر ولا ضرار	٢٥١،١٤٧
١٨٦	لإن يأخذ أحدكم أحبله ثم يأتي الجبل بحزمة من حطب	٢٤٩
١٨٧	لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية.	١٧٧
١٨٨	لإن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع	١٢٢
١٨٩	لا يجزي ولد والده الا ان يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه	١٦٦
١٩٠	لا يحل دم امرىء مسلم إلاّ بإحدى ثلاث	٣٠٨،٢٩٨
١٩١	لا يزيد في العمر إلاّ البر ولايرد القدر إلاّ الدعاء	١٩٩
١٩٢	لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر	١٤٤

الرقم	الحديث	الصفحة
١٩٣	لا يقاد الوالد بالولد	٣٠١
١٩٤	لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلاّ حفتهم الملائكة	١٨٤
١٩٥	لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده	١٦١
١٩٦	لتتبعن سَنَنَ الذين من قبلكم شبرا بشبر	٢١٩
١٩٧	لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق	٢٩٣
١٩٨	لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات	١١١
١٩٩	لعن رسول الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبيه	٢٧٠
٢٠٠	لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلًا فيصلى	٤٦
٢٠١	لكل شيء سنام وإن سنام القرآن سورة البقرة	١٥
٢٠٢	لن يفلح قوم ولو أمرهم إمرأة	١٠٩
٢٠٣	لو لم يبق من عمري إلاّ عشرة أيام لاحببت أن أتزوج	٩٥
٢٠٤	ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان	٥١، ٢١١
٢٠٥	ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلب	١١
٢٠٦	لينبعث من كل رجلين رجل والأجر بينهما	٣٢٣
٢٠٧	ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً	٨٥، ٩٧
٢٠٨	ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده	١٠٩، ٢٤٨
٢٠٩	ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع	٢١٦
٢١٠	ما بقي منها؟ قالت ما بقي إلاّ كتفها	٥٤، ٢٦٤
٢١١	ما حق امرىء مسلم له شيء يوصي فيه	٢٧٣
٢١٢	ما حق المرأة على الزوج؟ قال أن يطعمها إذا طعم	١١٣
٢١٣	ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه	٢١٤
٢١٤	ما الكبائر؟ قال"الإشراك بالله وعقوق الوالدين و...	١٧١
٢١٥	ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا	٣٣٢
٢١٦	ما من رجل يصاب بشيء في جسده فيتصدق به	٣٠٧
٢١٧	ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما	٢٥٨
٢١٨	ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله رجلًا بعفو إلا عزاً	٣٠٧
٢١٩	ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا همّ ولا حزن	١٩٦
٢٢٠	مَر على صُبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً	٢٥٤

الرقم	الحديث	الصفحة
٢٢١	مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع	١٢١
٢٢٢	مُرْه فليراجعها ثم ليُمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر	١٢٦
٢٢٣	المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر	١٧٧
٢٢٤	من أحب أن يبسط له في رزقه	١٩٩
٢٢٥	من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك	٩١، ١٢٠
٢٢٦	من أخذ أموال الناس يريد آداءها أدىّ الله عنه	٢٨٧
٢٢٧	من أُصيب بقتل أو خبل فإنه يختار إحدى ثلاث	٢٩٨
٢٢٨	من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله	١٦٣، ٣١٨
٢٢٩	من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصة ولا مرض	٥٨
٢٣٠	من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطّيب	٢٦٠
٢٣١	من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته امه	٦٥
٢٣٢	من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها	١٤٧
٢٣٣	من رأى منكم منكراً فلغيره بيده	١٢
٢٣٤	من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه	٧٩
٢٣٥	من سبّح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد الله	١٨٤
٢٣٦	من سّره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فاجلدوه	٢٨٧
٢٣٧	من شرب الخمرَ فأجلدوه	٢٢٢
٢٣٨	من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم	٥٨
٢٣٩	من عاد مريضاً أو أخاً له في الله ناداه مناد	٣٣
٢٤٠	من فّرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فّرج الله عنه	٢١٣
٢٤١	من قتل عبده قتلناه ومن جدعه جدعناه	٣٠١
٢٤٢	من قتل عمداً دُفع إلى أولياء القتيل فإن شاءوا قتلوا	٢٩٩
٢٤٣	من قرأ الآيتين من آخر البقرة	١٦
٢٤٤	من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن وأطعمهن وأدبهن	٩٥
٢٤٥	من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع	٦٠
٢٤٦	من ملك زاداً أو راحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج	٦٦
٢٤٧	من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه	٥٣، ٢٠٧
٢٤٨	من يسر على معسر في الدنيا يّسر الله عليه	٢١٣
٢٤٩	مهيم - ما شأنك - فقال تزوجت امرأة قال: ما أصدقتها؟	١٠٢

الرقم	الحديث	الصفحة
٢٥٠	المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً	١٦٣
٢٥١	المؤمن من أمنّه الناس والمسلم من سلم المسلمون من لسانه	٢١٥
٢٥٢	نفس المؤمن معلقه بدينه حتى يقضى عنه	٢٨٤
٢٥٣	النكاح من سنتي ومن لم يعمل بسنتي فليس مني	٩٣،٧٨
٢٥٤	نهى صلى الله عليه وسلم أن يبيع بعضكم على بيع بعض	٢٨٠،١٠٢
٢٥٥	والله يا ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهله	١٩٢
٢٥٦	والذي نفسي بيده لا يُكلم أحدٌ في سبيل الله	٣٢٧،٣٢٦
٢٥٧	وعظنا رسول الله موعظة بليغة وجلت منها القلوب	١٦١
٢٥٨	يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها	٢١٦
٢٥٩	يا أبا سعيد! من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً	٣٣٠
٢٦٠	يا أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام	٢٧١
٢٦١	يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية	٣٢٠
٢٦٢	يا عكّاف ألك امرأة؟ قال: لا، قال: ولا جارية	٨٣
٢٦٣	يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج	٨٥،٧٩
٢٦٤	يد الله مع الجماعة ومن يشذّ شذّ في النار	٣٣٥
٢٦٥	يستجاب لأحدكم ما لم يَعْجَل	١٩٨
٢٦٦	يقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون حتى يدخل آباؤنا	١٠٤
٢٦٧	يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه	١٨٤
٢٦٨	يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه.	٢٠١

ثالثاً: فهرس تراجم الأعلام

الرقم	اسم العلم	الصفحة
١-	ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الاسود بن ربيعة النخعي	١٧٠
٢-	أُبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد، أبو الطفيل	١٧٠
٣-	أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي - ابو العلاء المعري	٢٠١
٤-	احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية	٣٣١
٥-	احمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني	٩٦
٦-	اسحق بن ابراهيم بن مخلد التميمي المروزي بن راهويه	٣٠١
٧-	اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير، ابو الفداء	١٨١
٨-	أنس بن مالك الانصاري الخزرجي	٤٢
٩-	البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الاوسي، أبو عماره	٢٩٣
١٠	بريدة بن الحصيب بن عبدالله بن الحارث الاسلمي	٤٠
١١-	بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء المروزي	٢١٢
١٢-	بلال بن رباح التميمي الملقب بأبي عبدالله	٣٤١
١٣-	ثوبان بن بجدد بن جحدر، ابو عبدالله	٢٦٣
١٤-	جابر بن عبدالله بن عمرو بن حزم بن سلمة الأنصاري	٤١
١٥-	جعفر بن يونس الخراساني، ابو بكر الشبلي	١٨٦
١٦-	جمال الدين ابي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي القرشي	١٤٥
١٧-	جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم الحلاق، ابو محمد	٢٦٢
١٨	الجنيد بن محمد الخزاز القواريري، ابو القاسم	١٨٩
١٩-	الحسن بن ابي الحسن يسار البصري، ابو سعيد	١٨٠
٢٠	الحسين بن محمد بن ابراهيم الدامغاني	٤
٢١	الحسين بن محمد بن الفضل الاصفهاني، ابو القاسم	١٩
٢٢	حفصة بنت عمر بن الخطاب العدوية، أم المؤمنين	١٢٧
٢٣	حكيم بن معاوية بن حيده القشيري	١١٣
٢٤	حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، عمّ النبي صلى الله عليه وسلم	٣٣٩

الرقم	اسم العلم	الصفحة
٢٥	حنظلة بن ابي عامر بن صيفي بن النعمان الانصاري الاوسي	٣٤٠
٢٦	خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمي، ابو عبدالله	٣٣٩
٢٧	خويلد بن عمرو بن صخر بن معاوية بن عدي بن ربيعة (ابو شريح الكعبي)	٢٩٨
٢٨	ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو	٣٣٨
٢٩	رفاعة بن رافع الانصاري	٢٨٠
٣٠	سعيد بن جبير بن هشام الاسدي	١٨٥
٣١	سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، ابو عبدالله الكوفي	٢١٢
٣٢	سفيان بن عبدالله الثقفي	٧
٣٣	سفيان بن عيينه بن ابي عمران	٢٨٢
٣٤	سليمان بن بريده بن الحصيب الاسلمي المروزي	٣٣٣
٣٥	سليمان بن عمرو بن الاحوص الجشمي	١١٠
٣٦	سمرة بن جندب بن مرة بن جزم الفزاري، ابو سعيد	٣٠١
٣٧	سهل بن مسعد الساعدي	٥٧
٣٨	شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، أبو أمية	١١٢
٣٩	شداد بن أوس بن ثابت الانصاري البخاري، ابو يَعلى	٣٣٣
٤٠	صُدّي بن عجلان بن وهب، ابو امامة الباهلي	١٦
٤١	طَرَفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري، ابو عمرو	٢٨٥
٤٢	عائشة بنت ابي بكر الصديق، أم المؤمنين	٤٤
٤٣	عامر بن شرحبيل الشعبي الحميري، ابو عمرو	١١٢
٤٤	عبادة بن الصامت بن قيس بن أحرم الانصاري الخزرجي	٢٥٢
٤٥	عبدالله بن دينار العدوي	١١٩
٤٦	عبدالله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي	٤٩
٤٧	عبدالله بن علقمة بن الحارث بن ابي أسيد، ابو معاوية	٣١٩
٤٨	عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي	٤٠
٤٩	عبدالله بن عمرو بن العاص، بن وائل القرشي السهمي	٨٤
٥٠	عبدالله بن قدامة المقدسي، موفق الدين ،ابو احمد	٢٩٩
٥١	عبدالله بن قيس بن سليم بن حرب بن عامر	٣٣٠
٥٢	عبدالله بن مسعود بن غافل بن تميم	١٦

الرقم	اسم العلم	الصفحة
٥٣	عبد الرحمن بن صخر، ابو هريرة	١٥
٥٤	عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحرث بن زهرة القرشي	١٠٢
٥٥	عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، ابو الوليد	١٠٣،٣٤٣
٥٦	عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحي	٨٤
٥٧	العرباض بن سارية السلمي، ابو نجيع	١٦٠
٥٨	عطاء بن ابي رباح	١٨٥
٥٩	عكّاف بن وداعة الهلالي	٨٣
٦٠	علي بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب الاموي الاندلسي	٢٨٦
٦١	عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي، أمير المؤمنين	٣٦
٦٢	عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم القرشي، أمير المؤمنين	٣٠٦
٦٣	عمرو بن ابي ربيعة بن ذهل بن شيبان	٢٩٦
٦٤	عمرو بن خارجة بن المنتفق الاشعري الانصاري	٢٦٧
٦٥	عمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام الانصاري	٣٤٠
٦٦	عويمر بن عامر بن مالك بن يزيد بن امية، الخزرجي	٢٢٣
٦٧	الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي	٣١١
٦٨	قبيصة بن المخارق بن عبدالله بن شداد بن ابي ربيعة	٥٢
٦٩	قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي	١٤٥
٧٠	قيس بن عبدالله بن ربيعة بن جعدة، النابغة	٥٦
٧١	الليث بن عبدالرحمن الفهمي، ابو الحارث	٣٠٢
٧٢	مالك بن انس بن ابي عامر بن عمرو بن الحارث، ابو عبدالله	٣٠٢
٧٣	مالك بن ربيعة بن عمرو بن عوف بن حارثة، ابو اسيد	١١٩
٧٤	مجاهد بن جبر المكي المخزومي	١٠٦
٧٥	محب الدين بن ابي الفتح محمد بن صالح الخطيب	١٩٥
٧٦	محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان الهاشمي، الشافعي	١٢٧
٧٧	محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري	٦١
٧٨	محمد بن جرير بن يزيد الطبري	١٤
٧٩	محمد شكري بن عبدالله بن شهاب الدين الالوسي، ابو المعالي	١٧٣

الرقم	اسم العلم	الصفحة
٨٠	محمد بن ضياء الدين عمر، فخر الدين الرازي	٢١٧
٨١	محمد عبده بن حسن خيرالله	١٥٠
٨٢	محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني	١٢٩
٨٣	محمد بن القاسم بن بشار، ابن الانباري	٣٠
٨٤	محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي الترمذي، ابو عيسى	٢٨٢
٨٥	محمد بن مسلمة بن حريش بن خالد الخزاعي الانصاري	١٠١
٨٦	محمد بن محمد بن احمد الطوسي الغزالي	٥٩
٨٧	محمد بن محمد بن يوسف القاشاني	١٨١
٨٨	مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري	٢٦٥
٨٩	معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الانصاري الخزرجي	٤١
٩٠	معاوية بن جاهمة السلمي	١٢٠
٩١	المغيرة بن شعبة بن ابي عامر بن مسعود الثقفي	١٠١
٩٢	المقدام بن معد يكرب بن عمرو، ابو يحي الكندي	١٠٩
٩٣	ناصر الدين عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي	٤
٩٤	النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الانصاري، ابو عبدالله	١٥٥
٩٥	النعمان بن ثابت التميمي	١٧٠
٩٦	يحي بن زياد بن عبدالله الديلمي، الفراء ابو زكريا	١٠٠
٩٧	يزيد بن ابي سفيان، ابو خالد الأموي	٣٤٢

رابعاً: فهرس المراجع

اولاً: كتب التفسير:-

١- ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، المسمى بتفسير أبي السعود، تأليف القاضي الإمام أبي السعود، محمد بن محمد العمادي ط: (لا يوجد) دار المصحف شركة مكتبة ومطبعة عبدالرحمن محمد.

٢- الأساس في التفسير، لسعيد حوى، ط:١ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) طبعة دار السلام

٣- أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن/تأليف محمد الامين بن محمد المختار المكنى بالشنقيطي، ط: ٢ (١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م).

٤- انوار التنزيل واسرار التأويل، المسمى بتفسير البيضاوي، للامام ناصر الدين ابو الخير عبدالله الشيرازي البيضاوي، ط:(١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) دار الفكر.

٥- التحرير والتنوير /تأليف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ط:(١٩٨٤م) الدار التونسية للنشر.

٦- الجامع لاحكام القرآن الكريم/ لابي عبدالله محمد بن احمد الانصاري القرطبي ط:(لا يوجد) طبعة خاصة بتصريح من دار الشعب، الريان للتراث.

٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ لابي جعفر بن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠هـ،ط:(١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) دار الفكر بيروت لبنان

٨- دقائق التفسير الجامع لتفسير الأمام ابن تيمية/ جمع وتحقيق، محمد السيد الجليند، ط:٢ (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) مؤسسة علوم القرآن دمشق بيروت.

٩- زاد المسير في علم التفسير/ للامام ابي الفرج جمال الدين الجوزي/ حققه محمد بن عبدالله، وخرّج احاديثه، السعيد بسيوني زغلول ط:(١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) بيروت دار الفكر.

١٠- صفوة التفاسير/ تأليف محمد علي الصابوني، ط:٤ (١٤٠٢هـ - ١٩٨١م) طبعه دار القرآن الكريم بيروت.

١١- فتح القدير، الجامع بين فني الروايةوالدراية في علم التفسير/ تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط(لا يوجد) طبعة دار المعرفة بيروت.

١٢- في ظلال القرآن /لسيد قطب، الطبعة التاسعة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) دار الشروق بيروت.

١٣- القرآن الحكيم، الشهير بتفسير المنار/تأليف محمد رشيد رضا،ط:٢ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان، أُعيد طبعه بالأوفست.

١٤- التفسير القيم /للامام ابن القيم، جمعه/محمد اويس الندوي، وحققه/محمد حامد الفقي، ط:(لا يوجد) دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

١٥ تفسير القرآن العظيم/للامام اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ط:(١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) طبعة دار المعرفة بيروت، وايضاً طبعة دار الأسماء .

١٦- تفسير القرآن الكريم/ تأليف الشيخ محمود شلتوت، ط: ١٠ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) دار الشروق.

١٧- التفسير القرآني للقرآن/ تأليف عبد الكريم الخطيب، ط:(لا يوجد) طبعة دار الفكر العربي.

١٨- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، المسمى بتفسير الفخر الرازي، للامام محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر، المشتهر بخطيب الري ط:٣ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) طبعة دار الفكر.

١٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل/ تأليف ابو القاسم، جار الله محمود بن عمر الزمخشري،ط:(لا يوجد) دار المعرفة بيروت.

٢٠- محاسن التأويل/ تأليف، محمد جمال الدين القاسمي، ط:(لا يوجد)، رقّمه وخّرج احاديثه وعلّق عليه، محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار احياء الكتب العربية.

٢١- مجمع البيان في تفسير القرآن/ للشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي، تصحيح و تحقيق/ هاشم الرسول المحلاتي، وفضل الله اليزدي الطباطبائي ط:١(١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) دار المعرفة بيروت.

٢٢- النكت والعيون، تفسير الماوردي/ تصنيف ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري/ راجعه وعلق عليه، السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط:(١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) مؤسسة الكتب الثقافية.

٢٣- التفسير الواضح/ تأليف، محمد محمود حجازي، ط: ١٠ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، دار التفسير للطبع والنشر الزقازيق.

ثانياً كتب الحديث:-

٢٤- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف/ للمنذري ط: (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) دار

الفكر.
٢٥- رياض الصالحين/ للامام ابي زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي، حقق نصوصه وخّرج احاديثه وعلق عليه، شعيب الارناؤوط،ط:٢٠ (١٤١٢هـ - ١٩٩١م) مؤسسة الرسالة بيروت.
٢٦- سنن ابي داود/ للامام سليمان بن الاشعث السجستاني الازدي، ط:١ (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م)، دار الحديث حمص.
٢٧- سنن ابن ماجة/ للحافظ ابي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، حقق نصوصه ورقمه/ محمد فؤاد عبد الباقي، ط:(لا يوجد) طبعة دار احياء التراث العربي.
٢٨- سنن الترمذي/ للامام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حققه وصححه، عبد الرحمن محمد عثمان، ط ٢ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) دار الفكر للطباعة والنشر بيروت.
٢٩- سنن الدارمي: للإمام الكبير أبو محمد عبدالله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ط (لا يوجد) طبعة دار إحياء السنة النبوية
٣٠- سنن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الامام السندي ط:١ (١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م) طبعة دار الفكر للطباعة والنشر بيروت.
٣١- شرح الاربعين النووية/ للامام النووي، ط (لا يوجد) الخليل مكتبة دنديس.
٣٢- صحيح البخاري/ لابي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري، ط (١٩٧٩م) المكتبة الاسلامية استانبول تركيا.
٣٣- صحيح مسلم، للامام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، حققه ورقمه ، محمد فؤاد عبد الباقي، ط (١٣٧٤هـ - ١٩٥٣م) طبعة دار احياء التراث العربي.
٣٤- فتح الباري في شرح صحيح البخاري/ لابن حجر العسقلاني.
٣٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ للحافظ نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ،ط :(١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) طبعة دار الريان للتراث القاهرة - ودار الكتاب العربي بيروت لبنان.
٣٦- مسند الامام احمد بن حنبل/ وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، ط:(لا يوجد) طبعة دار صادر بيروت.
٣٧- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، إبتدأ ترتيبه ونشره، ونسنك وفنسخ، ط (١٩٦٧م) مطبعة أبريل في مدينة ليدن.

ثالثاً كتب التراجم:-

٣٨- الاستيعاب في معرفة الاصحاب/ لابي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر، تحقيق محمد علي البيجاوي ،ط:(لا يوجد). مطبعة النهضة مصر الفجاله، القاهرة.
٣٩- اسد الغابة في معرفة الصحابة/ لعز الدين بن الاثير ابي الحسن علي بن الجوزي/ تحقيق، محمد ابراهيم البنا، ومحمد احمد عاشور ومحمد عبد الوهاب فايد، كتاب الشعب.
٤٠- الاصابة في تميز الصحابة/ لابن حجر العسقلاني/ تحقيق، محمد علي البيجاوي، طبعة (لا يوجد) طبعة دار النهضة مصر القاهرة.
٤١- الاعلام، قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين/ لخير الدين الزركلي، ط:٣ مؤسسة الرسالة .
٤٢- بغية الدعاة في طبقات اللغويين والنحاة/ للحافظ جلال الدين السيوطي تحقيق/ محمد ابوالفضل ابراهيم، ط (١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م) عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٤٣- تاريخ بغداد/ للحافظ ابي بكر/ احمد بن علي الخطيب البغدادي.ط:١ (١٣٤٩هـ - ١٩٣١م) مكتبة الخانجي بمصر.
٤٤- تهذيب التهذيب/ للحافظ احمد بن حجر العسقلاني، ط:١ (دار صادر بيروت).
٤٥- الجرح والتعديل/ للامام الحافظ ابي محمد عبدالرحمن بن ابي حاتم، محمد ابن ادريس بن المنذري الرازي ت ٣٢٧هـ، ط:١ (١٣٧١هـ - ١٩٥٢م) دار الكتب العلمية بيروت.
٤٦- حلية الاولياء وطبقات الاصفياء/ للحافظ ابي نعيم احمد بن عبدالله الاصفهاني،ط (لا يوجد) طبعه دار الكتب العلمية بيروت.
٤٧- خلاصة تهذيب الكمال في اسماء الرجال/ لصفي الدين الخزرجي/ تحقيق محمود فايد مكتبة القاهرة.
٤٨- سير اعلام النبلاء/ للامام ابي عبدالله شمس الدين محمد الذهبي ط:١ (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) مؤسسة الرسالة بيروت.
٤٩- شذرات الذهب في اخبار من ذهب لابي الفلاح عبدالرحمن عبد الحي بن العماد الحنبلي، ط: (لا يوجد) المكتب التجاري بيروت.
٥٠- صفة الصفوة/ لجمال الدين بن الجوزي/ تحقيق، محمد فاخوري ومحمد رواس،ط: ٣

(١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) دار المعرفة بيروت.

٥١- طبقات الشعراني، المسمى بلواقح الانوار في طبقات الاخبار/ تأليف عبد الوهاب بن احمد، المعروف بالشعراني وبهامشه الانوار القدسية في بيان أدب العبودية،ط: (١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م) مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر.

٥٢- طبقات الصوفية، لابي عبدالرحمن محمد بن الحسين بن محمد السلبي، تحقيق نور الدين شربيه،ط: ١ (١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م) مطابع دار الكتاب العربي بمصر.

٥٣- طبقات المفسرين/ للحافظ شمس الدين بن احمد الدوادي/ تحقيق، علي محمد عمر، ط: ١ (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م) مكتبة وهبه.

٥٤- لسان الميزان / للامام الحافظ احمد بن حجر العسقلاني، ط:٢ (١٣٩٠هـ - ١٩٧١م) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

رابعاً: كتب اللغة:-

٥٥- اصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، قاموس القرآن/ لحسين بن محمد الدامغاني/ حققه ورتبه، عبد العزيز سيد، ط:٤ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) طبعة دار العلم للملايين بيروت.

٥٦- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز/ لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي/ تحقيق، محمد علي النجار، ط: (لا يوجد) المكتبة العلمية بيروت.

٥٧- التعريفات؟ لعلي بن محمد بن علي الجرجاني/ حققه ابراهيم الأبياري ط:١ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) دار الكتاب العربي.

٥٨- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/ لاسماعيل بن حماد الجوهري/ تحقيق احمد عبد الغفور عطا،ط: ٢ (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) بيروت، دار العلم للملايين.

٥٩- القاموس المحيط/ للعلامة اللغوي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ط:٢ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) مؤسسة الرسالة.

٦٠- لسان العرب/ لابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور الأفريقي المصري، ط:(لا يوجد) دار صادر بيروت.

٦١- محيط المحيط/ بطرس البستاني،ط (١٢٨٦هـ - ١٨٧٠م) بيروت بطريقة الفوتو أوفست.

٦٢- المعجم الوسيط/ المعجم الوسيط عبد السلام هارون، ط (١٣٨١هـ - ١٩٦١م).

٦٣- المنجد في اللغة/ تأليف لويس معلوف،ط (١٩٦٦)، ط جديدة.

٦٤- نزهة الاعين النواظر في علم الوجوه والنظائر/ لجمال الدين ابي الفرج ابن الجوزي/ تحقيق، عبد الكريم الراضي، ط:١ (١٤٠٤هـ - -١٩٨٤م) مؤسسة الرسالة.

خامساً: كتب السيرة:-

٦٥- إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء/ تأليف محمد الخضري بك، ط:٤ مطبعة الاستقامة القاهرة.

٦٦- حياةالصحابة/ لمحمد يوسف الكاندهلوي ،ط:(لا يوجد)، دار المعرفة بيروت.

٦٧- السيرة النبوية/ لابن هشام، حققها وضبطها وشرحها، مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، ط:٢ (١٣٧٥هـ -١٩٥٥م) مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر.

٦٨- السيرة النبوية/ لابن كثير، ط: :(١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م) طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة.

٦٩- فقه السيرة/ للدكتور، محمد سعيد رمضان البوطي، ط:٢ (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) طبعة دار الفكر.

٧٠- مختصر تهذيب سيرة ابن هشام/ لعبد السلام هارون.

سادساً: كتب الفقه:-

٧١- العمدة في الاحكام في معالم الحلال والحرام/ للامام الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الجماعيلي/ شرح وتحقيق، مصطفى عبد القادر عطا، ط:١ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) دار الكتب العلمية بيروت.

٧٢- الأم/ محمد بن ادريس الشافعي/ صححه واشرف على طبعه، محمد زهري النجار ط(لا يوجد) دار المعارف بيروت.

٧٣- المحلى؟ تأليف علي بن احمد بن سعيد بن حزم، ت ٤٥٦هـ، ط:١ (١٣٥٢هـ) ادارة الطباعة المنبرية، بشارع الازهر القاهرة.

٧٤- فقه السنة/ تأليف السيد سابق

٧٥- الفقه على المذاهب الاربعة/ تأليف عبدالرحمن الجزري، ط:(لا يوجد) دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٧٦- الفقه المبسط/ تأليف محمد اديب كلكل، ط:٤، مكتبة الدعوة حماه.

٧٧- المهذب في فقه الامام الشافعي/ تأليف ابراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي الشيرازي، وبأسفل الصفحات النظم المستعذب في شرح غريب المهذب، للعلامة محمد بن احمد بن بطال، ط:(لا يوجد) طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.

٧٨- الميراث في الشريعة الاسلامية/ للدكتور ياسين احمد درادكه،ط:٢ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) مؤسسة الرسالة بيروت.

سابعاً: الكتب الثقافية:-

٧٩- احكام الاسرة في الاسلام، دراسة مقارنة بين فقه المذاهب والمذهب الجعفري والقانون. /تأليف مصطفى شلبي، ط:٢ (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) طبعة دار النهضة بيروت.

٨٠- احكام القرآن/ لإبن العربي.

٨١- الاداب الاجتماعية في الاسلام/ محمد سعيد مبيض، ط:(١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) الشئون الدينية بدولة قطر مطابع الخليج.

٨٢- الاداب الاجتماعية في سورة النور/ تأليف احمد فؤاد المشتولي، رسالة دكتوراه، كلية اصول الدين بالازهر، قسم التفسير، اشراف/ احمد السيد الكومي الاستاذ المساعد بالكلية.

٨٣- الاداب الدينية الاجتماعية/ تأليف امين الخولي، عبدالله المشد، د. احمد الخولي، محمد عبد الرؤوف بهنسي، ط:(١٩٦٠م - ١٣٧٩هـ) القاهرة

٨٤- ادب الدنيا والدين/ لابي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠هـ، حققه، مصطفى السقا، ط:٤ (١٣٩٨ه - ١٩٧٨م) دار الكتب العلمية بيروت.

٨٥- الإسلام/ تأليف سعيد حوى ط:٢ (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) دار الكتب العلمية بيروت.

٨٦- الإسلام في حياة المسلم/ د محمد البهي، ط:٥ (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) مطبعة الاستقلال الكبرى مكتبة وهبه القاهرة.

٨٧- اصول التربية الاسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع/ لعبد الرحمن النحلاوي، ط:١ (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) دار الفكر.

٨٨- اصول النظام الاجتماعي في الاسلام/ محمد الطاهر بن عاشور،ط (١٩٧٦م) طبعة

الشركة التونسية للتوزيع.
٨٩- اضواء على التربية في الاسلام / تأليف علي القاضي، ط:١ (١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م) طبعة دار الانصار القاهرة.
٩٠- إغاثة اللهفات من مصايد الشيطان/ محمد بن ابي بكر، الشهير بإبن القيم الجوزية/ تحقيق، محمد سيد كيلاني، ط:(١٩٦١م) المكتبة القيمة القاهرة.
٩١- اقتصادنا: لمحمد باقر الصدر، ط:١٦ (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) دار التعارف للمطبوعات.
٩٢- اهداف الاسرة في الاسلام / لحسين محمد يوسف توزيع دار الاصلاح القاهرة/ النصر للطباعة.
٩٣- التربية الاخلاقية الاسلامية/ د مقداد ياجن/ ط:٣ (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م). مكتبة الخانجي بمصر
٩٤- تربيةالاولاد في الاسلام / عبدالله ناصح علوان /ط:٣ (١٤٠١هـ - ١٩٨١م).
٩٥- التربية ومشكلات المجتمع/ د لطفي بركات احمد / ط: (١٩٧٨م) دار النهضةالعربية للنشر.
٩٦- تفسير سورة النور/ تأليف المرحوم. يوسف العالم، ط:٢ (١٩٧٨م) الدار السودانية للكتب.٩٧- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم/ د. احمد السيد الكومي، د. محمد احمد يوسف القاسم/ط:١ (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢) مطبعة دار البيان بمصر.
٩٨- التوحيد/ مجلة تصدرها جماعة انصار السنة المحمدية/ عدد: ٢، صفر ١٤٠٨هـ السنة: ١٦، المركز العام القاهرة.
٩٩- الثقافة الاسلامية/ تأليف محمد المبارك، والشيخ محمد الغزالي، والدكتور مصطفى عبد الواحد، ط:(لا يوجد) مطابع جامعة ام القرى.
١٠٠- جامع العلوم والحكم/ لابي الفرج عبد الرحمن شهاب الدين احمد الحنبلي ت سنة ٧٩٥هـ، ط: ١ (١٤٠٧هـ - ١٩٧٨م)، دار البيان للتراث، القاهرة.
١٠١- الجهاد سبيلنا/ تأليف، عبد الباقي رمضون، ط:٢ (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) مؤسسة الرسالة بيروت.
١٠٢- الجهاد والحقوق الدوليةالعامة في الاسلام/ تأليف ظافر القاسمي ، ط:١ (١٩٨٢م) دار العلم للملايين.
١٠٣- الحلال والحرام في الاسلام/ د يوسف القرضاوي، ط: ٧ (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) المكتب الاسلامي.
١٠٤- حقائق الاسلام واباطيل خصومه/ عباس محمود العقاد، ط:٢ (١٩٦٦م) دار القلم

القاهرة.

١٠٥- الخطابة اصولها تاريخها في ازهر عصورها عند العرب، محمد ابوزهرة، ط:٢(١٩٨٠م) دار الفكر العربي.

١٠٦- خلق المسلم/ محمد الغزالي، ط:٨ (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) دار الكتب الحديثة.

١٠٧- خواطر مؤمنة/ للشيخ عبد الرحمن النجار، ط (١٩٧٨م) دار الرائد العربي بيروت.

١٠٨- دراسات في الثقافة الاسلامية/ صالح ذياب هندي، ط:٥ (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).

١٠٩- دراسات قرآنية/ محمد قطب، ط:٢ (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) طبعة دار الشروق.

١١٠- دستور الإخلاق في القرآن/ د محمد عبدالله دراز، تحقيق وتعريف، د عبدالصبور شاهين، ط:٣ (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) مؤسسة الرسالة بيروت، دار البحوث العلمية الكويت.

١١١- دستور الاسرة في ظلال القرآن/ أحمد فائز ، ط:٢ (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) مؤسسة الرسالة بيروت.

١١٢- الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان/ د محمد عبدالله دراز طبعة (لا يوجد) دار الفكر العربي.

١١٣- الدين والدولة من توجيه القرآن/ د محمد البهي، ط:٢ (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) مكتبة وهبه القاهرة.

١١٤- الربا ودوره في استغلال موارد الشعوب/ د عيسى عبده ط:٢ (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) دار الاعتصام.

١١٥- روح الدين الاسلامي/ عفيف عبد الفتاح طّباره، ط:٢١ (١٩٨١م) دار العلم للملايين بيروت.

١١٦- زاد المعاد في هدى خير العباد/ للامام ابن القيم الجوزية ، ط:(لا يوجد) المطبعة المصرية ومكتبتها تأسست عام ١٩٢٤م.

١١٧- السلوك الاجتماعي في الاسلام/ حسن ايوب، ط: ٥ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) دار التراث العربي للطباعة والنشر.

١١٨- السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية/ للامام تقي الدين ابو العباس احمد بن تيمية، ط: ٢ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) دار الجيل بيروت.

١١٩- الصارم المسلول على شاتم الرسول/ لابن تيمية، ط:(١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) بيروت دار الكتب العلمية.

١٢٠- الضياء اللامع من الخطب الجوامع/ محمد بن صالح بن عثيمين، ط:٣ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والدعوة والارشاد، الرياض.
١٢١- العلم والعلماء/ ابو بكر الجزائري، ط:١ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) دار الشروق جدة.
١٢٢- غذاء الروح/ عبد العزيز المسند، ط:١ (١٤٠٠هـ) شركة مطابع نجد الرياض.
١٢٣- فتاوي معاصرة للمرأة والأسرة المسلمة/ د يوسف القرضاوي، دار الاسراء القاهرة، دار الضياء عمان.
١٢٤- فضيلة التوكل في القرآن والسنة المطهرة/ رسالة ماجستير، اعداد/ عصام زهد، اشراف/ د يوسف احمد علي، مقدمة في قسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة ام درمان الاسلامية سنة (١٤١٠ه - ١٩٩٠م).
١٢٥- الفكر الاسلامي والمجتمع المعاصر/ د. محمد البهي، ط:٢ (١٩٨٢م) دار الكتاب بيروت.
١٢٦- فلسفة التربية الاسلامية في القرآن الكريم/ اعداد، علي خليل ابو العنين اشراف د. عبد الغني عبود/ ود. ابراهيم مطاوع، ط:١ (١٩٨٠م) دار الفكر العربي.
١٢٧- في رحاب الاسلام/ د. محمد سالم محيسن، ط (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية.
١٢٨- القرآن الكريم رؤية تربوية/ زهير محمد شريف كحالة، ط:١ (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) دار الفكر عمان.
١٢٩- القصاص في النفس/ تأليف د. عبدالله العلي الركبان، ط:٢ (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) مؤسسة الرسالة بيروت.
١٣٠- قل هذه سبيلي/ محمد بن علوي المالكي الحسني، ط:١ (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) دار المدينة المنورة.
١٣١- الكافي في فقه الامام احمد بن حنبل/ تأليف موفق الدين عبدالله ابن قدامة المقدسي/ تحقيق، زهير الشاويش ط:٣ (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) بيروت المكتب الاسلامي.
١٣٢- مباحث في علوم القرآن/ للشيخ مناع القطان، ط:٤ (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م) مؤسسة الرسالة.
١٣٣- مختصر منهاج القاصدين/ للامام احمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، قدم له/ احمد دهمان، علق عليه/ شعيب الارناؤوط وعبد القادر الارناؤوط، ط:(١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م) مكتبة دار البيان دمشق بيروت.

١٣٤- مدارج السالكين/ للامام ابن قيم الجوزية/ تحقيق، محمد حامد الفقي، ط:٢ (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) دار الكتاب العربي بيروت.

١٣٥- مشكلة الفقر وكيف عالجها الاسلام/ د. يوسف القرضاوي،ط:٥(١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) مكتبة وهبه القاهرة.

١٣٦- معالم في التربية/ د. عجيل جاسم النشمي، ط:١ (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) مكتبة المنار الاسلامية بالكويت.

١٣٧- معالم في الطريق/ لسيد قطب، ط :١٠ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) دار الشروق.

١٣٨- مكاشفة القلوب المقرب الى حضرة علام الغيوب/ لابي حامد محمد بن محمد الغزالي قدم له/ الشيخ محمد رشيد القباني ط:١ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) مكتبة الزهراء.

١٣٩- من الأداب والاخلاق الاسلامية/ عبدالله عبدالرحيم العبادي،ط:٢ (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) مطبعة السعادة ميدان احمد ماهر.

١٤٠- منار الاسلام، العدد الاول، السنة الخامسةعشرة، محرم ١٤١٠هـ اغسطس ١٩٨٩م دولة الامارات العربية المتحدة.

١٤١- المنافقون في القرآن الكريم/ د. محمد يوسف عبد بن حسن، ط:(لا يوجد) دار التوزيع والنشر الاسلامية القاهرة.

١٤٢- مناهج الشريعة الاسلامية/ للشيخ احمد محي الدين العجوز، ط:١ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) بيروت المكتبة الاسلامية.

١٤٣- منبر الاسلام/ العدد:((٢٥)) لسنة ،٤٥، صفر، (١٤٠٧هـ - اكتوبر ١٩٨٦م) يصدرها المجلس الاعلى للشئون الاسلامية وزارة الاوقاف القاهرة وكذلك العدد (٥) جمادى الاولى ،١٤٠٧هـ يناير ١٩٨٧م يصدرها المجلس الاعلى للشئون الاسلامية وزارة الاوقاف القاهرة.

١٤٤- من توجيهات الاسلام/ محمود شلتوت، ط:٦ (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) طبعة دار الشروق.

١٤٥- من كنوز الاسلام/ د. محمد فائز المط، ط:٢ (١٤٠٧ه - ١٩٨٧م) مؤسسة الرسالة بيروت.

١٤٦- منهاج الشريعة الاسلامية/ الشيخ احمد محي الدين العجوز،ط(١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م) مكتبة المصارف بيروت.

١٤٧- منهاج المسلم/ لابي بكر الجزائري، ط:٨ (١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م) القاهرة، دار فينوس

للطباعة، وطبعة ط:١ (١٩٧٩م - ١٣٩٩هـ) مكتبة الكليات الازهرية.

١٤٨- منهج الاسلام في تربية المجتمع/ د. عبد الفتاح عاشور، ط:١(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) مكتبة الخانجي بمصر.١٤٩- من وصايا القرآن الكريم/ محمد الأنور احمد البلتاجي ،ط:١(١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) دار التراث العربي.

١٥٠- النظم الاسلامية نشأتها وتطورها/ د. صبحي الصالح، ط:٤(١٩٧٨م) دار العلم للملايين بيروت.

١٥١- نماذج تربويّة من القرآن/ احمد زكي تفاحة، ط:١ (١٩٨٠م) دار الكتاب اللبناني بيروت.

١٥٢- هدى الاسلام/ عدد١، محرم (١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م) السنة الثانية، مطابع دار الايتام الاسلامية القدس بفلسطين.

١٥٣- هدى الاسلام/ العددان الخامس والسادس ، السنة الثالثة جمادي الاول والاخرة، (١٤٠٥هـ شباط اذار ١٩٨٥م) الرقم التسلسلي،(٢٤،٢٥).

١٥٤- هدى الاسلام/ السنة الرابعة، العددان: (٨،٩) شعبان ورمضان لسنة ١٤٠٦هـ نيسان ١٩٨٦م.

١٥٥- هدى الاسلام/ العدد الاول، مجلد:٣٢ لسنة (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) تصدرها وزارة الاوقاف بالمملكة الاردنية عمان.

١٥٦- هدى الاسلام/ السنة الخامسة العدد الاول، رقم: ٤١، محرم لسنة (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م).

١٥٧- هدى الاسلام/ عدد: (٣) السنة الثالثة، ربيع اول ١٤٠٥هـ كانون اول ١٩٨٤م تصدر في فلسطين القدس الرقم التسلسلي ٢٣ ربيع اول ١٤٠٥هـ، كانون اول ١٩٨٤م.

١٥٨- الوعي الاسلامي/ مجلة اسلامية ثقافية شهرية، عدد:(٣١٠) شوال (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) تصدرها وزارة الاوقاف بالكويت.

١٥٩- الولاء والبراء في الاسلام/ اعداد محمد بن سعيد بن سالم القحطاني ط:٢ (١٤٠٤هـ) دار طيبة الرياض بالمملكة العربية السعودية.

خامساً: فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ
التمهيد	١
اولاً: المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمتي"الاصلاح الاجتماعي" اوجه ورود	١
كلمة الاصلاح في القرآن.	٢
مجالات الاصلاح الاجتماعي	٦
ثانياً: عرض عام لسورة البقرة	١٣
زمن نزول السورة	١٣
سبب تسمية السورة	١٣
فضل سورة البقرة	١٥
الاحداث التي واكبت نزولها	١٦
الموضوعات التي تحدثت عنها	١٨
الحكمة من تفصيل السورة لقصة بني اسرائيل	٢٤
الفصل الاول	
العبادة واثرها الاجتماعي	
المبحث الاول: "تعريف العبادة"	٣٠
١- العبادة لغة وشرعاً	٣١
٢- مفهوم العبادة في الاسلام	٣١
٣- الحكمة من تشريع العبادة	٣٥
المبحث الثاني: الصلاة	٣٨
الصلاة لغة وشرعاً	٣٨
اوجه ورودها في القرآن	٣٩
حكم الصلاة	٣٩

الموضوع	الصفحة
فضل الصلاة	٤١
إقتران الصلاةبالزكاة	٤٣
قيمة الصلاة واهميتها	٤٣
الحِكم من الصلاة	٤٤
الفائدةالاجتماعية للصلاة.	٤٦
المبحث الثالث: الزكاة	٤٨
الزكاة لغة وشرعاً	٤٨
حُكم الزكاة	٤٩
مصارف الزكاة	٥٠
الثمار الاجتماعية للزكاة	٥٣
المبحث الرابع: الصِيام	٥٦
الصيام لغة وشرعاً	٥٦
فضل الصيام	٥٧
اداب الصيام	٥٩
الحِكم والفوائد من الصيام	٦٢
المبحث الخامس: الحج الحج لغة وشرعاً	٦٤
حُكم الحج	٦٤
الرغيب في الحج	٦٥
الاداب الاجتماعية للحج	٦٦
المبحث الساس: اثار العبادة على الفرد والمجتمع	٦٩
المطلب الاول: اثار العبادة على الفرد	٦٩
المطلب الثاني: اثار العبادة على المجتمع	٧٢
الفصل الثاني	
الاصلاح الاجتماعي في الزواج	
مقدمة الفصل	٧٥
المبحث الاول اهمية الزواج	٧٦
اولاً: أ- النكاح في اللغة والشرع	٧٦
ب- ورود النكاح في القرآن	٧٧
ثانياً: الاسلام يحث على الزواج	٧٨

الموضوع	الصفحة
ثالثاً: الزواج رحمة وسكن ومودة	٨٠
رابعاً: الزواج ميثاق غليظ	٨١
خامساً: التحذير من الرهبانية	٨٢
سادساً: الزواج مصلحة اجتماعية	٨٥
المبحث الثاني: الاسرة في الاسلام	٨٨
المطلب الاول: بناء الاسرة وتنظيمها	٩٣
المطلب الثاني: اختيار كلا الزوجين للآخر	٩٦
المطلب الثالث: اداب الزواج واهدافه	١٠٠
أولاً: آداب الزواج	١٠٠
ثانياً: أهداف الزواج	١٠٤
المطلب الرابع: الحقوق الزوجية	١٠٦
أولاً: حقوق الزوج على زوجته	١٠٩
ثانياً: حقوق الزوجة على زوجها	١١٢
المطلب الخامس حقوق الآباء والأبناء	١١٦
أولاً: حق الوالدين	١١٦
ثانياً: حقوق الابناء	١٢٠
المبحث الثالث: الطلاق	١٢٣
مقدمة المبحث	١٢٣
مشروعية الطلاق	١٢٥
حُكم الطلاق	١٢٦
اقسام الطلاق	١٢٨
العدة عند المطلقات	١٣٠
الحكمة من العدة	١٣١
اداب الطلاق	١٣٣
المبحث الرابع: احكام تتعلق بالنساء	١٣٦
١- النهي عن زواج المشركات	١٣٦
٢- حق المتوفى عنها زوجها وعدتها	١٤٠
٣- الحيض وحكمه	١٤٢
٤- نظام الخلع وحكمهِ	١٤٤
٥- الإيلاء وحكمه	١٤٦
٦- احكام الرَّضاعة	١٤٨
الفصل الثالث	
الاصلاح الاجتماعي في الاخلاق	١٥١
الاخلاق لغة واصطلاحاً	
المبحث الاول: الاخلاق واثرها في الأدب مع الله	١٥٨
المطلب الاول: الولاء لله	١٥٩

الموضوع	الصفحة
المطلب الثاني: الوفاء بالعهد	١٦٤
المطلب الثالث: الحلف بالله	١٦٨
المطلب الرابع: الانقياد لحكم الله	١٧٢
المطلب الخامس: الهجرة في سبيل الله	١٧٦
المبحث الثاني: الاخلاق وتهذيبها للنفس	١٧٩
المطلب الاول: الذكر	١٨٠
المطلب الثاني: الشكر	١٨٦
المطلب الثالث: الصبر	١٨٨
المطلب الرابع: الدعاء	١٩٦
المطلب الخامس: إتباع القول بالعمل	٢٠٠
المبحث الثالث: الاخلاق واثرها في التعامل مع الناس	٢٠٤
المطلب الاول: الاحسان الى اليتيم	٢٠٧
المطلب الثاني: الاحسان الى الفقراء	٢١١
المطلب الثالث: الاحسان الى الجار	٢١٣
المبحث الرابع: التحذير من مسببات المضار الاجتماعية	٢١٧
المطلب الاول: التحذير من التقليد الاعمى	٢١٧
المطلب الثاني: التحذير من الخمر والميسر	٢٢٠
المطلب الثالث: تحريم تناول الميتة والدم ولحم الخنزير	٢٢٥
المطلب الرابع: التحذير من المنافقين ومفاسدهم الاجتماعية	٢٢٩
المطلب الخامس: التحذير من المضار الاجتماعية لاهل الكتاب	٢٣٣
الفصل الرابع	
المعاملات المالية واثرها الاجتماعي	
مقدمة الفصل:	٢٤٢
المبحث الاول: جمع المال وانفاقه	٢٤٦
المطلب الاول: الكسب الحلال	٢٤٧
المطلب الثاني: النهي عن الكسب الحرام	٢٥١
المطلب الثالث: الإنفاق	٢٥٥
المبحث الثاني: المعاملات الربوية	٢٦٧
مقدمة المبحث.	٢٦٧

الموضوع	الصفحة
تعريف الربا: لغة وشرعاً	٢٦٨
اقسام الربا	٢٦٨
حُكم الربا	٢٦٩
الحكمة من تحريم الربا	٢٧٠
الاضرار الاجتماعية للربا	٢٧٢
المبحث الثالث: الوصية	٢٧٣
تعريف الوصية:لغة وشرعاً	٢٧٣
مشروعية الوصية	٢٧٣
الوصية بالثلث	٢٧٥
هل تجوز الوصية للوارث؟	٢٧٥
الحكمة الاجتماعية للوصية	٢٧٧
المبحث الرابع: البيع ومتعلقاته	٢٧٨
المطلب الاول: البيع	٢٧٨
المطلب الثاني: الدَّيْن والاشهاد عليه	٢٨٣
المطلب الثالث: الرهن	٢٨٨
الفصل الخامس	
القصاص في القتلى	
مقدمة الفصل:	٢٩٢
المبحث الاول: مشروعية القصاص وشروطه وأنواعه	٢٩٥
١- مشروعية القصاص	٢٩٥
٢- شروط القصاص	٢٩٩
٣- انواع القصاص	٣٠٣
المبحث الثاني: العفو عن القصاص	٣٠٦
١- مشروعية العفو عن القصاص	٣٠٦
٢- الفرق بين القصاص وباقي الحدود	٣٠٧
المبحث الثالث: القصاص واثره في الحياة	٣١١
المطلب الاول: القصاص اصلاح للحياة	٣١١
المطلب الثاني: الحِكم من القصاص	٣١٤

الموضوع	الصفحة

الفصل السادس
الجهاد واثره في اصلاح الحياة

المبحث الاول: تعريف الجهاد	٣١٥
الجهاد: لغة وشرعاً	٣١٥
شروط الجهاد	٣١٥
أركان الجهاد	٣١٦
مراحل فرض الجهاد	٣٢٠
حُكم الجهاد	٣٢٣
المبحث الثاني اهداف الجهاد وفضله وآدابه	٣٢٥
١- اهداف الجهاد	٣٢٥
٢- فضل الجهاد	٣٢٩
٣- اداب الجهاد	٣٣٢
المبحث الثالث: الجهاد ضرورة لاصلاح الحياة	٣٣٦
نماذج مؤمنة في طريق الجهاد	٣٣٨
وصايا اصلاحية اثناء الجهاد	٣٤١
الخاتمة	٣٤٤
نتائج البحث	٣٤٦

الفهارس

فهرس الآيات	٣٤٨
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة	٣٦٩
فهرس تراجم الأعلام	٣٧٩
فهرس المراجع	٣٨٣
فهرس الموضوعات	٣٩٥